رواية

الكابوس

لارش كيبلير

ترجمة: شيرين الأمير



التنوير



لارش كيبلير

الـكـابـوس



الكتاب: الكابوس، رواية
تأليف: لارش كيبلير
ترجمة: شيرين الأمير
عدد الصفحات: 461 صفحة
الترقيم الدولي: 978-614-472-192-6
الطبعة الأولى: 2021
نشر مشترك بين دار جامعة حمد بن خليفة للنشر ودار التنوير

هذه ترجمة مرخصة لرواية:
Paganinikontraktet

Published by agreement with Salomonsson Agency

الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر

مصر: القاهرة 2- شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن سيتي
هاتف: 002022795557
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com
تونس: 16 الهادي خفشة - عمارة شهرزاد - المنزه 1 - تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com
لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية فارس قاسم (سارة بنما) - الطابق السفلي
هاتف: 009611843340
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
موقع إلكتروني: www.daraltanweer.com

لارش كيبلير

الكابوس

رواية

ترجمة: شيرين الأمير



رواية «الكابوس» عمل خياليّ. الأسماء والشخصيّات والأماكن والأحداث من وحي خيال المؤلّف، أو تمّ استخدامها في سياق خياليّ. أيّ تشابه بينها وبين أشخاص فعليّين، سواء أكانوا أحياءً أم أمواتًا، أو بين أحداثها وأحداث أو أماكن موجودة بالفعل، هو مصادفة غير مقصودة.




تليجرام
غواص في بحر الكتب



في مساءٍ مضيءٍ يخلو من الرياح، عُثِر على مركب ينجرف في الجزء الجنوبيّ من أرخبيل ستوكهولم. كانت المياه ذات اللون الرماديّ الممتزج باللون الأزرق تتحرّك بلطفِ حركةِ الضباب.

نادى الرجل العجوز بضع مرّات من زورقه، رغم شعوره بأنّه لن يحصل على إجابة. على مدار ساعة تقريبًا، راقب المركب من الشاطئ، وهو يتراجع ببطء مع التيّار.

وجّه العجوز زورقه ليقابل جانبه المركب. سحب مجذافيه نحو الداخل، وربط زورقه بمنصّة السباحة، وصعد على السلّم المعدني قافزًا على الدرابزين. ثمّة كرسيّ ورديّ اللون وسط السطح الخلفيّ للمركب. عندما لم يسمع أيّ صوت، فتح الرجل العجوز الباب الزجاجيّ، وهبط بضع درجات ليصل إلى الصالون. نفذ من النوافذ الكبيرة ضوء شاحب، وغمر خشب الساج المصقول وأريكة ذات كسوة داكنة الزرقة. نزل العجوز على الدرجات الخشبيّة خلف مطبخ المركب ومدخله المظلمَين، وصولًا إلى المقصورة الكبيرة. تسرّب الضوء الشاحب عبر النوافذ الضيّقة الملاصقة للسقف، ليلقي بظلاله على سرير مزدوج له شكل سهم. على السرير، كانت تجلس شابّة ترتدي سترة من الدنيم، مستندة بترنّح إلى الحائط. كانت ساقاها متباعدتين، وتُرخي إحدى يديها على وسادة ورديّة اللون. نظرت إلى عينيّ العجوز مباشرةً، وقد بدا تعبير الارتباك على وجهها.

بعد لحظة، أدرك العجوز أنّ الشابّة ميتة.

كان ثمّة مشبك على شكل حمامة في شعرها الطويل الداكن... حمامة سلام.

حين اقترب العجوز، ولمس وجنتها، سقط رأسها نحو الأمام، وتدفّق كمّ قليل من الماء خارج فمها وأسفل ذقنها.

***

اشتُقّت كلمة موسيقى «ميوزك» من الأسطورة الإغريقيّة لما يُعرف باسم «ناين ميوزِس»، أو المُلهمات التّسع، وهنّ بنات الربّ زيوس ومنيموزين ربّة الذاكرة. كانت يوتيربي، أي «جالبة السعادة»، ملهمة الموسيقى، وهي عادةً ما تُرسَم مع ناي مزدوج بين شفتيها.

بشكل عامّ، ليس للموهبة الموسيقيّة تعريف متّفق عليه، ولكنّ بعض الأشخاص يُولدون بذاكرة موسيقيّة حادّة، وأذنٍ موسيقيّة رائعة التّناغم، تؤهّلهم تمييز أيّ مقطوعة، من دون اللّجوء إلى مرجع.

على مرّ العصور، ظهر عدد من العباقرة الذين امتلكوا موهبة استثنائيّة في مجال الموسيقى، وذاع صيت بعض منهم، مثل: موتسارت الذي جال أوروبا منذ سنّ السادسة، وبيتهوفن الذي ألّف كثيرًا من الأعمال الموسيقيّة العظيمة بعد إصابته بالصّمم.

أمّا نيكولو باغانيني الأسطوريّ، المولود عام 1782 في مدينة جنوة الإيطاليّة، فقد تعلّم عزف الكمان وتأليف الموسيقى تعلّمًا ذاتيًا. وإلى وقتنا هذا، تمكّن عازفو كمان قليلون للغاية من عزف مقطوعاته الموسيقيّة السريعة المعقّدة. حتّى وفاته، طاردت باغانيني شائعات تزعم أنّه اكتسب موهبته الفريدة فقط عندما وقّع عقدًا مع الشيطان.

1

سرت قشعريرة في ظهر پينيلوپي فرنانديز. بدأ قلبها يخفق بشكل أسرع، وألقت نظرة جانبيّة سريعة. كأنّها حدست بما سيحدث لها لاحقًا في ذلك اليوم.

رغم الحرّ داخل الأستوديو، شعرت پينيلوپي ببرودة وجهها. إنّه تأثير غرفة المكياج، حيث مرّت إسفنجة أساس الوجه الباردة على بشرتها.

ثمّ أزالوا مشبك شعرها، ذي شكل الحمامة، لوضع مسحوق التّصفيف، ودمج شعرها في خصلات ملتوية.

أرشِدت پينيلوپي، التي تتقلّد منصب رئيسة «جمعيّة السلام والتحكيم السويديّة»، إلى أستديو الأخبار بهدوء، لتجلس في دائرة الضوء أمام پونتوس سلمان، العضو المنتدب لشركة «سايلانسيا ديفينس المحدودة»، إحدى شركات تصنيع الأسلحة.

نظرت مذيعة الأخبار ستيفاني فون سيدو إلى الكاميرا، وتحدّثت عن تسريح العمالة بعد شراء الشركة البريطانيّة «بي إيه إي سيستمز المحدودة» العاملة في مجال الدفاع لشركة «بوفورز» السويديّة.

توجّهت إلى پينيلوپي قائلةً: «پينيلوپي فرنانديز، كنت تنتقدين بشدّة في عدد من المناظرات تصدير السويد للأسلحة. أجريت مؤخّرًا مقارنة بين هذا الأمر وفضيحة 'أنغولا غيت' في فرنسا، التي اتُّهم فيها كبار السياسيّين ورجال الأعمال بالحصول على رشًا وتهريب أسلحة، وحُكِم عليهم بالسجن لفترات طويلة. لكنّنا لم نرَ مثل ذلك في السويد بالطبع، أليس كذلك؟».

«ثمّة طريقتان للنظر إلى ذلك، إمّا أنّ سياسيّينا في السويد يعملون بطريقة مختلفة، وإمّا أنّ نظامنا القضائيّ يفعل ذلك».

قال سلمان: «كما ندرك جيّدًا، فإنّ لدينا تقليدًا قديمًا...».

قاطعته پينيلوپي: «وفقًا للقانون السويديّ، تُعدّ كلّ أنشطة تصنيع المعدّات العسكريّة وتصديرها أمرًا غير قانونيّ».

«أنت مخطئة»، قال سلمان.

حدّدَت پينيلوپي ما تعنيه: «تنصّ الفقرة الثالثة والفقرة السادسة من قانون المعدّات العسكريّة لعام 1992».

قال مبتسمًا: «لكنّ 'سايلانسيا ديفينس' حصلت على موافقة مسبقة على كلّ هذه العقود».

«بالطبع، لأنّه بخلاف ذلك ستتحدّث عن جرائم سلاح واسعة النطاق، وكذلك...».

«كما ذكرتُ، لدينا تصريح»، قاطعها.

«لا تنسَ أنّ المعدّات العسكريّة...».

«انتظري لحظة يا بينيلوبي»، تدخّلت ستيفاني مشيرةً إلى سلمان كي يواصل حديثه، بعد أن رفع يده تنبيهًا لأنه لم ينتهِ بعد.

شرح سلمان: «من الطبيعيّ أن تُدرَس كلّ اتّفاقيّة قبل توقيعها، إمّا بشكل مباشر من قِبل الحكومة، وإمّا من قِبل 'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة' إذا كنت على دراية بذلك».

ردّت بينيلوبي: «ولكنّ لفرنسا جهات مماثلة. ومع ذلك، تمّت الموافقة على شحن معدّات عسكريّة إلى أنغولا بقيمة ثمانية مليارات كرونا، رغم الحظر على الأسلحة الذي تفرضه الأمم المتّحدة، وكذلك الحظر المطلق على...».

«نحن نتحدّث عن السويد الآن».

«أفهم أنّ الناس لا يريدون خسارة وظائفهم، ولكنّني مهتمّة بمعرفة كيفية تبريرك لتصدير هذه الكمّيّات الهائلة من الأسلحة إلى كينيا، وهي دولة...».

قاطعها: «ليس لديك أيّ شيء؛ أيّ دليل على خطأ واحد في هذا الشأن، أليس كذلك؟».

«للأسف، لست في وضع يسمح لي بأن...».

قاطعتها ستيفاني هذه المرّة، سائلةً: «هل لديك أيّ دليل ملموس؟».

أجابت بينيلوبي وهي تنظر إلى الأرض: «لا، ولكنّني...».

قال سلمان: «أظنّ أنّ الاعتذار مطلوب في هذه الحالة».

نظرت بينيلوبي إلى سلمان مباشرةً. اشتعل الغضب والإحباط داخلها، ولكنّها أجبرت نفسها أن تظلّ هادئة. بادلها سلمان ابتسامة مُحبّطة وبدأ يتحدّث عن مصنع شركته في مدينة «ترولهتان». تمّ تأمين مائتي وظيفة عندما حصلت «سايلانسيا ديفينس» على تصريح البدء في تصنيع المعدّات العسكريّة. شرح ما تنطوي عليه الموافقات المسبقة، وكيف بدأت الشركة

عمليّة الإنتاج. ثمّ استفاض في شرح وجهة نظره حتّى أنّه لم يعد ثمّة متّسع من الوقت لمشاركة پينيلوپي في الحديث.

أنصتت پينيلوپي محاوِلةً أن تنحّي كبرياءها الجريحة جانبًا. بدلًا من ذلك فكّرت في أنّها ستكون بعد قليل جالسة مع يورن على متن مركبه. سيرتّبان السرير الذي يتّخذ شكل سهم معًا، ويملآن الثلّاجة والمجمّدة الصغيرة بما لذّ وطاب. تراءى لها بريق كؤوس الفودكا المثلّجة وهما يتناولان سمك الرنغة المملّح والبطاطا والبيض المسلوق والمقرمشات. سيضعان الطاولة على السطح الخلفيّ، ويلقيان المرساة عند شاطئ جزيرة صغيرة في الأرخبيل، وسيأكلان عند غروب الشمس.

***

غادرت پينيلوپي ستوديوات التلفزيون السويديّ متّجهةً نحو «ڤالهالا بوليڤارد». أمضت نحو ساعتين في انتظار مقابلة لاحقة في برنامج آخر، قبل أن يسمحوا لها بإفساح المجال لعرض خمس نصائح سهلة للحصول على بطن مسطّحة هذا الصيف.

على امتداد الطريق العشبيّ لمنطقة «يارديت»، رأت پينيلوپي الخيام الملوّنة لسيرك «ماكسيموم». كان اثنان من المؤدّين يغسلان فيلين بخرطوم مياه. مدّ أحد الفيلين خرطومه في الهواء ليلتقط الماء ويضعه في فمه.

لم تتجاوز پينيلوپي عامها الرابع والعشرين. شعرها داكن مموّج يكاد يصل إلى كتفيها، وتطوّق عنقها بسلسلة قصيرة من الفضّة، يتدلّى منها صليب منذ تثبيتها[1] إلى اليوم. لبشرتها لون ذهبيّ يشبه العسل. عيناها واسعتان وجادّتان. وقد قيل لها أكثر من مرّة إنّها تشبه صوفيا لورين إلى حدّ كبير.

التقطت پينيلوپي هاتفها، وطلبت يورن كي تخبره بأنّها في طريقها إليه، وأنّها على وشك ركوب مترو الأنفاق من «كارلا پلازا».

---

(1) أحد الطقوس الدينيّة المسيحيّة.

سألها يورن بلهجة متوتّرة: «هل حدث شيء يا پيني؟».
«لا... لماذا؟».
«كلّ شيء جاهز. تركت لك رسالة تقول لا ينقصني سواكِ».
«لا داعي للإسراع، أليس كذلك؟».
حين هبط المصعد بپينيلوپي إلى رصيف محطّة مترو الأنفاق، بدأ قلبها يخفق بشكل أسرع، وانتابها شعور غريب بالقلق، وأغمضت عينيها. بدا لها المصعد أكثر انحدارًا وضيقًا، وأصبح الهواء باردًا أكثر فأكثر.
جاءت پينيلوپي إلى السويد من «لا ليبرتاد»، وهي واحدة من أكبر مناطق السلڤادور. سُجِنت والدتها كلوديا خلال الحرب الأهليّة، لذا وُلدت پينيلوپي ونشأت في زنزانة بذلت فيها خمس عشرة امرأة أخرى ما بوسعهنّ للمساعدة. كانت كلوديا طبيبة، وناشطة في حملة لتوعية وتثقيف الناس. انتهى بها المطاف في أحد أسوأ سجون النظام الحاكم آنذاك، لأنّها واصلت حملتها من أجل حصول السكّان الأصليّين على حقّهم في تشكيل الاتّحادات.
كرهت پينيلوپي الحروب والعنف، ما دفعها إلى دراسة الماجستير في دراسات السلام والصراع في جامعة «أوبسالا». ثمّ عملت لدى منظّمة المعونة الفرنسيّة «العمل ضدّ الجوع» في دارفور، وكتبت مقالًا شهيرًا لصحيفة «داغنز نيهاتر» عن محاولات نساء مخيّمات اللاجئين لاستعادة بعض مظاهر الحياة الطبيعيّة. قبل عامين، تولّت پينيلوپي منصب رئيسة «جمعيّة السلام والتحكيم السويديّة»، خلفًا لفريدا بلوم.
لم تفتح پينيلوپي عينيها حتّى غادرت المصعد. اختفى خوفها من الأماكن المغلقة، وصارت هادئة تمامًا حين استقلّت مترو الأنفاق. عادت تفكّر في يورن الذي ينتظرها في مرسى «لانغولمين». إنّها تحبّ السباحة عارية حول قاربه، والغوص في الماء، حيث لا ترى سوى البحر والسماء.
اهتزّ المترو وهو يندفع داخل النفق؛ دخل ضوء الشمس عبر النوافذ معلنًا الوصول إلى محطّة «أولد تاون».
في محطّة «هورنستول»، غادرت پينيلوپي المترو، واندفعت تحت

أشعّة الشمس. شعرت بقلق لا تفسير له، لذا أسرعت في عبور الجسر إلى «لونغهولمِن»، ثمّ أخذت الطريق المؤدّي إلى المرسى.

كان مركب يورن راسيًا في ظلّ الجسر الغربيّ؛ حيث تُشكّل حركات الماء شبكة من الضوء تنعكس على العوارض الفولاذيّة ذات اللون الرماديّ في الأعلى.

في مؤخّرة المركب، رأت پينيلوپي يورن معتمرًا قبّعة رعاة البقر. وقف من دون حركة وذراعاه تلتفّان حول جسده وكتفاه تنحنيان إلى أسفل.

وضعت إصبعيها في فمها وبدأت في الصفير. جفل يورن، وقد بدا عليه الخوف فجأة. نظر إلى الطريق بقلق ورأى پينيلوپي، لكنّه احتفظ بنظرة القلق في عينيه.

سألت پينيلوپي وهي تسير نحو الرصيف: «ماذا هنالك؟».

أجاب يورن: «لا شيء»، ثمّ عدّل قبّعته وهو يحاول أن يبتسم.

تعانقا. يداه باردتان كالثلج، وقميصه مبلّل بالعرق.

قالت له: «أنت غارق في العرق».

نظر بعيدًا متهرّبًا، وقال: «أنا فقط متحمّس للذهاب».

«هل أحضرتَ حقيبتي؟».

هزّ برأسه مشيرًا نحو المقصورة. بدأ المركب يتحرّك برفق تحت قدمي پينيلوپي، وشمّت رائحة البلاستيك الساخن والخشب المصقول.

سألت بمرح: «مرحبًا! أين أنت الآن؟».

أجاب مبتسمًا: «أنا هنا»، وأخفض عينيه الزرقاوين الطفوليّتين المبتسمتين، بينما تناثرت خصلات شعره التي تشبه لون القش بشكل فوضويّ.

«ماذا يدور في رأسك؟».

«أريد فقط أن نكون معًا، ونتضاجع في الهواء الطلق»، قال وهو يحتضن خصرها.

مرّر شفتيه على شعرها.

سألته هامسة: «هل هذا ما تأمل فيه؟».

«أجل»، ردّ عليها.

ضحكت من صراحته.

قالت: «معظم الناس، أقصد معظم النساء، ربّما يرين هذا الأمر مبالغًا فيه؛ النوم على الأرض مع كثير من النمل والحجارة و...».

«إنّه مثل السباحة عاريين».

«سيكون عليك أن تقنعني»، قالت بلهجة مغازِلة.

«سأبذل أفضل ما عندي».

«كيف؟»، سألت ضاحكة، بينما رنّ هاتفها داخل حقيبتها القماش.

عند سماع نغمة الرنين، تيبّست ابتسامة يورن. بدأ الدم يتدفّق إلى وجنتيه. نظرت پينيلوپي إلى شاشة هاتفها.

«إنّها ڤيولا»، قالت له بسرعة قبل أن تجيب قائلة: الصغيرة».

أطلقت سيّارة بوقها فصرخت أخت پينيلوپي بعيداً عن الهاتف "اللعنة على ذاك المجنون!».

«ماذا يحدث؟».

ردت أختها: «انتهى الأمر؛ لقد تركت سيرغاي".

قالت پينيلوپي: «مجدّدًا».

«نعم»، أجابت ڤيولا بهدوء.

«آسفة. لا بدّ من أنّك مستاءة».

«سأكون بخير، ولكن... قالت أمّي إنكما ذاهبان على متن المركب، وكنت أتساءل إن... أودّ الذهاب معكما، إذا لم يكن لديك مانع".

مرّت لحظات صمت.

كرّرت پينيلوپي بصوت فاتر: «بالطبع، يمكنك المجيء".

2

وقفت بينيلوبي عند الدفّة، مرتدية السارونغ(1) الأزرق الفاتح، والقطعة العلوية من «بيكيني» أبيض، وعلى صدرها الأيمن نُقشت علامة السلام. غمرتها أشعّة شمس الصيف النافذة من الزجاج الأماميّ. راحت توجّه الدفّة بحرص حول منارة «كانغسهامن»، ثمّ توجّه المركب نحو المضيق.

نهضت أختها فيولا عن كرسيّ ورديّ اللون على السطح الخلفيّ. أمضت ساعة مستلقية عليه وهي تضع قبّعة يورن، ونظّارة شمس عاكسة للضوء، وتغالب النعاس بعد لفافتين من الحشيش.

لم تستطع بينيلوبي أن تكفّ عن التبسّم وهي ترى فيولا تجري نحو خمس محاولات خائبة لالتقاط علبة الكبريت بأصابع قدميها قبل أن تستسلم.. بعد قليل عبرت فيولا إلى الصالون عبر الباب الزجاجيّ، وسألت أختها إذا كانت تودّ أن تأخذ مكانها في قيادة الدفّة.

وعندما لم تسمع جوابًا قالت وهي تتّجه إلى أسفل: «إذا كنت لا ترغبين في ذلك، فسأذهب لإعداد كأس من المارغريتا».

أمّا يورن، فكان مستلقيًا في مقدّمة المركب على منشفة، وقد جعل من كتاب وسادةً له.

لاحظت بينيلوبي أنّ قاعدة السور تحت قدميه بدأت تصدأ. أهداه والده هذا القارب عندما بلغ سنّ العشرين، ولكنّه لا يملك تكاليف صيانته بالشكل المناسب. يعدّ هذا القارب، أو اليخت الصغير، الهديّة الوحيدة من والده، عدا أنه عندما بلغ والد يورن الخمسين من عمره، دعاه هو وبينيلوبي إلى أحد أفخم الفنادق التي يمتلكها، وهو منتجع «كمايا» على الساحل الشرقيّ لكينيا. لم تتمكّن بينيلوبي من قضاء سوى يومين في الفندق، قبل سفرها إلى معسكر دارفور للاجئين في السودان، حيث مقرّ «منظّمة العمل ضدّ الجوع».

---

(1) قطعة طويلة من القماش الرقيق تلتفّ حول الخصر.

خفضت پينيلوپي سرعة الإبحار عند الاقتراب من جسر «سكيوروصند». لا يمكن سماع صوت حركة المرور الكثيفة أعلى الجسر في الماء على الإطلاق. فقط حين بدأوا في الانزلاق مع ظلّ الجسر، لاحظت پينيلوپي قاربًا مطّاطيًا أسود بجوار أحد أعمدة الأساس الخرسانيّة؛ إنّه من النوع نفسه الذي تستخدمه القوّات البحريّة الخاصّة: القوارب القابلة للنفخ، ذات الهياكل الصلبة، المزوّدة بهيكل من الألياف الزجاجيّة ومحرّكات قويّة.

كانت پينيلوپي قد اجتازت الجسر تقريبًا عندما أدركت أنّ أحدًا ما يجلس في المركب- رجلًا رابضًا في القتامة على ركبتيه وظهره موجّه لها. لم تعلم السبب وراء تسارع نبضاتها حين رأته. ثمّة شيء يتعلّق بمؤخّرة رأسه وملابسه القاتمة جعلها تشعر بأنّها مُراقبة، رغم أنّه يقابل الاتّجاه الآخر.

عندما تعرّضت لأشعّة الشمس مجدّدًا، ارتجف جسدها وأحسّت بالقشعريرة في ذراعيها.

زادت من السرعة فور أن تجاوزت «دوڤناس». اندفع محرّكا القارب تاركَين المياه تتدفّق خلفهما، وسامحَين للقارب بشقّ صفحة البحر الملساء.

رنّ هاتف پينيلوپي. رأت اسم والدتها على الشاشة، وتساءلت للحظة إن كانت تتّصل لتخبرها بأنّها رأتها في التلفاز، وأنّها أبلت بلاءً حسنًا، ولكنّها تعرف أنّ هذا ضرب من الخيال.

قالت پينيلوپي: «مرحبًا يا أمّي».

فهمست والدتها: «آه».

«ماذا حدث؟».

ردّت كلوديا التي بدا أنّها تملأ كوبًا من الماء: «ظهري... أحتاج إلى زيارة مختصّ في العلاج الفيزيائي للعمود الفقريّ. أردت فقط أن أعرف إن كانت ڤيولا قد تحدّثت إليك؟».

ردّت پينيلوپي وهي تسمع والدتها تشرب: «إنّها هنا معنا على اليخت».

«رائع. أعتقد أنّ ذلك سيكون مفيدًا لها».

«أنا متأكّدة من ذلك»، أجابت الابنة بهدوء.

«ماذا لديكم من طعام؟».
«لدينا هذه الليلة الرنجة المملّحة، والبطاطا، والبيض، و...».
«هي لا تحبّ الرنجة».
«أمّي، لقد حدّثتني ڤيولا فقط حين...».
قاطعتها كلوديا: «أعلم أنّك لم تتوقّعي مجيء ڤيولا، لذا أنا أحدّثك».
«أعددت بعض كرات اللحم»، قالت پينيلوپي مستجمعة صبرها.
«وهل تكفيكم؟»، سألت أمّها.
«تكفينا كلّنا؟ الأمر يتوقّف على...».
واصلت پينيلوپي توجيهها للدفّة وهي تنظر إلى المياه المتلألئة.
قالت بنبرة معتدلة: «ليس بالضرورة أن أتناول أيًا منها».
«إذا لم يكن هناك ما يكفي، هذا كلّ ما قصدته».
«فهمت ذلك»، ردّت پينيلوپي بهدوء.
علّقت والدتها وهي بالكاد تخفي الحدّة في نبرتها: «يا لكِ من مسكينة الآن، أليس كذلك؟».
«الأمر فقط أنّ... ڤيولا لم تعد طفلة، و...».
«لقد خاب أملي فيكِ».
«آسفة».
«كنتِ دائمًا تتناولين كرات اللحم التي أعدّها في عيد الميلاد، وعيد منتصف الصيف[1]، و...».
فقاطعتها پينيلوپي بطريقة غاضبة: «ربّما لم يكن عليّ أن أفعل».
قالت أمّها بجفاء: «حسنًا، لك ذلك».
«أنا أقصد أنّ...».
قاطعتها أمّها بغضب: «لا تزعجي نفسك بالمجيء في عيد منتصف الصيف».

(1) يوم منتصف الصيف: عيد شعبي يقع في 23 يونيو من كلّ عام

«آه يا أمّي! لماذا تتصرّفين هكذا دائمًا...».

سمعت پينيلوپي صوت نقرة إغلاق هاتف والدتها. شعرت بالإحباط يغلي داخلها وهي تحدّق إلى الهاتف، ثمّ قذفته جانبًا.

أحدثت السلالم المتدلّية من المطبخ صريرًا، وظهرت ڤيولا مترنّحة وفي يدها كأس من المارغريتا. سألت: «أمّي التي كانت على الهاتف؟».

«نعم».

سألت ڤيولا وهي تبتسم: «أهي قلقة بشأن عدم توفّر طعام لي؟».

«الطعام متوفّر»، ردّت پينيلوپي.

«أمّي لا تعتقد أنّني أستطيع الاعتناء بنفسي».

ردّت پينيلوپي: «إنّها تشعر بالقلق فقط».

«هي لا تقلق بشأنك أبدًا».

«أنا بخير».

راحت ڤيولا تحتسي شرابها، وتنظر عبر الزجاج الأماميّ لليخت.

قالت: «شاهدت المناظرة التلفزيونيّة».

«هذا الصباح؟ أمام پونتوس سلمان؟».

«لا. كان ذلك... الأسبوع الماضي؛ كنت تتحدّثين إلى رجل متغطرس، وكان... لديه اسم غريب...».

قالت پينيلوپي: «پالمكرونا».

«نعم، پالمكرونا...».

«كنتُ غاضبة، وقد احمرّ وجهي، وشعرت بالدموع في عينيّ. انتابتني رغبة في غناء 'سادة الحرب' لبوب ديلان، والفرار بعد ضرب الباب خلفي».

راقبت ڤيولا أختها وهي تمدّد جسدها إلى أعلى، وترفع فتحة السقف.

قالت مازحة: «لم أظنّ أنّك حلقت شعر إبطيك».

«لا، ولكنّي انشغلت كثيرًا في المقابلات الإعلامية فـ...».

«فغلبك الغرور»، مازحتها ڤيولا.
«لم أرغب أن أوصم بالمشاكسة فقط لأنّ عندي شعر تحت إبطيَّ».
«ماذا عن خطّي البيكيني إذًا».
«حسنًا...».
فتحت پينيلوپي غالسارونغ فانفجرت ڤيولا بالضحك.
ابتسمت پينيلوپي قائلة: «يُعجِب يورن».
«لا يحقّ له الاعتراض، بخصلات شعره تلك».
قالت پينيلوپي بنبرة حادّة: «ولكنك تحلقين كلّ مكان، كما يفترض بك، لرجالك المتزوّجين والحمقى المفتولي العضلات و...».
قاطعتها ڤيولا: «إذًا ذوقي في الرجال سيّئ».
«ليس لديك ذوق سيّئ في أيّ شيء سوى ذلك».
«ومع ذلك، لم أقم بفعل أيّ شيء».
«عليك فقط تحسين درجاتك، ثمّ...».
ردّت ڤيولا وهي تهزّ كتفيها من دون اكتراث: «انتهيت للتوّ من الامتحانات».
كانتا تتابعان حركة المياه الشفّافة وخلفهما بعض طيور النورس.
سألت پينيلوپي: «كيف كانت الإمتحانات؟».
«وجدتها سهلة»، قالت ڤيولا وهي تلحس الملح عن حافة كأسها.
سألت پينيلوپي وهي تبتسم: «إذن، كلّ شيء على ما يرام؟».
أومأت ڤيولا برأسها، ووضعت الكأس من يدها.
سألت پينيلوپي وهي تدفعها إلى جانبها: «إلى أيّ مدى؟».
قالت ڤيولا وهي تنظر إلى أسفل: «الدرجات النهائيّة في المواد كافّة».
تهلّلت أسارير پينيلوپي من الفرح، وعانقت أختها بشدّة.
قالت بحماسة: «أتعرفين معنى ذلك؟ يمكنك دخول الكلّيّة التي ترغبين بها. يمكنك دراسة ما تحبّين، سواء الإدارة أم الطبّ أم الصحافة».
احمرّت ڤيولا خجلًا وهي تضحك، فعانقتها پينيلوپي مجدّدًا، وأزاحت

القبّعة عن رأسها. ضربت على رأس أختها الصغيرة، ثمّ رتّبت شعرها مثلما طالما فعلت وهما طفلتان. أزالت مشبك الحمامة من شعرها، واستخدمته لربط خصل شعر ڤيولا، ثمّ نظرت إليها وهي تبتسم بسعادة.

3

ظلّ القارب يتقدّم في المياه السلسة وكأنّه يقطعها بسكّين. زادوا سرعته بشكل كبير. ضربت الأمواج الكبيرة الشاطئ في أعقاب انطلاق اليخت. انعطف بشكل حادّ وارتدّ عبر الأمواج المتلاطمة راشًّا المياه حوله. مضت پينيلوپي عبر المياه المفتوحة وسط صوت زئير المحرّكات. ارتفعت الحافّة الأماميّة لليخت، وانتشرت فقّاعات المياه البيضاء خلفه.

صرخت ڤيولا: «أنت مجنونة!».

استيقظ يورن عندما توقّف القارب عند «ياسو». اشتروا الآيس كريم والقهوة. ثمّ أرادت ڤيولا لعب الميني غولف، لذا كان الوقت قرابة نهاية العصر حين عادوا إلى اليخت.

كان البحر مفتوحًا قبالة مرساهم.

الخطّة هي الوصول إلى «كاستسكار»، وهي جزيرة طويلة غير مأهولة بالسكان. في منطقتها الجنوبيّة خليج يمكنهم أن يرسوا فيه، ويسبحوا، ويعدّوا الشواء، ويقضوا الليلة.

قالت ڤيولا وهي تتثاءب: «أعتقد أنّني سأنزل لآخذ قسطًا من الراحة».

فقالت پينيلوپي مبتسمة: «تفضّلي».

نزلت ڤيولا، وواصلت پينيلوپي النظر إلى الطريق أمامها. خفضت السرعة، وراقبت مسبار الأعماق الإلكترونيّ الذي أنذرها بوجود شعاب مرجانيّة مع اقترابها من «كاستسكار». صارت المياه ضحلة بسرعة كبيرة، وانخفض منسوبها من أربعين مترًا إلى خمسة أمتار فقط.

جاء يورن إلى المقصورة وقبّل پينيلوپي على رقبتها.

سألها: «هل أبدأ في تحضير العشاء؟».

«من المفترض أن تنام فيولا لمدّة ساعة تقريبًا».
«إنّك تتحدّثين مثل والدتك. ألم تتّصل بعد؟»، قال بلطف.
«بلى».
«لتعرف ما إن سمحنا لـفيولا بالقدوم معنا؟».
«نعم».
«هل تجادلتما؟».
هزّت پينيلوپي رأسها لتؤكّد ذلك، فسألها: «ماذا حدث؟ هل أنت منزعجة؟».
«لا، الأمر فقط أنّ أمّي...».
«ماذا؟».
ابتسمت پينيلوپي وهي تمسح دموعها عن وجنتيها، وقالت: «إنّها لا تريدني أن أزورها في منتصف الصيف».
قال لها مواسيًا: «ما عليك إلّا تجاهلها».
«أفعل».
حاولت پينيلوپي ببطء شديد دفع القارب داخل الخليج قدر المستطاع. أخذت المحرّكات في الاندفاع بهدوء. إنّهم الآن قريبون جدًّا من الشاطئ، حتّى أنّها تستطيع شمّ رائحة النباتات.
ثبّت يورن وپينيلوپي مرساة القارب الذي كان يتأرجح بالقرب من الصخور. قفز يورن على المنحدر الحادّ، وربط الحبل حول الشجرة.
كانت الأرض مغطّاة بالطحالب. توقّف يورن ونظر إلى پينيلوپي. تحرّكت بعض الطيور على قمم الأشجار.
ارتدت پينيلوپي سروالًا وحذاءً رياضيًّا أبيض، ثمّ قفزت إلى الشاطئ، وأمسكت يد يورن. لفّ ذراعه حولها.
سأل: «هل سنلقي نظرة على الجزيرة؟».
قالت بدلال: «ألم يكن هناك شيء ستحاول إقناعي به؟».
قال: «مزايا حقّ التجوّل في السويد».

أومأت برأسها وابتسمت وهو يمشط شعرها إلى الخلف، ويمرّر إصبعه على عظام وجنتيها البارزة وحاجبيها السميكين السوداوين.
سألها: «كيف تتمتّعين بكلّ هذا الجمال؟».
قبّلها برفق على شفتيها، ثمّ بدآ السير في اتّجاه الغابة ذات النباتات القليلة الارتفاع.
في وسط الجزيرة ثمّة فلاة صغيرة فيها كتل كثيفة من حشائش المرج الطويلة. كانت الفراشات ومجموعات النحل الصغيرة تتنقّل فوق الأزهار. الطقس حارّا تحت أشعّة الشمس، والمياه تتلألأ بين الأشجار شمالًا. وقف يورن وبينيلوبي ثابتين متردّدين. تبادلا الابتسام، ثم بدت عليهما الجدّيّة.
سألت بينيلوبي: «ماذا لو جاء أحد ما؟».
«لا أحد سوانا على هذه الجزيرة».
«هل أنت متأكّد من ذلك؟».
«كم عدد الجزر في أرخبيل ستوكهولم؟ ثلاثون ألفًا؟ أو ربما أكثر».
خلعت بينيلوبي نعليها ولباس البحر. وقفت على العشب عارية تمامًا. تحوّل خجلها في لحظة تقريبًا إلى سرور تام. أثارها عناق هواء البحر مع بشرتها، والحرارة التي كانت تنبعث من الأرض.
تمتم يورن بأنّه لا يريد شيئًا سوى النظر إليها. إنّها طويلة ولديها انخساف بين خصرها النحيل وردفيها، وتتناسق ذراعاها النحيفتان مع ساقيها القويّتين.
شعر يورن بارتعاش يديه وهو ينزع قميصه وسرواله الفضفاض الذي يصل إلى ركبتيه. إنّه أصغر منها سنًا، وشكل جسمه صبياني، يخلو من الشعر تقريبًا. وقد أحرقت الشمس كتفيه سابقًا.
قالت: «الآن، أريد النظر إليك».
احمرّ يورن خجلًا، وسار إليها بابتسامة عريضة على وجهه.
سألته: «هل يمكنني ذلك؟».
هزّ رأسه، وخبّأ وجهه في رقبتها وشعرها.

تبادلا القبلات بلطف. حين شعرت بلسانه الدافئ في فمها انتابها إحساس بسعادة مدوّخة. أجبرت نفسها على التوقّف عن الابتسام لتتابع التقبيل. بدآ بالتنفّس بسرعة، وشعرت بانتصاب يورن يكبر مع تسارع نبض قلبه. رقدا على العشب، حيث وجدا مكانًا مستويًا بين حزمات الحشائش. وجد فمه طريقه نحو صدرها، ثمّ قبّل بطنها وأجزاء من فخذيها. حين نظر إليها، بدا له أنّ جسدَيهما يتوهّجان تحت أشعّة الغروب. فجأة، صار كلّ شيء حميميًا للغاية. كانت مبتلّة حين بدأ يلحسها بلطف وبطء شديدين، حتّى أنها أبعدت رأسه بعد برهة. ضمّت فخذيها وابتسمت وتورّدت. همست له بأن يقترب، وأرشدته بيدها كي ينزلق داخلها. تنفّس بعمق وقوّة في أذنها، فنظرت إلى السماء الوردية.

بعد ذلك، وقفت پينيلوپي عارية بين الحشائش الدافئة لتمدّد جسدها، ثمّ سارت لبضع خطوات وهي تحدّق إلى الأشجار.

سأل يورن بوهن: «ماذا هناك؟».

نظرت إليه وهو يجلس عاريًا يبتسم لها. قالت: «لقد احترق كتفاك».

«مثل كلّ صيف».

بعد أن لمس بشرته الحمراء بلطف، قالت پينيلوپي: «هيّا نعُد... أنا جائعة».

«أريد السباحة لقليل من الوقت».

ارتدت الجزء السفليّ من البيكيني والسروال الرياضيّ والحذاء، ثمّ وقفت وهي تمسك الجزء العلوي من البيكيني في يدها. تركت لعينيها العنان لتفقّد صدر يورن الأمرد، وعضلات ذراعيه المفتولة والوشم على كتفيه المحروقتي الجلد، وعينيه البرّاقتين المرحتين.

قالت وهي تبتسم: «المرّة المقبلة، يمكنك الاستلقاء على ظهرك».

كرّر يورن مبتهجًا: «المرّة المقبلة. كنت أعرف أنّك بالفعل تحبّين التغيير».

ضحكت وهي تلوّح له بسخرية. استلقى يورن على ظهره وهو يحدّق

إلى السماء. ظلّت تسمعه يصفّر وهي تمشي عبر الأشجار باتجاه الشاطئ الصغير المنحدر، حيث يرسو اليخت.

توقّفت پينيلوپي لترتدي صدريّة البيكيني قبل ركوب اليخت.

حين صارت على متنه سألت نفسها إن كانت ڤيولا لا تزال نائمة. قرّرت أن تضع قدرًا من البطاطا لتغليها مع بعض الشبت، ثمّ تستحمّ وتبدّل ملابسها. لكنّها لاحظت أنّ السطح الخلفيّ للقارب مبتلّ بشكل غريب، كأنّها كانت تمطر. لا بدّ من أنّ ڤيولا قد مسحته بالماء لسبب ما. اختلف شيء في اليخت. لم تستطع تحديد ما هو، لكنّ بشرتها اقشعرّت. خيّم الهدوء على المكان بشكل شبه تامّ. حتّى الطيور توقّفت عن الغناء. ثمّة فقط صوت لطيف لارتطام المياه بجسم اليخت، وصرير خافت للحبل الذي يطوّق الشجرة. صارت پينيلوپي حريصة للغاية في تحرّكاتها. عندما نزلت إلى أسفل، وجدت الباب المؤدّي إلى مقصورة الضيوف مفتوحًا. الضوء مشتعل، إلّا أنّ ڤيولا لم تكن هناك. لاحظت پينيلوپي أنّ يدها ترتعش وهي تطرق باب الغرفة. فتحتها ونظرت إلى داخلها، ثمّ صعدت مجدّدًا إلى سطح اليخت. على طول الخليج، كانت ترى يورن الذي يسبح عائدًا. لوّحت له ولكنّه لم يرها.

فتحت پينيلوپي الباب الزجاجيّ المؤدّي إلى الصالون، وتخطّت الأرائك الزرقاء والطاولة المصنوعة من خشب الساج.

نادت بهدوء: «ڤيولا».

نزلت إلى المطبخ، وأخرجت طنجرة بيد واحدة، ووضعتها على الفور. تفقّدت الغرفة الكبرى، ثمّ ذهبت إلى المقصورة الأماميّة حيث تنام هي ويورن. فتحت الباب وتفقّدت المكان في الظلام. في البداية، ظنّت أنّها تنظر إلى نفسها في المرآة.

ڤيولا تجلس بشكل مثاليّ أعلى السرير، ويدها مسترخية على وسادةورديّة اللون.

سألتها: «ماذا تفعلين هنا؟».

أدركت أنّ ثمّة خطبًا ما، فقد كان وجه ڤيولا شاحبًا رطبًا، كما أنّ خصل شعرها مبتلّة.

تقدّمت ووضعت وجه أختها بين يديها، أخرجت أنينًا ثمّ صرخت في وجهها مباشرة.

«ڤيولا؟ ماذا حدث؟ ڤيولا؟».

عرفت ماذا حدث-أختها لا تتنفّس. جلدها بارد؛ لقد فارقت الحياة. صارت المقصورة الصغيرة أكثر قتامة، وضاقت من حولها. سمعت أنينها، وتراجعت إلى الخلف وهي تجرّ الملابس على الأرض، ثمّ رطمت كتفها بشدّة في الباب عندما استدارت وصعدت الدرج راكضة.

حين وصلت إلى السطح الخلفيّ، التقطت أنفاسها كمن يشعر بالاختناق. راحت تسعل وتنظر من حولها وجسدها يرتعد خوفًا. على بُعد مائة متر من الشاطئ، رأت شخصًا غريبًا يرتدي ملابس سوداء. ربطت پينيلوپي الخيوط بعضها ببعض. أدركت أنّه الرجل نفسه الذي كان يجلس في المركب المطّاطيّ العسكريّ.

وقف الرجل على الشاطئ وراح يلوّح ليورن الذي يسبح على بُعد عشرين مترًا. صاح رافعًا ذراعه إلى أعلى. سمعه يورن فتوقّف، وطفا على الماء، ثمّ استدار لينظر نحو اليابسة.

توقّف الزمن. اندفعت پينيلوپي نحو دفّة القارب وبحثت في صندوق العدّة. وجدت سكّينًا، ثمّ ركضت إلى السطح الخلفيّ.

نظرت إلى يورن الذي يسبح ببطء والحلقات تنتشر في المياه حوله. نظر بفضول إلى الرجل الذي يستدعيه. ابتسم يورن بحيرة، ثمّ بدأ يسبح في طريق عودته إلى الشاطئ.

صرخت پينيلوپي بكلّ قوّتها: «يورن! اسبح بعيدًا عن الشاطئ!».

التفت الرجل المنتظر عند الشاطئ إليها، ثمّ بدأ يركض نحو اليخت. قطعت پينيلوپي الحبل، وتزحلقت على السطح الخشبيّ الرطب. وقفت

على قدميها، وأسرعت إلى دفّة القيادة لتشغيل المحرّكات. من دون أن تنظر، رفعت المرساة، ووجّهت القارب إلى الاتّجاه المعاكس.

لا بدّ من أنّ يورن قد سمعها، لأنّه ابتعد عن الشاطئ، وحوّل اتجاه سباحته نحو اليخت. أدارت پينيلوپي الدفّة نحوه، لأنّها رأت الرجل ذا الزيّ الأسود يغيّر اتّجاهه، ويبدأ في صعود المنحدر نحو الجانب الآخر من الجزيرة. من دون تفكير في الأمر، أدركت أنّ الرجل قد ترك القارب المطّاطيّ الأسود في شمال الخليج.

أدركت ألّا مجال لهروبهما من هذا الرجل.

اتّجهت پينيلوپي نحو يورن. صرخت حين اقتربت منه، ثمّ هدّأت السرعة ورمت له خطّافًا. المياه باردة، وقد بدا عليه الخوف والإنهاك. تابع رأسه الانزلاق إلى أسفل كلّما طفا على السطح، فضربته پينيلوپي بالخطّاف بطريق الخطأ، وتسبّبت في جرح جبهته ونزفها.

صرخت: «عليك أن تنتظر!».

ظهر الزورق الأسود في نهاية الجزيرة. سمعت پينيلوپي صوت محرّكه. أنّ يورن من الألم. بعد عدّة محاولات، نجح أخيرًا في تطويق الخطّاف بذراعه. سحبته پينيلوپي نحو منصّة السباحة بأكبر سرعة ممكنة.

صرخت بصوت مليء باليأس والذعر: «ماتت ڤيولا!».

فور صعود يورن، ركضت پينيلوپي إلى الدفّة، ورفعت السرعة بأقصى ما في وسعها.

تسلّق يورن السور، وسمعته وهو يصرخ طالبًا أن تتّجه مباشرةً نحو مضيق «أرونو».

اقترب القارب المطّاطيّ بسرعة من خلفهما.

دفعت القارب حول منحنى ضيّق، فأحدث هيكله صوتًا من تحتهما.

همست پينيلوپي: «لقد قتل ڤيولا!».

حذّرها يورن وأسنانه تطقطق: «انتبهي للصخور!».

التفّ القارب المهاجم حول «ستورا كاستسكار»، واتّجه مسرعًا عبر المياه المستوية المفتوحة.

سالت الدماء على وجه يورن من جرح جبهته.

اقتربا بسرعة من الجزيرة الكبيرة. استدار يورن للنظر إلى القارب المطّاطي الذي يبعد عنهما مسافة ثلاثمئة متر.

«اتّجهي نحو الرصيف!».

استدارت پينيلوپي، ووجّهت المحرّكات إلى الاتّجاه المعاكس، ثمّ أوقفت تشغيلها عندما ارتطمت مقدّمة القارب بالرصيف. احتكّ جانبه بأكمله ببعض الدرجات الخشبيّة البارزة. كما ارتطمت جوانب القارب بالصخور، وتحطّمت الدرجات الخشبيّة عندما ارتفعت المياه فوق الدرابزين. قفزا من القارب وتسابقا في الوصول إلى اليابسة، بينما محرّكات المركب المطّاطيّ تزأر في اتّجاههما. بدأت پينيلوپي تتسلّق الصخور في اتّجاه الأشجار، وتلتقط أنفاسها. هدأ صوت محرّك الزورق الذي يتبعهما، فأدركت أنّها فقط البداية.

4

تسمح الفقرة رقم 21 من قانون الشرطة السويديّ لضابط الشرطة بدخول أيّ منزل، أو غرفة، أو أيّ مكان آخر، حال توافر سبب للاعتقاد بموت أحد الأشخاص، أو فقدانه للوعي، أو عجزه بطريقة ما عن طلب النجدة.

بعد ظهر يوم سبت في شهر يونيو، تلقّى ضابط الشرطة يون غبنغتسون تعليمات باقتحام بيت مدير عامّ «دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة»، السيّد كارل پالمكرونا، الكائن في «2 شارع جريف»، بعد الإبلاغ عن تغيّبه غير المبرّر عن عمله، وغيابه عن اجتماعه مع وزير الخارجيّة.

إنّها ليست المرّة الأولى التي يقتحم فيها يون بيت أحد الأشخاص لمعرفة إن كان ميّتًا أو أصابه مكروه. يحدث ذلك في أغلب الأحيان عندما يشتبه أقارب هذا الشخص في إقدامه على الانتحار. لقد رأى من قبل

والدين صامتَيْن خائفين اضطرّا إلى الانتظار في مطلع الدرج بينما ذهب للتحقّق من غرفة ابنهما. في بعض الأحيان، كان يجد شبّانًا بالكاد ينبضون بعد تناول جرعة زائدة من الهيروين، ومن حين لآخر، كان يكتشف مسرح جريمة. مثل تلك المرأة التي ضُرِبت حتّى الموت، وكانت جثتها ملقاة تحت الضوء المنعكس من التلفاز في غرفة المعيشة.

حمل يون فاتح الأقفال، ومسدّس الالتقاط الكهربائيّ، وعبر المدخل الرئيس ثمّ استقلّ المصعد إلى الطابق الخامس، وقرع جرس الباب. انتظر للحظة، ثمّ وضع حقيبته الثقيلة على الأرض، وتفقّد قفل الباب. فجأة، سمع صوت خطوات في مطلع الدرج قادمًا من الطابق السفليّ. بدا له أنّ شخصًا ما يحاول التسلّل في صمت إلى أسفل الدرج. استمع إلى الصوت لوهلة، ثمّ بلغ مقبض الباب وحاول فتحه. لم يكن قفل الباب مغلقًا، فانفتحت مفصّلاته الأربع بسلاسة.

نادى: «هل من أحد هنا؟».

انتظر لبضع ثوانٍ، ثمّ رفع حقيبته في طريقه إلى المدخل، وأغلق الباب خلفه.

سمع موسيقى لطيفة من الغرفة المجاورة. ذهب إلى هناك، وطرق الباب، ثمّ دخل. إنّها غرفة استقبال واسعة، مؤثّثة بثلاث أرائك متفرّقة، وطاولة زجاجيّة قليلة الارتفاع، ولوحة صغيرة لسفينة في مهبّ العاصفة. من جهاز ستيريو شفّاف يومض ضوء أزرق فاتح، وتبثّ مكبّرات الصوت موسيقى الكمان الحزينة.

اقترب يون من الباب المزدوج وفتحه. وجد أمامه غرفة معيشة ذات نوافذ على الطراز المعماريّ الحديث، يخترق ضوء النهار الصيفيّ ألواحها الزجاجيّة الصغيرة العُليا.

رأى رجلًا عائمًا في الهواء وسط الغرفة البيضاء.

بدا المشهد خارقًا للطبيعة.

حدّق يون إلى الرجل الميّت، شعر أنّ دهرًا مضى قبل أن يرى حبل الغسيل المربوط بخطّاف المصباح.

كان الرجل المتأنّق ثابتًا بشكل مثاليّ، كأنّه متجمّد في وضعيّة القفز، وقد تمدّد كاحلاه وأصابع قدميه إلى أسفل.

إنّه معلّق-ولكن ثمّة شيء آخر، شيء غير منطقيّ، شيء خطأ.

يعرف يون أنّه غير قادر على دخول الغرفة، إذ يجب أن يترك مسرح الجريمة كما هو. ولكنّ قلبه أخذ يخفق بسرعة، حتّى أنّه شعر بالإيقاع السريع لنبضاته، فابتلع ريقه بصعوبة. لم يستطع أن يُبعد عينيه عن الرجل.

تردّد اسم في عقله، ثمّ أخذ يهمس لنفسه: «جونا. أريد التحدّث إلى جونا لينا».

ليس في الغرفة أثاث، فقط الرجل الذي هو على الأرجح كارل بالمكرونا.

لقد رُبِط الحبل بخطّاف المصباح في منتصف السقف.

لاحظَ يون أنّه لا يقف على شيء.

حاول تمالك نفسه بهدوء، وجمْع أفكاره، وتدوين كلّ شيء يراه. كان وجه الرجل المعلّق شاحبًا، ولم يستطع يون رؤية أكثر من بضع قطرات من الدماء في عينيه اللتين لا يبدو عليهما أيّ تعبير. كان يرتدي معطفًا رقيقًا فوق بدلة باللون الرماديّ الفاتح، وينتعل حذاء منخفض الكعبين. وعلى الأرض، استقرّت حقيبة سوداء وهاتف خليويّ يبعدان قليلًا عن بركة البول التي تشكّلت أسفل الجثّة مباشرةً.

ارتعد الرجل المشنوق فجأة، فحبس يون أنفاسه. كان ثمّة صوت ارتطام من السقف، وكأنّه ضربات مطرقة من العلّية؛ أحد ما يسير على أرض الشقّة فوقه. تكرّر صوت الارتطام، واهتزّ جثمان بالمكرونا مجدّدًا، ثمّ سمع يون صوت المثقاب الذي توقّف فجأة، صاح رجل بما يعني أنّه يحتاج إلى المزيد من الكابلات. «خذ الوصلة»، قال.

لاحظ يون أنّ نبضه قد استقرّ، حين مشى عائدًا إلى غرفة المعيشة. في

المدخل، كان الباب الرئيس مفتوحًا. توقّف. كان متأكّدًا من أنّه أغلقه، ولكنّه قد يكون مخطئًا. غادر الشقّة، وقبل أن يبلغ قسم الشرطة، أخرج هاتفه الخليويّ واتّصل بجونا لينا، الضابط في «إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة».

5

إنّه فصل الصيف. يستيقظ أهل ستوكهولم في الصباح الباكر منذ أسابيع. تُشرق الشمس في الثالثة والنصف، وتبقى السماء مضاءة بنور النهار طوال الليل تقريبًا. الطقس دافئ بشكل غير معتاد خلال هذا الوقت من العام. تفتّحت أزهار الكرز والليلك في الوقت نفسه، ونشرت المجموعات الكبيرة من الزهور عبيرها على طول الطريق من متنزه كرونوباري إلى مدخل مقرّ الشرطة.

كان مدير «إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة»، كارلوس إيليّاسون، يقف عند نافذته المنخفضة في الطابق الثامن، ناظرًا إلى المنحدرات الشديدة لمتنزّه كرونوباري. أمسك بهاتفه واتّصل برقم جونا لينا، إلّا أنّ اتّصاله حُوِّل مباشرة، مرّة أخرى، إلى البريد الصوتيّ. وضع هاتفه على مكتبه، ونظر إلى ساعته.

جاء بيتر ناسلوند إلى مكتب كارلوس، وتنحنح بهدوء، ثمّ اتّكأ على ملصق مكتوب عليه: «نحن نراقب، ونفحص، ونغضب».

قال بيتر: «سيأتي بولوك وفريقه إلى هنا قريبًا».

ردّ كارلوس بلطف: «أعرف قراءة الساعة».

«الشطائر جاهزة»، قال بيتر.

سأل كارلوس وهو يُخفي ابتسامته: «هل سمعت أنّهم يُجرون عمليّة توظيف؟».

احمرّ بيتر خجلًا ونظر إلى أسفل، ثمّ تمالك نفسه ونظر إلى أعلى مجدّدًا.

سأل كارلوس: «أودّ أن... هل تعرف شخصًا أنسب للّجنة الوطنيّة لمكافحة جرائم القتل؟».

تتشكّل تلك اللجنة من ستّة خبراء منوط بهم كشف جرائم القتل في أنحاء السويد كافّة. عبء العمل مفرط. الطلب على العاملين مرتفع لدرجة لا تسمح لهم غالبًا بالاجتماع في مقرّ الشرطة.

عندما ترك بيتر الغرفة، جلس كارلوس خلف مكتبه، ونظر إلى حوض السمك الذي يسبح داخله سمك الفردوس. حين اقترب من جرّة طعام السمك، رنّ هاتفه.

ردّ: «نعم؟».

قال موظّف الاستقبال: «إنّهم في طريقهم إلى أعلى».

«شكرًا».

حاول كارلوس، للمرّة الأخيرة، الاتّصال بجونا قبل ترك الغرفة. عند وصوله إلى الردهة، رنّ جرس المصعد، وانزلق بابه ليفتح على مصراعيه. كان أعضاء اللجنة يذكّرونه بفرقة «ذا غرولينغ ستونز» التي شاهدها في حفل منذ بضع سنوات؛ حيث ارتدى أعضاء الفرقة بدلات وربطات عنق سوداء مثل رجال الأعمال المرفّهين.

في الطليعة، ظهر ناثان پولوك بشعره الرماديّ المصفّف على شكل ذيل حصان، يتبعه إريك إريكسون الذي يرتدي نظّارة مرصّعة بالألماس نُقِشت عليها كنيته «إلتون»، خلفه نيكولاس دنت، وبجواره بي جي بوندسون، ثمّ يظهر من خلفهم خبير الطبّ الشرعيّ تومي كوفود، متقوّس الظهر محدّقًا بكآبة إلى الأرض.

قاد كارلوس أعضاء اللجنة إلى غرفة الاجتماعات. كان مدير العمليّات لديهم، بيني روبين، يجلس في انتظارهم على الطاولة المستديرة، مع فنجان من القهوة الخالية من الحليب. التقط كوفود تفّاحة من وعاء الفاكهة، وبدأ في تناولها بصخب. نظر إليه پولوك وابتسم وهو يهزّ رأسه، فتوقّف كوفود في منتصف المضغة، وبادله النظرة دهِشًا.

قال كارلوس: «مرحبًا. أنا مسرور لتمكّنكم جميعًا من حضور الاجتماع لأنّ لدينا عددًا من الموضوعات المهمّة على جدول أعمال اليوم».

سأل كوفود: «ألم يكن من المفترض أن يحضر جونا إلى هنا؟».

أجاب كارلوس بتردّد: «بلى».

أضاف پولوك بهدوء: «هذا الرجل يعمل وفق جدوله الخاصّ».

فقال كوفود: «حسنًا. دعونا نعطه حقّه. حلّ جونا لغز جرائم قتل 'تومبا' منذ عام أو أكثر؛ لا أكفّ عن التفكير في هذا الأمر. كيف كان محقًّا إلى ذاك المدى؟ لقد عرف من قُتِل أوّلًا. إنّه يرى أشياء لا أحد غيره يراها».

قال إلتون وهو يبتسم: «بشكل يخالف كلّ منطق».

واصل كوفود: «أعرف الكثير عن علم الطبّ الشرعيّ، ولكنّ جونا فور دخوله لاحظ آثار الأقدام على الدماء. لا أفهم كيف...».

تنحنح كارلوس، وألقى نظرة على جدول الأعمال غير الرسميّ.

قال: «تواصلت معنا الشرطة البحريّة هذا الصباح؛ على ما يبدو عثر صيّاد على جثّة امرأة».

«في شبكته؟».

أجاب كارلوس: «لا. لقد رأى يختًا ينجرف قبالة 'دالارو' فجذّف نحوه، ثمّ صعد على متنه، ووجدها جالسة على السرير في المقصورة الأماميّة».

قال پيتر وهو يبتسم: «هذا أمر لا يهمّ اللجنة كثيرًا».

سأل پولوك: «هل قُتِلت؟».

فأجاب پيتر مسرعًا: «انتحرت على الأرجح».

قال كارلوس وهو يلتقط قطعة من الكعك: «لا ضرورة لذلك. فكّرت فقط في أن أقصّ عليكم الأمر».

سأل كوفود بمرح: «هل ثمّة شيء آخر؟».

قال كارلوس: «تلقّينا طلبًا من شرطة 'وست غوتالاند' وثمّة ملخّص على الطاولة».

فقال پولوك: «لن أتمكّن من تولّي هذه المهمّة».
قال كارلوس وهو يمسح برفق بعض الفتات عن الطاولة: «أعلم أنّ لديكم جميعًا ما يكفي من العمل؛ ربّما علينا البدء في الحديث عن عمليّة التوظيف».
أوضح بيني أنّ كبار المسؤولين على دراية بكمّ العمل الهائل، وقد وافقوا مبدئيًا على زيادة أعضاء اللجنة، بإضافة وظيفة دائمة.
سأل كارلوس: «هل لديكم أيّ مقترحات؟».
سأل كوفود وهو يميل على الطاولة ليتفقّد الشطائر المغلّفة: «ألم يكن من الأفضل مشاركة جونا في هذا النقاش الآن؟».
أجاب كارلوس: «لست متأكّدًا من أنّه قادر على الحضور».
فقال إريكسون وهو يركّز نظّارته اللامعة: «ربّما يمكننا تناول القهوة أوّلًا».
أزال كوفود الغلاف عن شطيرة السلمون، وسحب عودًا من الشبت، وعصر عليه بعض الليمون، ثمّ فتح أغلفة بعض الأواني الفضّيّة.
فُتح باب غرفة الاجتماعات، ودخل جونا بشعره الأشقر المشعث.
قال باللغة الفنلنديّة وهو يبتسم: «كلوا الشبت يا أولاد».
فقال پولوك ضاحكًا: «تمامًا. تناولوا الشبت يا أولاد».
ابتسم پولوك وجونا حين التقت أعينهما. احمرّت وجنتا كوفود، وهزّ رأسه مبتسمًا.
«الشبت»، كرّر پولوك وانفجر ضاحكًا بينما جونا يذهب لإعادة الشبت إلى شطيرة كوفود.
سأل پيتر: «هل يمكننا مواصلة الاجتماع؟».
صافح جونا پولوك، ثمّ مشى نحو كرسيّ إضافيّ، ووضع سترته الداكنة على ظهره، وجلس عليه.
قال بهدوء: «آسف».
فقال كارلوس: «سعداء برؤيتك هنا».

«شكرًا».
أوضح كارلوس: «كنّا على وشك مناقشة موضوع التوظيف».
ضغط على شفته السفلى، بينما تلوّى پيتر في كرسيّه.
واصل كارلوس: «أعتقد... أعتقد أنّني سأترك ناثان يتحدّث أوّلًا».
قال پولوك: «بكلّ معنى الكلمة، أنا لا أتحدّث بلساني هنا؛ نتّفق جميعًا على هذا... نتمنّى أن تنضمّ إلينا في الحديث يا جونا».
خيّم الهدوء على أرجاء المكان. هزّ دنت وإلتون رأسيهما. انعكس ظلّ پيتر بشدّة في ضوء النافذة.
قال كوفود: «نرحّب بذلك كثيرًا».
قال جونا وهو يمشّط شعره الكثيف بأصابعه: «أقدّر لكم ذلك. أنتم فريق عمل فطن للغاية؛ لقد أثبتّم ذلك، وأنا أحترم عملكم...».
ابتسموا جميعًا.
شرح جونا: «غير أنّني... أخشى ألّا أقدر على العمل في هذا الإطار المحدّد».
ردّ كوفود بسرعة: «نحن نقدّر ذلك. الأمر مقيّد قليلًا، إلّا أنّه قد يكون مفيدًا بالفعل. لقد ثبت أنّ...».
شحب صوته.
قال ناثان پولوك: «حسنًا، أردنا فقط توجيه الدعوة».
ردّ جونا: «لا أعتقد أنّ الأمر سينجح».
نظروا إلى أسفل، وهزّ أحدهم رأسه، ثمّ استأذنهم جونا للردّ على هاتفه حين ارتفع رنينه. نهض عن الطاولة، وغادر الغرفة. بعد مضيّ دقيقة تقريبًا، عاد جونا إلى الغرفة، وأخذ السترة عن الكرسيّ.
قال: «أنا آسف. كنت أودّ مواصلة الاجتماع، ولكن...».
سأل كارلوس: «هل حدث شيء خطير؟».
قال جونا: «تلقّيت مكالمة من يون بنغتسون، أحد ضبّاطنا، عثر على كارل پالمكرونا للتوّ».

سأل كارلوس متعجّبًا: «عثر عليه؟».

فأجاب جونا وقد بدت على ملامح وجهه المتناسق الجدّيّة، ولمعت عيناه مثل الزجاج الرماديّ: «مشنوقًا».

سأل پولوك: «من هو پالمكرونا؟ لست قادرًا على تذكّر الاسم».

فأجاب كوفود مسرعًا: «مدير عامّ 'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة' الذي يأخذ قرارات تصدير الأسلحة السويديّة».

سأل كارلوس: «أليست هويّة من يعمل لهذه الدائرة سرّيّة؟».

فأجاب كوفود: «بلى».

سأل كارلوس مجدّدًا: «إذن، من المفترض أن تتعامل 'شرطة الأمن' مع هذا الأمر؟».

فأجاب جونا: «لقد وعدت يون بأن ألقي نظرة. يبدو أنّ ثمّة شيئًا غير منطقيّ».

سأل كارلوس: «ماذا؟».

ردّ جونا: «كان... لا، ربّما عليّ أن ألقي نظرة أوّلًا».

قال كوفود: «يبدو الأمر مثيرًا للاهتمام. هل يمكنني مرافقتك؟».

أجاب جونا: «بالتأكيد».

وقال پولوك بسرعة: «إذن، أنا قادم أيضًا».

حاول كارلوس أن يقول شيئًا عن الاجتماع، ولكنّه أدرك ألّا قيمة له الآن.

6

بعد عشرين دقيقة، ركن جونا سيّارته «الڤولڤو» السوداء في شارع «ستراند». تبعته سيّارة «لينكولن تاون» فضّيّة اللون. نزل جونا من سيّارته، ووقف في انتظار زميليه من «اللجنة الوطنيّة لمكافحة جرائم القتل». ساروا جميعًا حول الزاوية وولجوا باب «2 شارع غريڤ».

داخل المصعد القديم ذي الصرير، سأل كوفود بصوتٍ حزينٍ عمّا يعرفه جونا حتّى الآن.

أجاب جونا: «أبلغتْ 'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة' باختفاء بالمكرونا. ليس لديه أسرة، ولا أحد من زملائه يعرف شيئًا عن حياته الشخصيّة. عندما تغيّب عن عمله، طُلِبَ من أحد ضبّاطنا أن يلقي نظرة. ذهب يون إلى شقّته، ووجده شانقًا نفسه، فاتّصل بي. قال إنّه يشكّ في وجود عمل إجراميّ، وطلب منّي الحضور حالًا».

تجهّم ناثان پولوك، وسأل: «لماذا يشكّ في وجود عمل إجراميّ؟».

توقّف المصعد، ففتح جونا الباب الحديديّ. كان يون بنغتسون واقفًا خارج باب شقّة بالمكرونا. وضع الأخير مفكّرته داخل جيبه، وصافح جونا.

قدّم جونا زميليه قائلًا: «من 'اللجنة الوطنيّة لمكافحة جرائم القتل' تومي كوفود وناثان پولوك».

تصافحوا على عجل.

قال يون: «كان الباب مفتوحًا عندما وصلت. سمعت صوت موسيقى. وجدت بالمكرونا مشنوقًا في غرفة كبيرة. على مدار السنين، أنزلت عددًا لا بأس به من الرجال المشنوقين، ولكن هذه المرّة... لا أظنّ أنّه حادث انتحار، واضعًا في الحسبان مكانة بالمكرونا في المجتمع...».

قال جونا: «فعلت خيرًا باتّصالك بي».

سأل كوفود: «هل فحصت الجثّة؟».

ردّ يون: «لم تطأ قدمي الغرفة حتّى الآن».

«جيّد جدًّا»، تمتم كوفود، وبدأ مع يون في وضع الحصير الواقي على الأرض.

بعد قليل، تمكّن جونا وپولوك من الدخول. وقف يون منتظرًا بالقرب من أريكة زرقاء. أشار إلى الأبواب المزدوجة المؤدّية إلى غرفة شديدة الإضاءة. سار جونا على الحصير، ودفع الأبواب لتُفتح على مداها.

كان بالمكرونا معلّقًا في وسط الغرفة الواسعة، مرتديًا بدلة شاحبة اللون، ومعطفًا صيفيًّا خفيفًا، وحذاءً منخفض الكعب. كان الذباب يحوم حول عينيه وزوايا فمه، ويطنّ حول بركة البول وحقيبة الأوراق الملقاة

على الأرض. ترك حبل الغسيل الرفيع جرحًا غائرًا في عنق بالمكرونا، لونه أحمر داكن، تسرّبت منه الدماء وجرت تحت قميصه.

أعلن كوفود وهو يرتدي قفّازين واقيين: «إعدام».

اختفى فجأة أثر الكآبة من وجهه وصوته. نزل على ركبتيه وهو يبتسم، وبدأ في التقاط صور للجثّة المعلّقة.

أشار پولوك قائلًا: «أتوقّع أنّنا سنجد إصابات بالفقرات العنقيّة».

نظر جونا إلى السقف، ثمّ إلى الأرض.

قال كوفود بحماسة وهو يلتقط صورًا للجثّة: «تُرك باديًا للعيان؛ أقصد أنّ القاتل لم يحاول تمامًا إخفاء جريمته. لقد أراد أن يقول شيئًا، أو أن يوجّه رسالة».

فقال يون بالحماسة نفسها: «نعم، هذا ما فكّرت فيه. لا شيء في الغرفة. لا كرسيًّا ولا سلّمًا للصعود عليه».

سأل كوفود وهو يزيح الكاميرا من أمام عينه ويحدّق إلى الجثّة: «إذن، ما الرسالة؟ الشنق غالبًا ما يتعلّق بخيانة، ويهوذا الإسخريوطي، و...».

قاطعه جونا بلطف: «انتظر قليلًا».

أشار بغموض إلى الأرض، فسأل پولوك: «ما هذا؟».

«أعتقد أنّها واقعة انتحار»، قال جونا.

ردّ كوفود وهو يضحك بصوتٍ عالٍ قليلًا: «انتحار نموذجيّ. رفرف بجناحيه وطار إلى أعلى...».

قال جونا: «حقيبة الأوراق. إذا وقف على جانب حقيبة الأوراق، يمكنه الوصول إلى أعلى».

أشار پولوك: «ولكن لا يمكنه الوصول إلى السقف».

«ربّما ربط الحبل في وقت سابق».

«أظنّ، بل أعتقد، أنّك مخطئ».

هزّ جونا كتفيه، وتمتم: «إذا وضعنا في الحسبان الموسيقى، والعُقد التي في الحبل، ثمّ...».

سأل پولوك بجدّيّة: «هل من الممكن إلقاء نظرة على الحقيبة؟».
قال كوفود: «أريد الاحتفاظ بالأدلّة في المقام الأوّل».
راقبوا في صمت كوفود وهو يزحف، ويضع غلافًا بلاستيكيًا أسود اللون مغطّى بطبقة رقيقة من الجيلاتين على الأرض، ثمّ يضغط عليه بعناية إلى أسفل باستخدام بكرة مطّاطيّة.
قال وهو يشير إلى حقيبته: «هل يمكنكم مدّي بعلبتين وبكرة تغليف؟».
سأل پولوك: «كرتون؟».
أجاب كوفود وهو يلتقط العلبتَين من پولوك: «أجل، من فضلك».
أمّن كوفود الأدلّة البيولوجيّة عن الأرض، ثمّ أشار لپولوك أن يتقدّم.
قال جونا: «ستجد آثار حذاء على الحافّة البعيدة من الحقيبة. سقطت الحقيبة إلى الخلف، وتأرجح الجسم بشكل مائل».
لم يقل پولوك شيئًا، ذهب نحو الحقيبة المصنوعة من الجلد، وركع على الأرض. تدلّت عقصة شعره الفضّيّة على كتفه وهو يميل إلى الأمام لرفع الحقيبة ووضعها على أحد طرفيها. ظهرت آثار الحذاء الرماديّة الشاحبة بوضوح على الجلد الأسود.
سأل جونا: «ماذا أخبرتكم؟».
«اللعنة!»، قال كوفود متعجّبًا وقد سطعت على وجهه المنهك ابتسامة عريضة لـجونا.
تمتم پولوك: «انتحار».
قال جونا: «من منظور فنّيّ بحت، على أيّ حال».
وقف الجميع، ونظروا إلى الجثّة.
سأل كوفود وهو ما زال مبتسمًا: «إذن، ماذا لدينا الآن؟ رجل يأخذ قرارات بشأن تصدير الأسلحة قرّر الانتحار؟».
تنهّد پولوك قائلًا: «هذا ليس من شأننا».
خلع كوفود زوج القفّازات من يده، والتفت إلى الرجل المعلّق، وسأل: «جونا، ماذا كنت تقصد بالموسيقى وعُقد الحبل؟».

أجاب جونا وهو يشير إلى العقدة حول خطّاف المصباح: «إنّها 'عُقدة طرف على طرف المزدوجة' التي أتوقّع أنّ لها علاقة بعمله لفترة طويلة في البحريّة».

«والموسيقى؟».

توقّف جونا، ونظر إليه بتمعّن، ثمّ سأل: «ماذا تخبرك الموسيقى؟».

أجاب پولوك: «لا أدري. إنّها سوناتا لآلة الكمان، ترجع إلى بداية القرن التاسع عشر أو...».

صمت عندما رنّ جرس الباب. تبادل الرجال الأربعة النظرات. تحرّك جونا باتّجاه المدخل، وتبعه الآخرون، ولكنّهم توقّفوا عند غرفة المعيشة، بعيدًا عن مرمى الباب الأماميّ.

حاول جونا النظر عبر منظار الباب، ولكنّه تراجع. شعر بالهواء الذي يتدفّق عبر ثقب المفتاح عندما مدّ يده ودفع المقبض لأسفل. انزلق الباب الثقيل، وفُتح على مكان مظلم. انطفأت المصابيح الموقوتة، وصار ضوء الدرج ضعيفًا. سمع أنفاسًا بطيئة مُجهدة لشخص يقترب، ولكنّه لم يره. وضع يده على مسدّسه وهو ينظر بحذر إلى الباب المفتوح. من خلال شريط الضوء الرقيق بين المفصّلات، رأى امرأة طويلة، كبيرة اليدين. بدت في منتصف الستينيّات من عمرها. وقفت بثبات تامّ. ثمّة ضمادة كبيرة على إحدى وجنتيها، وقد صفّفت شعرها الرماديّ كشعر الفتيات اليافعات. نظرت إلى عيني جونا مباشرة من دون أيّ أثر ابتسامة.

سألت المرأة: «هل أنزلتَه؟».

كرّر جونا وهو يحدّق إليها: «أنزلتُه؟».

ردّت وكأنّه أمر واقع: «السيد پالمكرونا».

«ماذا تقصدين بإنزاله؟».

«أعتذر. أنا مدبّرة المنزل فقط. اعتقدت أنّ...».

من الواضح أنّ الموقف أزعجها، فبدأت في النزول على الدرج، ولكنّها توقّفت فجأة عندما أجابها جونا عن السؤال الأوّل: «ما زال معلّقًا هناك».

ردّت ووجهها يخلو من أيّ تعبيرات: «أجل».

«هل رأيته معلّقًا اليوم قبل هذا الوقت؟».

«لا»، ردّت.

«ما الذي جعلك تسألين عمّا إذا كنّا قد أنزلناه؟ هل حدث شيء؟ هل لاحظتِ أيّ شيء غير مألوف؟».

أجابت: «كان حبل مشنقة مربوطًا بخطّاف المصباح في غرفة المعيشة».

«هل رأيتِ حبل المشنقة؟».

«بالطبع».

سأل جونا: «لكنّك لم تشعري بالقلق حيال هذا الأمر؟».

ردّت بابتسامة متحفّظة: «الموت ليس كابوسًا».

«ماذا قلتِ؟».

لكنّ المرأة هزّت رأسها فقط، وقالت بغموض: «لا أعرف... ربّما كان يحتاج إلى مساعدة».

«ماذا تقصدين بمساعدة؟».

أغلقت المرأة عينيها، وظنّ جونا أنّها ستسقط مغشيًا عليها. لكنّها استندت إلى الحائط بيد واحدة، والتقت نظراتها بنظراته مرّة أخرى.

قالت بصوت هزيل: «ثمّة أشخاص مفيدون في كلّ مكان».

7

اعتقد جونا أنّه سيتمكّن من حضور اجتماع «اللجنة الوطنيّة لمكافحة جرائم القتل» في موعده، في تمام الواحدة.

سيتناول الغداء مع ديسا في «روزيندال غاردن». وقد وصل في وقت مبكر، ووقف تحت أشعّة الشمس لهنيهة من الوقت، وراح يشاهد الضباب وهو يغطّي أوراق الكرم الصغيرة. ثمّ رأى ديسا متّجهة نحوه، وحقيبتها تترنّح على كتفها. كان وجهها النحيف المغطّى بنمشِ أوّل الصيف يحمل ملامح

ذكيّة، وشعرها الذي عادةً ما يُصفّف في ضفيرتين متباعدتين يرفرف على كتفيها. بدت متأنّقة بفستان مزيّن بالورود وصندل صيفيّ بكعب مزدوج.

تعانقا برقّة.

قال جونا: «مرحبًا. تبدين جميلة!».

أجابت: «وأنت كذلك».

أحضرا الطعام، وجلسا في منطقة الطاولات الخارجيّة. لاحظ جونا أنّها تضع طلاء الأظافر. عادةً ما تكون أظافرها قصيرة متّسخة بحكم عملها كخبيرة آثار. نظر بعيدًا عن يديها إلى حديقة الفاكهة.

بدأت ديسا في تناول الطعام، ثمّ قالت بفم ممتلئ: «أهدى دوق 'كورلاند' الملكة كريستينا فهدًا. احتفظت به في هذا المكان».

«لم أكن أعرف ذلك».

«قرأت في سجلّات القصر أنّ الخزانة دفعت أربعين ركسدالر فضّيًا لتغطّي تكاليف جنازة الخادمة التي قتلها الفهد».

تراجعت إلى الخلف، والتقطت كأسها، وهي تقول بسخرية: «من فضلكَ! كفى ثرثرة يا جونا لينا!».

قال جونا: «آسف. أنا...».

انخفض صوته، وشعر فجأة بأنّه فقد كلّ طاقته.

سألته: «ما الأمر؟».

«من فضلكِ، أكملي حديثك عن الفهد».

«يبدو عليك الحزن...».

«كنت أفكّر في أمّي... مرّ أمس عام بالضبط على وفاتها. ذهبت لزيارة قبرها، وتركت بعض زهور السوسن البيضاء عليه».

قالت ديسا: «أفتقد ريتـّا كثيرًا».

وضعتِ السكّين والشوكة على الطاولة، وظلّت صامتة لفترة.

ثمّ قالت: «هل تعلم ماذا قالت لي في آخر لقاء جمعنا؟ أمسكت بيدي، وقالت إنّ عليّ غوايتك، والتأكّد من أنّنا سنرزق بطفل».

علّق جونا ضاحكًا: «كأنّها هي التي تتحدّث».

تلألأت أشعّة الشمس في كأسها، وانعكست في عينيها الداكنتين.

قالت: «قلت لها إنّ الأمر لن ينجح، فنصحتني بأن أتركك، وألّا أعود لك أبدًا».

هزّ جونا برأسه، ولكنّه لم يعرف ماذا يقول.

فتابعت: «ولكن بهذا الشكل ستصير وحيدًا؛ الفنلنديّ العجوز الذي يعيش وحيدًا».

ضرب أصابعها، وقال: «ولكنّني لا أريد ذلك».

«ماذا؟».

«لا أريد أن أصير الفنلنديّ العجوز الذي يعيش وحيدًا، بل أريد أن أكون معك».

ابتسمت ديسا قائلة: «وأنا أريد أن أعضّك بشدّة! هل يمكنك تفسير ذلك؟ كلّما رأيتك تحكّني أسناني».

مدّ جونا يده ليلمسها. كان يعلم أنّه تأخّر بالفعل عن الاجتماع، لكنّه ظلّ جالسًا يتحدّث معها وهو يفكّر في أنّ عليه زيارة المتحف الوطنيّ لرؤية «تاج الزفاف السابمي»[1].

8

كان المسبح في مقرّ الشرطة هادئًا ساكنًا تقريبًا بشكل مثاليّ. مياهه مضاءة من عمقه، ويتلألأ البريق بلطف عبر الجدران والسقف. راح جونا يسبح مسافة تلو الأخرى.

بينما هو يسبح، فكّر في وجه ديسا وهي تقول له إنّ أسنانها تحكّها عندما تنظر إليه.

---

(1) الشعب السابمي أو شعب سامي ويعرفون باللابين أيضًا، سكنوا تاريخيًا دول الشمال الأوروبي.

وصل جونا إلى حافّة المسبح، ثمّ غطس تحت الماء وانطلق. لم يلاحظ أنّه يسبح بشكل أسرع الآن عندما تركّزت أفكاره على شقّة بالمكرونا. راح يرى في مخيّلته الجثّة المعلّقة، وبركة البول، والذباب الذي يعلو وجه الرجل الميّت. ذاك الذي ارتدى معطفه وحذاءه، وكان لديه الوقت لتشغيل بعض الموسيقى.

الأمر بدقّة تخطيطه وتلقائيّته معًا صدم جونا، على الرغم من أنّ هذا السلوك يُعدّ طبيعيًا إلى حدٍّ ما في حالات الانتحار.

استدار جونا وراح يسبح بشكل أسرع، وهو يتذكّر كيف فتح الباب داخل شقّة بالمكرونا حين رنّ الجرس، والمرأة الطويلة التي تتخفّى في الظلام الذي يغمر أرجاء الدرج.

توقّف وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة، وأرخى ذراعيه على حافّة حمّام السباحة.

«الموت ليس كابوسًا»، هكذا قالت المرأة مبتسمة.

خرج من المسبح شاعرًا بضيقٍ شديد. لم يعرف سبب هذا الشعور، ولكنّه كان يعلم أنّ موت كارل بالمكرونا لن يدعه وشأنه. لسبب ما، ظلّ جونا يتذكّر الغرفة الفارغة المضيئة، ويرنّ في أذنه الصوت العذب لموسيقى الكمان، وكذلك الطنين المملّ للذباب.

كان يعرف أنّهم يتعاملون مع واقعة انتحار، وحاول إقناع نفسه بعدم وجود قضيّة. مع ذلك، ظلّ يفكّر في تفتيش الشقّة بشكل أدقّ، وتفقّد كلّ غرفة؛ فقط ليتأكّد من أنّ شيئًا لم يفته.

في أثناء حديثه مع مدبّرة المنزل، ظنّ جونا أنّها كانت مرتبكة. لكنّه الآن يحاول التفكير في الموقف من منظور مختلف. ربّما لم تكن مصدومة أو مضطربة، وقد أجابت عن أسئلته بأكبر قدر من الدقّة. وعليه، قالت مدبّرة المنزل، إديث شوارتز، إنّ بالمكرونا طلب المساعدة لربط حبل المشنقة، وكان ثمّة من يساعده في ذلك. وأكّدت أنّ وفاته لم تكن بالكامل أمرًا مفروضًا عليه، وأنّه لم يكن وحيدًا عندما مات.

ثمّة شيء غير منطقيّ.

ذهب جونا إلى غرفة تبديل الملابس الخاصّة بالرجال. أخذ هاتفه واتّصل بمدير الطبّ الشرعيّ، نيلس أولِيان، الملقّب بالإبرة، الذي قال فور تلقّي الاتّصال: «لم أنتهِ بعد».

«الأمر يخصّ بالمكرونا. ما انطباعاتك الأوّليّة، حتّى إذا...».

كرّر: «لم أنتهِ بعد».

«حتّى إذا كنتَ لم تنتهِ بعد».

«في انتظارك يوم الاثنين».

«أنا قادم الآن»، قال جونا.

«سأذهب مع زوجتي في الخامسة لشراء أريكة».

قال جونا: «سأكون معك خلال خمس وعشرين دقيقة»، وأنهى المكالمة من دون أن يعطي «الإبرة» فرصة للاعتراض.

فور استحمامه وارتدائه لملابسه، سمع جونا صوت أطفال يضحكون ويتسامرون، فأدرك أنّ ثمّة درس سباحة على وشك أن يبدأ.

فكّر مليًّا في مغزى العثور على مدير عامّ «دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة» مشنوقًا. الرجل الذي يصنع القرارات النهائيّة كافّة في عمليّة تصنيع الأسلحة السويديّة وتصديرها قد مات.

«ماذا إن كنت مخطئًا؟ وإن كان الرجل قد قُتِل في النهاية؟»، سأل جونا نفسه، «عليّ التحدّث مع بولوك قبل الذهاب لرؤية نيلس. لأنّ بولوك قد يكون اطّلع مع كوفود على معلومات مادّية من تحقيقات مسرح الجريمة».

سار اجونا بخطوات واسعة، ونزل على الدرج راكضًا، ثمّ اتّصل بمساعِدته آنيا لارشون، لتتحقّق من وجود ناثان بولوك في مقرّ الشرطة.

9

كان شعر جونا يقطر ماءً حين فتح باب قاعة المحاضرات، حيث يُلقي بولوك محاضرة عن التصرّف في حالات احتجاز رهائن وعمليّات إنقاذ.

ثمّة مجسّم لرسم تشريحيّ لجسم الإنسان على الحائط خلفه. اصطفّت على الطاولة أنواع عدّة من المسدّسات، ابتداءً من مسدّس «سيغ سوير- بي 238» صغير فضّيّ اللون، انتهاءً ببندقيّة هجوم «هكلر آند كوخ» مطليّة باللون الأسود اللامع، وقاذف قنابل عيار 40 ملم.

كان أحد الضبّاط الشبّان يقف أمام بولوك، الذي سحب سكّينًا، وأخفاها في الاتّجاه المقابل لجسمه، ثمّ اندفع إلى الأمام وتظاهر بأنّه يقطع رقبة الضابط. توجّه بعد ذلك إلى الحضور بالحديث: «تكمن مساوئ هذا النوع من الهجوم في أنّ العدوّ قد يكون لديه الوقت للصراخ، ولا يمكن التحكّم في حركة جسمه. كما أنّ الأمر سيستغرق بعض الوقت كي ينزف لأنّك جرحت شريانًا واحدًا فقط».

ذهب بولوك مجدّدًا إلى الضابط الشابّ، ولفّ ذراعه حول وجهه حتّى يغطّي التواء ذراعه فمه، قائلًا: «ولكن إذا نفّذت الهجوم بهذه الطريقة، سيمكنني كبح أيّ صراخ، ولفّ رأسه، وقطع الشريانين مرّة واحدة».

ترك بولوك الضابط الشابّ، ولاحظ أنّ جونا واقف عند الباب. مسح الضابط الشابّ فمه، ورجع للجلوس على كرسيّه. ابتسم بولوك ابتسامة عريضة، ولوّح بيده إلى جونا داعيًا إيّاه للحضور إلى المقدّمة، ولكنّ الأخير اكتفى بهزّ رأسه.

قال بهدوء: «أودّ التحدّث معك قليلًا يا ناثان».

استدار بعض الضبّاط للنظر إليه، في حين ذهب إليه بولوك وصافحه.

قال جونا: «وجد تومي آثار حذاء في منزل بالمكرونا؛ أريد أن أعرف إن وجد شيئًا آخر غير متوقّع».

أجاب ناثان بصوت خافت: «لا أرى ضرورة للاستعجال. التقطنا صورًا للبصمات كافّة، ولكن لم يكن لدينا الوقت لتحليل النتائج؛ لا يمكنني تكوين رؤية عامّة عن الموضوع الآن...».

«ولكنّك رأيت شيئًا بالتأكيد».

«عندما وضعت الصور على الكمبيوتر... قد يكون نمط الخطوات مختلفًا، ولكنّ هذا الأمر سابق لأوانه».

«أخبرني ماذا رأيت. عليّ الذهاب».

«يبدو أنّ ثمّة أثرين مختلفين للأحذية تحرّكا في شكل دائرتين حول الجثّة».

قال جونا: «تعالَ معي لنقابل نيلس أولِيان».

«الآن؟».

«من المفترض أن أكون هناك خلال عشرين دقيقة».

ردّ ناثان وهو يشير إلى قاعة المحاضرات: «بئسًا! لا أستطيع الذهاب، ولكنّني سأترك هاتفي مفتوحًا، إذ ربّما تحتاجان إلى أيّ شيء».

قائل جونا: «أشكرك»، واستدار ليغادر المكان.

سأله ناثان: «هل... هل تريد إلقاء التحيّة على الحاضرين؟».

التفت الطلّاب كافّة، بينما أشار لهم جونا بالتحيّة على عجل.

قال ناثان بصوتٍ مرتفع: «إذن، ها هو جونا لينا الذي حدّثتكم عنه. أحاول إقناعه بأن يلقي محاضرة عن القتال المباشر».

خيّم الصمت على أرجاء القاعة، ونظر الجميع إلى جونا.

قال وهو يبتسم ابتسامة خفيفة: «ربّما يعرف معظمكم أكثر منّي عن الفنون العسكريّة. الشيء الوحيد الذي تعلّمته... أنّه في ساحة القتال، تختلف القواعد تمامًا. لا يوجد فنّ، بل مجرّد قتال».

قال پولوك: «انتبهوا لذلك».

تابع جونا بهدوء: «أنت تنجو فقط إذا امتلكت القدرة على التكيّف، والاستفادة من أيّ شيء- وكلّ شيء- يأتي في طريقك. تدرَّب على الاستفادة القصوى من الظروف التي تحيط بك... ربّما تكون في سيّارة أو على شرفة، وقد تكون الغرفة مليئة بالغاز المسيل للدموع، أو تكون الأرض مليئة بالزجاج المكسور. قد يكون ثمّة أسلحة أو أشياء يمكن استخدامها. ربّما لا تعلم ما إذا كنت في بداية القتال أم آخره، فلا بدّ لك من الحفاظ على

طاقتك. أنت بحاجة إلى التأكّد من مواصلة العمل حتّى إذا استغرق الأمر ليلة كاملة... لذا فالركلات الطائرة واللكمات الخفيفة ليست في الحسبان».

ضحك القليل منهم.

أضاف جونا: «في حالة القتال المباشر غير المسلّح، في الغالب عليك تقبّل بعض الألم لتدارك الموقف بسرعة...».

خرج جونا من قاعة المحاضرات، بينما صفّق اثنان من الضبّاط، وعاد پولوك إلى الطاولة مبتسمًا.

علّق وهو ينقر شيئًا على الكمبيوتر قائلًا: «كنت أخطّط بالفعل إلى حفظ ذلك لدرس لاحق. في الواقع، يعدّ هذا التسجيل من الكلاسيكيّات. إنّه من احتجاز الرهائن الدراميّ في بنك 'نورديا' في شارع 'هامن' قبل تسع سنوات. لصّان اثنان. نجح جونا في إنقاذ الرهائن، والسيطرة على أحد المسلّحين برشّاش. حدث تبادل إطلاق نار شرس. كان اللصّ الآخر مختبئًا، ومسلّحًا فقط بسكّين. وهما تمكّنا من إبطال كاميرات المراقبة كافّة بالرشّاش، ولكنّهما لم يلاحظا هذه الكاميرا... سنشاهد ذلك بخاصّيّة الحركة البطيئة لأنّ الأمر استغرق فقط بضع ثوانٍ».

بدأ عرض الفيلم ببطء. ظهرت لقطة مشوّشة لبنك صُوِّر من أعلى. كانت الثواني تنقر أسفل الشاشة، والأثاث يظهر في كلّ مكان، والأرض مغطّاة بالورق. ثمّ ظهر جونا وهو يتحرّك بسلاسة على الجوانب رافعًا مسدّسه مستقيم الذراع. كان اللصّ مختبئًا خلف الخزانة المفتوحة وفي يده سكّين. فجأة، اندفع اللصّ إلى الأمام بخطوات طويلة سلسة. وجّه جونا المسدّس مستهدفًا صدره مباشرةً وأطلق النار.

قال پولوك: «أحدث المسدّس صوتًا، ولكنّ طلقة معيبة كانت عالقة في مشطه».

أومضت اللقطات المشوّشة. ظهر جونا وهو يتحرّك إلى الخلف بسبب اندفاع اللصّ المسلّح بسكّين نحوه. ختيم الصمت على المكان بصورة مخيفة. أخرج جونا الطلقات ولكنّه أدرك ألّا وقت لوضعها داخل

المسدّس. بدلًا من ذلك، أدار المسدّس العديم الفائدة، بحيث تكون فوّهته موازية لعظم ذراعه السفليّ.

قالت امرأة: «لم أفهم ذلك».

شرح پولوك: «استخدم المسدّس كـهراوة».

«وما الهراوة؟».

«نوع من العصا... مثل التي يستخدمها ضبّاط الشرطة الأميركيّون. إنّها توسّع نطاق وصولك، وتزيد من قوّة أيّ ضربة لأنّها تقلّص منطقة التصادم».

أدرك اللّصّ صاحب السكّين جونا، واتّجه نحوه بخطوة واسعة متردّدة. انطلقت شفرة السكّين اللامعة في نصف دائرة مستهدفةً جذع جونا. بينما كانت يد الرجل الأخرى مرفوعة تتبع دوران جسمه. أمّا جونا فلم يلتفت حتّى إلى السكّين. تحرّك إلى الأمام بدلًا من ذلك، وضرب بقوّة. وبالفعل، ضرب الرجل على عنقه، أسفل تفّاحة آدم مباشرةً، بفوّهة المسدّس.

برمت السكّين بينما تسقط على الأرض، وسقط الرجل على ركبتيه. فتح فمه، وقبض بيديه على عنقه ثمّ انهار أرضًا.

10

في طريقه إلى مستشفى «كارولينسكا»، فكّر جونا في جثّة پالمكرونا المعلّقة: حبل الغسيل المعقود، وحقيبة الأوراق الملقاة على الأرض.

إلى الصورة في ذهنه أضاف جونا دائرتي آثار الأحذية المحيطتين بالجثّة.

هذه القضيّة لم تنتهِ بعد. قاد سيّارته بمحاذاة القناة. تدلّت فروع الشجر معانقة سطح المياه الأملس والمصقول كمرآة.

تراءت له مجدّدًا مدبّرة المنزل، إديث شوارتز. تذكّرها بتفاصيلها كافّة، بدايةً من أوردة يديها الكبيرتين، انتهاءً بطريقة قولها إنّ ثمّة أشخاصًا مفيدين في كلّ مكان.

تقع إدارة الطبّ الشرعيّ وسط الأشجار والمروج الأنيقة لحرم مستشفى جامعة «كارولينسكا» ذي المبنى الكبير من الطوب الأحمر.

توجّه جونا إلى ساحة انتظار الزوّار الخالية. لاحظ أنّ «الإبرة» صفّ سيّارته «الجغوار» البيضاء في وسط المروج بجوار المدخل الرئيس.

لوّح بيده لموظّفة الاستقبال التي أشارت له بالمرور، فمشى إلى الردهة، وقرع باب مكتب نيلس، ثمّ دخل. كالمعتاد، كان مكتب نيلس المزخرف ببساطة نظيفًا جدًّا. الستائر مغلقة، ولكنّ ضوء الشمس تسلّل من بين حوافّها.

أمّا نيلس نفسه فكان يضع نظّارة الطيّارين ذات الإطار الأبيض، ويرتدي قميص «بولو» أبيض تحت معطف المختبر.

قال جونا: «أعطيت للتوّ مخالفة لسيّارة 'جغوار' بيضاء».

«هنيئًا لك»، قال نيلس.

توقّف جونا في وسط الغرفة، وبدت على ملامحه الجدّيّة. تحوّل لون عينيه إلى فضّيّ داكن.

سأل: «إذن! كيف مات؟».

«بالمكرونا؟».

«أجل».

رنّ الهاتف، فدفع نيلس تقرير التشريح نحو جونا.

قال قبل أن يردّ على المكالمة: «لم يكن عليك قطع كلّ هذه المسافة لتسأل هذا السؤال».

كان جونا يجلس مقابله على كرسيّ جلد أبيض، ويتفقّد بعينيه التقرير، ويقرأ مقتطفات مختلفة بشكل عشوائيّ:

74. يزن إجماليّ الكليتين مئتين وتسعين غرامًا. السطح أملس. الأنسجة رماديّة – حمراء اللون قويّة الاتّساق مرنة. تحديد واضح.

75. تبدو القنوات البوليّة طبيعيّة.

76. المثانة فارغة. الغشاء المخاطيّ شاحب.
77. حجم البروستاتا طبيعيّ. أنسجتها شاحبة.

رفع نيلس نظّارته فوق أنفه الضيّق المعوجّ، ثمّ أنهى المكالمة ونظر إلى جونا.

قال وهو يتثاءب: «كما ترى، لا شيء غير متوقّع؛ سبب الوفاة هو الاختناق... في حالة الشنق بالطبع لا يكون الاختناق اعتياديًّا كما نظنّه نحن؛ إنّه أقرب إلى انسداد الشرايين».

«توقّف المخّ نتيجة توقّف ضخّ الدم المؤكسد».

هزّ نيلس رأسه، قائلًا: «الضغط الشريانيّ، انقباض ثنائيّ للشرايين السباتيّة. يحدث هذا الأمر بسرعة بالغة. يفقد معظم الناس وعيهم خلال ثوانٍ معدودة...».

سأل جونا: «لكنّه كان على قيد الحياة قبل شنقه؟».

«أجل»، قال نيلس ذي الوجه النحيل الحليق الذقن والشاربين.

سأل جونا: «هل يمكنك تقدير ارتفاع إسقاطه؟».

«لا توجد كسور في الفقرات العنقيّة أو قاعدة الجمجمة، لذا أتوقّع ما بين عشر وعشرين سنتيمترًا».

«صحيح».

فكّر جونا في حقيبة الأوراق، وآثار حذاء بالمكرونا. فتح التقرير مرّةً أخرى، وأعاد قراءة الفحص الخارجيّ: جلد الرقبة وزاوية الحبل المقدّرة.

سأله نيلس: «بماذا تفكّر؟».

«أتساءل عن إمكانيّة خنقه بالحبل نفسه، ثمّ تعليقه في السقف».

«غير وارد».

«ولمَ لا؟».

«ثمّة قطع واحد فقط في رقبته، وحالته ممتازة؛ عندما يُخنَق شخص بحبل أو شريط يتسبّب ذلك في قطع بالحلق، كما أنّ...».

قاطعه جونا: «ربّما كان القاتل على دراية بذلك».

«حتّى لو كان كذلك، لا يمكن تطبيق هذا الأمر عمليًا. عندما يُربَط أحد ما بالسقف، يُشكِّل القطع حول الرقبة على هيئة رأس سهم مع نقطة القمّة بواسطة العقدة...».

«لأنّ وزن الجسم يضيّق حبل المشنقة».

«بالضبط... وهذا يعني أيضًا أنّ أعمق جزء في القطع لا بد أن يكون مقابلًا للنقطة تمامًا».

«إذن، لقد مات مشنوقًا»، استنتج جونا.

«من دون شكّ».

عضّ مختصّ الطبّ الشرعيّ النحيف والطويل القامة على شفته السفلى برفق.

سأله جونا: «لكن! هل ثمّة احتماليّة لإرغامه على الانتحار؟».

«لا دليل على ذلك».

أغلق جونا التقرير، وخبط عليه بيديه. قد يكون تعليق مدبّرة المنزل بأنّ ثمّة أشخاصًا آخرين متورّطين في موت بالمكرونا ما هو إلّا حديث مشوّش. لكن لا يمكن تجاهل آثار الحذاءين المختلفين التي وجدها كوفود.

قال جونا وهو ينظر إلى عيني نيلس: «إذن، أنت متأكّد من سبب الوفاة؟».

«ماذا كنت تتوقّع؟».

ردّ جونا وهو يشير إلى التقرير: «هذا. هذا بالضبط ما كنت أتوقّعه، ولكن، هناك أمر ما زال يزعجني».

علّق نيلس وهو يبتسم ابتسامة ساخرة: «خذ معك التقرير إلى المنزل، واقرأه قبل النوم».

«حسنًا»، قال جونا.

قال نيلس: «لكنّني أعتقد أنّك ستطرح قضيّة بالمكرونا جانبًا... إنّها واقعة انتحار بسيطة».

تلاشت ابتسامة «الإبرة» وانطفأت نظرته، في حين احتفظت عينا جونا بالحدّة والتركيز نفسيهما.

قال جونا: «لديّ ما يكفي من الشجاعة لأقول إنّك محقّ».

ردّ نيلس: «يمكنني التكهّن بالأمر، إذا أردت. أتوقّع أنّ كارل بالمكرونا كان مكتئبًا، لأنّ أظافره كانت مخلخلة قذرة، كما أنّ أسنانه لم تُغسل لبضعة أيّام، ولم يحلق ذقنه».

هزّ جونا رأسه قائلًا: «فهمت».

«يمكنك إلقاء نظرة عليه».

ردّ جونا وهو يضغط على قدميه: «لا حاجة».

انحنى نيلس إلى الأمام، وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة، وقال: «تلقّيت هذا الصباح شيئًا أكثر إثارة للاهتمام. هل يسمح وقتك ببضع دقائق؟».

ثمّ نهض عن كرسيّه، وأشار إلى جونا ليتبعه إلى الردهة. دخلت فراشة لونها أزرق فاتح إلى المبنى، وأخذت ترفرف في الهواء أمامهما.

سأل جونا: «هل رحل ذلك الشابّ؟».

«من؟».

«الذي كان هنا من قبل، ذو شعر ذيل الحصان...».

«فريبي؟ لا، غير مسموح له بالرحيل. أخذ يوم عطلة. سيشارك فريق 'ميغاديث' بعرض 'ذا غلوب' في افتتاحيّة 'إنتومبيد' اليوم».

مرّا بغرفة ذات إضاءة خافتة، فيها طاولة لتشريح الجثث، وتنبعث منها رائحة التعقيم، ثمّ ذهبا إلى الغرفة التي تضمّ ثلّاجات الموتى.

فتح نيلس بابًا آخر وفتح زرّ الإضاءة. أضاءت المصابيح الفلوريّة القويّة غرفة ذات بلاط أبيض، تحتوي على طاولة فحص كبيرة مكسوّة بالبلاستيك، لديها حوافّ مزدوجة وقنوات تصريف.

مُدّدت على الطاولة شابّة شديدة الجمال.

كانت مُشمرّة الجلد، ويتدلّى شعرها الطويل اللامع الداكن في خصلات مموّجة على جبهتها وكتفيها. بدت كأنّها تحدّق بدهشة إلى الغرفة.

ثمّة شيء مرِح إلى حدّ ما حول ثغرها. بدت وكأنّها من نوع الناس الذين يضحكون ويبتسمون كثيرًا.

ومع ذلك، لا يوجد بريق في عينيها الكبيرتين الداكنتين. بدأت تظهر فيهما بالفعل بقع صغيرة بنّية داكنة.

توقّف جونا ونظر إليها. توقّع أنّها في التاسعة عشرة أو العشرين من العمر على الأكثر. كانت قبل فترة وجيزة طفلة صغيرة تعيش مع والديها. لكنّها الآن جثّة هامدة.

لاحظ على جلد صدرها وجود خطّ منحنٍ باهت على شكل ابتسامة، يبلغ طوله نحو ثلاثين سنتيمترًا.

سأل مشيرًا إليه: «ما هذا الخطّ؟».

أجاب نيلس: «ليس لديّ فكرة. ربما يكون أثر قلادة أو حافّة قميص. سأدقّق النظر لاحقًا».

نظر جونا إلى الجثّة الهامدة، وأخذ نفسًا عميقًا، و- كما في كلّ مواجهة له مع حقيقة الموت- أحسّ بالحزن يسكنه، واستشعر وحشة الوحدة.

الحياة هشّة للغاية. إنّه لأمر مخيف.

كانت الفتاة تضع طلاءً على أظافر يديها وقدميها باللون البيج المائل للورديّ.

سأل جونا: «ما المميّز جدًّا في أمرها؟».

نظر نيلس إليه بجدّيّة، ولمعت نظّارته وهو يلتفت إلى الخلف متّجهًا نحو جثمانها مرّة أخرى.

قال: «أحضرتها الشرطة البحريّة. عُثر عليها جالسة على سرير بالمقصورة الأماميّة لقارب منجرف في الأرخبيل».

«ميّتة؟».

التقت عينا نيلس بعينيه وقال له بنبرة رنّانة: «لقد غرقت يا جونا».

«غرقت؟».

هزّ نيلس رأسه، وابتسم ابتسامة عريضة.

ثمّ قال: «لقد غرقت على متن القارب وهو ما زال طافيًا على المياه».

«إذن وجدها أحد ما في المياه، ثمّ أحضرها إلى اليخت».

«حسنًا. لو كان الأمر كذلك لما أضعتُ وقتك الثمين».

«ما الأمر إذن؟».

«لا أثر لنقطة ماء واحدة على بقيّة جسدها. أرسلتُ ملابسها لتُحلَّل، ولكنّ المختبر لم يجد أيّ شيء أيضًا».

صمت نيلس، وقلّب صفحات التقرير المبدئيّ، ثمّ نظر إلى جونا ليرى إن كان قادرًا على إثارة فضوله. لم يتحرّك جونا من مكانه، وتغيّرت تعبيرات وجهه تمامًا. راح ينظر إلى الجثمان بتركيز شديد. وفجأة، أخرج زوجًا من القفّازات المطاطيّة من العلبة وارتداهما. ابتسم نيلس بسعادة حين انحنى جونا على جثمان الشابّة، ورفع ذراعيها بعناية وفحصهما.

قال نيلس بصوت خافت: «لن تجد أيّ آثار عنف؛ الأمر غير مفهوم».

11

رُبط القارب بين زورقين للشرطة عند المرسى التابع لها في «دالارو».

كانت بوّابات المرسى الحديديّة الكبيرة مفتوحة. قاد جونا سيّارته ببطء وسط الطريق المرصوف بالحصى. ترجّل منها، ومشى نحو المياه.

راح يفكّر في القارب المهجور المنجرف في الأرخبيل. فتاة غارقة تجلس على سرير في المقصورة الأماميّة. القارب طافٍ على المياه، ولكنّ رئتي الفتاة كانتا ممتلئتين بمياه البحر.

توقّف جونا، وألقى نظرة على القارب من بعيد. الجزء الأماميّ من هيكل القارب محطّم. ثمّة خدوش على طول جانب القارب نتيجة اصطدام عنيف. الطلاء والألياف الزجاجيّة من تحت هذه الخدوش تالفة.

اتّصل بالشرطة البحريّة، فأجابه صوت بوضوح: «لينارت».

سأل جونا: «لينارت يوهانسون؟».

«نعم، هذا أنا».

«جونا لينا من إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة».

ظلّ الخطّ هادئًا، بينما كان جونا يسمع صوتًا كصوت ارتطام الأمواج.

قال: «القارب الذي عثرتم عليه... كنت أتساءل إن كانت المياه قد تسرّبت إليه».

«المياه؟».

«نعم، هيكل القارب تالف».

خطا جونا بضع خطوات بالقرب من القارب بينما لينارت يشرح بنبرة تنمّ عن اللامبالاة: «يا ربّي! لو حصلت على درهم نظير كلّ مخمور بحادث اصطدام...».

قاطعه جونا: «أريد أن ألقي نظرة على اليخت».

«سأقصّ عليك ما حدث؛ بعض الشبّان مِن... لا أعرف، دعنا نقل من 'سودرتالي' سرقوا يختًا، وأحضروا بعض الفتيات، ثمّ أخذوا جولة بحريّة، واستمعوا إلى الموسيقى، واحتفلوا، وتناولوا كثيرًا من الشراب. وسط كلّ ذلك، اصطدم القارب بشيء ما اصطدامًا عنيفًا أسقط فتاة عن سطحه. فأوقف الشبّان القارب وعادوا لانتشالها، ووضعوها على سطح اليخت. حين أدركوا أنّها ميتة، أصابهم الذعر وفرّوا».

توقّف لينارت وانتظر ردًّا.

قال جونا ببطء: «ليس افتراضًا سيّئًا».

فقال لينارت بنبرة مرحة: «أليس كذلك؟ افعل به ما تشاء. قد يوفّر عليك القدوم إلى 'دالارو' يا صاح».

«فات الأوان»، ردّ جونا وهو يتّجه إلى زورق للشرطة.

كان الزورق راسيًا خلف طرّاد، يقف على سطحه رجل عاري الصدر، مسمرّ البشرة، في منتصف العشرينيّات من عمره، يضع هاتفًا على أذنه.

قال: «كما تشاء. لا تتردّد في حجز رحلتك».

«أنا هنا بالفعل. وأعتقد أنّني أنظر إليك مباشرةً، إذا كنت تقف على سطح...».

«هل أبدو كراكب أمواج؟».
نظر الرجل إلى جونا مبتسمًا وهو يحكّ صدره.
فردّ جونا: «إلى حدّ كبير».
أنهيا المكالمة، ثمّ تقدّم كلاهما نحو الآخر. لبس لينارت قميص زيّه الموحّد القصير الأكمام، وزرّره وهو يعبر الدرج المتحرّك.
رفع جونا إبهامه وخنصره، وهي إشارة التحيّة في ثقافة راكبي الأمواج. انفرجت أسارير لينارت.
قال: «أركب الأمواج كلّما كانت مرتفعة بما يكفي، لذا يطلقون عليّ اسم 'لانس' أحد أبطال فيلم 'نهاية العالم الآن' يا صديقي».
علّق جونا مازحًا: «أفهم لماذا».
سأل لينارت ضاحكًا: «بالفعل؟».
توجّها إلى اليخت.
قال لينارت: «القارب من فئة 'ستوريبرو 36' الملكيّة. هو بحالة جيّدة، ولكنّه مُهمَل. وهو مسجّل باسم يورن ألمسكوغ».
«هل تواصلت معه؟».
«لم يسمح لي الوقت».
ألقيا نظرة من قرب على الأضرار التي لحقت بهيكل اليخت. والتي يبدو أنّها حديثة، إذ لا طحالب على الألياف الزجاجيّة.
قال جونا: «طلبت من مختصّ في الطبّ الشرعيّ الحضور؛ لا بدّ من أنّه على وشك الوصول».
«لقد تعرّضت الفتاة لضربة عنيفة»، قال لينارت.
«من صعد على متن القارب منذ العثور عليه؟».
«لا أحد»، أجاب لينارت بسرعة.
ابتسم جونا وانتظر، وقد ارتسم الصبر على وجهه.
تدارك لينارت الأمر، وقال متردّدًا: «حسنًا، أنا بالطبع، وزميلي سوني،

والمسعفون الذين أخرجوا الجثّة. ومسؤول الطبّ الشرعيّ لدينا الذي استخدم أغطية الأرض والملابس الواقية».

«هل هذا كلّ شيء؟».

«أجل. بخلاف الرجل العجوز الذي عثر على اليخت».

لم يعلّق جونا على الأمر، بل نظر فقط إلى المياه المتلألئة وهو يفكّر في الفتاة المستلقية على طاولة نيلس. سأل بعد هنيهة: «هل تعرف إن كان مسؤول الطبّ الشرعيّ لديكم قد ألمّ بالأدلّة الظاهريّة كافّة؟».

«انتهى من الأرضيّات وتصوير مسرح الجريمة».

«سأصعد إلى اليخت».

كان المعبر من الرصيف إلى القارب ضيّقًا متهالكًا. صعد جونا ثمّ وقف على السطح الخلفيّ. نظر حوله ببطء ليرصد كلّ شيء بحرص. هذه فرصته الوحيدة ليكوّن انطباعًا مبدئيًّا عن مسرح الجريمة من دون تحيّز. كلّ تفصيل يسجّله الآن قد يكون حيويًّا: أحذية، كرسي مقلوب على سطح اليخت، منشفة كبيرة، غلاف ورقيّ اصفرّ لونه في الشمس، سكّين ذات يد بلاستيكيّة حمراء، دلو مقيّد بحبل، علب بيرة، كيس فحم، مغطس فيه بذلة غوص، مستحضرات الوقاية من الشمس وترطيب البشرة.

نظر من خلال النافذة الكبيرة إلى الأثاث الخشبيّ للصالون. من زاوية معيّنة، تمكّن من رؤية بصمات أصابع واضحة في ضوء الشمس على الباب الزجاجيّ، ما يوحي بأنّ ثمّة أيادٍ دفعت الباب لتفتحه ثمّ أغلقته مرّة أخرى، أو لمسته وقت اصطدام اليخت.

دخل جونا الصالون الصغير. كانت شمس الظهيرة تسطع على سطح الأثاث وطبقات الكروم، في حين استقرّت قبعة رعاة بقر ونظارة شمسيّة على الوسادات الزرقاء الداكنة فوق إحدى الأرائك.

كانت المياه في الخارج ترتطم بهيكل اليخت.

تفقّد جونا بعينيه الأرضيّة البالية للصالون، والسلّم الضيّق المؤدّي إلى مقصورات اليخت. المكان مظلم أسفل الدرج وكأنّه بئر عميق؛ لم يتمكّن

جونا من رؤية أيّ شيء حتّى شغّل مصباحه. أضاء الشعاع الهادئ الشديد التركيز الممرّ المنحدر. لمع الخشب الملطّخ بالدماء. نزل جونا على السلّم الذي أصدر صوتًا مزعجًا. فكّر في الفتاة، وافترض أنّها كانت بمفردها على اليخت، ثمّ غاصت من سطح المقدّمة وضربت رأسها بصخرة. لقد دخل الماء إلى رئتيها، ولكنّها بطريقة ما نجحت في الصعود إلى القارب مرّة أخرى، وبدّلت ملابسها المبتلّة بملابس جافّة. وربّما شعرت بالتعب، فذهبت إلى المقصورة أسفل اليخت، وهي لا تدرك مدى الضرر الذي لحق بها، كما لم تدرك أنّ لديها ارتجاجًا خطيرًا.

ولكن لو كان الأمر كذلك، لوجد نيلس آثارًا للمياه المالحة على سائر جسدها.

هذا غير منطقيّ.

نزل جونا، متجاوزًا المطبخ، متوجّهًا إلى المقصورة الرئيسة.

أمكنه الشعور بوجودها على متن اليخت. رغم وفاتها ونقل جثمانها إلى «كارولينسكا»؛ إنّه الشعور نفسه الذي ينتابه كلّ مرّة.

بدا أنّ القارب يُحدث صريرًا بطرق مختلفة، إذ هو يميل إلى جانب واحد. انتظر جونا وأنصت إلى الصوت، ثمّ اتّجه إلى المقصورة.

كان ضوء الصيف يتدفّق من النوافذ الضيّقة قرب السقف، ويسقط على سرير مزدوج صُمّم ليتناسب مع مقدّمة اليخت. هنا وجدوها تجلس على السرير. ثمّة حقيبة رياضيّة مفتوحة على الأرض، وقميص نوم منقّط أخرِج من الحقيبة. كما عُلّق سروال من الجينز وسترة محبوكة خفيفة على ظهر الباب من الخلف، بالإضافة إلى حقيبة الكتف المعلّقة على خطّاف.

تأرجح القارب مرةً أخرى، وتدحرجت زجاجة على السطح.

التقط جونا صورًا للحقيبة من مختلف الزوايا بجوّاله. قلّص وميض الكاميرا حجم الغرفة، كما لو كانت الجدران والأرض والسقف تتعانق لوهلة.

أنزل الحقيبة بحرص عن الخطّاف، وأخذها إلى السطح. أحدث الدرج صريرًا تحت خطواته. سمع صوت احتكاك جسم معدنيّ من الخارج. عندما

وصل إلى الصالون، ظهر فجأة ظلّ عبر الباب الزجاجيّ، فتفاعل جونا مع الأمر بشكل طبيعيّ، وأخذ خطوة إلى الوراء، حيث مطلع الدرج المظلم.

12

وقف جونا في حالة ثبات تامّ بالقرب من درج القارب المظلم. رأى الجزء السفليّ من الباب الزجاجيّ وبعضًا من السطح الخلفيّ. مرّ ظلّ عبر الزجاج المغبّر، ثمّ ظهرت يد شخص يحاول التسلّل إلى السطح. أدرك أنّه إريكسون، مسؤول الطبّ الشرعيّ. كانت قطرات العرق تتدحرج على وجنتيه وهو يلفّ لفافات الجيلاتين حول الباب.

أحضر جونا معه الحقيبة إلى الصالون. أفرغها بعناية على الطاولة الصغيرة المصنوعة من الخشب الصلب. وجد فيها محفظة حمراء، ففتحها بقلمه. عثر على رخصة قيادة في جيبها البلاستيكيّ. نظر إليها من قرب أكثر. رأى صورة امرأة جميلة ذات ملامح جادّة. كانت تميل إلى الخلف قليلًا، كأنّها تنظر إلى أعلى. لها شعر داكن ذو خصل مموّجة، وتشبه الفتاة التي رآها في مختبر التشريح.

بينيلوبي فرنانديز. قرأ الاسم الموجود على رخصة القيادة، وفكّر في أنّه سمع هذا الاسم من قبل.

عاد بذهنه إلى مختبر التشريح، فرأى الجثمان العاري على الطاولة، وملامح الوجه الهادئة.

في الخارج، تحت ضوء الشمس، تابع إريكسون العمل ببطء وحذر على رفع بصمات الأصابع عن السور، بعد مسحها بمسحوق مغناطيسيّ.

سمعه جونا يتنفّس بعمق طوال الوقت، كمن يخطو كلّ خطوة بشقّ الأنفس، مستنفذًا كلّ ما تبقّى من طاقته.

تفقّد جونا بعينيه سطح اليخت، فرأى دلوًا مربوطًا بحبل قرب حذاء رياضيّ. شمّ رائحة بطاطا خفيفة آتية من المطبخ.

عاد إلى الصورة الصغيرة الموجودة على رخصة القيادة، ونظر إلى فم المرأة الشابّة وشفتيها المنفرجتين قليلًا؛ أدرك فجأة أنّ ثمّة شيئًا مفقودًا.

شعر بأنّه رأى شيئًا مهمًّا لكنّه سقط من ذاكرته.

جفل عندما اهتزّ الهاتف في جيبه. رأى اتّصالًا من نيلس فأجاب: «جونا».

«أدعى نيلس أولِيان، كبير الأطبّاء الشرعيين في 'إدارة الطبّ الشرعيّ' في ستوكهولم».

ابتسم جونا، فكلاهما يعرف الآخر منذ عشرين عامًا، ويمكنه تمييز صوت نيلس في أيّ مكان.

سأل جونا: «هل ضربت رأسها؟».

«لا»، أجاب نيلس بدهشة.

«اعتقدت أنّها ربّما ضربت رأسها في أثناء الغوص».

«لا. لا شيء من هذا القبيل. لقد غرقت؛ هذا هو سبب الوفاة».

«هل أنت متأكّد؟»، ألحّ جونا.

«وجدت فطريّات داخل فتحتي الأنف، وتهتّكًا بالغشاء المخاطيّ للحلق، ربّما نتيجة ارتجاع شديد وقيء. ثمّة إفرازات في كلّ من القصبة الهوائيّة والشُعب الهوائيّة. رئتاها ممتلئتان بالماء، وقد ازداد وزنهما، ما يدلّ بشكل مثاليّ على حالة الغرق».

ظلّ الخطّ هادئًا. سمع جونا سمع صوت احتكاك، كما لو أنّ شخصًا يدفع عربة معدنيّة.

سأل: «هل من سبب للاتّصال؟».

«نعم».

«تودّ إخباري به؟».

«كان لديها تركيز عالٍ من الممنوعات في البول».

«ماريجوانا؟».

«نعم».

«لكنّها لم تكن السبب في وفاتها».

قال نيلس وهو يستسيغ الفكرة: «بالكاد. لقد افترضت للتوّ أنّك ستعيد بناء تسلسل الأحداث على اليخت، وأنّ هذا تفصيل تجهله ربّما».

«اسمها پينيلوپي فرنانديز».

«من الجيّد معرفة هذا»، تمتم نيلس.

«هل ثمّة شيء آخر؟».

«لا».

تنفّس نيلس الصعداء وهو على الهاتف، قبل أن يقول جونا: «تكلّم».

«إنّ الأمر ليس مجرّد موت طبيعيّ».

ثمّ توقّف عن الحديث.

سأله جونا: «ماذا وجدت؟».

«لا شيء. إنّه مجرّد إحساس».

قال جونا: «عظيم. بدأت الآن تفكّر مثلي».

«أعرف، ولكن... ظاهريًّا، من الممكن أن تكون حالة موت فجائيّ طبيعيّة، إنّها سريعة ولكنّها طبيعيّة تمامًا... لا دليل يتناقض مع ذلك. ولكن إذا كانت وفاة طبيعيّة، فإنّها وفاة طبيعيّة غير اعتياديّة أبدًا».

أنهيا المكالمة. لكنّ كلمات نيلس ظلّت ترنّ في أذن جونا: «موت فجائيّ طبيعيّ». ثمّة شيء غامض حول وفاة پينيلوپي فرنانديز. ليس صحيحًا أنّه عُثِر على الجثّة في الماء وتمّ نقلها إلى اليخت. إذا كان الأمر كذلك، لعُثِر عليها على السطح وليس السرير. ربّما أراد من عثر عليها، كائن من يكون، أن يُظهِر لها بعض الاحترام. ولكن في هذه الحالة، كان سيحملها إلى الصالون، ويمدّدها على الأريكة.

فكّر جونا في احتمال آخر؛ أن يكون من عثر عليها هو شخص يحبّها، وأراد أن يضعها في سريرها الخاصّ، وغرفتها الخاصّة.

ولكنّها كانت جالسة على السرير. جالسة.

ربما يكون نيلس مخطئًا. ربّما كانت على قيد الحياة حين أُنقِذت

وأُعِيدت إلى القارب وأُدخِلت إلى غرفتها. من الممكن أنّها لم تعلم مدى الضرر البالغ الذي لحق برئتيها. وربّما شعرت بالتعب، وأرادت أن تستلقي.

ولكن لماذا لا توجد آثار للمياه على ملابسها أو سائر جسدها؟

فكّر جونا في أنّ ثمّة رشّاشًا للاستحمام بالمياه الحلوة على اليخت. قرّر أن يتفقّد المكان بأسره: يفتّش المقصورة الخلفيّة، ومقدّمة اليخت، والمطبخ. أشياء كثيرة يحتاج إلى التحقّق منها قبل أن تكتمل الصورة.

وقف إريكسون، ومشى بضع خطوات، فاهتزّ القارب بأكمله.

نظر جونا عبر الأبواب الزجاجيّة مجدّدًا، وللمرّة الثانية، وجد نفسه يحدّق إلى الدلو المقيّد بحبل. إلى جواره، حوض مصنوع من الزنك وضعت فيه بذلة غوص. ثمّة زلّاجات مائيّة على الدرابزين. نظر جونا إلى الدلو مجدّدًا. وإلى الحبل المقيّد بيد الدلو. كان الحوض المقوّس يلمع تحت أشعّة الشمس ويتلألأ مثل هلال.

فجأة، نضجت الفكرة في رأس جونا، ورأى تسلسل الأحداث واضحًا وضوح الشمس. انتظر حتّى تهدأ نبضات قلبه، وفكّر في الأحداث مرةً أخرى، إلى أن تأكّد له بشكل مطلق أنّه على صواب.

المرأة المعروفة الآن بـپينيلوپي فرنانديز قد أُغرِقت في الحوض.

تذكّر جونا علامة الخطّ المنحني على صدرها.

لقد قُتِلت ثمّ وُضِعت في السرير داخل مقصورتها.

بدأت الأفكار تتسارع الآن، بينما يُضخّ الأدرينالين في جسده. لقد أُغرِقت في مياه البحر المالحة، ثمّ نُقِلت إلى سريرها.

لم يكن ذلك موتًا طبيعيًّا، كما أنّ القاتل ليس مجرمًا عاديًّا.

بدأ صوت غير واثق يتردّد صداه داخله، ثمّ ازداد ثقة وعلا نبرةً. ما فتئ يكرّر الكلمات الثلاث نفسها: «غادر القارب الآن! غادر القارب الآن».

نظر جونا إلى إريكسون عبر الزجاج وهو يضع عيّنة داخل كيس ورقيّ صغير.

بادره إريكسون مبتسمًا: «أمسكت بك!».

قال جونا بهدوء: «سنذهب إلى الشاطئ».

«أنا أيضًا لا أحبّ المراكب -فهي لا تتوقّف عن الحركة- ولكنّني حصلت للتوّ...».

قال جونا بحدّة: «خذ استراحة!».

«ما خطبك؟».

«فقط اتبعني، ولا تلمس هاتفك».

ذهبا إلى الشاطئ. قاد جونا إريكسون بعيدًا عن المركب قبل أن يتوقّف. شعر بالدماء تتدفّق إلى وجنتيه وهو يحاول تهدئة نفسه.

قال جونا بهدوء: «ربّما هناك قنبلة على القارب».

جلس إريكسون على حافّة قاعدة خرسانيّة، والعرق يقطر من جبهته.

«ما الذي تتحدّث عنه؟».

أجاب جونا: «إنّها ليست جريمة قتل عاديّة. ثمّة مخاطرة تتمثّل في...».

«قتل؟ من الذي ذكر شيئًا عن...».

«تمهّل! أنا متأكّد من أنّ پينيلوپي فرنانديز أُغرِقت في الحوض الموجود على سطح اليخت».

«أُغرِقت؟ ماذا تقول؟».

«لقد ماتت غرقًا في مياه البحر داخل الحوض، ثمّ نُقِلت إلى السرير. وأعتقد أنّ الخطّة كانت إغراق اليخت».

13

في تمام السابعة من مساء ذاك اليوم، التقى خمسة رجال مهمّين في الغرفة رقم 13 في إدارة الطبّ الشرعيّ في «كارولينسكا». أراد جونا أن يتولّى مسؤوليّة قضيّة السيّدة الشابّة التي عُثر عليها غارقة داخل مركب مهجور. ورغم أنّه كان يوم السبت، فإنّ جونا دعا مديره پيتر ناسلوند،

وكبير المدّعين العامّين ينس سڤانِيالم، إلى حضور تمثيل للجريمة كي يقنعهما بأنّها قضيّة قتل.

ظلّ أحد مصابيح السقف الفلوريّة يومض، بينما همس نيلس: «نحتاج إلى تغيير هذا المصباح».

وافقه فريبي: «أجل».

همس پيتر بشيء وهو يلتقط أنفاسه، وقد بدا وجهه الكبير المتماسك مهتزًّا تحت وميض الضوء. بجانبه، تبدو ملامح الضيق على وجه ينس سڤانِيالم، وكأنّه يفكّر في مخاطر وضع حقيبته الجلديّة على الأرض.

فاحت في الغرفة رائحة مطهّر قويّة. تدلّت من السقف مصابيح كبيرة فوق طاولة التشريح المصنوعة من الستانلس ستيل. ثمّة حوض مصنوع من الزنك، مشابه لذلك الذي وجده جونا على اليخت، وقد امتلأ نصفه بالماء. بينما استخدم جونا دلوًا لمواصلة سكب الماء داخل الحوض.

قال سڤانِيالم وقد نفد صبره: «العثور على شخص غارق فوق مركب لا يعني بالضرورة أنّ جريمة ارتُكِبت».

فقال پيتر: «بالضبط».

واصل سڤانِيالم: «قد تكون الواقعة مجرّد حادث غرق عارض لم يُبلَّغ عنه بعد».

فقال نيلس: «رئتا الفتاة ممتلئتان بمياه البحر التي يطفو عليها اليخت، ولكن لا أثر تقريبًا لهذه المياه على ملابسها أو سائر جسدها».

قال سڤانِيالم: «هذا أمر غريب بالفعل».

فقال پيتر وهو يبتسم: «لا بدّ من تفسير منطقيّ لذلك».

أفرغ جونا آخر دلو مياه في الحوض، ثمّ شكر الجميع على الحضور، وقال: «أعرف أنّها عطلة نهاية الأسبوع، وكنتم لتذهبوا إلى منازلكم، ولكن أعتقد أنّني لاحظت شيئًا جديرًا بالاهتمام».

فقال سڤانِيالم بلطف وهو يضع حقيبته أخيرًا على الأرض بين قدميه: «بالطبع، علينا أن نأتي حين تقول إنّه أمر مهمّ».

قال جونا بجدّيّة: «تسلّل القاتل إلى اليخت، ونزل إلى المقصورة الأماميّة، ورأى پينيلوپي فرنانديز نائمة، ثمّ ذهب إلى أعلى، وتوجّه إلى السطح الخلفيّ، وأنزل الدلو إلى المياه، وبدأ في ملء الحوض».

فقال پيتر: « من خمسة إلى ستّة دلاء».

تابع جونا: «وحين امتلأ الحوض، ذهب إلى أسفل، وتوجّه إلى المقصورة، وأيقظ پينيلوپي، وأخذها إلى السطح، حيث أغرقها في الحوض».

فسأل سڤانيالم: «من يجرؤ على فعل ذلك؟».

قال جونا: «ليس لديّ علم حتّى الآن. ربّما كان نوعًا من التعذيب، مثل الإيهام بالغرق...».

فسأل سڤانيالم: «انتقام؟ غيرة؟».

أومأ جونا برأسه، وقال بعد تفكير: «لم تكن جريمة قتل اعتياديّة. ربّما أراد القاتل الحصول منها على معلومات، أو ربّما كان يحاول إرغامها على قول شيء أو الاعتراف بشيء».

سأل سڤانيالم: «ما قول طبيبنا الشرعي؟».

هزّ نيلس رأسه قائلًا: «إذا أُغرِقت بالقوّة، أتوقّع وجود آثار عنف على جسدها، مثل الكدمات و...».

قاطعه جونا: «هل يمكن تأجيل الاعتراضات إلى وقتٍ لاحق؟ أودّ عرض ما ظننت أنّه حدث بطريقة التفكير نفسها التي دارت في رأسي. فور الانتهاء من الحديث، أطلب منكم الذهاب إلى الجثّة وتفقّدها، لتحكموا إذا كان ثمّة أساس لافتراضي».

سأل پيتر: «لماذا لا يمكنك أبدًا إجراء الأمور بطريقة سهلة؟».

وحذّر سڤانيالم: «أريد الذهاب إلى المنزل مبكرًا».

رمقه جونا بنظرة وامضة، ثمّ قال: «كانت پينيلوپي فرنانديز تجلس على سطح اليخت، وتدخّن لفافة ماريجوانا. كان يومًا دافئًا، وقد شعرت

بالتعب، فذهبت إلى أسفل لتأخذ قسطًا من الراحة، فغلبها النعاس وهي ترتدي سترة من الجينز».

ثمّ أشار جونا إلى مساعد نيلس الشابّ الذي كان منتظرًا عند مدخل الباب، وقال: «وافق فريبي على مساعدتي في تمثيل الجريمة».

ابتسم فريبي وأخذ خطوة إلى الأمام. كانت خصلات شعره الأسود متدلّية على ظهره، وسرواله الجلديّ الممزّق مرصّعًا بالمسامير المعدنيّة، وكان يغلق سترته الجلديّة بعناية بسحّاب فوق قميصه الأسود.

«انظروا»، طلب جونا منهم، وهو يوضح كيفيّة الإمساك بكمّي سترة فريبي بإحكام بيدٍ واحدة، لثني ذراعيه خلف ظهره، ممّا يتيح له الإمساك بشعره الطويل بيده الأخرى.

«لديّ الآن كامل السيطرة على فريبي، من دون أثر ولو لكدمة واحدة».

رفع جونا ذراعي فريبي وهما خلف ظهره. انحنى فريبي إلى الأمام وهو يئنّ، ثمّ قال ضاحكًا: «على مهلك».

«من الواضح أنّ جسمك أضخم من جسم الضحيّة، ورغم ذلك أعتقد أنّه ما زال بإمكاني دفع رأسك داخل الحوض».

فقال نيلس: «رفقًا».

قال جونا: «سأعبث فقط بشعره».

ردّ فريبي وهو يبتسم: «إنسَ الأمر».

خيّم الصمت على أرجاء المكان. بدا على نيلس القلق، كما شعر سفانيالم بعدم الارتياح، وكان بيتر يسُبّ في سرّه. من دون أيّ صعوبة، نجح جونا في دفع رأس فريبي في المياه، ثمّ احتجزها هناك لبضع ثوانٍ قبل أن يرفعها. ترنّح فريبي وهو يرفع رأسه، وأسرع إليه نيلس بالمنشفة.

قال بانزعاج: «ألم يكن كافيًا شرح الأمر من دون تمثيل؟».

فور انتهاء فريبي من تجفيف نفسه، ذهب الجميع إلى الغرفة المجاورة، حيث الهواء البارد المثقل برائحة الموتى. كان ثمّة جدار واحد مغطّى بثلاث طبقات من أبواب الثلّاجات المصنوعة من الستانلس ستيل. فتح

نيلس الثلّاجة رقم 16، وسحب بابها إلى الخارج. كانت الشابّة ممدّدةً على السرير الضيّق عارية شاحبة، وكانت الأوردة حول عنقها بنّيّة اللون تشبه خيوط العنكبوت. أشار جونا إلى الخطّ الرفيع المنحني الموجود أعلى صدرها، ثمّ قال لفريبي: «اخلع ملابسك».

خلع فريبي سترته، ثمّ قميصه الأسود، فظهر أنّ حافّة الحوض قد تركت على صدره علامة باللون الورديّ الشاحب، على شكل خطّ منحنٍ يشبه الفم المبتسم.

قال پيتر: «اللعنة!».

تفحّص نيلس جذور شعر الشابّة، مسلّطًا عليها كشّافًا صغيرًا، ثمّ أشار إلى الجلد الشاحب تحت شعرها، وقال: «لست بحاجة حتّى إلى مجهر لرؤية ذلك؛ ثمّة مَن جذبها بشدّة من شعرها».

أغلق نيلس الكشّاف، وأعاده إلى جيب معطفه الأبيض.

قال جونا: «بعبارة أخرى...».

أكمل نيلس: «بعبارة أخرى، أنت بالطّبع مُحِقّ».

وتنهّد سڤانيالم قائلًا: «جريمة قتل».

علّق فريبي وهو يمسح وجنتيه: «مذهل!».

قال جونا بصوت خافت: «شكرًا».

فنظر إليه نيلس سائلًا: «ما الأمر يا جونا؟ ما الذي تراه؟».

«إنّها ليست هي».

«ماذا؟».

نظر جونا إلى نيلس، ثمّ أشار إلى الجثمان المستلقي أمامهم.

«هذه ليست پينيلوپي فرنانديز»، قال جونا ونظر إلى كبير مدّعي العموم، ثمّ تابع: «تشبهها، ولكنّها ليست هي؛ لقد رأيت رخصة قيادة پينيلوپي، وأنا متأكّد من أنّها ليست الشابّة الميّتة نفسها».

«لكن ماذا...».

قال جونا: «ربّما ماتت پينيلوپي هي الأخرى. ولكن إن صحّ ذلك، فإنّنا لم نعثر عليها بعد».

14

ما زال قلب پينيلوپي يخفق بسرعة رهيبة وهي تحاول التنفّس بهدوء، ولكنّها تشعر بأنّ الهواء يقف في حلقها. ركضت هي ويورن مذعورَيْن من دون النظر خلفهما. كلما تعثّرا وسقطا، نهضا لمعاودة الجري. تخطّيا الأشجار الواطئة، التي جرّحت سيقانهما ورُكبهما وأياديهما، لكنّهما استمرّا في الهرب.

لم يعُد عند پينيلوپي أيّ إحساس بمدى قرب من يطاردهما. ربّما وقع نظره عليهما مجدّدًا، وربّما توقّف أو قرّر الانتظار.

على أيّ حال، لم تستطع فهم السبب وراء مطاردته لهما.

فكّرت في أنّ كلّ ذلك خطأ. خطأ فادح.

بدأ نبض پينيلوپي في التباطؤ. شعرت بالإعياء، وبأنّها على وشك التقيّؤ، لكنّها بدل ذلك راحت تبلع بصعوبة.

همست لنفسها: «يا إلهي، يا إلهي، هذا مستحيل. علينا الحصول على المساعدة. يجب أن يعثر أحد على المركب، ويبدأ في البحث عنّا...».

همس يورن والخوف في عينيه: «صَه!».

راحت يدا پينيلوپي تهتزّان. مجموعة من الصور تتلاحق في رأسها بسرعة البرق. تنظر إلى حذائها الرياضيّ الأبيض، وإبر شجر التنّوب البنّية على الأرض، وركبتي يورن المتّسختين الملطّختين بالدماء، ولكن هذه الصور لم تذهب من أمام عينيها: صورة ڤيولا وهي تجلس ميّتة على السرير، عيناها مفتوحتان من دون أيّ تعبير، وجهها ملطّخ شاحب مبتلّ، شعرها مرتخٍ يقطر منه الماء.

شعرت پينيلوپي أنّ الرجل الواقف على الشاطئ يستدعي يورن للرجوع إلى اليابسة هو الشخص نفسه الذي قتل أختها. كانت تشعر بذلك، وقد ربطت الخيوط القليلة التي لديها، وكوّنت الصورة على الفور. لو لم تدرك ذلك، لكانت هي ويورن في عداد الأموات.

شيء ما يحدث لعقلك عندما تصاب بالهلع. الهلع ليس ثابتًا، في الغالب، بل يُستبدل بالتفكير العقلانيّ. فالأمر يبدو مثل إيقاف صوت الضجيج المرتفع، لتجد نفسك محاطًا بالهدوء والإدراك غير المتوقَّع الواضح للموقف، ثمّ يعود الخوف والأفكار إلى مسار واحد مجدّدًا، وهو أنّ كلّ ما عليك فعله هو الجري والهروب ممّن يطاردك.

تفكّر پينيلوپي كم أنّهما بحاجة إلى العثور على أناس آخرين. لا بدّ من وجود مئات من الأشخاص في «أورنو» هذا المساء. عليهما العثور على أماكن آهلة بالسكّان في أقصى جنوب هذه الجزيرة، ومن ثمّ يمكنهما طلب المساعدة، والحصول على هاتف للاتّصال بالشرطة.

شعرت وهي تجري بظهور من يطاردهما مجدّدًا، واعتقدت أنّها تسمع خطواته الطويلة الواسعة. كانت تعلم أنّه لم يكفّ عن الجري، وأنّه سيلحق بهما إذا لم يحصلا على المساعدة عاجلًا.

انتابتها موجة من الهستيريا. أرادت بقوّة أن تقف وتصرخ لطلب المساعدة، ولكنّها كانت تدفع نفسها إلى الاستمرار ومواصلة التسلّق.

سعل يورن خلفها وهو يحاول التقاط أنفاسه.

ماذا لو لم تكن ڤيولا ميّتة؟ ماذا لو كانت تحتاج إلى مساعدة؟

هي تدرك أنّها تفكّر في أمور مستحيلة لأنّ الحقيقة أسوأ بكثير. تعرف أنّ ڤيولا ماتت، ولكنّها لا تفهم موتها. أو هي لا تريد أن تستوعبه، ولا تحاول حتّى استيعابه.

تدافع الاثنان على جرف حادّ آخر، خلف أشجار الصنوبر والصخور وشجيرات اللينغونبيري. على الجانب الآخر من التلال، تنحدر الغابات نحو الجانب الغربيّ من شاطئ الجزيرة.

بين الأشجار المظلمة، رأيا السطح الشاحب للمياه بالقرب منهما، فركضا أسفل المنحدر، حيث سمعت پينيلوپي صوت موسيقى، يتبعه أصوات أشخاص وضحكات صاخبة.

ظهر يورن بجانبها وهو يحاول دفعها إلى أعلى، ويشير لها بأنّ ثمّة حفلة في مكان ما أمامهما. عاودا الركض يدًا بيد. بين الأشجار المظلمة، رأيا أكاليل ملوّنة من الأضواء التي تلمع على حواجز الشرفة الخشبيّة المطلّة على المياه.

راحا يمشيان بحذر. هناك مجموعة من الأشخاص الجالسين حول طاولة أمام ظُلّة صيفيّة جميلة باللون الأحمر. أدركت پينيلوپي أنّه منتصف الليل، على الرغم من أنّ السماء ما زالت مضيئة. يبدو أنّهم انتهوا من تناول الطعام منذ وقت طويل، حيث إنّ الطاولة تعجّ بالأكواب وفناجين القهوة وفوط السفرة وأطباق الوجبات الخفيفة الفارغة.

جلس بعضهم يغنّي على الطاولة، وأخذ بعضهم الآخر يتبادل أطراف الحديث، ويعيد ملء الأكواب، بينما الشوّاية ما زالت ساخنة. أمّا يورن وپينيلوپي فكانا يبدوان من عالم مختلف تمامًا.

شخص واحد فقط كان خارج هذه الدائرة، يقف على أحد الجوانب ووجهه مصوّب نحو الغابة، كأنّه يتوقّع زوّارًا. توقّفت پينيلوپي فجأة وتشبّثت بيد يورن. نزلا إلى الأرض، وتسلّلا إلى خلف الشجرة. بدا الخوف على يورن- من دون أن يفهم ما يجري- ولكنّها بدت متأكّدة ممّا رأته؛ لقد اكتشف من يطاردهما أيّ الدروب سيسلكان، وسبقهما إلى المنزل، إذ أدرك أنّ الأضواء وأصوات الاحتفال ستجذبهما. لذا فقد انتظرهما وراح يراقب وصولهما عبر الأشجار المظلمة، متلهّفًا لرؤيتهما عند حافّة الغابة.

ثمّ اختفى.

بدأت پينيلوپي بالتفكير في أنّ رحلتهما قد تكون انتهت، وأنّ بإمكانهما النزول إلى الحفلة وإبلاغ الشرطة، عندما لمحته مجدّدًا.

كان واقفًا بجانب جذع شجرة غير بعيد على الإطلاق.

بحركات مدروسة، رفع مطاردهما منظارًا بعدستين لونهما أخضر فاتح.

15

تردّد في المكان صوت يُشبه ضربات كرة متكرّرة على الجدار أسفل نافذة مكتب «الإبرة». انتظر الأخير مع جونا في صمت كلوديا فرنانديز، التي طُلِب منها الحضور إلى إدارة الطبّ الشرعيّ، في الصباح الباكر ليوم الأحد، لكي تتعرّف على جثمان الشابّة.

حين اتّصل بها جونا ليخبرها بأنّه يخشى أن تكون ابنتها ڤيولا قد ماتت، بدا صوت كلوديا هادئًا بغرابة.

ردّت: «لا، ڤيولا بصحبة أختها في الأرخبيل».

«على مركب يورن ألمسكوغ؟»، سألها جونا.

«أجل. أنا من اقترح عليها الاتّصال ببينيلوبي ومرافقتها. ظننت أنّه من الأفضل لها قضاء بعض الوقت بعيدًا».

«هل ذهب معهما أيّ شخص آخر؟».

«حسنًا، من الواضح أنّه يورن».

انتظر جونا لعدّة ثوانٍ، ثمّ قال لها بلطف شديد: «كلوديا، أطلب منكِ المجيء إلى 'إدارة الطبّ الشرعيّ' في 'سولنا' أرجوكِ».

«لأيّ غرض؟».

والآن جونا جالس على كرسيّ غير مريح في مكتب نيلس، الذي وضع صورة صغيرة لفريبي أسفل إطار صورة زفافه. استمرّ تردّد الصوت الأجوف الوحيد لضرب الكرة بالحائط. لاحظ كيف تغيّر صوت أنفاس كلوديا حين أدركت أخيرًا أنهم ربّما عثروا على جثّة ابنتها.

اتّصل جونا بسيّارة أجرة لاصطحاب كلوديا من منزلها في «غوستافسباري». لا بدّ من أن تكون معهما خلال بضع دقائق.

حاول نيلس بفتور البدء في محادثة قصيرة مع جونا، ولكنّه توقّف عندما أدرك أنّه لن يستجيب إلى ذلك.

كلاهما يريدان إنهاء هذا وحسب.

سمعا خطوات أقدام في الردهة، بينما هما يحاولان الوقوف على أقدامهما.

حدّث جونا نفسه بأنّ رؤية جثّة أحد أفراد الأسرة جزء مهمّ وضروريّ من إجراءات الدفن. قرأ مرّة أنّ عمليّة التعرّف على الجثمان تُعدّ شكلًا من أشكال التحرّر، لأنّه لم تعد ثمّة فرصة للاعتقاد في تخيّلات وهميّة بأنّ من نحبّ ما زال على قيد الحياة.

لكنّه كان يدرك أنّ هذا التفكير ليس إلّا هراء؛ ما الموت إلّا فاجعة.

وقفت كلوديا، وهي امرأة في الستينيّات من عمرها، عند الباب والخوف يملأ عينيها، وآثار الدموع والقلق تهيمن على وجهها، ويبدو جسدها متجمّدًا متعرّجًا.

بدأ جونا حديثه بلطف: «مرحبًا. اسمي جونا لينا، وأنا أعمل محقّقًا. لقد حدّثتك على الهاتف».

ثمّ قدّم نيلس نفسه بهدوء شديد، واستدار على الفور متظاهرًا بأنّه يفرز بعض الملفّات. قد يبدو على نيلس أنّه فظّ وغير مبالٍ، لكنّ جونا يعلم أنّه حزين للغاية.

همست كلوديا: «حاولت الاتّصال بابنتيّ، ولكنّني لم أصل إليهما. لا بدّ من أنّهما...».

قاطعها نيلس وكأنّه لم يسمعها: «هل نذهب؟».

تحرّك الجميع في هدوء عبر الممرّات المألوفة. ومع كلّ خطوة، كان جونا يشعر بأنّ الهواء يتلاشى في المكان، بينما تجرّ كلوديا قدميها من دون عجلة للذهاب إلى ما ينتظرها؛ كانت تمشي ببطء على بُعد عدّة أمتار خلف نيلس الذي تتأرجح أمامها قامته الطويلة المحدّدة بدقّة. ولكنّ جونا استدار، وحاول التبسّم لكلوديا، فقد كان عليه مقاومة الذعر والتوسّل اللذين يراهما في عينيها.

صحباها إلى الغرفة الباردة التي تُحفَظ فيها الجثث.

انحنى نيلس وفتح أحد الأبواب المصنوعة من الستانلس ستيل، وسحب دُرجًا إلى الخارج.

ظهرت الشابّة مغطّاة حتّى الرقبة بغطاء أبيض. عيناها الباهتتان نصف مغلقتين، ووجنتاها غائرتان.

طوّق شعرها رأسها الجميل كإكليل أسود، وبدت إحدى يديها صغيرة شاحبة بجوار فخذها.

تقدّمت كلوديا وهي تلتقط أنفاسها بسرعة. أمسكت بيد الجثّة بعناية، ثمّ تأوّهت. كان صوت أنينها يأتي من الداخل، كأنّها مكسورة إلى نصفين، أو كأنّ روحها تحطّمت.

اهتزّ جسمها، وسقطت على ركبتيها، ضاغطة بشفتيها على يد ابنتها التي فارقت الحياة.

انتحبت قائلة: «لا، لا. يا إلهي، يا إلهي! ليس ڤيولا، ليس ڤيولا».

كان جونا يقف خلف كلوديا ببضع خطوات، ويرى ظهرها يرتجف من البكاء، ويسمع صوت نحيبها اليائس يرتفع، ثمّ يتلاشى ببطء.

مسحت كلوديا الدموع عن وجهها، ولكنّها كانت تتنفّس بشكل غير منتظم، عندما نهضت عن الأرض.

سألها نيلس: «هل يمكنك تأكيد أنّها ڤيولا فرنانديز، ابـنـ...».

تلاشى صوت نيلس، فتنحنح بسرعة وغضب.

هزّت كلوديا رأسها، وبلطف مسحت خدّ ابنتها بأطراف أصابعها بلطف، قائلة: «ڤيولا. ڤيوليتا...».

سحبت كلوديا يدها المرتجفة، فقال جونا بلطف: «أنا آسف جدًّا جدًّا».

كادت كلوديا تسقط على الأرض، ولكنّها استندت إلى الحائط، وذهبت بعيدًا وهي تهمس لنفسها: «كنّا سنذهب إلى السيرك يوم السبت؛ كانت مفاجأة لـڤيولا».

نظر الجميع إلى جثمان الشابّة، وشفتيها الشاحبتين، والأوردة في رقبتها.

قالت كلوديا بيأس وهي تنظر إلى جونا: «معذرة، لقد نسيت اسمك».

«جونا لينا».

ردّدت كلوديا بصوتٍ مثقلٍ: «جونا لينا. سأحكي لك عن ڤيولا، إنّها ابنتي الصغيرة المرحة...».

حدّقت كلوديا إلى وجه ڤيولا الأبيض الشاحب، ثمّ ترنّحت على جانبيها.

سحب نيلس لها كرسيًّا، ولكنّها هزّت رأسها فقط.

قالت: «آسفة. الأمر فقط... ابنتي الكبيرة پينيلوپي مرّت بكثير من الصعاب في السلڤادور. وكلّما أفكّر بما فعلوه معي بالسجن، وأتذكّر كيف كانت پينيلوپي خائفة... كانت تبكي وتستنجد بي، ساعة تلو الأخرى، ولكنّني لم أكن قادرة على الذهاب إليها. لم أتمكّن من حمايتها...».

نظرت كلوديا إلى عيني جونا، ثمّ خطت خطوة تجاهه، فوضع ذراعه برفق حولها. انحنت هي بشدّة على صدره والتقطت أنفاسها، ثمّ انسحبت وأمسكت بظهر الكرسيّ؛ جلست وقالت: «كان أفضل إنجازاتي... أن أضمن لصغيرتي ڤيولا مولدًا في السويد. كان لديها غرفة جميلة، فيها عاكس ضوء ورديّ، وكثير من الألعاب والدمى. كانت تذهب إلى المدرسة، وتشاهد 'بيبي ذات الجوربين الطويلين'... لا أفترض أنّك تفهم ما أقصد، ولكنّني كنت سعيدة جدًّا بأنّها لم تعرف طريق الجوع أو الخوف مثلنا... مثلي أنا وپينيلوپي. ما زلنا نستيقظ في منتصف الليل، خوفًا من اقتحام أحد ما منزلنا، وارتكاب أشياء فظيعة...».

توقّفت كلوديا عن الكلام، ثمّ همست: «لم تعرف ڤيولا سوى السعادة».

مالت نحو الأمام وهي تُخفي وجهها بيديها، وتبكي في هدوء. وضع جونا يده برفق على ظهرها.

قالت وهي تبكي: «سأذهب الآن».

«لسنا على عجلة من أمرنا».

هدأت كلوديا قليلًا، ولكنّ تعابير وجهها دلّت على أنّها على وشك أن تبدأ نوبة أخرى من الانتحاب، ثمّ سألت: «هل تحدّثت إلى پينيلوپي؟».

فأجاب جونا بهدوء: «لم نتمكّن من التواصل معها».

«أخبرها أنّني أريدها أن تتّصل بي، لأنّني...».

توقّفت كلوديا عن الكلام، وبدا وجهها شاحبًا مجدّدًا، ونظرت إلى أعلى. وتابعت: «ظننت أنّها ربّما لا تريد الردّ على مكالمتي، لأنّني... كنت... قلت لها شيئًا سخيفًا، ولكنّني لا أقصد، لا أقصد...».

قال جونا: «بدأنا البحث بمروحيّة عن پينيلوپي ويورن ألمسكوغ، ولكن...».

همست كلوديا لجونا: «أرجوك يا جونا لينا، قل لي إنّها حيّة. أحتاج إلى سماع ذلك بشدّة».

كانت عضلات فكّ جونا تؤلمه وهو يمسح بيده ظهر كلوديا، ويقول لها: «سأفعل ما بوسعي...».

قاطعته: «قل لي إنّها على قيد الحياة. يجب أن تكون على قيد الحياة».

قال جونا: «سأعثر عليها. أنا أعرف أنّني سأعثر عليها».

«قل لي إنّ پينيلوپي على قيد الحياة».

تردّد جونا. ومضت الأفكار في عقله، ثمّ سمع نفسه فجأة يقول: «إنّها على قيد الحياة».

16

ساعد جونا كلوديا على ركوب التاكسي، ثمّ انتظر حتّى غابت السيّارة عن الأنظار، قبل أن يبدأ البحث عن هاتفه في جيوبه ويتّصل برقم إريكسون.

أجاب إريكسون: «ماذا؛ إنّه يوم الأحد».

«أأنت على القارب؟».

«أعترف أنّني هناك».

«إذن، لم يكن ثمّة متفجّرات؟».

«ليس بالضبط. ولكنّك كنت محقًّا؛ قد ينفجر في أيّ لحظة».

«ماذا تقصد؟».

«أُلحِق بالكابلات ضررٌ بالغٌ في مكان واحد. يبدو أنّها مُزِّقت. لا يوجد مساس بالمعدن لأنّ ذلك من شأنه قطع الدائرة الكهربائيّة، ولكنّه تُرِك مكشوفًا... وعندما تبدأ تشغيل اليخت، من السهل جدًّا حدوث تماس كهربائيّ ناتج عن اندفاع الطاقة الكهربائيّة، ومن ثمّ التقوّس الكهربائيّ».

«ماذا؟».

«تفوق درجة حرارة هذا التقوّس الكهربائيّ ثلاثة آلاف درجة، ومن السهل أن يُشعل نارًا في وسادة قديمة حشرها شخص ما هناك. وبعد ذلك، يمكن أن تسري النيران على طول الأنبوب من خزّان الوقود، و...».

«لذا ستكون سريعة؟».

«حسنًا... قد يستغرق التقوّس الكهربائيّ نحو عشر دقائق أو أكثر... ولكن بعد ذلك، سيكون الأمر سريعًا-نيران أكثر فأكثر وانفجارات. سيمتلئ القارب بالماء تقريبًا على الفور، ثمّ يغرق».

«إذن، في حالة ترك المحرّك على وضعيّة التشغيل، كان سيحدث حريق وانفجار؟».

أجاب إريكسون: «نعم، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الأمر بفعل فاعل».

قال جونا: «ربّما مُزّقت الكابلات وحدها؟ وتُركت الوسادة هناك بالصدفة!».

فكّر جونا في واقعة العثور على المركب وهو ينجرف، ثمّ تنحنح، وقال بتمعّن شديد: «إذا فعل القاتل هذا...».

«فهو إذًا قاتلٌ غير عاديّ»، استنتج إريكسون.

كان جونا يفكّر في هذه المسألة بالفعل: إنّهم لا يتعاملون مع قاتل عاديّ. فالقاتل العاديّ يميل إلى التفاعل عاطفيًا، حتّى إن خطّط للقتل مسبقًا. ثمّة دائمًا كثير من الانفعالات المتزايدة في مسرح الجريمة، وغالبًا ما يصاحب عنصر هستيريّ جرائم القتل. وإذا كانت ثمّة خطّة محدّدة،

فعادةً لا تظهر إلّا بعد ذلك، في محاولة لإخفاء الفعل وتكوين الأعذار. ولكن يبدو أنّ القاتل هنا قد اتّبع منذ البداية خطّة محدّدة للغاية.

ولكنّ شيئًا ما في الخطّة مضى بشكل خاطئ.

حدّق جونا إلى الفضاء لوقت قصير، ثمّ كتب اسم ڤيولا فرنانديز في أعلى إحدى أوراق مفكّرة نيلس. رسم دائرة حوله، ثمّ أضاف اسمَيّ پينيلوپي فرنانديز ويورن ألمسكوغ تحته. ڤيولا وپينيلوپي أختان، وپينيلوپي ويورن على علاقة منذ وقت طويل، والأخير يملك المركب. طلبت ڤيولا الالتحاق بهما في آخر دقيقة.

إنّ تحديد الدافع وراء القتل طريق طويل متعرّج.

إذا اتّبع نموذج «اللجنة الوطنيّة لمكافحة جرائم القتل» لتوجّهت شكوك جونا إلى صديق ڤيولا–وربّما پينيلوپي ويورن، لأنّهما كانا معها على القارب. ولأدرج الممنوعات في القضيّة. ربّما كان ثمّة غيرة بينهما أو عدم انسجام.

حاول أن يفهم لماذا أراد القاتل أن يفجّر خزّان الوقود. لقد أُغرِقت ڤيولا في حوض على سطح القارب، ثمّ حملها القاتل إلى أسفل، حيث المقصورة، وتركها في السرير.

عرف جونا أنّه يفكّر في أشياء كثيرة في الوقت نفسه. عليه التوقّف، والبدء في هيكلة الأشياء بناءً على ما يعرفه بالفعل، والأسئلة التي لا تزال بحاجة إلى إجابة.

رسم دائرة أخرى حول اسم ڤيولا، وبدأ من جديد.

يعرف أنّ ڤيولا أُغرِقت في حوض، ثمّ وُضِعت في سرير المقصورة الأماميّة، ولم يُعثَر على پينيلوپي فرنانديز ويورن ألمسكوغ بعد.

ولكن هذا ليس كل شيء، قال لنفسه، وهو يقلب صفحة جديدة.

تفاصيل.

كتب كلمة «هدوء» على الدفتر. وأخذ يفكّر في أنّه عُثِر على القارب

وهو ينجرف بهدوء قبالة «دالارو» في بحر من دون رياح، وثمّة تلف بمقدّمة القارب نتيجة اصطدام عنيف.

ألقى جونا بمفكّرة نيلس، فارتطمت بالحائط بشدّة، ثمّ أغمض عينيه.

همس بالفنلندية: «شيطان!».

دارت في رأسه فكرة، ولكنّها طارت مجدّدًا. كان على وشك تحقيق تقدّم، بيد أنّ الأمر أفلت منه مرّة أخرى.

حدّث جونا نفسه: «ڤيولا، لقد متّ على السطح الخلفيّ للقارب، فلماذا نُقلت بعد وفاتك؟ من نقلك؟ القاتل أم شخص آخر؟».

ثمّ تدفّقت أفكاره: إذا وجدت أحدًا ما على سطح مركب، وظننت أنّه قد فارق الحياة، فقد تحاول إنعاشه. ستتّصل برقم 112. هذا ما كنت ستفعله. وإذا أدركت أنّه قضى نحبه وفات الأوان، فقد تفكّر في عدم تركه مستلقيًا هناك، وترغب في نقله إلى الداخل وتضع عليه غطاء. ولكنّ جثمان الميّت يكون ثقيلًا، ومن الصعب تحريكه حتّى إذا كان ثمّة شخصان. إذن، لم يكن صعبًا جدًّا نقل ڤيولا إلى الصالون الذي يقع فقط على بُعد خمسة أمتار، عبر بابين زجاجيّين واسعين، وخطوة واحدة إلى أسفل.

هذا ممكن، حتّى من دون أيّ نيّة محدّدة.

لكنّك لن تأخذها أسفل درج منحدر عبر ممرّ ضيّق لمجرّد أن تضعها في سرير المقصورة. أنت تفعل ذلك فقط إذا كنت تريد العثور عليها غارقة في غرفتها على متن قارب مغمور.

وقف جونا متمتمًا: «بالضبط».

نظر عبر النافذة إلى امرأة تقود درّاجة ثمّ تختفي بين الأشجار، وفجأة، عثر على الحلقة المفقودة.

جلس مجدّدًا وقرع بأصابعه على المكتب.

لم يُعثَر على جثّة پينيلوپي على القارب، بل جثّة أختها ڤيولا. كما لم يُعثَر عليها في سريرها أو مقصورتها، بل كانت في المقصورة الأماميّة، في سرير پينيلوپي.

سرت قشعريرة في ظهر جونا وهو يفكّر في أنّ القاتل ربّما ارتكب الخطأ نفسه الذي وقع هو فيه.

لقد ظنّ أنّه قتل پينيلوپي فرنانديز.

لذا وضعها على سريرها في المقصورة الأماميّة.

هذا هو التفسير الوحيد، وهو يدلّ على أنّ پينيلوپي ويورن ليسا مسؤولَين عن موت ڤيولا، لأنّهما ما كانا ليضعاها على السرير الخطأ.

دُهِش جونا حين رأى نيلس يدفع الباب بظهره، ويدخل حاملًا صندوقًا كبيرًا مغطّى بورق أحمر، مكتوب على واجهته «بطل الغيتار».

قال نيلس: «سنبدأ أنا وفريبي...».

«هدوء»، صاح جونا.

«ماذا حدث؟».

«لا شيء. فقط أحتاج إلى أنّ أفكّر».

نهض جونا، وترك الغرفة من دون التفوّه بكلمة واحدة. مشى إلى خارج المبنى تحت أشعّة الشمس المبكرة، وتوقّف عند المنطقة العشبيّة المجاورة لموقف السيّارات.

أخذ يفكّر في أنّ ثمّة شخصًا رابعًا لا يعرف الأختين قتل ڤيولا، ولكنّه ظنّ أنّه قتل پينيلوپي. وهذا يعني أنّ الأخيرة كانت لا تزال على قيد الحياة حين قتل الأولى، وإلّا لما ارتكب هذا الخطأ.

فكّر جونا في أنّ پينيلوپي قد تكون على قيد الحياة. قد تكون ميتة في مكان ما في الأرخبيل، ولكنّ كلّ الأسباب تجعله يأمل في أنّها لم تمت. وفي هذه الحالة، لن يستغرق العثور عليها وقتًا طويلًا.

انطلق قاصدًا سيّارته التي رأى هاتفه على سقفها. لا بدّ من أنّه تركه وهو يغلقها. أخذه واتّصل بـآنيا، التي لم تردّ. ظلّ جالسًا داخل سيّارته، في محاولة منه لإيجاد ثغرة في تفكيره.

كان الهواء متوقّفًا، ولكنّ الرائحة القويّة لشجيرات الليلك أخرجت

أخيرًا رائحة الخميرة في المشرحة من أنفه. عندما رنّ الهاتف في يده، نظر إلى الشاشة قبل أن يردّ.

قالت آنيا: «كنت أتحدّث للتوّ إلى طبيبك».

سأل جونا في دهشة: «لماذا كنت تتحدّثين إليه؟».

ردّت بنبرة توبيخ: «يقول إنّك لا تزوره أبدًا».

«لم يكن لديّ وقت».

«ولكنّك تأخذ الدواء؟».

مازحها قائلًا: «مذاقه سيّئ».

«خذ الأمور على محمل الجدّ... اتّصل الطبيب لأنّه قلق عليك».

«سأتحدّث معه».

«عندما تحلّ هذه القضية، تقصد؟».

سأل جونا مغيّرًا الموضوع: «هل لديكِ ورقة وقلم في متناول يدك؟».

فأجابت آنيا وهي تتنهّد: «أجل».

«التي عُثِر عليها في القارب ليست پينيلوپي فرنانديز».

«أجل. عرفت من پيتر أنّها ڤيولا».

«حسنًا».

«كنت مخطئًا يا جونا».

«أجل. أعلم ذلك...».

«قل إنّك كنت مخطئًا»، مازحته.

«أنا دائمًا مخطئ»، ردّ بهدوء.

قالت آنيا بتردّد: «إذن، ليس مسموحًا لنا بالمزاح حول هذا الأمر؟».

«هل تمكّنتِ من معرفة أيّ شيء عن القارب أو ڤيولا فرنانديز؟».

«ڤيولا أخت پينيلوپي التي كانت على علاقة بـيورن على مدار السنوات الأربع الماضية».

«أجل. هذا مشابه لما فكّرت به إلى حدٍّ كبير».

«حسنًا. هل تريد أن أكمل أم أنّك تعرف كلّ شيء؟».

لم يعلّق جونا على ما قالته، بل أمال رأسه فقط إلى الخلف.

تابعت آنيا: «كان من المفترض ألّا تكون ڤيولا معهما على القارب. تعاركت مع صديقها سيرغاي ياروشينكو صبيحة هذا اليوم، ثمّ اتّصلت بوالدتها وهي تبكي، فكانت فكرة والدتها أن تسأل پينيلوپي عن إمكانيّة الذهاب معهما».

«ماذا تعرفين عن پينيلوپي؟».

«أعطيت أولويّة للضحيّة ڤيولا...».

«لكنّ القاتل ظنّ أنّه قتل پينيلوپي».

«انتظر يا جونا! ماذا قلت للتوّ؟».

«لقد ارتكب خطأً. كان يخطّط لقلب جريمة القتل إلى حادث، لكنّه وضع ڤيولا في سرير أختها».

«لأنّه ظنّ أنّ ڤيولا هي پينيلوپي».

«أريد أن أعرف كلّ شيء عن پينيلوپي فرنانديز، وكذلك...».

«أنا من أشدّ المعجبين بها؛ إنّها واحدة من دعاة السلام. '3 شارع سانت بول' عنوانها».

«أصدرنا تعميمًا بشأنها هي وبورن ألمسكوغ. ووجّه خفر السواحل مروحيّتين لتفتيش المنطقة المحيطة بـ'دالارو' ولكنّه بحاجة إلى التنسيق مع الشرطة البحريّة لإجراء تفتيش تامّ للجزيرة».

قالت: «سأتحقّق ممّا يجري».

«كما أنّنا بحاجة إلى التحدّث مع صديق ڤيولا، وبيل بيرسون الصيّاد الذي عثر على جثّتها. نحتاج إلى إعداد تقرير طبّ شرعيّ شامل عن القارب، وتسريع الحصول على النتائج من المختبر».

«هل تريد منّي الاتّصال بـلينشوبين؟».

«سأتحدث إلى إريكسون؛ إنّه يعرفهم. سأقابله قريبًا لنلقي نظرة داخل شقّة پينيلوپي».

«تتحدّث كأنّك المسؤول عن التحقيق».

17

ما زالت سماء الصيف صافية. لكن الطقس يزداد رطوبة، كأنّ عاصفة على الأبواب. ركن جونا وإريكسون السيّارة عند متجر قديم يبيع الطُعوم وأدوات الصيد، ودائمًا يعرض صورًا لأشخاص يحملون سمك السلمون.

رنّ هاتف جونا، ورأى أنّ كلوديا فرنانديز تتّصل به. مشى بمحاذاة جدار وفتح الخطّ.

قالت بصوت ضعيف: «قلت لي إنّه بإمكاني الاتّصال بك».

«بالطبع».

«أدرك أنّك ربّما تقول الشيء نفسه للجميع، ولكنّني فكّرت... ابنتي پينيلوپي. أقصد... أريد أن أعرف إذا عثرتم على أيّ شيء، حتّى لو...».

تلاشى صوت كلوديا، فسأل جونا: «كلوديا؟».

فهمست: «أجل. آسفة».

«أنا محقّق... أبحث في النشاط الإجراميّ، بينما يبحث خفر السواحل عن پينيلوپي».

«متى سيعثرون عليها؟».

«عادةً ما يبدأ خفر السواحل بتمشيط المنطقة بالمروحيّات. كما أنّهم ينظّمون عمليّة بحث ميدانيّ على الجزر، ولكنّ هذا الأمر يستغرق وقتًا أطول، لذا فإنّهم يلجأون إلى المروحيّات في البداية».

أثناء حديثه، سمع جونا كلوديا وهي تحاول كبح دموعها.

قالت: «لا أعرف ما بإمكاني فعله، أنا... أريد أن أعرف إن كان ثمّة شيء يمكنني فعله حيال ذلك. هل أواصل التحدّث إلى أصدقائها؟».

«أفضل شيء تقومين به هو الانتظار في المنزل؛ ربّما تحاول پينيلوپي الاتّصال بك. ثمّ...».

«لن تتّصل بي».

«أعتقد أنّها...».

«أنا دائمًا أقسو على پينيلوپي. أغضب منها، ولا أعرف السبب وراء ذلك. أنا... لا أريد أن أفقدها. لا أقدر على فراق پينيلوپي. أنا...».

بكت كلوديا وهي تتحدّث على الهاتف، وحاولت أن تكفّ عن البكاء، ثمّ اعتذرت، وأنهت المكالمة.

يقع متجر أدوات الصيد مقابل المبنى رقم 3 في شارع «سانت بول»، حيث تسكن پينيلوپي. ذهب جونا ليلحق بإريكسون الذي كان ينتظره أمام واجهة عرض المتجر المليئة بصور سلسلة «المانغا» للرسوم المتحرّكة، وحيث كانت الرفوف مليئة بالدمى المتحرّكة الرأس؛ كان المحلّ بأسره يمثّل تناقضًا كبيرًا مع الواجهة البنّيّة القذرة للمبنى.

قال إريكسون وهو يشير إلى إحدى الدمى: «ذات الرأس الكبير».

«ظريفة»، همس جونا.

مازحه إريكسون: «لديّ الشيء نفسه في الخلف. أنا عالق في جسم كبير».

ابتسم جونا وهو يفتح الباب الواسع له. بدت رائحة مطلع الدرج مزيجًا من رائحة الطوب المجفّف بالشمس والغبار والمطهّرات. أمسك إريكسون بالدرابزين الأملس من كثرة الاستعمال، وقد أحدث صريرًا بينما الرجل يبذل جهدًا للّحاق بجونا. حين بلغا الطابق الثالث، نظر كلاهما إلى الآخر. ارتجف إريكسون من الإجهاد. أومأ برأسه ماسحًا العرق الذي يقطر على حاجبه، وهمس معتذرًا إلى جونا.

قال جونا: «الطقس حارّ اليوم».

كانت هناك عدّة ملصقات على جرس الباب: رمز السلام، وشعار التجارة العادلة، وتصميم مناهض للطاقة النوويّة. حدّق جونا إلى إريكسون، وضاقت عيناه الرماديّتان حين وضع أذنه على باب الشقّة ليسمع.

همس إريكسون: «ماذا هناك؟».

واصل جونا التنصّت وهو يقرع جرس الباب. انتظر بضع ثوانٍ، ثمّ سحب علبة صغيرة من جيبه.

قال وهو يختار مفتاحًا للقفل بعناية: «لا شيء على الأرجح».

فتح الباب. وفجأة، غيّر رأيه وأغلقه مرّة أخرى. أشار إلى إريكسون أن يثبت في مكانه، من دون أن يعرف السبب. سمعا صوت عربة آيس كريم في الخارج. بدا على إريكسون القلق وأخذ يفرك ذقنه. أحسّ جونا بالقشعريرة في ذراعيه، ولكنّه فتح الباب بهدوء ومضى. كانت هناك صحف، وكتيّبات إعلانيّة، ورسالة من الحزب اليساريّ على بساط المدخل. كان الهواء ساكنًا عطِنًا، وثمّة ستارة مخمليّة مسحوبة نحو الخزانة.

لم يعرف جونا السبب وراء ما يفعله، ولكنّه وضع يده على جراب مسدّسه، ودفعه بأطراف أصابعه من دون أن يسحبه. نظر إلى الستارة، ثمّ باب المطبخ، وكان يتنفّس بهدوء وهو يحاول الرؤية من خلال الجزء الزجاجيّ للباب المؤدّي إلى غرفة المعيشة.

خطا خطوة إلى الأمام، رغم أنّه أراد بقوّة مغادرة الشقّة؛ وجّهه حدسه إلى طلب التغطية. تحرّك ظلّ أسود من خلف الزجاج الغبِش. تأرجحت القطع النحاسية المتدلّية من جرس الرياح ولكنّها لم تُصدر ضجيجًا. رأى جونا ذرّات من التراب في الهواء تغيّر اتّجاهها، متّبعةً تيّارًا هوائيًّا جديدًا.

إنّه ليس وحده في شقّة بينيلوبي.

بدأ قلبه يخفق بسرعة. ثمّة من يتحرّك بين الغرف. إنّه يشعر بذلك. استدار، ونظر إلى باب المطبخ، ثمّ حدث الأمر بسرعة رهيبة. راحت أرضيّة المطبخ المصنوعة من الخشب تُحدث صوتًا، وإذا به يسمع صوت إيقاع مثل النقرات الصغيرة. كان الباب المؤدّي إلى المطبخ نصف مفتوح. لمح جونا حركة في الفتحات بين المفصّلات، فاختبأ خلف الجدار. ثمّة شخص يتحرّك بسرعة في الردهة الطويلة المظلمة، ولكنّ جونا لم يرَ إلّا ظهره وكتفه وذراعه. اقترب الشخص بسرعة، والتفّ حول نفسه. لمح جونا شفرة السكّين اللامعة التي اندفعت تجاهه مثل القذيفة. كانت الزاوية غير متوقّعة قطّ، حتّى أنّه لم يملك الوقت لتفادي الضربة التي قطعت ملابسه، واصطدم طرفها بالمسدّس. رغم أنّه صوّب في اتّجاه ذلك

الشخص، لكنّه لم يُصبه. سمع جونا صوت السكّين وهو يقطع الهواء للمرّة الثانية، فتراجع إلى الخلف. كان تصويب حدّ السكّين هذه المرّة من أعلى، فاصطدم رأس جونا بباب الحمّام وهو يتفاداها، ويرى تطاير شريحة طويلة من تقشير الخشب حين قطع السكّين إطار الباب. سقط جونا على الأرض وتدحرج، ثمّ دفع بقدمه نزولًا في شكل منحنٍ، فأصاب شيئًا، ربّما أحد كاحلي مهاجِمه المجهول. تدحرج ليسحب مسدّسه، وأزاح صمّام أمان المسدّس بالحركة نفسها في سلاسة، بينما أصبح الباب الأماميّ مفتوحًا الآن. سمع جونا صوت خطوات سريعة تنزل على الدرج، فتحامل على قدميه، وكان على وشك اللحاق بالرجل، إلّا أنّه سمع صوت طقطقة خلفه. أدرك على الفور سرّ الضجيج. اندفع إلى المطبخ. كان الميكروويف في وضعية التشغيل. وراح يصدر صوت فرقعة، ويُرى من خلال بابه الزجاجيّ دخان أسود. كانت صمّامات شعلات مواقد الغاز الأربع مفتوحة، والغاز يتدفّق إلى الغرفة. ألقى جونا بنفسه على الميكروويف وصوت الفرقعة آخذ في الارتفاع. رأى علبة مبيد حشريّ تدور فوق الطبق الزجاجيّ داخل الميكروويف. سحب القابس من الحائط. توقّف الضجيج، وصار الصوت الوحيد الذي يسمعه الآن هو الصوت الرتيب لهسهسة الموقد المفتوح، قبل أن يغلق الغاز. ولكنّ رائحة المادّة الكيميائيّة بدأت تهيّج معدته، ففتح نافذة المطبخ، ثمّ نظر إلى عبوة المبيد داخل الميكروويف التي انتفخت بشدّة، وبات من الممكن أن تنفجر مع أخفّ لمسة لها.

ترك المطبخ مسرعًا، وتفقّد باقي الشقّة بسرعة. كانت الغرف خالية، ولم تُلمَس. الهواء لا يزال مثقلًا برائحة الغاز. على بسطة الدرج خارج باب الشقّة، كان إريكسون جالسًا على الأرض وفي فمه سيجارة.

صرخ جونا: «لا تشعلها!».

ابتسم إريكسون، ولوّح بيده.

قال هامسًا: «إنّها لفائف شوكولاتة».

سعل إريكسون بضعف، فدُهش جونا برؤية بركة من الدماء تحته.

«إنّك تنزف!».

«لا شيء خطير. لا أعرف كيف أصابني، ولكنّه قطع وتر العرقوب».

اتّصل جونا بالإسعاف، ومكث على الأرض بجانب إريكسون الذي بدا شاحبًا، وقد تبلّلت وجنتاه بالعرق، وظهر عليه الوهن بوضوح.

قال: «لقد جرحني من دون حتّى أن يتوقّف لفعل ذلك. كان الأمر... كان الأمر مثل هجوم أحد مقاتلي النينجا».

ثمّ خيّم الصمت على أرجاء المكان، وفكّر جونا في الحركات السريعة كالبرق خلف الباب، وطريقة قذف السكّين بسرعة وعزم لم يرهما من قبل.

قال إريكسون وهو يلهث: «هل هي هناك؟».

«لا».

فابتسم إريكسون بارتياح، وسأل: «لكنّه خطّط لتفجير المكان؟».

«على الأرجح، للتخلّص من أيّ أدلّة».

حاول إريكسون تقشير ورقة لفائف الشوكولاتة، لكنّها سقطت من يده، فأغلق عينيه. اتّشحت وجنتاه بالبياض المائل إلى الرماديّ.

قال جونا: «أظنّ أنّك لم ترَ وجهه أيضًا».

ردّ إريكسون بضعف: «لا».

«لكنّنا رأينا شيئًا ما. دائمًا ما يرى الناس شيئًا ما...».

18

كرّر المسعفون طمأنة إريكسون إلى أنّهم لن يُسقطوه.

قال وهو يغمض عينيه: «يمكنني السير».

كان ذقنه يرتجف مع كلّ خطوة يتّخذونها.

عاد جونا إلى شقّة پينيلوپي، وفتح باقي النوافذ لتهوية المكان من الغاز، ثمّ جلس على أريكة برتقاليّة اللون.

فكّر في أنّ انفجار الشقّة كان سيُعتبر «حادثة تسرّب غاز».

ذكّر نفسه بأنّ الذكريات لا تموت، وأنّ كلّ ما نراه لا يسقط أبدًا من ذاكرتنا.

سأل نفسه: «إذن، ماذا رأيت؟».

لم يرَ أيّ شيء، مجرّد حركة سريعة، وشفرة سكّين لامعة.

استنتج جونا فجأة: «هذا ما رأيته: لا شيء».

ثمّ قال لنفسه إنّ الغياب التامّ لرصد هذا الشخص يؤيّد فكرة أنّهم لا يتعاملون مع قاتل عاديّ.

إنّهم يتعاملون مع قاتل محترف مأجور، لديه القدرة على حلّ المشكلات، ويمكن الاعتماد عليه في المهام ذات الطابع الخاصّ. هذا يعني أنّ ثمّة شخصا آخر، أقوى منه، وراء ما يحدث.

كانت لديه بعض الشكوك بالفعل حيال هذه القضيّة، ولكن بعد المواجهة مع هذا الشخص، صار مقتنعًا بذلك.

تأكّد له أنّ الشخص الذي قابله في الردهة هو الشخص نفسه الذي قتل ڤيولا. كان ينوي قتل پينيلوپي، وإغراق القارب، وجعل الأمر كلّه يبدو وكأنّه حادث. ينطبق الشيء ذاته على شقّتها، قبل إفساد خطّته. أراد أن يبقى غير مرئيّ، ليواصل عمله بعيدًا عن الشرطة.

نظر حوله ببطء، محاولًا جمع ملاحظاته المتناثرة في شيء مترابط.

سمع أطفالًا يدحرجون الكرات على الأرض في الشقّة التي تعلو شقّة پينيلوپي. كان من الممكن أن تحاصرهم ألسنة اللهب لو لم يسحب قابس الميكروويڤ في الوقت المناسب.

بات جونا الذي لم يتعرّض من قبل لمثل هذا الهجوم المتعمّد الخطير، مقتنعًا بأنّ الشخص الذي كان داخل منزل پينيلوپي فرنانديز، داعية السلام، ليس عضوًا في مجموعة فاشيّة متعصّبة ربّما تخطّط بعناية لأعمال عدوانيّة، بل هو مجرم محترف في عصابة تفوق أيًّا من جماعات الجناح اليمينيّ المتطرّف في السويد.

من ثمّ، بدأ جونا يسأل نفسه: «إذن، ماذا كانت تفعل هنا؟ ماذا كان هذا المجرم المحترف يفعل داخل شقّتها؟ ما الذي ورّطت نفسها به؟».

ثمّ فكّر في الحركات غير المتوقّعة لهذا الرجل. إنّ تقنيّة السكّين التي استخدمها صُمِّمت لتتفوّق على أيّ مناورات دفاعيّة، بما في ذلك التقنيّات التي تدرسها الشرطة والجيش.

ارتجف جونا عندما فكّر في أنّ الضربة الأولى كانت ستصيب كبده، لو لم يكن المسدّس معلّقًا تحت ذراعه اليمنى، والضربة الثانية كانت ستصيب رأسه لولا أنّه رمى بنفسه إلى الخلف.

ذهب إلى غرفة النوم، ونظر إلى السرير المرتّب بعناية، والصليب المعلّق فوقه.

اعتقد القاتل المحترف أنّه قتل پينيلوپي، وكان هدفه أن يجعل الأمر يبدو حادثًا... ولكنّ القارب لم يغرق.

إمّا أنّه قد أُفسدت عليه خطّته، أو أنّه ترك مسرح الجريمة بنيّة العودة له لاحقًا، وإنهاء المهمّة، ولكن بالتأكيد لم يكن في نيّته العثور على القارب وهو ينجرف وعلى متنه فتاة غارقة، أو ربّما حدث خطأ ما أو جدّ شيء آخر دفعه إلى تغيير خططه فجأة. لعلّه تلقّى أوامر جديدة! ولكن بغضّ النظر عن السبب، فإنّه بعد يوم ونصف من قتل ڤيولا، كان القاتل في شقّة پينيلوپي.

قال مخاطبًا المجرم المتخيّل: «لا بدّ من أنّ لديكَ أسبابًا قويّة لدخول شقّتها. ما الذي دفعكَ للقيام بمثل هذه المخاطرة؟ هل ثمّة شيء يربطكما؟ أو مَن الذي أرسلكَ إلى شقّتها؟ أزحت آثار بصمات أصابع، أو مسحت ملفًّا عن الكمبيوتر، أو رسالة عن جهاز الردّ على المكالمات، أو حصلت على شيء ما؛ لعلّ ذلك ما كنتَ تخطّط له على أيّ حال، ولكنّني أفسدتُ عليك خطّتكَ حين وصلتُ. ربما كنتَ تخطّط لاستخدام الحريق وسيلة لإخفاء الأدلة؟ هذا احتمال».

إنّه بحاجة إلى إريكسون الآن. لا يمكنه إجراء تحقيق في مسرح الجريمة من دون خبير طبّ شرعيّ، فليست لديه الأدوات المناسبة، وقد

يعبث بالأدلّة إذا فتّش الشقّة بمفرده، وربّما يلوّث الحمض النوويّ، ويفقد القرائن غير المرئيّة.

ذهب إلى النافذة، ونظر إلى الشارع في الأسفل.

أدرك أنّه لا بدّ من أن يذهب إلى مقرّ الشرطة، ويتحدّث إلى مديره كارلوس، ويطلب منه أن يوكله بمهام التحقيق في هذه القضيّة. هذا هو الحلّ الوحيد لطلب خبير طبّ شرعيّ آخر لمساعدته بعد إصابة إريكسون.

رنّ هاتفه فور قرّر أن يذهب للتحدّث إلى كارلوس وسڤانيالم، وتشكيل فريق صغير لعمليّة التحقيق.

ردّ: «مرحبًا يا آنيا».

«هل يمكنك أن تخبرني كيف يبدو حمّام البخار الفنلنديّ».

«عشت معظم حياتي في ستوكهولم يا آنيا»، قال ذلك وذهب إلى الردهة، ومنها إلى الباب الأماميّ.

تابعت آنيا: «أعرف أنّك سويديّ فنلنديّ. هل ثمّة شيء أكثر مللًا من ذلك؟ لماذا لم تكن من السلڤادور؟ هل قرأت أيًّا من مقالات پينيلوپي فرنانديز؟ كان عليك أن تشاهدها وهي تهاجم على التلفاز تصدير الأسلحة السويديّة».

غادر شقّة پينيلوپي، ورأى آثار أقدام المسعفين الملطّخة بالدماء على الدرج، واقشعرّت فروة رأسه وهو يتذكّر زميله الذي استلقى في الردهة وقد تباعدت ساقاه، وبات وجهه شاحبًا أكثر فأكثر.

فكّر مجدّدًا في حقيقة أنّ منفّذ العمليّة اعتقد أنّه قتل پينيلوپي فرنانديز، وأنّه أنجز جزءًا من مهمّته، أمّا الجزء الآخر فهو يتعلّق بالذهاب إلى شقّتها لغرض ما. إذا كانت پينيلوپي على قيد الحياة، فيجب أن يكون العثور عليها هو الأولويّة، لأنّ الأمر لن يستغرق كثيرًا من الوقت حتّى يدرك القاتل المأجور خطأه فيلاحقها.

قالت آنيا: «لا يعيش يورن وپينيلوپي معًا».

«أجل. أعرف ذلك».

«ما زال بإمكان الناس أن يتحابّوا حتّى لو عاشوا مستقلّين؛ مثلنا أنا وأنت».

«أجل».

خرج جونا إلى أشعّة الشمس القويّة، حيث كان الهواء محمّلًا بالرطوبة أكثر من السابق، ثمّ سأل آنيا: «هل يمكنك إعطائي عنوان يورن؟».

حلّقت أصابعها فوق لوحة المفاتيح التي كانت تُحدث أصوات نقر بسيطة، ثمّ قالت: «إنه في '47 شارع بونتونيار' الطابق الثاني».

«سأتوجّه إلى هناك قبل...».

«انتظر! لا يمكن... اسمع هذا: تحقّقت من العنوان مرّة أخرى؛ كان ثمّة حريق في المبنى يوم الجمعة».

«ماذا عن شقّة يورن؟».

أجابت آنيا: «تحطّم الطابق بأكمله».

19

صعد جونا الدرج، ثمّ ظلّ ثابتًا تمامًا في مكانه وهو يحدّق في الغرفة السوداء. كانت الأرض والجدران والسقف متفحّمة، وثمّة رائحة قويّة نفّاذة. عمليًّا، لم يتبقَّ أيّ شيء من الجدران الداخليّة، وتدلّت الرواسب السوداء من السقف، كما تدلّت الجذوع المتفحّمة من داخل مشهد متعرّج للرماد، حيث مكان الأعمدة. في بعض الأماكن، يمكنك الرؤية من خلال العوارض الخشبيّة المؤدّية إلى الغرف بالأسفل. لم تعد ثمّة إمكانيّة لمعرفة أين هي شقّة يورن.

كان البلاستيك الرماديّ اللون معلّقًا على النوافذ الفارغة، حاجبًا أشعّة شمس الصيف.

السبب الوحيد وراء عدم وقوع إصابات في الحريق الذي اندلع في «47 شارع بونتونيار» أنّ معظم الناس كانوا في عملهم وقت حدوثه.

تلقّت خدمات الطوارئ البلاغ الأوّل عن الحادث في تمام الحادية عشرة

وخمس دقائق. ورغم أنّ محطّة إطفاء «كونغسهولمين» قريبة جدًّا من المبنى، فإنّ النيران انتشرت بسرعة البرق، حتّى أنّ شققًا أربع دُمِّرت بالكامل.

فكّر جونا في حديثه مع محقّق الحريق، حسن شوكور، الذي صنّف الحادث على أنّه ثاني أكبر حريق على المستوى الرسميّ. شرح لجونا أنّ النتائج التي توصّلوا إليها تشير إلى أنّه بدأ من داخل منزل جارة يورن ذات الثمانين عامًا، وتُدعى ليسبيت ويريان، التي نزلت إلى متجر عند ناصية الشارع لتصرف مبلغًا بسيطًا فازت به في بطاقة اليانصيب، استبدلت به بطاقتين جديدتين، ولم تتذكّر ما إذا كانت قد تركت المكواة في وضع التشغيل أم لا. لكنّ إدارة الإطفاء عثرت على بقايا مكواة، وطاولة لكيّ الملابس في غرفة المعيشة داخل منزلها.

نظر حوله إلى البقايا المتفحّمة للشقق في هذا الطابق. كلّ ما تبقّى من الأثاث عبارة عن القليل من الأشكال المعدنيّة المتعرّجة: جزء من ثلّاجة، وهيكل فراش، وحوض استحمام بلون الفحم.

حين عاد جونا إلى أسفل، رأى أنّ الجدران وسقف مطلع الدرج قد أتلفها الدخان. توقّف عند الحزام الأمنيّ الذي وضعته الشرطة، ونظر مجدّدًا إلى السواد.

بينما انحنى ليمرّ أسفل الحزام الأمنيّ، رأى المحقّقين الأربعة وهم يُسقطون على الأرض بعض الأكياس الحافظة التي تُغلق بسحّاب، والتي تُستخدم لحفظ السوائل. مرّ بالردهة ذات الرخام الأخضر، ومنها إلى الشارع، متّجهًا إلى مقرّ الشرطة، وهو يُخرِج هاتفه من جيبه ليتّصل مرّة أخرى بحسن شوكور. ردّ الأخير على الفور وهو يخفض صوت راديو.

سأل جونا: «هل عثرتم على أيّ أثر لسوائل قابلة للاشتعال؟ لقد وضعتم بعضًا من الأكياس الحافظة التي تغلق بسحّاب على مطلع الدرج. وكنت أتساءل...».

«اسمع يا جونا، إذا استخدم أحد ما أيًّا من السوائل القابلة للاشتعال، فإنّ السائل سيشتعل أوّلًا...».

«أعلم ذلك، ولكن...».

«ومع ذلك، عادةً ما يمكنني العثور على دليل على ذلك. لأنّه غالبًا ما يمرّ بين الشقوق في ألواح الأرضيّات، أو ينتهي به الأمر في منطقة العزل، أو محاصرًا بين الأرضيّات».

ثمّ سأل جونا وهو يمشي في شارع «هانتفركار»: «ولا ينطبق ذلك على هذه الواقعة؟».

«البتّة».

«ولكن، إذا كان أحد ما يعرف مكان العثور على آثار السوائل القابلة للاشتعال، فسيكون من الممكن أن يتجنّب الكشف عنها».

قال حسن بحماسة: «بالطبع... لن أرتكب خطأً مثل هذا إذا كنت مولعًا بإشعال الحرائق».

«هل لا تزال مقتنعًا بأنّ المكواة هي سبب هذا الحريق تحديدًا؟».

«أجل. لقد كان حادثًا»، قال حسن.

سأل جونا: «إذن، أغلقت التحقيق؟».

20

حاصر الخوف پينيلوپي مجدّدًا. مسحت الدموع عن وجنتيها، وحاولت النهوض. سال العرق البارد على صدرها وبين نهديها. آلمها جسدها، وتسرّب الدم من يديها المتّسختين.

ما زالت الغابة مظلمة، ولكنّ الليل ينجلي بسرعة ويُولد النهار. مشت پينيلوپي ويورن بسرعة نحو الشاطئ مجدّدًا، بعيدًا عن المنزل الذي كانت فيه الحفلة. صار طريق الغابة مفتوحًا تدريجيًّا عند وصولهما إلى المياه، فعاودا الركض، حتّى أبصرا بين الأشجار منزلًا آخر على بُعد نصف كيلومتر، أو ربّما أقلّ.

بدا على يورن الذهول، وكلما كانت پينيلوپي تراه ينحني على الأرض أو يستند إلى شجرة، تخشى من أنّه قد يعجز عن الركض لاحقًا.

أصدر أحد فروع الأشجار صوتًا في مكان ما خلفهم، كأنّه كُسِر بسبب وقوف أحد ما عليه.

بدأت پينيلوپي تجري في الغابة بأقصى سرعتها.

راحت كثافة الأشجار تتراجع حولها، بحيث كان بإمكانها رؤية المنزل مجدّدًا، على بُعد مئة متر فقط، بينما تنعكس على النافذة أضواء الطلاء الأحمر لسيّارة «فورد» مركونة في الخارج.

لاهثان ومرتعشان، عبرا الممرّ المرصوف بالحصى، ثمّ صعدا الدرجات الأماميّة، وفتحا باب الرواق، ودخلا.

نادت پينيلوپي: «مرحبًا! نحتاج إلى المساعدة».

كان البيت دافئًا بفعل أشعّة الشمس. عرج يورن حافي القدمين، تاركًا آثارًا دماء على الأرض.

لم يكن أحد في المنزل. فكّرت پينيلوپي في أنّه ربما نام أهل البيت عند الجيران بعد الحفلة. ظلّت واقفة عند النافذة تنظر إلى الخارج. انتظرت لبعض الوقت، ولكنّها لم ترصد أيّ حركة في الغابة، أو على الحشائش، أو في الطريق. ربّما ضلّ من يلاحقهما طريقه أخيرًا وفقد أثرهما، أو لعلّه ما زال ينتظر عند المنزل الآخر. عادت إلى مدخل المنزل، حيث كان يورن جالسًا على الأرض ينظر إلى جروح قدميه.

قالت: «نحتاج إلى العثور على حذاء لك».

نظر إليها بوجه خالٍ من أيّ تعبير، كأنّها تتحدّث لغة أجنبيّة.

واصلت: «لم ينتهِ الأمر. لا بدّ من أن تنتعل شيئًا».

بدأ يورن يفتّش في خزانة المدخل، ساحبًا شبشبًا بإصبع، وجزمة «وولنغتون»، في حين راحت پينيلوپي تبحث بأقصى سرعة عن هاتف، متجنّبة النوافذ كافّة. تحقّقت من الطاولة الموجودة في المدخل، وحقيبة الأوراق الملقاة على الأريكة، والوعاء فوق طاولة القهوة، كما تفقّدت المفاتيح والأوراق على طاولة المطبخ.

ثمّة صوت في الخارج. توقّفت لتسمع.

قد لا يكون شيئًا يُذكر.

منحنية الظهر، أسرعت إلى دخول غرفة النوم الرئيسة، وسحبت الأدراج من داخل كومودينة قديمة، ولكنّها وجدتها فارغة. فتحت خزانة ملابس، وسحبت بعض القطع عن العلّاقات. أخذت سترة منسوجة، وغطاءً للرأس يشبه ما يرتديه مراهق في الخامسة عشرة من عمره.

سمعتْ صوت صنبور مياه مفتوح في المطبخ، فأسرعت إلى هناك. رأت يورن منحنيًا على الحوض يشرب الماء، مرتديًا حذاءً رياضيًا قديمًا حجمه أكبر بنمرتين من مقاس قدمه.

فكّرت بينيلوبي في أنّ عليهما العثور على أحد لمساعدتهما. لا بدّ من أنّ ثمّة أناسًا في هذا المكان. ذهبتْ إلى يورن وأعطته السترة. وفجأة، سمعا صوت طرق على الباب، فابتسم يورن دهِشًا. ارتدى السترة، وهمس بشيء عن أنّهما أخيرًا قد حصلا على قليل من الحظّ. أمّا بينيلوبي فتحرّكت نحو المدخل وهي ترفع شعرها عن وجهها. عندما وصلت إلى هناك تقريبًا، رأت ظلًّا عبر الزجاج، فتوقّفت فجأة لتلقي نظرة على الظلّ من خلال الزجاج. لم تستطع مدّ يدها لفتح الباب. لقد تعرّفت على هيئته وحجم رأسه وكتفيه.

عادت ببطء إلى المطبخ وجسدها يرتعش. أرادت أن تركض، بل إنّ جسدها كلّه أراد أن يركض، ولكنّها ظلّت تحدّق إلى النافذة الزجاجيّة والوجه الغامض والذقن النحيف. شعرت بدوار وهي تتحرّك إلى الخلف، وتتعثّر في الحقائب والأحذية، فاستندت إلى جدار، ومرّرت أصابعها على ورق الحائط، لتصطدم بمرآة معوجة.

وقف يورن إلى جانبها وهو يمسك سكّين مطبخ عريض الشفرة. كانت وجنتاه بيضاوين وفمه نصف مفتوح وهو يحدّق إلى نافذة الباب. ارتطمت بينيلوبي بطاولة وهي تنظر إلى مقبض الباب يُدفع ببطء إلى أسفل، فذهبت إلى الحمّام بسرعة، وفتحت الصنبور، ونادت بصوتٍ عالٍ: «تفضّل! الباب مفتوح!».

جفل يورن. مدّ السكّين أمامه استعدادًا للدفاع عن نفسه، واستعدادًا للهجوم، بينما رأى المُطارد وهو يترك مقبض الباب ببطء، ويختفي ظلّه

من النافذة. لكنّه بعد بضع ثوانٍ، سمع وقع أقدام على الممرّ المرصوف بالحصى بجوار المنزل، فألقى نظرة خاطفة على يمينه. خرجت پينيلوپي من الحمّام. أشار إلى النافذة في غرفة التلفاز، ليتحرّكا إلى المطبخ، حيث سمعا الرجل يمشي على الأرضية الخشبيّة. حاولت پينيلوپي تحديد ما يمكن أن يراه من يلاحقهما، متسائلة إذا كانت الزوايا والضوء سيكشفان الأحذية المتناثرة في المدخل، وآثار قدمي يورن الملطّخة بالدماء على الأرض. أحدثت الأرضية الخشبيّة صوتًا مرّة أخرى. الرجل يحوم حول المنزل في اتّجاه نافذة المطبخ. انبطحا على الأرض معًا، مستندين إلى الحائط أسفل النافذة. حاولا الاستلقاء في ثبات والتقاط أنفاسهما بهدوء. سمعا صوته عند النافذة بينما يده تنزلق عبر إطارها، وأدركا أنّه ينظر إلى داخل المطبخ.

من خلال الباب الزجاجيّ للفرن رأت پينيلوپي مطاردهما وهو ينظر حول الغرفة. خطر ببالها إمكانيّة أن ينظر إليها مباشرة، إذا نظر إلى زجاج الفرن. لن يستغرق الأمر طويلًا حتّى يدرك أنّهما يختبئان في الداخل.

اختفى الوجه من النافذة. سمعا وقع أقدام على الخشب مجدّدًا، ثمّ على الممرّ المرصوف بالحصى المؤدّي إلى واجهة المنزل. عندما فُتح الباب الأماميّ، تحرّك يورن بسرعة نحو باب المطبخ، ووضع السكّين على الأرض، وأدار المفتاح الموجود بالقفل، ليفتح الباب ويندفع إلى الخارج.

تبعته پينيلوپي وهي تتذكّر شيئًا قرأته مرّة عن امرأة في رواندا، نجحت في النجاة من الإبادة الجماعيّة التي شنّها «الهوتو» ضدّ «التوتسي» من خلال الاختباء في الأهوار، والركض كلّ يوم. ظلّت تركض طوال فترة الإبادة، بينما يلحق بها جيرانها وأصدقاؤها السابقون بالمناجل. حكت التالي: «لقد قلّدنا الظباء، من نجا منّا في الغابة كان يسلك دروب الظباء وهي تتخفّى من الحيوانات المفترسة، إذ ركضنا واخترنا الطرق غير المتوقّعة، وكنّا نتفرّق ونغيّر الاتجاهات لإرباك من يطاردنا».

عرفت أنّ الطريق الذي تركض فيه هي ويورن طريق خاطئ تمامًا، ولا ذكاء فيه. من يلاحقهما يدرك أنّهما يحاولان الحصول على مساعدة.

21

تقع المكاتب الرئيسة لشرطة الأمن في الطابق الثالث من مقرّ الشرطة. يمكن سماع صوت صفّارة من الطابق العلويّ الذي يضمّ ساحة التمرين في السجن.

يعمل ڤيرنر ساندين رئيسًا لشرطة الأمن، وهو رجل طويل القامة وذو أنف مدبّب وعينين سوداوين لامعتين وصوت عميق. جلس على كرسيّ خلف مكتبه ممسكًا بأداة مُهدِّئة. تسلّل ضوء خافت من النافذة الصغيرة المطلّة على الفناء الداخليّ، وفاحت رائحة الغبار والمصابيح الساخنة. في هذه الغرفة الكئيبة، وقفت امرأة شابّة تُدعى سوغا باوِر، وهي محقّقة في الخامسة والعشرين من عمرها، متخصّصة في مكافحة الإرهاب. تتخلّل شعرها الأشقر الطويل شرائط باللون الأخضر والأصفر والأحمر، ويبدو شكلها مثل حوريّة أسطوريّة، لولا جراب المسدّس الكبير الذي تعلّقه في كتفها تحت رداء ذي قلنسوة يحمل شعار «نادي نارڤا للملاكمة».

قالت سوغا باندفاع: «قُدت العمليّة لأكثر من عام... أجريت عمليّة المراقبة، وقضيت الليالي وعطلات نهاية الأسبوع في...».

فقاطعها مديرها بابتسامة: «ولكنّ الأمر مختلف هذه المرّة».

«أرجوك... لا يمكنك تجاهلي مجدّدًا».

«أتجاهلك؟ أُصيب خبير الطبّ الشرعيّ من إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة بجرح خطير، وتعرّض محقّق للهجوم، وكان من الممكن أن تنفجر الشقّة، و...».

«أعرف كلّ ذلك. وأنا في طريقي إلى هناك الآن...».

«لقد أرسلت غوران ستون بالفعل».

«غوران ستون؟ لقد التحقت بالعمل هنا منذ ثلاث سنوات، ولم يسمح لي بإنهاء قضيّة واحدة. هذا صميم تخصّصي، وغوران لا يعرف أيّ شيء عن...».

«لقد أبلى بلاءً حسنًا في عمليّة الأنفاق».

ابتلعت سوغا ريقها بصعوبة قبل أن تردّ: «لقد كانت قضيّتي أيضًا، وقد وجدت الرابط بين...».

«لكنّ الأمر أصبح خطيرًا، وما زلت أعتقد أنّني اتّخذت القرار الصحيح».

استجمعت قواها، ثمّ قالت بهدوء: «يمكنني فعل ذلك. هذا ما تدرّبت عليه...».

«أجل. ولكنّني أصدرت قراري بالفعل».

حكّ ڤيرنر أنفه وتنهّد، ثمّ رفع قدميه على سلّة المهملات الموجودة تحت مكتبه.

قالت سوغا ببطء: «تعرف أنّني لست هنا من أجل برنامج تكافؤ الفرص. لست جزءًا من أيّ حصّة مقرّرة، مع أنّني حصلت على أعلى الدرجات في كلّ الامتحانات، وأنا أفضل قنّاص عُيِّن في هذه الإدارة على الإطلاق، وقد تقصّيت ما بين مائتين وعشرة...».

«أنا قلق عليكِ فقط».

«لستُ دمية».

«ولكنّكِ في غاية... في غاية...».

توهّج لون ڤيرنر إلى الحُمرة، ثمّ رفع يديه إلى أعلى بيأس، وقال: «حسنًا. يمكنك تولّي مهمّة التحقيق، ولكنّ غوران سيكون أحد أعضاء الفريق ليعتني بكِ».

أجابت سوغا مبتسمة وهي تشعر بارتياح: «شكرًا».

قال ڤيرنر بصوته العميق: «تذكّري أنّها ليست لعبة. لقد ماتت أخت پينيلوپي فرنانديز خنقًا، وپينيلوپي مفقودة...».

«لاحظتُ نشاطًا متزايدًا لعدد من جماعات الجناح اليساريّ المتطرّف، ونحن نحقّق في إمكانيّة وقوف الجبهة الثوريّة وراء سرقة المتفجّرات في ڤاكسهولم».

«من الواضح أنّ أهمّ شيء الآن هو التحقّق من أيّ تهديد مباشر».

قالت سوغا بحماس كبير إلى حدٍّ ما: «في الوقت الحالي، ثمّة كثير من أعمال التطرّف. لقد تواصلت للتوّ مع داتني لارشون في المخابرات الحربيّة وخدمات الأمن، فقال إنّهم يتوقّعون عدّة أعمال تخريبيّة خلال الصيف».

علّق ڤيرنر مبتسمًا: «لكنّنا الآن نركّز على قضيّة پينيلوپي فرنانديز».

ردّت سوغا بسرعة: «بالطبع، بالطبع».

«نحن نتعاون في هذه القضيّة مع إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة فقط في الأمور المتعلّقة بفحوصات الطبّ الشرعيّ، ليس أكثر».

هزّت سوغا باور رأسها، وانتظرت لبضع لحظات قبل أن تسأل: «هل سيُسمح لي بإنهاء هذا التحقيق؟ الأمر في غاية الأهمّيّة بالنسبة لي، لكي...».

قاطعها: «ما دمتِ مُسيطرة على الأمور. ولكنّنا لا نعلم إلى أين سينتهي الأمر. لا نعرف حتّى من أين بدأ».

22

يقع في شارع «ريكيل» بمنطقة «ڤيستيروس» مجمّع سكنيّ أبيض شاهق الارتفاع، يمكن لسكّانه دخول مدرسة «ليلهاغس» وملعب كرة القدم وملاعب التنس بسهولة.

من باب المنزل رقم 11، خرج صبيّ في السادسة عشرة، حاملًا خوذة درّاجة ناريّة في إحدى يديه. يُدعى هذا الصبيّ ستيفان برغكڤيست، وهو يدرس في المدرسة الفنّيّة، ويعيش مع والدته وشريك حياتها. كان شعر ستيفان ناعمًا طويلًا، وكان يرتدي قميصًا أسود، وسروالًا فضفاضًا من الجينز.

نزل إلى موقف السيّارات والدرّاجات الناريّة، وعلّق خوذته على مقود درّاجته الناريّة وبدأ يقودها ببطء نحو الممرّ حول المبنى. اتّجه تحت الجسر إلى المجمّع الصناعيّ، حيث توقّف بالقرب من كوخ خشبيّ مغطّى بالكتابات باللونين الأزرق والفضّيّ.

عادةً ما يلتقي ستيفان مع أصدقائه في هذا المكان للتسابق في الحلبة التي صنعوها على طول جسر السكّة الحديديّة، والقيادة صعودًا وهبوطًا داخل مختلف المسارات، قبل الرجوع إلى شارع «تيرمينال».

بدأوا يأتون إلى هنا منذ أربع سنوات، عندما عثروا على مفاتيح الكوخ المهجور مخبّأة بمسمار في الخلف.

نزل ستيفان عن درّاجته، وفتح قفل الكوخ، ودخل. حين تحقّق من الوقت على هاتفه، رأى أنّ والدته قد اتّصلت. لم يلاحظ أنّه محطّ مراقبة رجل بدين يتجاوز الستّين من عمره، يرتدي سترة جلد رماديّة اللون، وحذاء باللون البنّيّ الفاتح. ملابسه جيّدة الصنع ولكنّها مُستهلكة ومجعّدة. وقف الرجل خلف صندوق نفايات بجوار مبنى على الجانب الآخر من خطوط السكك الحديديّة.

ذهب ستيفان إلى المطبخ الصغير، والتقط كيسًا من رقائق البطاطا من الحوض، وأكل ما تبقّى من فُتات.

في انتظار رفاقه، وعلى الضوء المتسرّب من بين قضبان نافذتي الكوخ القذرتين، راح ستيفان يتصفّح إحدى المجلّات الإباحيّة القديمة المتروكة على خزانة الخرائط.

ترك الرجل ذو السترة الرماديّة المكان الذي يختبئ فيه بهدوء. عبر الجسر البنّيّ حتّى وصل إلى درّاجة ستيفان الناريّة، ودفعها نحو باب الكوخ. نظر حوله قبل أن يُميل الدرّاجة الناريّة على الأرض. دفعها بقدمه بحيث تكون مثبّتة بإحكام على الباب، وفتح خزّان الوقود تاركًا ما فيه يتسرّب تحت الكوخ.

قلّب ستيفان صفحات المجلّة القديمة، ناظرًا إلى صور نساء في ستوديو على شكل سجن. حدّق إلى صورة امرأة شقراء تجلس في زنزانة فاتحة ساقيها، وعارضة عورتها أمام أحد حرّاس السجن. قفز من مكانه عندما سمع صوت حفيف في الخارج. أنصت. ظنّ أنّ ثمّة وقع أقدام في الخارج، فأغلق المجلّة بسرعة.

سحب الرجل عبوة غاز معدنيّة حمراء اللون أخفاها الأولاد بين أغصان الشجر، وأفرغها حول الكوخ. حين وصل إلى الجدار الخلفيّ، سمع صراخًا من الداخل. كان الصبيّ يقرع على الباب محاولًا دفعه

لفتحه. ظهرت آثار خطواته المتخبّطة على أرض الكوخ، كما ظهر القلق على وجهه من خلال إحدى النافذتين القذرتين.

صرخ بصوتٍ عالٍ: «افتح الباب. هذا ليس مضحكًا!».

سار الرجل حول الكوخ وهو يفرغ ما تبقّى في عبوة الغاز، ثمّ وضعها على الأرض. صرخ الصبيّ: «ماذا تفعل؟».

ألقى الصبيّ بنفسه على الباب محاولًا فتحه، ولكن الباب لم يتزحزح. اتّصل بوالدته، غير أنّ هاتفها كان مغلقًا. تسارعت ضربات قلبه وهو يحاول النظر من خلال النافذتين الرماديّتين، متنقّلًا من نافذة إلى أخرى.

صرخ مجدّدًا: «هل أنت مجنون؟».

عندما لاحظ الرائحة النفّاذة للوقود، ازداد خوفه واضطربت معدته.

صرخ بصوت يملؤه الخوف: «يا هذا! أعلم أنّك ما زلت هنا!».

أخرج الرجل علبة ثقاب من جيبه.

سأله الصبيّ: «ماذا تريد؟ من فضلك، قل لي فقط ماذا تريد...».

فقال الرجل من دون أن يرفع صوته: «أحيانًا تصبح الكوابيس حقيقة».

ثمّ أشعل عود ثقاب، فصرخ الصبيّ بذعر: «دعني أخرج!».

أسقط الرجل عود الثقاب المشتعل على العشب المبلّل. سُمع صوت هسيس، وكأنّ ثمّة شراعًا ضخمًا امتلأ بالهواء فجأة. اشتعلت النيران بلونها الأزرق الشاحب بشراسة، حتّى أنّ الرجل اضطرّ إلى التراجع عدّة خطوات. صرخ الصبيّ طالبًا المساعدة. أحاطت ألسنة اللهب بالكوخ. استمرّ الرجل في التراجع مع شعوره بالحرارة على وجهه وهو يسمع الصرخات المذعورة.

اشتعل الكوخ في بضع ثوانٍ، وتحطّم الزجاج بسبب الحرارة.

زعق الصبيّ عندما التهمت النيران شعره. عبر الرجل خطوط السكك الحديديّة، ووقف بجانب المبنى الصناعيّ يشاهد الكوخ وهو يحترق.

بعد بضع دقائق، اقترب قطار بضائع قادم من الشمال. مرّ ببطء على المسار، ومع قعقعة صاخبة، مرّ صفّ من العربات البُنّية اللون بألسنة اللهب المتراقصة، بينما اختفى الرجل ذو السترة الرمادية في شارع «ستينبي».

23

رغم أنّها عطلة نهاية الأسبوع، كان كارلوس في مكتبه المغلق الباب. كالعادة، لتجنّب أيّ زوّار، أضاء مصباحًا ركّبه خصّيصًا لهذا الغرض. ولكنّ جونا قرع الباب وفتحه بحركة واحدة.

قال: «أودّ معرفة إن كانت الشرطة البحريّة قد عثرت على أيّ شيء».

وضع كارلوس كتابه على المكتب، وأجاب بهدوء: «لقد تعرّضت للهجوم أنت وإريكسون. إنّها تجربة مؤلمة، وأنتما بحاجة إلى رعاية».

«سنفعل»، قال جونا.

«انتهت المروحيّات من عمليّة البحث».

«انتهت؟ كم تبلغ مساحة المنطقة التي...».

قاطعه كارلوس: «لا أعرف».

«من المسؤول عن العمليّة؟».

شرح كارلوس: «الأمر ليس بأيدينا. الشرطة البحريّة...».

ردّ جونا بحدّة: «ولكن من المفيد أن نعرف هل نحقّق في جريمة قتل واحدة أم ثلاث!».

«اسمع يا جونا، أنت لا تحقّق الآن في أيّ شيء. لقد ناقشت الأمر مع ينس سفانِيالم، وشكّلنا فريقًا مشتركًا مع شرطة الأمن. سيمثّل پيتر إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة، وسيمثّل تومي كوفود اللجنة الوطنيّة لمكافحة جرائم القتل، و...».

«وما دوري؟».

«خذ إجازة لمدّة أسبوع».

«لا».

«اذهب إذن إلى أكاديميّة الشرطة، وقدّم بعض المحاضرات».

«لا».

قال كارلوس: «لا تكن عنيدًا. إنّ عنادك ليس ساحرًا مثل...».

قال جونا: «لا أهتمّ برأيك. أريد معرفة مصير پينيلوپي...».

قال كارلوس بدهشة: «لا تهتمّ برأيي؟! أنا مدير...».

«بينيلوبي فرنانديز ويورن ألمسكوغ قد يكونان على قيد الحياة»، تابع جونا بصوت حادّ، «أحرق منزله، وكان من الممكن إجراء الأمر نفسه بمنزلها لولا وجودي هناك في الوقت المناسب. أعتقد أنّ القاتل يبحث عن شيء لديهما، وأظنّه حاول إجبار فيولا على التحدّث قبل أن يُغرقها...».

قاطعه كارلوس بصوت عالٍ: «شكرًا جزيلًا. أشكرك جزيل الشكر على أفكارك الشيّقة، ولكنّنا... لا! دعني أنهِ كلامي. أعلم أنّ لديك صعوبة في تقبّل ذلك يا جونا، لكنّك لست ضابط الشرطة الوحيد في الدولة. ولعلمك، معظم ضبّاط الشرطة جيّدون جدًّا».

«أتّفق معك. وعليك أن تعتني بهم يا كارلوس»، قال جونا ببطء.

نظر جونا إلى البقع البنّية الموجودة على أصفاده من بقايا دماء إريكسون.

سأل كارلوس: «ماذا تقصد؟».

«لقد واجهت القاتل. وأعتقد أنّنا بحاجة إلى الاستعداد لوقوع خسائر بين أفراد الشرطة في هذه الحالة».

«لقد فوجئتَ به. أتفهّم أنّها مفاجأة غير سارّة».

ردّ جونا بسرعة: «حسنًا».

قال كارلوس: «تومي كوفود هو المسؤول عن التحقيق في مسرح الجريمة. سأتحدّث إلى بريتّا في أكاديميّة الشرطة، وأخبرها بأنّك ستكون محاضرًا زائرًا الأسبوع المقبل».

***

كان الطقس حارًّا عندما خرج جونا من مقرّ الشرطة. بينما هو يخلع سترته، أدرك أنّ ثمّة أحدًا يلحق به من بين السيّارات المصطفّة. التفت حوله فرأى كلوديا، والدة بينيلوبي.

قالت بصوت مضطرب: «جونا لينا».

سألها بجدّية: «كيف حالكِ يا كلوديا؟».

هزّت رأسها فقط، وكانت عيناها حمراوين، وكأنّهما تعانيان من احتقان الدماء. بدا الإحباط على وجهها، وهي تعطيه ظرفًا عريضًا، قائلة: «اعثر عليها. عليك العثور على فتاتي الصغيرة».

فتح الظرف، فرأى فيه كثيرًا من المال. حاول إعادته، ولكنّها لم تأخذه.

قالت: «من فضلك، خذ المال. هذا كلّ ما أملك، ولكن بإمكاني جلب المزيد- سأبيع المنزل- إذا عثرتَ عليها».

«لا يمكنني أخذ مالك يا كلوديا».

بدا اليأس على وجهها الحزين وهي تقول: «من فضلك...».

«نحن نفعل كلّ ما بوسعنا».

أعاد الظرف إليها، فأمسكته بإحكام بيدها، ثم همست بأنّها ستعود إلى المنزل، وتنتظر قرب الهاتف. ولكنّها أوقفته، وحاولت أن تشرح له: «لقد قلت لها ألّا تأتي إلى منزلي مجدّدًا... لن تتّصل بي أبدًا».

«لقد تجادلتما يا كلوديا. إنّها ليست نهاية العالم».

سألت كلوديا وهي تخبط يدها على جبهتها: «ولكن كيف أقول ذلك؟ هل تتخيّل الأمر؟ من يقول ذلك لابنته؟».

«من السهل فقط أن...».

تلاشى صوت جونا، وشعر بأنّ العرق يجري على ظهره وهو يدفع نفسه إلى كبح ذكرياته.

قالت كلوديا بهدوء: «لا يمكنني تحمّل ذلك».

أخذ جونا بيديها، وأكّد لها أنّه يفعل ما بوسعه.

همست كلوديا: «عليك استعادة ابنتي».

هزّ رأسه، ثمّ ذهب كلّ منهما في طريق. أسرع جونا سيره في شارع «بيرغ»، ثمّ نظر إلى السماء وهو في طريقه إلى سيّارته. الطقس مشمس مع قليل من الضباب وكثير من الرطوبة. تذكّر أنّه في الصيف الماضي كان يجلس في المستشفى ممسكًا بيد والدته. كالعادة، كانا يتحدّثان معًا

بالفنلنديّة، وقد أخبرها بأنّهما سيذهبان معًا فور تحسّن حالتها إلى مسقط رأسها في «كاريليا».

اشترى جونا زجاجة من مرطّبات «البيليغرينو» من مقهى «إل كافيه»، وشربها قبل الوصول إلى السيّارة الدافئة. كان مقودها ساخنًا، وكادت سخونة كرسيّها تحرق ظهره. بدلًا من الذهاب إلى أكاديميّة الشرطة، أخذ اتّجاه العودة إلى شقّة پينيلوپي. فكّر في الرجل الذي واجهه هناك. كانت لحركاته سرعة ودقّة ملحوظتان، كما لو كانت السكّين مخلوقًا وله روح.

لُصق على باب شقّة پينيلوپي شريط باللونين الأزرق والأبيض، مكتوب عليه: «الشرطة» و«ممنوع الدخول».

عرض جونا بطاقة هويّته على الشرطيّ المكلّف بالحراسة وتصافحا. لقد تقابلا في السابق، ولكنّهما لم يشتركا أبدًا في عمل واحد.

قال جونا: «الطقس حارّ اليوم».

«قليلًا»، ردّ الشرطيّ.

سأل جونا وهو يهزّ رأسه في اتّجاه الدرج: «كم عدد خبراء الطبّ الشرعيّ لدينا؟».

أجاب الشرطيّ بحماسة: «ثلاثة من عندنا، وثلاثة من شرطة الأمن. إنّهم بحاجة إلى الحصول على الحمض النوويّ في أسرع وقت ممكن».

قال جونا لنفسه تقريبًا، وهو متّجه إلى الدرج: «لن يجدوا شيئًا».

وقف ضابط شرطة كبير في السنّ، يُدعى ميلكر يانوس، خارج الباب المؤدّي إلى شقّة الطابق الثالث. تذكّره جونا. إنّه ضابط بغيض ذو رتبة أعلى عرفه خلال التدريب. في ذلك الوقت، كان نفوذ ميلكر المهنيّ في صعود، إلّا أنّ وقوع الطلاق بينه وبين زوجته بطريقة قاسية، وتناوله الكحول بشكل متقطّع، أثّرا سلبًا على ترقيته، حتّى عاد تدريجيًّا إلى رتبة ضابط عاديّ مرّة أخرى. عندما رأى جونا، حيّاه باقتضاب وانفعال، ثمّ فتح له الباب بإشارة ساخرة.

قال جونا: «شكرًا».

في الداخل، وجد كوفود الذي يصل طوله بالكاد إلى صدر جونا يهرول بكآبة نحوه. عندما التقت أعينهما، كاد كوفود يفتح فمه بابتسامة طفوليّة سعيدة.

قال: «تسعدني رؤيتك يا جونا. ظننت أنّك ستذهب إلى أكاديميّة الشرطة».

«لقد ضللت الاتّجاهات».

«جيّد».

سأل جونا: «هل عثرت على شيء؟».

أجاب: «عثرنا على كلّ آثار الأحذية من الردهة».

فقال جونا وهو يصافحه: «من المحتمل أن تُطابق حذائي».

قال كوفود وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «كذلك آثار حذاء المهاجم. وجدنا أربعة آثار. كان يتحرّك بشكل غريب، أليس كذلك؟».

أجاب جونا باقتضاب: «بلى».

وُضِع الحصير الواقي على المدخل، وكان فريق الطبّ الشرعيّ يبحث عن آثار أحذية غير مرئيّة، من خلال تسليط الضوء الساطع بشكل مواز للأرض، ثمّ أخذوا طبعات الأحذية بطريقة كهروستاتيكيّة، وحدّدوا خطوات القاتل من الردهة إلى المطبخ. بيد أنّ جونا لم يستطع التوقّف عن التفكير في أنّ دقّتهم هذه ليست إلّا هدرًا للجهد؛ لا بدّ من أنّ حذاء القاتل وقفّازيه وملابسه قد جرى التخلّص منها بالفعل.

سأله كوفود وهو يشير إلى الآثار: «كيف ركض من هنا بالضبط؟ هناك وهنالك... ثمّ إلى هناك، وبعد ذلك لا شيء حتّى هذا المكان هنا وهنا».

قال جونا وهو يبتسم: «فاتك أثر من الآثار».

«كأنّنا في الجحيم».

أشار جونا قائلًا: «هناك».

«أين؟».

«على الحائط».

«تبًّا».

بالفعل، على ارتفاع نحو سبعين سنتيمتراً فوق الأرض، لاحظ كوفود أثر حذاء باهتًا على ورق الحائط باللون الرماديّ الفاتح. دعا أحد زملائه وطلب منه التقاط الأثر بالمادّة الجيلاتينيّة.

سأله جونا: «هل يمكنني السير على الأرض الآن؟».

«ما دمت لن تمشي على الحائط».

24

في المطبخ، وقف رجل يرتدي سروالًا من الجينز، وسترة باللون البنّيّ الفاتح مع رُقع جلديّة عند الكوعين. مرّر أصابعه على شاربه الأشقر وهو يتحدّث بصوتٍ عالٍ، ويشير إلى الميكروويف. تقدّم جونا ورأى ضابطًا يرتدي قناعًا واقيًا، وزوجًا من القفّازات، يضع عبوة المبيد الحشريّ المحطّمة داخل حقيبة ورق.

سأل الرجل ذو الشارب الأشقر: «جونا لينا، أليس كذلك؟ إذا كنت بالمهارة التي يحكي عنها الجميع، فيجب أن تأتي إلينا».

تصافحا. قال الرجل بفخر: «غوران ستون، من 'شرطة الأمن' أهلًا».

سأله جونا: «هل أنت المسؤول عن التحقيق؟».

أجاب غوران مبتسمًا: «نعم، أنا المسؤول... حسنًا، بشكل رسمي سوغا باوِر هي المسؤولة–من أجل الإحصائيّات».

«التقيت مع سوغا. يبدو أنّها قادرة على...».

فقاطعه غوران: «أليست كذلك تمامًا؟»، ثمّ انفجر في الضحك.

نظر جونا من النافذة، وفكّر في القارب الذي عُثِر عليه منجرفًا. كان يعلم أنّه من المبكر أن يصل التحقيق إلى أيّ نتائج، ولكن من المفيد دائمًا التفكير في افتراضات مختلفة. فكّر جونا في أنّه من المؤكّد تقريبًا أنّ الشخص الوحيد الذي كان القاتل يلاحقه هو پينيلوپي. كما حدّث نفسه وهو ذاهب إلى غرفة النوم بأنّ الشخص الوحيد الذي لم يقصد قتله على الأغلب هو ڤيولا، لأنّه لم يكن يعرف أنّها ستكون على متن المركب.

كان السرير مرتّبًا بعناية، وفرشه القشديّ اللون ناعمًا. وقفت سوغا باوِر أمام حاسوب وضعته على حافّة النافذة وهي تتحدّث بهاتفها. تذكّر جونا أنّه قابلها في ندوة عن مكافحة الإرهاب.

جلس على السرير محاولًا جمع أفكاره. تخيّل ڤيولا وپينيلوپي تقفان أمامه، ثمّ وضع صديق الأخيرة يورن بجانبهما. قال لنفسه إنّه لا يمكن أن يكونوا جميعًا على متن القارب وقت قتل ڤيولا، وإلّا لما ارتكب القاتل مثل هذا الخطأ. إذا صعد على متن اليخت، ووجد الثلاثة في عرض البحر، لقتلهم جميعًا ثمّ وضعهم في الأسرّة الصحيحة قبل إغراق اليخت. إذن، پينيلوپي لم تكن على متن القارب آنذاك، ما يعني أنّهم أرسوه في مكان ما.

تحرّك جونا إلى غرفة المعيشة. نظر إلى التلفاز المعلّق على الحائط، والأريكة الحمراء، وطاولة قهوة تتراكم عليها المجلّات والصحف، ثمّ ذهب إلى خزانة الكتب التي ترتفع من الأرض إلى السقف على أحد الجدران. توقّف وتذكّر أنّ الكابلات الممزّقة كان من الممكن أن تفجّر اليخت، ولكنّه لم يغرق. إذن، فالمحرّك لم يُشغَّل لفترة كافية لحدوث ذلك.

لا شيء يحدث بمحض الصدفة هنا.

حُطِّمت شقّة يورن، وقُتِلت ڤيولا في اليوم نفسه، ولو كان القارب مأهولًا لانفجر خزّان الوقود.

ثمّ حاول القاتل إشعال الغاز في شقّة پينيلوپي وتفجيرها.

شقّة يورن، واليخت، وشقّة پينيلوپي.

قال جونا لنفسه: «لقد أراد القاتل شيئًا بحوزة يورن وپينيلوپي، فبدأ بتفتيش شقّة يورن. عندما فشل في العثور على ما يبحث عنه، أحرقها. ثمّ عندما فشل في الحصول على أيّ شيء من اليخت، حاول إرغام ڤيولا على التحدّث. لكنّه عندما فشل في الحصول على أيّ إجابة، ذهب إلى شقّة پينيلوپي».

لبس جونا زوجي قفّازات واقية، ثمّ ذهب إلى خزانة الكتب مجدّدًا،

ونظر إلى الطبقة الصغيرة من الغبار الموجودة أمام الكتب. لاحظ أنّه ليس ثمّة غبار على بعض منها، ما قد يرجّح أنّ أحدًا ما تفقّدها على مدار الأسابيع القليلة المنصرمة.

جاءت سوغا من خلف جونا، وقالت: «لا أريد أن أراك هنا. أنا المسؤولة عن التحقيق».

ردّ بهدوء: «سأذهب خلال دقيقة واحدة. أريد العثور على شيء ما».

قالت: «خمس دقائق».

استدار لها، وسأل: «هل يمكنك تصوير الكتب؟».

«حدث بالفعل»، قالت بجفاء.

تابع بهدوء أعصاب: «يمكنك رؤية الغبار من زاوية معيّنة».

أدركت سوغا ما يعنيه جونا، ولكنّ تعبيراتها ظلّت كما هي؛ استعارت كاميرا من أحد الضبّاط، وصوّرت الرفوف التي بإمكانها الوصول إليها، ثمّ قالت له إنّه يستطيع تفقّد الكتب الموجودة على آخر خمسة رفوف.

سحب جونا كتاب كارل ماركس المعروف، «رأس المال»، وتصفّحه، فلاحظ أنّه يعجّ بالمقاطع المُسطَّرة والملاحظات المكتوبة في الهوامش. بحث في الفجوات بين الكتب، فلم يتمكّن من رؤية أيّ شيء. ثمّ انتقل إلى كتاب السيرة الذاتية لأولريك ماينهوف، وهي عبارة عن كتاب مُستعمل بعنوان «نصوص أساسيّة في الحركات النسائيّة السياسيّة»، ثمّ مجموعة أعمال برتولت بريشت.

في الرفّ الثاني أعلاه، رصد ثلاثة كتب من الواضح أنّها جُذِبت من خزانة الكتب مؤخّرًا، وهي: «استراتيجيّة الظباء» عن الإبادة الجماعيّة في روندا، و«مائة سوناتة حبّ»، وهي مجموعة للشاعر بابلو نيرودا، و«الجذور الفكريّة لعلم تحسين النسل السويديّ».

قلب هذه الكتب تباعًا. عندما وصل إلى الكتاب الأخير، سقطت منه صورة بالأبيض والأسود لفتاة تبدو عليها الجدّيّة، وشعرها مضفّر بإحكام.

أدركَ فورًا أنّها كلوديا فرنانديز. لم تكن تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها في الصورة، وتبدو ملامحها مشابهة بشكل لافت لملامح ابنتيها.

سأل جونا نفسه وهو يقلّب الصورة: «ولكن من يضع صورة لأمّه داخل كتاب عن تحسين النسل؟».

لاحظ أنّ أحدًا ما كتب خلف الصورة بالإسبانيّة: «لا تبتعد عنّي ليوم واحد»، بالقلم الرصاص.

من الواضح أنّه بيت من قصيدة نيرودا بالعنوان نفسه.

لذا، سحب ديوان شعر بابلو نيرودا مجدّدًا وتصفّحه، وسرعان ما وجد البيت الأوّل كاملًا.

هذا هو المكان الصحيح للصورة.

ولكن إذا كان القاتل يبحث في الكتب عن شيء ما، فيمكن أن تسقط الصورة.

اعتقد جونا أنّ القاتل وقف في المكان نفسه، ورأى الغبار على الرفوف مثله، وتصفّح سريعًا الكتب التي سُحِبت مؤخّرًا، ثمّ لاحظ أنّ ثمّة صورة سقطت على الأرض، فأعادها، ولكن إلى الكتاب الخطأ.

أغلق جونا عينيه.

لقد تفقّد القاتل هذه الكتب.

إذا كان يعرف ما يبحث عنه، فهذا يعني أنّه شيء يمكن وضعه بين دفّتي كتاب. فماذا يمكن لهذا الشيء أن يكون؟

25

غادر جونا غرفة المعيشة، ونظر إلى الحمّام الذي كان يُصوَّر بالتفصيل. خرج من الباب الأماميّ إلى بسطة الدرج، حيث توقّف أمام المنخل الذي يغطي عمود المصعد.

وجد اسم نيلسون مكتوبًا على الباب المجاور للمصعد. رفع يده

وطرق الباب، ثمّ انتظر. بعد قليل، سمع وقع أقدام في الداخل. فتحت له امرأة مستديرة الجسم، في الستينيّات من عمرها.

قالت: «نعم؟».

«مرحبًا، أدعى جونا لينا، وأعمل محقّقًا، و...».

قاطعته: «قلت لكم في السابق أنّني لم أرَ وجهه».

«هل تحدّثت إليكِ الشرطة بالفعل؟ لم أعرف ذلك».

قالت السيّدة وهي تستشيط غيظًا، كأنّها تُعيد شرح ما رأته مرارًا وتكرارًا: «كان يرتدي قناع دراكولا».

«من؟».

تمتمت: «من؟»، ودخلت إلى الشقّة.

ثمّ عادت بعد فترة وجيزة بقصاصة صفراء من صحيفة. رأى جونا مقالًا منشورًا منذ عشرين عامًا عن متحرّش كان يرتدي زيّ دراكولا.

قالت السيّدة: «لم يكن يرتدي أيّ...».

«كنت في الواقع...».

«ولكنّني أخبرت رجالك بالفعل بكلّ ما أعرفه عن الواقعة».

نظر جونا إلى السيّدة وابتسم.

قال: «كنت في الواقع أفكّر في شيء مختلف تمامًا».

فتحت السيّدة عينيها على اتّساعهما، وسألت: «لماذا لم تقل ذلك إذن؟».

«هل كنتِ تعرفين بينيلوبي فرنانديز، جارتكِ التي...».

قاطعته: «إنّها مثل حفيدتي. يا لها من فتاة لطيفة! طيّبة وجميلة جدًّا...».

ثمّ توقّفت عن الكلام فجأة، وسألت بهدوء: «هل ماتت؟».

«لماذا تسألين؟».

أجابت: «لأنّ الشرطة كانت هنا، وسألت أسئلة مرعبة».

«هل لاحظتِ دخول أيّ زوّار غير عاديين إلى شقّتها في الأيّام القليلة الماضية؟».

«كوني مسنّة لا يعني أنّني أتدخّل فيما لا يعنيني، وأراقب ما يفعله الآخرون».

«بالطبع لا. ظننت فقط أنّك ربّما لاحظتِ أيّ شيء».

«لم ألاحظ».

«هل حدث أيّ شيء آخر خارج عن المألوف؟».

«بالطبع لا. إنّها فتاة ذكيّة للغاية، ومهذّبة».

شكر جونا السيّدة على وقتها، وقال إنّه قد يعود مجدّدًا، في حال كان لديه مزيد من الأسئلة، ثمّ تنحّى جانبًا حتّى تغلق الباب.

لا شقّة أخرى في الطابق الثالث. صعد على الدرج، ولكنّه صادف في منتصف الطريق طفلة تجلس على إحدى الدرجات، وتبدو كصبيّ في الثامنة من عمره: شعرها قصير، وترتدي سروالًا من الجينز وقميصًا، وتمسك في يدها كيسًا من البلاستيك، وزجاجة ماء فُرِك ملصق علامتها التجاريّة، ونصف رغيف من الخبز. توقّف جونا أمام الطفلة التي نظرت إليه بحذر، ثمّ قال: «مرحبًا، ما اسمك؟».

«مِيّا». فقال: «أنا جونا».

لاحظ أن رقبتها النحيفة متّسخة. سألته: «هل لديك مسدّس؟».

«لماذا تسألين؟».

«أخبرتَ إيلّا بأنّك شرطيّ».

«هذا صحيح. أنا محقّق».

«هل لديك مسدّس؟».

«نعم، لديّ مسدّس. هل تريدين ممارسة التصويب؟».

نظرت إليه الطفلة دهِشة، وسألته: «هل تمزح؟».

قال جونا وهو يبتسم: «أجل». فضحكت الطفلة وهي تنظر إلى جونا الذي سألها: «لماذا تجلسين على الدرج؟».

«أحبّ ذلك. يمكنك سماع أشياء».

جلس جونا بجانبها على الدرج، ثمّ سألها بهدوء: «ما نوع الأشياء التي تسمعينها؟».

«سمعت للتوّ أنّك شرطيّ. وسمعت إيلّا وهي تكذب عليك».
«في أيّ شيء كذبت عليّ؟».
أجابت ميّا: «حين قالت إنّها تحبّ پينيلوپي».
«أليست كذلك؟».
«إنّها تضع براز القطط داخل فتحة صندوق البريد الخاصّ بها».
«لماذا تفعل ذلك؟».
أخذت الفتاة تعبث بالكيس البلاستيكيّ، ثمّ قالت: «لا أعرف».
«ما رأيكِ في پينيلوپي؟».
«عادةً ما تلقي التحيّة».
«ولكنّك لا تعرفينها بالفعل؟».
«لا».
نظر جونا حوله، ثمّ سألها: «هل تعيشين على الدرج؟».
حاولت الفتاة كبح ابتسامتها: «لا. أعيش في الطابق الأوّل مع أمّي».
«لكنّكِ تتسكّعين على الدرج».
رفعت مِيّا كتفيها مجدّدًا، ثمّ قالت: «معظم الوقت».
«هل تنامين هنا؟».
فركت مِيّا ملصق العلامة التجاريّة على الزجاجة، وقالت بسرعة: «أحيانًا».
حكى جونا ببطء: «غادرت پينيلوپي شقّتها يوم الجمعة في الصباح الباكر، واستقلّت سيّارة أجرة».
فقالت الفتاة مسرعة: «لم يحالفها الحظّ. حضر يورن بعد مغادرتها ببضع ثوانٍ. وصل فور تركت الشقّة، وقد قلتُ له إنّها غادرتْ للتوّ».
«ماذا قال؟».
«قال إنّ الأمر غير مهمّ لأنّه كان سيحضر شيئًا فقط من الشقّة».
«يُحضر شيئًا؟».
فهزّت مِيّا رأسها، وتابعت: «عادةً ما يجعلني أستعير هاتفه لتشغيل

الألعاب، ولكن لم يكن لديه الوقت في هذا اليوم، فقد ذهب فقط إلى الشقّة، وعاد مرّة أخرى على الفور، ثمّ أغلق الباب وركض على الدرج».
«هل رأيتِ ما أحضره من الشقّة؟».
«لا».
«ماذا حدث بعد ذلك؟».
«لا شيء. ذهبت إلى المدرسة في التاسعة إلّا ربعًا».
«وبعد عودتك من المدرسة في ذلك اليوم؟ هل حدث شيء؟».
رفعت الفتاة كتفيها مرّة أخرى، ثمّ قالت: «كانت أمّي في الخارج، فمكثت في المنزل، وتناولت المعكرونة، وشاهدت التلفاز».
«هل حدث شيء أمس؟».
«خرجَتْ أمي أمس أيضًا، فمكثت بالمنزل».
«إذن، لم تشاهدي أيّ شخص آتٍ أو ذاهب؟».
«لا».
أخرج جونا بطاقة العمل الخاصّة به، وكتب عليها رقم هاتف.
قال للفتاة: «تفضّلي يا مِيا. هذان رقمان مفيدان، أحدهما يخصّني».
أشار إلى الرقم المطبوع على البطاقة بجانب شعار الشرطة، وأضاف: «اتّصلي بي إذا كنتِ بحاجة إلى مساعدة في أيّ وقت، أو إذا ضايقك أحد. والرقم الآخر الذي كتبته للتوّ هو خطّ نجدة الطفل (0200 – 230230). يمكنك الاتّصال به، والتحدّث عمّا ترغبين».
قالت مِيا وهي تلتقط البطاقة: «حسنًا».
«لا ترميها فور مغادرتي! لأنّك إن لم تحتاجي إلى الاتّصال الآن، فربما ترغبين في ذلك لاحقًا».
قالت مِيا وهي تضع يدها على بطنها: «كان يورن يضع يده هكذا عندما غادر شقّة پينيلوپي».
«كأنّه يعاني من ألم في بطنه؟».
«أجل».

26

طرق جونا الأبواب الأخرى في المبنى، ولكنّه لم يتوصّل إلى شيء سوى أنّ پينيلوپي جارة هادئة، خجولة إلى حدٍ ما، تشارك في أيّام التنظيف السنويّة واجتماعات اتّحاد السكّان ليس أكثر. عندما انتهى من جولته، نزل ببطء على الدرج إلى الطابق الثالث.

كان باب شقّة پينيلوپي مفتوحًا. فكّ أحد خبراء الطبّ الشرعيّ في شرطة الأمن القفل، ووضعه في كيس بلاستيكيّ.

واصل جونا سيره، ثمّ وقف في الخلف يشاهد ما يحدث. طالما أحبّ رؤية خبراء الطبّ الشرعيّ وهم يعملون: كيفيّة تصوير كلّ شيء بشكل منظّم دقيق، والطريقة التي يحافظون بها على الأدلّة كافّة، وتدوين ملاحظات دقيقة، لأنّ إجراء التحقيق في مسرح الجريمة يتلف الأدلّة؛ إذ تتشوّه عندما تعود إلى حالتها الأولى، ما يعني أنّه من المهمّ ترتيب مسرح الجريمة بشكل صحيح حتّى لا تضيع أيّ أدلّة أو قرائن حيويّة.

نظر جونا حوله داخل الشقّة المرتّبة. ماذا كان يفعل بورن هنا؟ لقد حضر فور مغادرتها، كأنّه بقي مختبئًا خارج المبنى لحين خروجها!

قد تكون مجرّد صدفة، ولكن من الممكن أنّه لم يرغب في أن يراها. أسرع للدخول إلى شقّتها، ولكنّه اصطدم بالفتاة الصغيرة على الدرج ولم يكن لديه الوقت ليتحدّث معها، فشرح لها أنّه سيحضر شيئًا من الداخل. بقي داخل الشقّة لبضع دقائق فقط.

لعلّه أحضر شيئًا كما أخبر الطفلة. ربّما كان يخفي مفتاح القارب هناك، أو أيّ شيء آخر يمكن أن يضعه في جيبه.

ربّما كان فقط يبحث عن معلومة، أو يتحقّق منها، كرقم هاتف مثلًا.

ذهب جونا إلى المطبخ، ونظر حوله، ثم سأل: «هل فتّشت الثلّاجة؟».

فنظر إليه شابّ ذو لحية كثيفة، وردّ بلكنة عموم «دالارنا»: «هل أنت جائع؟».

قال بجفاء: «مكان جيّد لإخفاء الأشياء».

«لم نصل إليها بعد»، أجاب الشابّ.

عاد إلى غرفة المعيشة، ولاحظ أنّ سوغا تسجّل رسالة صوتيّة في زاوية الغرفة. ضغط كوفود شريطًا لاصقًا ذا ألياف على فيلم شفّاف، ثمّ نظر إلى أعلى. كانت عيناه فقط ما يمكن رؤيته من قناع التنفّس الخاصّ به.

سأله جونا: «هل عثرت على أيّ شيء غير متوقّع؟».

«غير متوقّع؟ حسنًا، هناك أثر حذاء على الحائط...».

«هل من شيء آخر؟».

«عادةً، لا نعرف الكثير حتّى نحصل على النتائج من المعمل».

«إذن، سيكون لدينا نتائج خلال أسبوع؟»، سأل جونا.

أجاب كوفود وهو يرفع كتفيه: «إن استطعنا. كنت سألقي نظرة على إطار الباب، حيث اصطدمت السكّين، لأخذ انطباع عن شفرتها».

فهمس جونا ساخرًا: «لا تكترث!».

ظنّ كوفود أنّ جونا يمزح فضحك، ثمّ سأله بجدّيّة: «هل انتبهت للسكّين؟ هل كانت شفرتها من الصُلب؟».

«لا، كانت الشفرة أخفّ، صُنعت من 'كربيد التنغستن' ربّما. يفضّل بعض الأشخاص هذا النوع، ولكنّ ذلك لن يوصلنا إلى أيّ شيء».

«ماذا؟».

«أقصد التحقيق في مسرح الجريمة برمّته. لن نجد حمضًا نوويًّا أو بصمات أصابع تساعدنا في التعرّف على القاتل».

«إذن، ما الذي علينا فعله؟».

«أعتقد أنّ القاتل جاء إلى هنا للبحث عن شيء ما، وقاطعناه قبل أن يُتاح له الوقت للعثور عليه».

«تقصد أنّ ما كان يبحث عنه القاتل لا يزال في الشقّة؟».

«ربّما».

«أليست لديك فكرة عن ماهيّة هذا الشيء الذي كان يبحث عنه؟».

«إنّه شيء صغير بما يكفي لوضعه داخل كتاب».

حدّقت عينا جونا الشبيهتان بالغرانيت الرماديّ إلى عيني كوفود البنيّتين للحظة. التقط غوران صورًا لباب الحمّام، ثمّ جلس على الأرض ليصوّر السقف الأبيض. كان جونا على وشك فتح الباب الزجاجيّ المؤدّي إلى المدخل ليطلب منه التقاط بعض الصور للصحف الموجودة على طاولة القهوة عند انطلاق وميض كاميرا. فاجأه الضوء وكان عليه أن يتوقّف، حيث ظهرت أمام عينيه أربع بقع بيضاء، ثمّ بصمة يد دهنيّة لونها أزرق فاتح؛ نظر جونا حوله. لم يفهم من أين أتت هذه اليد.

نادى بصوتٍ عالٍ عبر الزجاج: «غوران! التقط صورة أخرى!».

توقّف كلّ من في الشقّة ونظر إليه باهتمام. خلع كوفود قناع التنفّس وحكّ رقبته. ما زال غوران جالسًا على الأرض تغلب على وجهه الدهشة.

قال له جونا وهو يشير: «مثلما فعلت قبل ثوانٍ، التقط صورة أخرى لسقف الحمّام».

هزّ غوران كتفيه، ثمّ رفع الكاميرا والتقط صورة أخرى للسقف. انطلق وميض الكاميرا، وشعر جونا بانقباض حدقتي عينيه اللتين بدأتا تدمعان. أغمض عينيه ورأى مجدّدًا مربّعًا أسود اللون، وأيقن أنّه اللوح الزجاجيّ الموجود في الباب. بسبب الوميض كان يراه مسودًّا. كما رأى أربع نقاط بيضاء في منتصف المربّع، وبجانبها أثر يد باللون الأزرق الشاحب.

كان يعلم أنّه رآها.

رمشت عينا جونا، وعادت رؤيته إلى طبيعتها. نظر من قرب إلى الباب الزجاجيّ، حيث شكّلت بقايا الأجزاء الأربعة من الشريط مستطيلًا فارغًا، بجانبه بصمة يد على الزجاج.

سار كوفود ليقف بجانبه، ثمّ قال: «بصمة يد».

«هل يمكن التقاطها؟»، سأله جونا.

قال كوفود: «غوران، نحن بحاجة إلى تصوير هذه البصمة».

نظر غوران إلى بصمة اليد وهو يتمتم: «أجل، يبدو أنّ أحدًا ما أحدث قليلًا من الفوضى هنا»، قال مسرورًا وأخذ أربع صور.

ابتعد عن المكان، وانتظر حتّى يرفع كوفود البصمات كافّة.

بعد بضع ثوانٍ، التقط غوران صورتين إضافيّتين. رفع كوفود بعناية البصمة على البلاستيك الشفّاف، وهمس لها: «الآن، حصلنا عليك».

سأل جونا: «هل يمكنك التحقّق منها على الفور؟».

أخذ كوفود البصمة إلى المطبخ، وانتظر جونا في مكانه محدّقًا إلى القطع الأربع للشريط على لوح الزجاج. رأى خلف إحداها زاوية ممزّقة لقطعة من الورق. صاحب بصمة اليد لم يكن لديه الوقت لإزالة الشريط بعناية، لذا فقد جذب الورقة عن الباب، تاركًا إحدى الزوايا.

نظر جونا من قرب أكثر إلى الزاوية الممزّقة. عرف على الفور أنّها ليست ورقة عاديّة، بل ورقة طباعة فتوغرافيّة تُستخدم في طباعة الصور الملوّنة.

استنتج جونا التالي: «لُصِقت صورة على الباب الزجاجيّ لتفحّصها ودراستها، ثمّ حدث شيء ما، ولم يكن هناك وقت كافٍ لإزالة الصورة بعناية. وعليه، توجّه أحد ما بسرعة إلى الباب، ووضع يده على الزجاج ليثبّته، ثمّ نزع الصورة».

قال جونا بهدوء: «يورن!».

تابع جونا الاستنتاج: «كان يضع يده على بطنه ليس لأنّها تؤلمه، بل لأنّه كان يُخفي صورة تحت سترته».

حرّك جونا رأسه قليلًا ليرى أثر بصمة اليد في الضوء، والخطوط الضيّقة لراحة اليد. لا تتغيّر الخطوط الحُلَيمِيّة للإنسان، ولا تتقدّم في العمر أبدًا. وعلى خلاف الحمض النوويّ، تختلف بصمات الأصابع من فرد إلى آخر، حتّى التوائم المتطابقين.

سمع جونا خطوات سريعة خلفه، فاستدار.

صرخت سوغا به: «حسنًا، هذا أكثر ممّا ينبغي! أنا المسؤولة عن هذا التحقيق. ليس من المفترض حتّى أن تكون هنا!».

«أردت فقط...».

«اسكتْ! تحدّث للتوّ إلى بيتر ناسلوند؛ ليس لك أيّ علاقة بهذا الأمر، وليس من المفترض أن تكون هنا... غير مسموح لك بأن تكون هنا!».

ردّ وهو ينظر خلفه إلى لوح الزجاج: «أعلم ذلك. كنت على وشك الذهاب».

«هذا سخيف يا جونا لينا. لا يمكنك الحضور إلى هنا للاطّلاع على بعض المعلومات...».

«كانت هناك صورة ملصقة على الزجاج مزّقها أحد ما. انحنى على الكرسي، واستند بيده إلى الزجاج، ثمّ جذبها».

نظرت إليه على مضض فلمح ندبة بيضاء في حاجبها الأيسر.

قالت بحزم: «أنا قادرة تمامًا على إجراء هذا التحقيق».

فقال متوجّهًا إلى المطبخ: «من المحتمل أن تكون بصمة يد يورن ألمسكوغ».

«أخذت المسار الخاطئ يا جونا».

تجاهلها، فصرخت به: «أنا المسؤولة عن هذا التحقيق!».

أعدّ فريق الطبّ الشرعي مكانًا صغيرًا للعمل في منتصف الأرض مكوّن من كرسيّين وطاولة عليها كمبيوتر وماسحًا ضوئيًا وطابعة. كان كوفود يقف خلف غوران الذي وصّل كاميرته بالكمبيوتر. لقد حمّلا بصمة اليد، وأجريا اختبارًا مبدئيًّا لمطابقة بصمة الإصبع.

لحقت سوغا بجونا.

سأل جونا من دون إبداء أيّ اهتمام بسوغا: «ماذا لديكما؟».

قالت بحدّة: «لا تتحدّثا إلى جونا!».

رفع كوفود نظره إليها وقال: «لا تكوني سخيفة يا سوغا». ثمّ التفت إلى جونا وقال له: «لم يحالفنا الحظّ هذه المرّة. إنّها بصمة يورن ألمسكوغ، صديق بينيلوبي».

وقال غوران: «إنّه في قاعدة بيانات المشتبه بهم».

فسأل جونا: «ما شبهته؟».

«أعمال عنف وشغب، وتهديد موظّف حكوميّ».

علّق كوفود مازحًا: «دعاة السلام هم الأسوأ! ربّما شارك في مسيرة سلميّة».

قال غوران بحدّة: «هذا مضحك. ليس كلّ من يعمل في القوّات يستمتع إلى هذه الدرجة بأعمال الشغب والتخريب، و...».

قاطعه كوفود: «تحدّث عن نفسك».

فابتسم غوران قائلًا: «تتحدّث عمليّة الإنقاذ عن نفسها».

سأل جونا: «ماذا؟ ماذا تقصد؟ لم يكن لديّ الوقت لمتابعة هذه العمليّة. ماذا حدث؟».

27

فتح جونا باب مكتب كارلوس فجأة، فقفز الأخير وسقط من يده طعام الأسماك داخل الحوض. سأل جونا بصوت أجشّ: «لماذا لا تُجرى عمليّة بحث ميدانيّ؟ حياة شخصين على المحكّ ولا نستطيع العثور على أيّ قوارب؟!».

ردّ كارلوس: «لبّت الشرطة البحريّة النداء، كما تعرف، وفتّشت المنطقة بالكامل بالمروحيّات، والكلّ يتّفق في الرأي على أنّ بينيلوبي فرنانديز ويورن ألمسكوغ إمّا في عداد الأموات أو لا يريدان أن يعثر عليهما أحد... ولا يرجّح أيّ من الاحتمالين وجود حاجة ملحّة لإجراء عمليّة بحث ميدانيّ عنهما».

«ثمّة شيء بحوزتهما يبحث عنه القاتل، وأتوقّع بصدق...».

قاطعه كارلوس: «لا مجال للتوقّع. لا نعرف ماذا حدث يا جونا. يبدو أنّ شرطة الأمن تفكّر في أنّهما تحت الأرض. ربّما استقلّا القطار إلى أمستردام...».

قاطعه جونا: «كُفّ عن ذلك! لا يمكنك الاعتماد على شرطة الأمن»

«إنّها قضيّتهم».

«لماذا؟ لماذا أصبحت قضيّتهم؟ لأنّ يورن ألمسكوغ كان مشتبهًا به مرّة بسبب المشاركة في أعمال شغب؟ ليس لذلك أيّ معنى».

«لقد تحدّثت إلى فيرنر ساندين، وسارع بالإشارة إلى أنّ پينيلوپي فرنانديز لديها اتّصالات بجماعات الجناح اليساريّ المتطرّف».

قال جونا بعناد: «من المحتمل. ولكنّني مقتنع بأنّ قضيّة القتل تتعلّق بشيء مختلف تمامًا».

صرخ كارلوس: «بالطبع! بالطبع أنت مقتنع!».

«ما زلت لا أعرف ما هذا الشيء حتّى الآن، ولكنّ الشخص الذي واجهته في شقّة پينيلوپي كان قاتلًا محترفًا».

«يبدو أنّ شرطة الأمن تعتقد أنّ پينيلوپي ويورن كانا يخطّطان لهجوم».

سأل جونا بدهشة: «هل يفترضون الآن أنّ پينيلوپي إرهابيّة؟! هل قرأت أيًّا من مقالاتها؟ إنّها داعية سلام، ودائمًا ما تُنبذ...».

قاطعه كارلوس: «أمس، ألقت شرطة الأمن القبض على أحد أفراد 'اللواء' وهو في طريقه إلى شقّتها».

«لا أعرف ما هو هذا 'اللواء' حتّى».

«إحدى منظّمات الجناح اليساريّ المتشدّد... وهي على تواصل مع الحركة المناهضة للفاشيّة، وكذلك الجبهة الثوريّة، ولكنّ كلًّا منهما جماعة مستقلّة بذاتها. ثمّة تقارب فكريّ بينها وبين فصيل الجيش الأحمر، وأفرادها يريدون أن يصبحوا نشطاء مثل الموساد».

«هذا ليس منطقيًّا»، قال جونا.

«أنت لا تريده أن يكون منطقيًّا، وهنا الأمر يختلف. سيُجرى بحث ميدانيّ في الوقت المناسب، وستتحقّق من التيّارات لنعرف كيف انجرف اليخت، حتّى نبدأ في عمليّة السحب، وقد نرسل بعض الغوّاصين».

قال جونا: «حسنًا».

«الآن، نحاول معرفة السبب وراء مقتلهما... أو اختفائهما، والمكان الذي يختبئان فيه».

فتح جونا الباب ليذهب إلى الردهة، ثمّ توقّف والتفت إلى كارلوس

مجدّدًا، وسأله: «ما الذي حدث لرجل 'اللواء' الذي حاول الدخول إلى شقّة پينيلوپي؟».

ردّ كارلوس: «أُطلِق سراحه».

«هل عرفوا ماذا كان يفعل هناك؟».

«كانت مجرّد زيارة».

تنهّد جونا وقال: «زيارة! هذا كلّ ما نجحت شرطة الأمن في معرفته؟».

قال كارلوس بنبرة من القلق المفاجئ في صوته: «ليس عليك التحقيق مع 'اللواء' آمل أن يكون الأمر مفهومًا».

ترك جونا الغرفة، وفور وصوله إلى الردهة سمع كارلوس يصرخ مؤكّدًا أنّه أعطاه أمرًا، وأنه لم يُمنَح الإذن للتدخّل في تحقيق شرطة الأمن. في أثناء سيره، أخرج هاتفه وبحث عن رقم ناثان پولوك واتّصل به. سأله جونا على الفور: «ماذا تعرف عن 'اللواء' أخبرني».

«أمضت شرطة الأمن عدّة سنوات وهي تحاول التسلّل إلى الجماعات اليساريّة المتشدّدة، ورسم خرائط لها في ستوكهولم وغوتنبرغ ومالمو. ولا أعلم ما إذا كان 'اللواء' على وجه الخصوص من المنظّمات الخطرة، لكن يبدو أنّ شرطة الأمن تعتقد بامتلاكها أسلحة ومتفجّرات. كان كثير من أعضائها محتجزين في إصلاحيّات الشباب، ولديهم إدانات سابقة بتهم ارتكاب جرائم عنف».

قال جونا والمصعد ينزل به: «علمت أنّ شرطة الأمن قبضت على أحد أعضاء 'اللواء' خارج شقّة پينيلوپي فرنانديز».

«يُدعى دانيال ماركلوند. إنّه عضو في الدائرة الداخليّة للجماعة».

«ماذا تعرف عنه؟».

«ليس الكثير. لديه عقوبة مع إيقاف التنفيذ بتهمة تخريب المنشآت العامّة، وعمليّات الاقتحام غير القانونيّة».

سأل جونا: «ماذا كان يفعل داخل شقّة پينيلوپي؟».

أجاب پولوك: «لم يكن مسلّحًا. وقد طلب تمثيلًا قانونيًا في بداية التحقيق، ورفض الردّ على أي أسئلة، ثمّ أُفرِج عنه في اليوم نفسه».

«إذن، لم يتوصّلوا إلى أيّ شيء؟».

«لا شيء».

«كيف أصل إليه؟»، سأل جونا.

شرح ناثان: «ليس لديه عنوان. وفقًا لشرطة الأمن، يعيش دانيال في مبنى التنظيم الخاصّ بمنطقة 'سينكنسدام' مع الأعضاء البارزين الآخرين للتنظيم».

28

بينما هو يسير نحو موقف السيّارات أسفل متنزّه «رادوس»، وجد جونا نفسه يفكّر في ديسا، واجتاحه شوق مفاجئ لها. اشتاق للشعور بالهدوء الذي يراوده عندما يسمعها تتحدّث عن اكتشافاتها الأثريّة، والهياكل العظميّة التي ليس لها علاقة بأيّ جرائم، ورفات الناس الذين عاشوا في الماضي السحيق. شعر بضرورة التحدّث مع ديسا. لقد كان مشغولًا للغاية لفترة طويلة. بينما هو يمشي بين السيّارات المصطفّة في الكراج، رصد جونا حركة خلف أحد الأعمدة الخرسانيّة. ثمّة مَن ينتظره بجانب سيّارته «الڤولڤو». رأى شخصًا خلف شاحنة، بينما لا يعلو صوت فوق الصوت المرتفع لوحدات التهوية الكبيرة.

نادى جونا: «كان ذلك سريعًا».

أجاب پولوك: «انتقلتُ بالمركبة الفضائيّة».

توقّف جونا وأغلق عينيه، ثمّ ضغط بإصبعه على صدغه.

سأله پولوك: «ألم بالرأس؟».

«لم أحصل على قسطٍ كافٍ من النوم».

دخلا إلى السيّارة، وبدأ صوت موسيقى التانغو للمؤلّف آستور بيازولا يتصاعد عبر السمّاعات مثل آلتي كمان تدور إحداهما حول الأخرى.

رفع پولوك صوته قليلًا: «حرفيًا، أنت لم تسمع منّي أيًا من هذه المعلومات».

«بالطبع»، قال جونا.

«علمت للتوّ أنّ شرطة الأمن تخطّط لاستخدام محاولة دانيال ماركلوند لدخول شقّة پينيلوپي ذريعة لشنّ غارة على مقرّ الجماعة».

«إذن، عليّ التحدّث معه قبل ذلك».

«من الأفضل أن تسرع».

سأل جونا وهو ينعطف يمينًا إلى شارع «كونغشولم»: «أيّ مقدار من السرعة؟».

«أعتقد أنّهم في طريقهم إلى مقرّهم الآن».

قال جونا: «دلّني على مدخل مقرّ 'اللواء' ثمّ يمكنك العودة إلى مقرّ الشرطة، متظاهرًا بأنّك لا تعرف أيّ شيء عن هذا الأمر».

«ما خطّتك؟».

«خطّة؟!». ضحك پولوك.

شرح جونا: «خطّتي فقط هي معرفة ما كان ينوي دانيال ماركلوند فعله في شقّة پينيلوپي. من المحتمل أن يكون مطّلعًا على ما يجري».

«ولكن...».

«ليست مصادفة أن يحاولوا دخول شقّتها. على الأقلّ، لا يمكنني تصديق أنّها مصادفة. يبدو أنّ شرطة الأمن مقتنعة بأنّ اليساريّ المتطرّف يخطّط لشنّ هجوم ما».

ابتسم پولوك، وقال: «إنّهم دائمًا يفكّرون بهذا الشكل. شغلهم الشاغل أن يفكّروا بهذه الطريقة».

«حسنًا. أحتاج إلى التحدّث مع دانيال ماركلوند قبل أن أترك هذه القضيّة».

«حتّى لو وصلت قبل شرطة الأمن، ليس هناك ما يضمن لك أنّهم سيوافقون على التحدّث إليك».

29

أدرجت سوغا ثلاثين طلقة في المشط، ثمّ أدخلته إلى مسدّسها «غلوك 21» عيار 45.

جلست مع ثلاثة من زملائها داخل حافلة صغيرة. كانوا يرتدون ملابس مدنيّة، ويخطّطون للتوجّه إلى أحد مطاعم الوجبات السريعة خلال ربع ساعة، انتظارًا لوصول فريق القوّات الخاصّة.

في الشهور الأخيرة، رصدت شرطة الأمن تزايدًا في النشاط المتطرّف للجناح اليساريّ في ستوكهولم. ويعتقد أفضل الخبراء الاستراتيجيّين في شرطة الأمن أنّ عدّة جماعات متشدّدة قد تعاونت للتخطيط لعمل تخريبيّ جسيم. وقد ربطوا أيضًا بين قتل ڤيولا فرنانديز ومحاولة تفجير شقّة پينيلوپي فرنانديز وعمليّة الهجوم الوشيك هذه. وفقًا لتقدير هؤلاء الخبراء، قد يكون دانيال ماركلوند، على الأرجح، الشخص نفسه الذي هاجم جونا وزميله.

ابتسم غوران وهو يرتدي السترة الواقية، ثمّ قال: «الآن، سننال من هؤلاء الأوغاد الجبناء».

ضحك آندرز ويستلوند، ولكنّه لم يستطع أن يخفي توتّره. قال: «اللعنة! آمل أن يقاوموا. أحبّ المواجهات الفرديّة، واحدة على الأقلّ».

كانت سوغا تفكّر في عمليّة القبض على ماركلوند خارج شقّة پينيلوپي، وقرار ڤيرنر بإسناد التحقيق إلى غوران. تصرّف بعدوانيّة لإثارة ردّ فعل الموقوف، ما أدّى إلى طلب الأخير تمثيلًا قانونيًّا، كما أنّه رفض الكلام.

فُتح باب الحافلة الصغيرة، وصعد رولاند إريكسون وبيده عبوة من الكولا، وكيس من الحلوى الحامضة، ثمّ جلس.

قال بلهجة عصبيّة: «سأطلق النار بقدر ما أرى من مسدّسات. يسير كلّ شيء بسرعة شديدة. ما عليك سوى إطلاق النار».

قاطعه غوران: «سنتصرّف كما اتّفقنا. ولكن، إذا حدثت معركة بالأسلحة الناريّة، ليس عليك التصويب على أرجلهم».

صرخ رولاند: «على أفواههم مباشرةً!».
فقال غوران: «تريّث الآن!».
قال رولاند: «صار وجه أخي...».
فقاطعه آندرز بقلق: «ما هذا الهراء يا رولاند؟ نحن نعرف القصّة».
تابع رولاند بحدّة: «انفجرت قنبلة ناريّة في وجهه. وبعد إحدى عشرة جراحة، ما زال...».
سأل غوران بصوت صارم: «هل ستكون قادرًا على تمالك نفسك؟».
أجاب رولاند مسرعًا: «أجل».
«فعلًا؟».
أجاب رولاند: «لا مشكلة».
نظر رولاند من النافذة وهو يفتح بإبهامه أنبوبًا من التبغ المخصّص للمضغ.
فتحت سوغا باب الحافلة الصغيرة لتجدّد بعض الهواء بالداخل. كانت تتّفق معهم على أنه الوقت المناسب لشنّ غارة؛ ليس ثمّة سبب للانتظار. ولكن في الوقت نفسه، كانت تريد معرفة علاقة الجماعة ببينيلوبي بشكل أفضل. لم تستطع تصوّر دور بينيلوبي وسط متطرّفي الجناح اليساريّ، أو سبب قتل أختها. ثمّة تفاصيل كثيرة مبهمة. وهي بحاجة إلى استجواب ماركلوند عن ذلك قبل الغارة، وأن تنظر إليه مباشرةً، وتسأله أسئلة مباشرة. وقد حاولت شرح ذلك لمديرها، مشيرةً إلى أنّهم قد لا يتمكّنون من مقابلة أيّ شخص بعد الغارة.
فكّرت سوغا في أنّها ما زالت المسؤولة عن هذا التحقيق، وهي تترك الحافلة الصغيرة، وتقف على الرصيف الملتهب.
كرّر غوران مشيرًا إلى خريطة المبنى: «يدخل فريق القوّات الخاصّة من هنا، وهنا، وهنا، ونحن ننتظر هنا. قد نحتاج إلى الدخول عبر المسرح».
سأل رولاند: «أين ذهبت سوغا باوِر؟».
علّق آندرز مازحًا: «ربّما خافت أو حاضت».

30

ركن جونا وپولوك السيّارة في شارع «هورن» وحدّقا إلى صورة لدانيال ماركلوند. أسرعا السير في الطريق المزدحم متوجّهين نحو باب مسرح «تريبيونال»، حيث مقرّ «اللواء».

نزلا بسرعة على الدرج الواسع المؤدّي إلى الحانة وشبّاك التذاكر. ابتسمت لهما سيّدة ذات شعر أملس أسود اللون، تضع حلقة فضّيّة في أنفها. هزّ كلّ منهما رأسه بشكل ودّيّ، ثمّ مضيا من دون التلفّظ بكلمة واحدة.

عندما بدآ في صعود السلّم المعدنيّ، سألتهما: «هل تبحثان عن أحد؟».

أجاب پولوك بصوت غير مسموع: «أجل».

وصلا إلى غرفة مكتب تعجّ بالفوضى، فيها آلة نسخ، ومكتب، ولوح من الفلّين مغطّى بقصاصات الصحف. ثمّة رجل نحيف، قذر الشعر، وفي فمه سيجارة غير مشتعلة، يجلس أمام كمبيوتر.

قال پولوك: «مرحبًا يا ريتشارد».

ردّ الرجل من دون اهتمام: «من أنتما؟»، ثمّ نظر مجدّدًا إلى شاشة الكمبيوتر.

واصلا سيرهما إلى غرف الملابس، التي تعجّ بالأزياء المرتّبة بعناية وطاولات المكياج والحمّامات. نظر پولوك حوله، وأشار إلى مسار اتّجاههما. أسرعا نحو باب من الفولاذ مكتوب عليه «كهرباء».

قال پولوك: «لا بدّ من أنّه عبر هذا الباب».

«داخل غرفة الكهرباء في المسرح؟».

لم يُجبه پولوك، اكتفى بفتح قفل الباب. وجدا أمامهما مساحة ضيّقة تمتلئ بأسلاك الكهرباء ولوحات صمّامات الكهرباء وكثير من الصناديق. لم تكن إضاءة السقف تعمل، ولكنّ جونا تسلّق أكياسًا من الملابس القديمة متخطّيًا الصناديق، واكتشف مفتاحًا آخر خلف مجموعة من الأسلاك. فتح الباب وأسرع السير عبر ممرّ ضيّق جدرانه الخرسانيّة عارية. تبعه ناثان پولوك. كان الهواء ساكنًا وله رائحة قمامة وتربة عطنة. سمعا

صوت موسيقى بعيدة. على الأرض، ثمّة ملصق لتشي غيفارا يخرج من رأسه فتيل مشتعل.

قال پولوك بهدوء: «تختبئ الجماعة هنا منذ عامين».

«كان عليّ إحضار هديّة ترحيب معي».

«عدني بأنّك ستكون حذرًا».

«كلّ ما أخشاه ألّا يكون ماركلوند هنا».

«سيكون هنا. يبدو أنّه يقضي معظم وقته هنا».

«أشكرك على المساعدة يا ناثان».

قال پولوك: «ربّما من الأفضل أن أرافقك؟ ستكون أمامك دقيقتان حتّى تقتحم شرطة الأمن المكان، ويصير الأمر خطرًا».

ضاقت عينا جونا الرماديّتان، ولكنّ صوته ظلّ هادئًا وهو يقول: «إنّها فقط زيارة اجتماعيّة».

عاد پولوك إلى المسرح، وكان يسعل وهو يُغلق الأبواب خلفه. وقف جونا متجمّدًا بمفرده داخل الردهة للحظة، ثمّ سحب مسدّسه وتأكّد من أنّه ممتلئ، ثم وضعه مكانه في الجراب. كان الباب الفولاذيّ في آخر الردهة مغلقًا، فأضاع بضع ثوانٍ ثمينة في فتحه.

لاحظ أنّ أحدًا ما نقش كلمة «اللواء» بأحرف صغيرة على الطلاء الأزرق للباب.

فتح جونا الباب بحرص، فسمع موسيقى منفّرة، وكأنّها نسخة رقميّة مزيّفة من «ماشين غان» للعازف جيمي هندريكس. كان لآلات الغيتار الصاخبة صوت مثل الحلم، إيقاعه متقلّب يطغى على الأصوات الأخرى من حوله. ركض جونا إلى غرفة مزدحمة، فيها أكوام من الكتب والصحف تصل إلى السقف.

توغّل في الظلام، ثمّ أدرك أنّ هذه الأكوام تشكّل نظامًا من الممرّات داخل الغرفة. إنّها مثل المتاهة، تؤدّي إلى مزيد من الأبواب.

سار بسرعة حتّى وصل إلى مكان أكثر إضاءة، حيث تنقسم المسارات. انعطف يمينًا ثمّ دار سريعًا حول نفسه.

اعتقد جونا أنّه رأى شيئًا. حركة بسرعة البرق.
قد يكون ظلًّا، ولكنّه اختفى من زاوية عينه.
ليس متأكّدًا.

واصل جونا السير. وسط صوت الموسيقى، سمع فجأة صراخًا. ثمّة شخص يصرخ في غرفة أخرى. توقّف وتقصّى خطواته، ثمّ نظر إلى الممرّ، حيث سقطت مجموعة من المجلّات.

بدأ رأسه يؤلمه. انتابته الحاجة إلى تناول بعض الطعام. كان عليه إحضار بعض الطعام معه، حتّى لو بضع قطع من الشوكولاتة الداكنة.

قفز من فوق المجلّات المتراكمة، ووصل إلى سلّم حلزونيّ يؤدّي إلى الطابق السفليّ. كانت رائحة الهواء مثل رائحة الدخان الممزوجة بالحلوى. تمسّك جونا بالدرابزين، وتسلّل بأقصى سرعة. في أسفل السلّم، توقّف أمام ستارة مخمليّة سوداء، ووضع يده على مسدّسه.

صوت الموسيقى ليس مرتفعًا هنا.

تسلّل ضوء أحمر عبر الفجوة بين الستائر، مع تصاعد رائحة ثقيلة للقِنّب الممزوج بالعرق. حاول جونا أن ينظر من خلال هذه الفجوة، ولكنّ مجال رؤيته كان محدودًا. في إحدى الزوايا كان ثمّة مهرّج بلاستيكيّ أنفه أحمر. تردّد جونا لثانيتين، ثمّ تحرّك عبر الستارة المخمليّة السوداء. تسارع نبضه، وازداد ألم رأسه سوءًا، حين حدّق النظر إلى الغرفة من حوله. على أرضيّة الغرفة الخرسانيّة المصقولة، رأى بندقيّة ذات ماسورة مزدوجة، وصندوقًا مفتوحًا من الطلقات. هناك رجل عارٍ يجلس على كرسيّ مكتب يدخّن وعيناه مغمضتان. لاحظ جونا أنّه ليس دانيال ماركلوند. كما رأى امرأة شقراء مستلقية على فراش مقابل الحائط، تضع غطاءً على ردفيها. التقت عيناها بعيني جونا، فأرسلت له قبلة في الهواء، ثمّ تناولت رشفة من عبوة جعة.

سمع صدى صراخ من المدخل الوحيد في المكان.

من دون أن يغضّ بصره عن الاثنين، التقط البندقيّة وصوّبها نحو الأرض، ثمّ وقف عليها كي يتمكّن من ثني أسطوانتها.

وضعت المرأة العبوة على الأرض، وحكّت إبطها شاردة الذهن.

وضع البندقيّة على الأرض، ثمّ تخطّى المرأة على الفراش، متّجهًا إلى ردهة منخفضة السقف. أثقل الدخان الكثيف الهواء. ثمّة ضوء يسطع نحو عينيه، فحاول حجبه بيده. كانت نهاية الردهة مغطّاة بشرائط عريضة من البلاستيك الصناعيّ. زاغ بصره، ولم يعد قادرًا على رؤية ما يحدث. كان بإمكانه فقط تمييز الحركات بشكل مبهم، وسماع صدى صوت يملأه الخوف. أحد ما يصرخ على مقربة منه. كانت الصرخة تأتي من أعماق حلق هذا الشخص، وتتبعها محاولة سريعة لالتقاط الأنفاس. زحف جونا نحو الأمام بسرعة، خلف الأضواء التي كانت تحجب عنه الرؤية، وأصبح فجأة قادرًا على مشاهدة ما يدور في الغرفة خلف البلاستيك السميك.

المكان مغطّى بالدخان.

ثمّة سيّدة قصيرة القامة، ذات عضلات، ترتدي «بالاكلافا»[1] وسروالًا من الجينز الأسود وقميصًا بنّي اللون، تقف أمام رجل يرتدي جوربين وملابس داخليّة. كان حليق الرأس بالكامل، وقد وُشِمت عبارة «القوّة البيضاء» على جبهته، وعضّ لسانه، وأخذت الدماء تجري على ذقنه ورقبته.

همس الرجل وهو يهزّ رأسه: «رجاءً».

نظر جونا إلى السيجارة التي تقلبها السيّدة بين أصابعها. نهضت وذهبت إلى الرجل، وضغطت بالجزء المشتعل من السيجارة على وشم جبهته، ما جعله يصرخ بصوت مرتفع. بلّل نفسه، وظهرت بقعة داكنة على لباسه الداخليّ، ثمّ تدفّق البول على ساقيه العاريتين.

سحب جونا مسدّسه، وتحرّك بالقرب من الفجوة في الستارة البلاستيكيّة السميكة، محاولًا معرفة ما إذا كان ثمّة أشخاص آخرون في الغرفة. لكنّه لم يتمكّن من رؤية أحد آخر، ففتح فمه ليصرخ حين رأى مسدّسه يسقط على الأرض.

---

(1) قناع من الصوف للتخفّي (المترجم).

تدحرج المسدّس إلى الخرسانة العارية، واستقرّ عند الشاشة البلاستيكيّة. نظر جونا باضطراب إلى يده وهو يراها تهتزّ، ثمّ شعر بالألم. تلاشى نظره، وأحسّ بخبط ثقيل داخل جبهته. لم يعد قادرًا على كبح أنينه، وكان عليه أن يصل إلى الجدار ليستند إليه بيد واحدة. شعر بأنّها سكرة الموت، وسمع أصوات الناس على الجانب الآخر من الساتر البلاستيكيّ.

صرخت السيّدة التي تحمل السيجارة: «اللعنة! أخبرني فقط ماذا فعلت!».

أجاب الرجل الذي ينتمي إلى «الحركة النازيّة الجديدة» وهو يرتعد: «لا أتذكّر».

«ماذا فعلت؟».

«تسبّبت في الضيق لأحدهم».

«بالتفصيل!».

«أحرقت عينه».

قالت: «بسيجارة! صبيّ في عمر العاشرة...».

«نعم، ولكن أنا...».

«لماذا؟ ماذا فعل؟».

«كنّا نتبعه من المعبد اليهوديّ، ومنه إلى...».

لم يلاحظ جونا نفسه وهو يسحب مطفأة حريق ثقيلة عن الحائط. فقد أيّ إحساس بالوقت. اختفت الغرفة بأسرها من أمام عينيه، وكان الشيء الوحيد الذي يشعر به هو الألم داخل رأسه، ونغمة رنين عالية في أذنيه.

31

مال جونا إلى الحائط، ثمّ أغمض عينيه كي يستعيد نظره، فاكتشف أنّ أحدهم تبعه وهو يقف أمامه الآن. شعر بيد على ظهره، واستطاع تحديد وجه صاحبها عبر الحجاب المظلم للألم.

سألته سوغا بهدوء: «ماذا حدث؟ هل أصبت؟».

حاول جونا أن يهزّ رأسه، ولكنّ الألم كان شديدًا للغاية، وكأنّ شخصًا يسحب خطّافًا داخل جمجمته.

ركع على ركبتيه.

قالت سوغا: «عليك الخروج من هنا».

شعر بأنّها ترفع وجهه، إلّا أنّه لم يستطع رؤية أيّ شيء. كان جسمه بالكامل ينزّ عرقًا شعر به يجري من إبطيه.

تفقّدت سوغا ملابسه مفترضةً أنّه يعاني من نوبة صرع، محاولة العثور على الدواء في جيوبه. وقد شعر بها وهي تسحب محفظته لتتحقّق ممّا يثبت أنّه مريض صرع.

بعد قليل، خفّت حدّة الألم، ورطّب جونا فمه بلسانه ثمّ نظر إلى أعلى. شعر بأنّ عضلات فكّه مشدودة، وجسمه كلّه يؤلمه من الصداع النصفيّ.

همس: «لا يمكنكم الاقتحام بعد. أنا بحاجة إلى...».

«ماذا حدث؟!».

قال وهو يلتقط مسدّسه عن الأرض: «لا شيء».

ثمّ وقف وسار بأقصى سرعته عبر الشرائط البلاستيكيّة المعلّقة ليدخل إلى الغرفة. إنّها خالية، ولكنّه رأى علامة مخرج للطوارئ مضيئة على الجدار البعيد. تبعته سوغا وهي تنظر إليه في دهشة. فتح جونا مخرج الطوارئ، ورأى مجموعة سلالم مرتفعة تؤدّي إلى باب معدنيّ مقابل للشارع.

همس: «اللعنة!».

قالت سوغا بغضب: «تحدّث إليّ».

دائمًا يحاول جونا الابتعاد عن سبب مرضه. فهو يرفض التفكير فيما حدث منذ عدّة سنوات مضت–السبب الذي يجعل رأسه أحيانًا يرتجف من ألم يكاد يطيح به تمامًا لبضع دقائق. وفقًا لما ذكره طبيبه، يعدّ ما يحدثّ له نوعًا شديدًا من أنواع الصداع النصفيّ الذي ينشأ عن الإفراط في المجهود البدنيّ.

الشيء الوحيد الذي يقلّل من حدّة هذا النوع من الصداع هو دواء

الصرع «توبيراميت». من المفترض أن يتناوله كلّ يوم، لكنّه حين يحتاج إلى التفكير بوضوح، يرفض تناوله لأنّه يُشعره بالتعب، ويجعل أفكاره مشوّشة.

قال جونا: «كانوا يعذّبون رجلًا ينتمي إلى الحركة النازيّة الجديدة، ولكن...».

«يعذّبونه؟».

أجاب جونا معاودًا السير على طول الممرّ: «أجل، بسيجارة».

«وماذا حدث؟».

«لم أستطع...».

قاطعته بهدوء: «اسمع! قد لا يصحّ لك، أقصد... لا ينبغي لك العمل وأنت مريض».

دلّكت وجهها، ثمّ همست: «يا لها من فوضى!».

عاد جونا مجدّدًا إلى الغرفة التي فيها المهرّج البلاستيكيّ، وسمع خطوات سوغا خلفه.

سألته: «ما الذي تفعله هنا على أيّ حال؟ أوشك فريق القوّات الخاصّة على اقتحام المكان. إذا رأوك مسلّحًا، سيصوّبون عليك. أنت تعرف ذلك. سيصبح المكان مظلمًا، وسيكون ثمّة غاز مسيّل للدموع، و...».

قاطعها: «يجب أن أتحدّث مع دانيال ماركلوند».

قالت سوغا وهي تتبعه إلى أعلى الدرج الحلزونيّ: «ليس من المفترض أن تعرف عنه شيئًا. من الذي قال لك؟».

بدأ في السير باتّجاه أحد الممرّات، ولكنّه توقّف عندما رأى سوغا تشير إلى اتّجاه آخر. عندما رآها تجري، سحب مسدّسه. ثمّ سمعها تصرخ.

وقفت عند مدخل غرفة تحتوي على خمسة أجهزة كمبيوتر. في إحدى الزوايا، وقف شاب ملتحٍ وقذر الشعر. إنّه دانيال ماركلوند، وهو يحمل في يده حربة بندقيّة.

قالت بهدوء وهي تُبرز بطاقة هويّتها: «نحن ضابطا شرطة، ونطلب منك أن تضع السلاح».

هزّ الشابّ رأسه محرّكًا شفرة السلاح في الهواء أمامه، مغيّرًا زاويتها بسرعة.

قال جونا وهو يعيد مسدّسه إلى جرابه: «نودّ فقط التحدّث معك».

«تحدّث إذن»، قال ماركلوند بنبرة متوتّرة.

سار جونا نحوه متجاهلًا السكّين. ثمّ قال وهو يبتسم: «لستَ ماهرًا في هذا الأمر يا دانيال».

شمّ جونا رائحة شحم البندقية على الشفرة اللامعة. حرّك دانيال السكّين بشكل أسرع، وبدت نظرة تركيز في عينيه وهو يقول: «ليس الفنلنديّون وحدهم القادرين على...».

اندفع جونا إلى الأمام، وأمسك بيد الشابّ مُخرِجًا السكّين منها بحركة سلسة. وضعها على الطاولة.

خيّم الهدوء على الغرفة. تبادل الثلاثة النظرات، ثمّ هزّ دانيال كتفيه.

قال: «أصيب الهدف معظم الوقت».

قال جونا: «سيُقاطَع حديثنا عاجلًا. فقط قل لي ماذا كنت تفعل في شقّة بينيلوبي فرنانديز».

«كنت أزورها».

قال جونا بقسوة: «انتبه يا دانيال! واقعة السكّين هذه تكفل لك عقوبة السجن، ولكن لديّ أشياء أخرى أهمّ من القبض عليك، لذا أعطيك فرصة لأوفّر بعض الوقت».

سألت سوغا بسرعة: «هل تنتمي بينيلوبي إليكم؟».

ردّ دانيال مبتسمًا: «بينيلوبي فرنانديز؟ دعينا نقول إنّها لا تحبّ طرقنا».

سأل جونا: «ما خطبكم معها إذن؟».

وسألت سوغا: «ماذا تقصد بأنّها لا تحبّ طرقكم؟ هل ثمّة نوع من الصراع على السلطة؟».

سأل دانيال وهو يبتسم ابتسامة زائفة: «ألا تعرف شرطة الأمن أيّ شيء؟ تعدّ پينيلوپي فرنانديز داعية سلام على أكمل وجه، وديمقراطية ملتزمة. لذا، فنحن لا نروق لها... ولكنّها تروق لنا».

جلس على كرسيّ أمام جهازين من أجهزة الكمبيوتر.

«تروق لكم؟».

«نحن نحترمها»، قال.

سألت سوغا: «لماذا؟».

«ليس لديكِ فكرة عن كمّ الناس الذين يكرهونها... أقصد ابحثي على 'غوغل' عن اسمها- النتائج قاسية جدًّا- والآن، يبدو أنّ أحدًا ما تخطّى حدوده».

«تخطّى حدوده؟».

نظر دانيال إليهما بتمعّن سائلًا: «لا بدّ من أنّكما تعرفان باختفائها، صحيح؟».

أجابت سوغا: «أجل».

«حسنًا! هذا جيّد، ولكنّني- لسبب ما- لا أعتقد أنّ الشرطة ستبذل مجهودًا أكبر للعثور عليها. لذا، ذهبت إلى شقّتها. أردت التحقّق من جهاز الكمبيوتر الخاصّ بها لأعرف من كان وراء اختفائها. أقصد أنّ 'حركة المقاومة السويديّة' أرسلت رسالة غير رسميّة لأعضائها في إبريل الماضي، تحثّهم على اختطاف 'الكلبة الشيوعيّة پينيلوپي فرنانديز' واستعبادها جنسيًّا لصالح المنظّمة. ولكن، تحقّقا من هذا».

كتب دانيال شيئًا على أحد أجهزة الكمبيوتر، ثمّ أدار الشاشة نحو جونا.

«يتّصل هذا الموقع بجماعة 'الأخويّة الآريّة' مباشرة»، قال.

تفقّد جونا غرفة الدردشة عبر الإنترنت، وكانت مليئة بالتهديدات المبتذلة المخيفة بشأن الآريين، وكيف سيقتلون پينيلوپي.

قال: «ولكن ليس لهذه الجماعات علاقة باختفاء پينيلوپي».

سأل دانيال بحماسة: «ليس لها علاقة؟ من كان إذن؟ رابطة الشمال؟ هيّا! لم يفت الأوان بعد!».

«ماذا تقصد بأنّه لم يفت الأوان بعد؟»، سأل جونا.

«نجحتُ في اعتراض رسالة على البريد الصوتيّ لوالدتها. أقصد أنّ الأمر عاجل للغاية، ولكن لم يفت الأوان، فأردت التحقّق من جهاز الكمبيوتر الخاصّ بها».

«نجحت في اعتراض رسالة؟».

أجاب الشابّ وهو يحكّ شعره المتطاير بعصبيّة: «حاولَتْ الاتّصال بوالدتها صباح أمس».

«بينيلوبي؟».

«أجل».

سألت سوغا بتعجّل: «ماذا قالت؟».

أجاب باقتضاب: «ثمّة من يطاردها».

سأل جونا: «ماذا قالت حرفيًّا؟».

حدّق دانيال إلى سوغا باوِر، ثمّ سألها: «كم تبقّى لنا من الوقت قبل اقتحام باقي أفراد الشرطة المبنى؟».

نظرت سوغا إلى ساعتها، ثمّ أجابت: «من ثلاث إلى أربع دقائق».

«إذن، لديكما الوقت للاستماع إلى هذا».

كتب بضعة أوامر سريعة على الكمبيوتر الآخر، ثمّ شغّل الملفّ الصوتيّ. صدر صوت خشخشة في السمّاعات، ثمّ نقرة ببداية رسالة الترحيب الخاصّة بالبريد الصوتيّ لكلوديا فرنانديز، فثلاث صفّارات قصيرة، يتبعها كثير من الهسهسة والطقطقة. ثمّة صوت خافت خلف هذه الخشخشة. إنّه صوت امرأة، ولكنّ كلماتها ليست واضحة. بعد بضع ثوانٍ فقط، تمكّنا من سماع صوت رجل يقول «تبحثين عن وظيفة؟!»، ثمّ نقرة.

همس دانيال: «آسف. أحتاج إلى تشغيلها من خلال بعض المرشحات».

قالت سوغا بتذمّر: «الساعة تدقّ».

نقر دانيال على الكمبيوتر، وعدّل التطبيقات ثمّ شغّل التسجيل مجدّدًا: «هذا هو البريد الصوتيّ لكلوديا. لا يمكنني الردّ الآن، ولكن إذا تركت رسالتك، سأعاود التواصل معك في أقرب وقت».

كان صوت صفّارات التنبيه الثلاث مختلفًا هذه المرّة، والطقطقة أشبه بالرنين المعدنيّ اللطيف.

فجأة، سمعوا صوت پينيلوپي فرنانديز بوضوح: «أمّي، أحتاج إلى مساعدة. أنا مُطاردة من قِبل...».

وسُمِعت بصوت رجل جملة: «لِمَ لا تبحثين عن وظيفة؟!». ثمّ انقطع الخطّ.

32

نظرت سوغا إلى ساعتها، وقالت إنّ عليها وجونا مغادرة المكان. همس دانيال ماركلوند مازحًا عن البقاء لتخطّي الحواجز، ولكن كانت في عينيه نظرة خوف.

قالت سوغا بسرعة: «سنضرب بيد من حديد. ضع السكّين، ولا تقاوم، واستسلم على الفور، ولا تتحرّك حركات سريعة»، ثمّ غادرت مع جونا المكتب الصغير.

ظلّ دانيال جالسًا في مكانه يراقبهما وهما يغادران، ثمّ التقط الحربة ورماها نحو سلّة القمامة.

غادرا متاهة مبنى الجماعة، ثمّ خرجا إلى شارع «هورن»، حيث عادت سوغا إلى مجموعة من ضبّاط الشرطة في الزيّ المدنيّ.

بعد دقيقتين، اندفع خمسة عشر ضابطًا مدجّجين بالسلاح بكامل معدّاتهم خارج أربع شاحنات سوداء. اقتحم فريق القوّات الخاصّة البوّابات الأربع، وانتشر الغاز المسيّل للدموع في الغرف. عُثر على خمسة شباب، بينهم دانيال ماركلوند، جالسين على الأرض وأياديهم فوق رؤوسهم. سُحبوا إلى الشارع وهم يسعلون، وأذرعهم مثبّتة خلف ظهورهم بالأربطة.

تدلّ الأسلحة التي تحفّظت عليها شرطة الأمن على المستوى الضعيف من التسليح لدى «اللواء»، وهي عبارة عن: مسدّس جيش قديم من نوع «كولت»، وبندقيّة، وبندقيّة أخرى ثُنيت أسطوانتها، وصندوق من الطلقات، وأربع سكاكين، ونجمتي قذف.

***

في أثناء قيادته على امتداد شارع «سودير مالارستراند»، أخرج جونا هاتفه، واتّصل بـكارلوس.

قال كارلوس: «لعلّك تستمتع بوقتك في أكاديميّة الشرطة يا جونا».

«لست هناك».

«أعلم ذلك، لأنّ...».

قاطعه جونا: «ما زالت پينيلوپي فرنانديز على قيد الحياة. ثمّة مَن يطاردها، وهي تحاول أن تنجو بحياتها».

«من قال ذلك؟».

«لقد تركت رسالة على البريد الصوتيّ لوالدتها».

خيّم الهدوء على المكالمة، ثمّ أخذ كارلوس نفسًا عميقًا.

قال: «حسنًا، ما زالت على قيد الحياة. ما الذي نعرفه غير ذلك؟ إنّها على قيد الحياة، ولكن...».

«نعرف أنّها على قيد الحياة منذ ثلاثين ساعة، عندما اتّصلت بوالدتها، وثمّة مَن يطاردها».

«مَن؟».

«لم يكن لديها الوقت لتقول، لكن... إذا كان الرجل نفسه الذي واجهتُه، فليس لدينا وقت لإضاعته».

«هل تعتقد أنّنا نتعامل مع محترف؟».

«أنا متأكّد من أنّ الشخص الذي هاجمني أنا وإريكسون قاتل محترف، ’غرُب‘ كما يُقال في صربيا».

«ماذا؟».

«أي خطير. إنّهم مجرمون يتقاضون أجرًا كبيرًا، ويعملون بمفردهم، ولكنّهم ينجزون ما يتقاضون عليه أجرًا».

«يبدو هذا مستبعدًا تمامًا».

«أنا محقّ»، قال جونا بإصرار.

قال كارلوس: «دائمًا تقول ذلك، ولكن إذا كنّا نتعامل مع قاتل محترف لما بقيت بينيلوبي على قيد الحياة طويلًا. لقد مضى يومان تقريبًا».

«إذا كانت على قيد الحياة، فهذا يعني أنّ للمجرم أولويّات أخرى».

«هل ما زلت تعتقد أنّه يبحث عن شيء ما؟».

«أجل».

«ما هذا الشيء؟».

«لست متأكّدًا، ولكن أعتقد أنّها صورة».

«لماذا تعتقد ذلك؟».

«إنّه أفضل افتراض توصّلت إليه حتّى الآن».

«هل تعتقد أنّ القاتل كان يبحث عن الصورة التي أخذها يورن بالفعل؟».

«أرجّح أنّه بدأ بتفتيش شقّة يورن، وعندما لم يتمكّن من العثور عليها، غمر المكان بالبنزين، وشغّل مكواة جارته. وقد تلقّت إدارة المطافئ اتّصالًا في تمام الحادية عشرة وخمس دقائق بأنّ الطابق بأكمله اشتعل تمامًا قبل السيطرة على الحريق».

«وفي المساء نفسه، قتل ڤيولا».

«لعلّه افترض أنّ يورن أخذ الصورة معه على متن اليخت. ومن ثمّ، ذهب إلى هناك، وأغرق ڤيولا، وفتّش اليخت، وكان يخطّط لإغراقه، ولكنّ شيئًا ما دفعه إلى تغيير رأيه، وعودته إلى ستوكهولم، حيث بدأ يفتّش شقّة بينيلوبي».

«ولكنّك لا تعتقد أنّه عثر على الصورة؟»، سأل كارلوس.

«قد تكون مع يورن، أو لعلّه أخفاها عند صديق أو داخل خزانة. قد تكون في أيّ مكان».

صمت الاثنان. ثمّ سمع جونا كارلوس يتنفّس بعمق.

قال بتمعّن: «ولكن إذا عثرنا أوّلًا على هذه الصورة، قد ينتهي الأمر برمّته».

«أجل»، ردّ جونا.

«أقصد... إذا رأينا الصورة، إذا رأتها الشرطة، لن تصبح سرًّا بعد ذلك، لذا، بالكاد يستحقّ الأمر القتل من أجله».

«أتمنّى أن يكون الأمر بهذه البساطة».

«جونا. أنا لن... لن أستطيع إبعاد بيتر عن التحقيق، ولكن من المفترض...».

قاطعه جونا: «أن أذهب إلى أكاديميّة الشرطة، وألقي بعض المحاضرات».

ضحك كارلوس قائلًا: «هذا كل ما أحتاج إلى معرفته».

في طريق العودة إلى «كونغسهولمين»، استمع جونا إلى بريده الصوتيّ الذي كان يحتوي على رسائل من إريكسون. في الرسالة الأولى، أفاد بأنّه يستطيع العمل بشكل مثاليّ من المستشفى. وبعد ثلاثين دقيقة، طلب إدراجه في فريق العمل. وبعد سبع وعشرين دقيقة، كان يصرخ بأنّ عدم وجود أيّ شيء يفعله سيدفعه إلى الجنون. اتّصل جونا به، فأجاب بصوت مرهق: «كواك، كواك».

«هل تأخّرتُ كثيرًا؟ هل أصبتَ بالجنون بالفعل؟».

أصيب إريكسون بالفواق ردًّا على جونا.

قال جونا: «لا أعرف كم يمكنك أن تستوعب. لكنّ الأمور تزداد إلحاحًا. تركت بينيلوبي فرنانديز صباح أمس رسالة صوتيّة لوالدتها».

كرّر إريكسون الذي انتبه فجأة: «أمس؟».
«قالت إنّها مُطارَدة».
«هل أنت في طريقك إلى هنا؟».
سمع جونا إريكسون يلتقط أنفاسه بصعوبة وهو يشرح له أنّ پينيلوپي ويورن لم يمضيا ليلة الخميس معًا. في الصباح التالي أقلّت سيّارة أجرة پينيلوپي في السادسة وأربعين دقيقة، وتوجّهت إلى استوديو التلفزيون لحضور مناظرة. بعد دقيقة أو ما شابه ذلك من مغادرة سيّارة الأجرة لشارع «سانت بول»، وصل يورن إلى الشقّة. أخبر جونا إريكسون عن بصمة اليد المطبوعة على الباب، والشريط، والزاوية الممزّقة. وواصل حديثه مؤكّدًا أنّه مقتنع بانتظار يورن خارج المبنى لتغادر پينيلوپي، حتّى يتمكّن من الحصول على الصورة بسرعة من دون علمها.
«وأعتقد أنّ الشخص الذي هاجمنا مجرم محترف كان يبحث عن الصورة عندما فاجأناه»، قال جونا.
«ربّما»، همس إريكسون.
«أراد أن يغادر الشقّة، ووضع ذلك كأولويّة على قتلنا».
ردّ إريكسون: «وإن لم يفعل ذلك، لأصبحنا في عداد الموتى».
ظهرت خشخشة في الخطّ، ثمّ طلب إريكسون من أحد ما أن يتركه بمفرده. سمع جونا صوت امرأة تكرّر أنّه موعد العلاج الطبيعيّ.
تابع جونا: «نعرف أنّ المجرم لم يجد الصورة، لأنّه لو وجدها في القارب لما ذهب إلى شقّة پينيلوپي للبحث عنها».
«كما لم تكن في شقّة پينيلوپي لأنّ يورن أخذها من هناك بالفعل».
«أعتقد أنّ محاولة إضرام النار في الشقّة تدلّ على أنّ المجرم لا يهتمّ بالاحتفاظ بالصورة، إنّما يريد فقط إتلافها».
سأل إريكسون: «إذن، لماذا كانت الصورة ملصقة على باب غرفة المعيشة في شقّة پينيلوپي إذا كانت بهذه الأهمّيّة؟».

أجاب جونا: «يمكنني تخمين عدّة أسباب. الأكثر احتمالًا فيها أنّ يورن وبينيلوبي التقطا صورة تثبت شيئًا ما وهما لا يدركان دلالته».

«قد تكون هذه هي المشكلة».

«بالنسبة لهما، لا سبب لإخفاء الصورة، ومن المؤكّد أنّها لا تستحقّ أن يُقتَل أيّ شخص من أجلها».

«ولكنّ يورن غيّر رأيه».

«ربّما اكتشف شيئًا، أو أدرك خطورتها، لذلك أخذها. ثمّة كثير من الأمور التي لا نعرفها، والطريقة الوحيدة التي سنحصل من خلالها على إجابات ستكون من خلال عمل الشرطة السليم النزيه».

علّق إريكسون وهو يصيح تقريبًا: «بالضبط!».

«هل يمكنك رصد المكالمات الهاتفيّة كافّة على مدار الأسبوع الماضي، وكذلك الرسائل النصّيّة، وسحوبات البنوك، وغيرها؟ الإيصالات، وتذاكر الحافلات، والمقابلات، والعمل...».

«بالطبع، يمكنني ذلك».

«في الحقيقة، انسَ ما طلبته».

«ماذا تقصد؟».

قال جونا مبتسمًا: «العلاج الطبيعيّ الخاصّ بك. لديك موعد مع طبيب العلاج الطبيعيّ».

قال إريكسون وهو يكبح غضبه: «مضحك للغاية. طبيب العلاج الطبيعيّ؟ أيّ نوع من العمل هذا؟».

ردّ جونا مازحًا: «ولكنّك تحتاج إلى راحة. ثمّة خبراء طبّ شرعيّ آخرون».

«يقودني الاستلقاء هنا من دون فعل أيّ شيء إلى الجنون».

«لم تحصل سوى على إجازة ستّ ساعات».

قال إريكسون وهو يئنّ: «أنا أتسلّق الجدران هنا».

33

قاد جونا سيّارته شرقًا باتجاه «غوستافسباري». فكّر في الاتّصال بـديسا، لكنّه اتّصل بـآنيا عوض ذلك.

«أحتاج إلى عنوان كلوديا فرنانديز».

أجابت بسرعة: «إنّه 'رقم 5 شارع ماريّا' ليس بعيدًا عن مصنع البورسلين القديم».

«شكرًا»، ردّ جونا.

لم تغلق آنيا الخط، بل قالت وكأنّها تغنّي: «أنا منتظرة».

«ماذا تنتظرين؟».

«قولك إنّنا سنذهب إلى 'توركو' وإنّك استأجرت كوخًا صغيرًا فيه حمّام بخار على الحطب».

أجابها ببطء: «يبدو جميلًا».

كان الطقس مزيجًا مميّزًا لصيفٍ رماديّ ضبابيّ رطب. ركن جونا سيّارته خارج منزل كلوديا، وخرج منها شامًّا الرائحة المُرّة لشجيرات البقس والعلّيق. تجمّد تمامًا للحظة، وقد باغتته ذكرى ما. تلاشى الوجه الذي راوده تدريجيًّا وهو يدقّ جرس الباب. لاحظ اسم فرنانديز الذي كُتِب على لافتة بخطّ طفوليّ، وكأنّه بوضوح عمل من الأعمال الخشبيّة التي نُفِّذت خلال حصّة النجارة في المدرسة.

بعد قليل، سمع صوت خطوات بطيئة.

فتحت كلوديا الباب بملامح قلقة على وجهها.

حين رأت جونا، تراجعت إلى الخلف، وأسقطت معطفًا على الأرض.

همست: «لا، ليس بينيلوبي...».

قال بسرعة: «ليس ثمّة مكروه يا كلوديا».

سقطت كلوديا على الأرض، والتقطت أنفاسها مثل الفريسة الخائفة.

سألت بصوت خائف: «ماذا حدث؟».

«لا نعرف الكثير، ولكنّ بينيلوبي حاولت الاتّصال بك صباح أمس».

«إنّها على قيد الحياة»، قالت كلوديا.
«أجل»، ردّ جونا.
همست: «يا إلهي! أشكرك يا ربّي، أشكرك».
«حصلنا على رسالتها من بريدك الصوتيّ».
قالت كلوديا وهي تنهض عن الأرض: «من بريدي... لا».
شرح جونا: «كان ثمّة كثير من التداخلات التي تطلّبت وسيلة خاصّة للاستماع إلى صوتها».
«الرسالة الوحيدة... كانت من رجل يطلب منّي الحصول على وظيفة».
«هذا صحيح. تحدّثت پينيلوپي قبل ذلك، ولكنّ صوتها منخفض جدًّا».
«ماذا قالت؟».
«قالت إنّها تحتاج إلى مساعدة. ستنظّم الشرطة البحريّة بحثًا ميدانيًّا».
«ماذا عن تتبّع الهاتف؟ بالتأكيد...».
قاطعها جونا بهدوء: «كلوديا، أحتاج إلى طرح بعض الأسئلة عليك».
«ما نوع هذه الأسئلة؟».
«هل بإمكاننا الجلوس؟».
توجهت إلى المطبخ: «جونا لينا! هل يمكنني أن أسألك شيئًا؟».
«يمكنك أن تسألي، ولكن قد لا أملك إجابة».
بيد مرتعشة أخرجت كلوديا فنجانَين. جلست مقابل جونا ونظرت إليه مباشرةً. سألته: «لديك أسرة، أليس كذلك؟».
عمّ الهدوء التامّ المطبخ الأصفر اللون.
بعد قليل سأل جونا: «هل تتذكّرين آخر مرّة زرتِ فيها شقّة پينيلوپي؟».
«كان ذلك الأسبوع الماضي، يوم الثلاثاء. ساعدتني في إصلاح سروال ڤيولا».
هزّ رأسه، ورأى فمها يرتجف وهي تكبت تنهّداتها.
قال وهو يميل نحوها: «أريدك أن تفكّري بعناية يا كلوديا الآن. هل رأيتِ صورة ملصقة على باب غرفة المعيشة؟».

«أجل».
سأل جونا محاولًا الحفاظ على صوته هادئًا: «ماذا كان فيها؟».
«لا أعرف. لم أنظر إليها».
«لكنّك تتذكّرين أنكِ رأيتِ صورة هناك. أنت متأكّدة من ذلك؟».
«أجل»، هزّت كلوديا رأسها.
«هل كان هناك أيّ أشخاص في الصورة؟».
«لا أعرف. افترضت أنّها صورة تخصّ عملها».
«هل التُقِطت في الداخل أم الخارج؟».
«ليس لديّ فكرة».
«حاولي أن تتصوّريها في عقلك».
أغلقت كلوديا عينيها، ثمّ هزّت رأسها وقالت: «لا أقدر».
«حاولي. الأمر مهمّ».
نظرت كلوديا إلى أسفل وفكّرت، ثمّ هزّت رأسها مجدّدًا، وقالت: «كلّ ما أتذكّره أنّني فكّرت أنّه من الغريب لصق صورة على الباب، وأنّ شكلها ليس جيّدًا».
«ما الذي جعلك تفكّرين في أنّها تخصّ عملها؟».
«لا أعرف»، ردّت بهمس.
اعتذر لها عندما رنّ هاتفه داخل سترته. رأى رقم كارلوس، فردّ: «نعم؟».
«تحدثّت مع لانس من الشرطة البحريّة في 'دالارو' للتوّ، وقال إنّهم سيجرون عمليّة بحث ميدانيّ غدًا، سيشارك فيها نحو ثلاثمائة فرد من أفراد الشرطة، ونحو خمسين قاربًا».
قال جونا وهو ينظر إلى كلوديا وهي تتوجّه إلى مدخل البيت: «حسنًا».
« اتّصلت بـإريكسون لأطمئنّ عليه».
قال جونا بنبرة حيادية في صوته: «يبدو أنّه يتعافى».

«جونا، لا أريد معرفة ما تفعله. لكنّ إريكسون حذّرني من أنّ عليّ الاعتراف بأنّك كنت على حقّ».

بعد إنهاء المكالمة، ذهب جونا إلى مدخل البيت، ورأى كلوديا وقد ارتدت سترة، وانتعلت جزمة.

قالت: «سمعت ما قاله على الهاتف، وبإمكاني مساعدتكم في البحث. يمكنني البحث طوال الليل».

وفتحت الباب.

قال جونا: «كلوديا! عليكِ أن تتركي الشرطة تقوم بعملها».

«ابنتي اتّصلت بي، وطلبت المساعدة».

«أعرف أنّ الانتظار أمر فظيع...».

«أرجوك، ألا يمكنني الحضور معك؟ لن أعترض طريقك. يمكنني إعداد الطعام، والردّ على الهاتف، كي لا تشغل بالك بهذه الأمور».

«أليس لديكِ من يمكنه البقاء هنا معك؟ قريب أو صديق أو...».

قاطعته: «لا أريد أيّ أحد هنا. أريد فقط بينيلوبي».

34

وضع إريكسون في حضنه مجلّدًا وظرفًا كبيرًا أُرسِلا بالبريد إلى غرفته في المستشفى. حمل مروحة صغيرة أمام وجهه، بينما جونا يدفعه في ممرّ المستشفى على كرسيّ متحرّك.

قُوِّم وتر كاحل إريكسون، وبدلًا من استخدام الجبس ثُبِّتت قدمه على نوع خاصّ من الأحذية يحافظ على أصابع قدمه متّجهة إلى أسفل. راح يهمس قائلًا إنّه سيحتاج إلى حذاء باليه للقدم الأخرى، إذا أرادوا رؤيته وهو يرقص «بحيرة البجع».

قال إريكسون: «صباح يوم ذهابهما بالمركب، اشترى يورن ظرفًا وطابعي بريد من 'المحطّة المركزيّة' إذ كان ثمّة إيصال في محفظته التي تركها على متن القارب، وقد طلبتُ من شركة الأمن أن ترسل لي عبر

البريد الإلكترونيّ لقطات من كاميرات المراقبة. لا شكّ في أنّها صورة مثلما خمّنتَ».

سأل جونا: «إذن، أرسل الصورة إلى أحد ما؟».

«من المستحيل معرفة ما كتبه على الظرف».

«ربّما أرسلها إلى نفسه».

«لكنّ شقّته احترقتبالكامل».

«اتّصل بمكتب البريد، وتحقّق منه».

عندما وصلا إلى المصعد، بدأ إريكسون يحرّك ذراعيه بطريقة غريبة وكأنّه يعوم. نظر جونا إليه بهدوء من دون أن يسأله ماذا يفعل.

«قالت ياسمين إنّ هذه الحركات مفيدة لي»، شرح إريكسون.

«ياسمين؟».

قال إريكسون مع ابتسامة خجولة: «ياسمين مختصّة العلاج الطبيعيّ. حجمها قليل للغاية، ولكنّها صارمة، تكرّر لي 'اصمت! اجلس مستقيمًا! توقّف عن الأنين!' حتّى إنّها تدعوني 'شحم الخنزير'. هل تعلم كم يستغرق وقت تدرّبهم؟».

خرجا من المصعد، ودخلا إلى كنيسة صغيرة مزيّنة بصليب خشبيّ بسيط معلّق على حامل، ومذبح صغير. عُلّق على الحائط بساط متعدّد الألوان لرسم السيّد المسيح.

خرج جونا إلى الرواق، وفتح خزانة، وأخذ حاملًا مع لوح ورقيّ كبير، وبعض الأقلام الخاصّة باللوح. عندما عاد إلى الكنيسة الصغيرة، رأى إريكسون يسحب البساط بهدوء، ويلفّ به الصليب، ثمّ يضعهما على أحد الجوانب.

قال جونا: «ما نعرفه أنّه بالنسبة لأحد الأشخاص، هذه الصورة تستحقّ قتل الناس من أجلها».

«أجل، ولكن لماذا؟».

علّق إريكسون نسخة مطبوعة من كشف الحساب البنكيّ ليورن على

الجدار، ثمّ قائمة المكالمات، ونسخًا من تذاكر الحافلات ومترو الأنفاق وإيصالات محفظتي يورن وپينيلوپي، ونسخًا من رسائل بريدَيْهما الصوتيّ.

قال جونا وهو يضع جدولًا زمنيًا على اللوح الورقيّ: «لا بدّ من أنّ الصورة تكشف شيئًا أراد أحد الأشخاص الاحتفاظ به سرًّا. لا بدّ من أنّها تكشف معلومات مهمّة، أو ربّما بعض المواد الصناعيّة السرّيّة».

«ربّما»، قال إريكسون.

«دعنا نصل إلى هذه الصورة، حتّى نضع نهاية لهذه القضيّة».

ثمّ أحضر أحد الأقلام، وكتب التالي:

الساعة 6,40: غادرت پينيلوپي شقّتها، واستقلّت سيّارة أجرة.

الساعة 6,45: وصل يورن إلى شقّة پينيلوپي.

الساعة 6,48: غادر يورن شقّتها، ومعه الصورة.

الساعة 7,07: أرسل يورن الصورة بالبريد من المحطّة المركزيّة.

نظر إريكسون إلى الأوقات وهو يزيل غلاف إحدى قطع الشوكولاتة.

قال مشيرًا إلى قائمة المكالمات: «غادرت پينيلوپي فرنانديز الاستوديو بعد العاشرة، واتّصلت بيورن بعد خمس دقائق. خُتِمت تذكرة الحافلة التي أقلّتها في العاشرة والنصف. تلقّت مكالمة من أختها ڤيولا في العاشرة وخمس وأربعين دقيقة. ربّما كانت پينيلوپي بحلول هذا الوقت في المرسى مع يورن».

«ماذا كان يورن يفعل إذن؟».

قال إريكسون مسرورًا وهو يمسح أصابعه بمنديل أبيض: «هذا ما سنكتشفه».

ثمّ ذهب إلى الجدار، وأشار إلى إحدى تذاكر مترو الأنفاق قائلًا: «غادر يورن شقّة پينيلوپي ومعه الصورة، ثمّ توجّه مباشرةً إلى مترو الأنفاق. وفي السابعة وسبع دقائق، اشترى ظرفًا وطابعي بريد من المحطّة المركزيّة».

«وأرسل الظرف بالبريد»، قال جونا.

تنحنح إريكسون، ثمّ تابع: «النقطة التالية المحدّدة هي إجراء معاملة

على بطاقته البنكيّة بمبلغ عشرين كرونا في مقهى 'دريم بو' للإنترنت في شارع 'ڤاتو'، في السابعة والنصف وخمس دقائق».

قال جونا وهو يضيف الوقت إلى الجدول الزمنيّ: «السابعة والخمس وثلاثين دقيقة».

«ذكّرني أين يقع شارع 'ڤاتو' رجاء».

أجاب جونا: «إنّه صغير جدًّا. في عمق منطقة 'كلارا' القديمة».

أومأ إريكسون برأسه، ثمّ تابع: «أعتقد أنّ يورن أخذ القطار إلى 'فريدم بلازا' قبل انتهاء صلاحيّة الختم الذي على تذكرته، لأنّ لدينا بعد ذلك مكالمة أجريت من الخطّ الأرضيّ في شقّته لوالده، ولكنّ والده لم يردّ».

«علينا التحدّث مع والده»، قال جونا.

«ننتقل إلى ختم آخر على تذكرة الحافلة في التاسعة. يبدو أنّه لحق بالحافلة رقم 4 من 'فريدم بلازا' متوجّهًا إلى شارع 'هوغاليد'، ثمّ سار إلى مكان المركب».

أضاف جونا كلّ شيء إلى الجدول الزمنيّ، ثمّ نظر إلى خريطة تحرّك پينيلوپي ويورن في صباح ذلك اليوم، وقال: «كان يورن على عجلة للحصول على الصورة، ولكنّه لم يرغب في رؤية پينيلوپي ذاك الصباح، فانتظر حتّى غادرت في سيّارة الأجرة، ثمّ أسرع وانتزع الصورة عن الباب، وغادر الشقّة، ثمّ ذهب إلى المحطّة المركزيّة».

قال أريكسون: «أودّ رؤية لقطات كاميرات المراقبة الأمنيّة». وتابع بعد لحظات: «ثمّ ذهب يورن إلى مقهى إنترنت قريب، حيث أمضى نحو نصف ساعة هناك، ثمّ...».

«هنا مربط الفرس!»، قاطعه جونا متّجهًا إلى الباب.

«ماذا؟».

«لدى پينيلوپي ويورن شبكة اتّصال منزليّ سريع بالإنترنت».

«ما سبب استخدام مقهى الإنترنت إذن؟»، سأل إريكسون.

«سأتوجّه إلى هناك»، قال جونا تاركًا الغرفة.

35

ركن جونا سيّارته في شارع «ڤاتو»، وخرج منها مسرعًا إلى بوّابة معدنيّة ليس عليها اسم، ثمّ سار في طريق أسمنتيّ مائل.

كان الهدوء يخيّم على أرجاء مقهى «دريم بو» للإنترنت. الأرض مُنظَّفة حديثًا، وتنبعث في المكان رائحة الليمون. صُفّت الكراسي البلاستيكيّة اللامعة عند طاولات الكمبيوتر الصغيرة، ولا توجد حركة في المكان سوى الومضات البطيئة لصور تتحرك على شاشات الكومبيترات المتوقفة.

هناك رجل بدين ذو لحية سوداء مشذّبة يميل نحو منضدة طويلة، ويحتسي القهوة من كوب عليه جملة: «لينارت قلب الأسد». سرواله الجينز فضفاض، وإحدى فردتي حذائه غير مربوطة.

قال جونا قبل أن يصل إلى المنضدة: «أحتاج إلى كمبيوتر».

ردّ الرجل مازحًا وهو يشير إلى كلّ المكاتب الشاغرة: «اذهب إلى آخر الصفّ».

قال جونا وعيناه تلمعان: «أريد جهازًا معيّنًا استخدمه أحد أصدقائي يوم الجمعة الماضي. أودّ الاطّلاع على الجهاز نفسه».

«لا أعرف إن كان بإمكاني السماح...».

«الأمر مهمّ».

قال الرجل وقد احمرّت وجنتاه: «سأتحقّق من قائمة يوم الجمعة. ما اسمه؟».

«يورن ألمسكوغ».

«كمبيوتر رقم 5 عند الزاوية. أحتاج فقط إلى التحقّق من بطاقة هويّتك».

أعطى جونا هويّة الشرطة للرجل، فبدا عليه الارتباك وهو يدوّن اسم جونا وتاريخ ميلاده في السجلّ.

قال: «حسنًا، إنّه لك».

قال جونا بلطف متّجهًا إلى الكمبيوتر: «شكرًا».

أخرج هاتفه، واتّصل بيوهان جونسون، الخبير التقنيّ لدى «إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة».

ردّ يوهان بصوت أجشّ: «انتظر ثانية. ابتلعت قطعة من المنديل الورقيّ وأنا أنظّف أنفي مع من أتحدّث؟».

«جونا لينا من 'إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة'... مرحبًا».

«اللعنة! جونا! مرحبًا».

«يبدو أنّك أفضل بالفعل»، قال جونا.

«أجل. أخرجتها من فمي».

«أحتاج إلى معرفة ماذا فعل أحدهم على جهاز كمبيوتر يوم الجمعة الماضي».

«لا تقل أكثر من ذلك!».

«أنا مستعجل. أجلس في أحد مقاهي الإنترنت».

«هل تمكّنت من الدخول إلى الجهاز؟».

«إنّه أمامي مباشرةً».

«هذا يجعل الأمور أكثر سهولة. حاول الدخول إلى تاريخ المتصفّح. ربّما تمّ مسحه -من المفترض أنّهم يعيدون تعيين أجهزة الكمبيوتر بعد كلّ مستخدم- إلّا أنّه عادةً ما تبقى الأشياء محفوظة على الأقراص الصلبة للأجهزة، عليك فقط أن... فعليًا، أسهل وأدقّ طريقة لفعل ذلك هي أن تحضره لي حتّى أتمكّن من تثبيت برنامج صمّمته كي...».

«قابلني في كنيسة مستشفى 'سانت غوران' خلال خمس عشرة دقيقة»، قال جونا، وفصل الكمبيوتر، ووضعه تحت ذراعه، ثمّ تحرّك نحو الباب.

نظر الرجل الذي يحمل كوب القهوة بدهشة، وحاول اعتراض طريقه.

قال: «غير مسموح بمغادرة الكمبيوتر...».

«تمّ التحفّظ عليه»، قال جونا.

36

كان الطقس في موقف السيّارات المقابل لمستشفى «سانت غوران» ساخنًا، والهواء رطبًا بشكل مزعج.

دار إريكسون بالكرسيّ المتحرّك حول الكنيسة الصغيرة، حيث أقام قاعدة تشغيليّة مزوّدة بثلاثة هواتف لا تكفّ عن الرنين.

حضر جونا ومعه الكمبيوتر بين ذراعيه، ووضعه على الكرسيّ. كان يوهان جونسون، ذو الخمسة وعشرين عامًا، جالسًا بالفعل على أريكة صغيرة، مرتديًا بدلة رياضيّة سوداء لا تلائمه. وقف الشابّ الحليق الرأس، ذو الحاجبين العريضين اللذين يلتقيان فوق أنفه. نظر إلى جونا بخجل، ثمّ صافحه، ووضع حقيبة الكمبيوتر الحمراء على الأرض.

«إيّاك أن تختفي»، قال لجونا بالفنلنديّة وهو يسحب جهاز كمبيوتر صغيرًا من حقيبته.

صبّ إريكسون مشروب «فانتا» من زجاجة في بعض الأكواب الورقيّة الصغيرة.

تابع يوهان: «عادةً أضع القرص الصلب في المجمّدة لبضع ساعات إذا حدث عُطل بالجهاز. وبعد ذلك، عليك ربطه بموصل 'آتا/ ساتا' فقط. لكلّ جهاز نظام مختلف. أقصد أنّ لديّ صديقًا يعمل في شركة 'إيباس كومبيوتينغ' في مجال استعادة البيانات عن بُعد، ولا يلتقي حتّى مع عملائه- يُجري الأعمال كافّة فقط عبر خطّ هاتف مشفّر. يمكنك عادةً استعادة معظم البيانات بهذه الطريقة، ولكنّني لا أحتاج إلى معظم البيانات، أنا أحتاج البيانات كافّة -هذا هو اختصاصي- لذا أنتم بحاجة إلى برنامج 'هانغر 18' إنّه الأنسب».

ألقى يوهان برأسه إلى الخلف، وتظاهر بأنّه يضحك مثل العالم المجنون. قال: «مواهاهاها! لقد صمّمته بنفسي. يعمل هذا البرنامج مثل المكنسة الرقميّة، إذ يمتصّ كلّ شيء تمامًا، ويعيد بناءه بترتيب زمنيّ، وصولًا إلى الميكروثانية».

جلس يوان على سور المذبح، ووصّل جهازَيّ الكمبيوتر. كتب أوامر بسرعة مذهلة، وقرأ الشاشة، ومرّرها إلى أسفل، ثمّ كتب مزيدًا من الأوامر.

سأل جونا بعد مضي بعض الوقت: «هل سيستغرق الأمر وقتًا طويلًا؟».

همس يوهان: «لا أعرف. ليس أكثر من شهر».

ثمّ كتب أمرًا آخر، ونظر إلى الأرقام التي تومض في الخلفيّة. وأضاف: «أنا أمزح». علق جونا: «أدرك ذلك».

«سأعرف ما يمكن استرداده خلال خمس عشرة دقيقة»، قال يوهان وهو ينظر إلى ملحوظة جونا عن اليوم والوقت الذي ذهب فيه يورن إلى مقهى الإنترنت. «يبدو أنّ تاريخ المتصفّح مُسِح لعدّة مرّات مختلفة، وهذا أمر مزعج».

ظهرت أجزاء من رسومات بيانيّة قديمة على الشاشة. وضع يوهان بعضًا من التبغ تحت شفته، ثمّ مسح يده في سرواله، وانتظر متابعًا الشاشة بعينين نصف مغمضتين. وقال بهدوء:

«يبدو أنّهم نظّفوا الكمبيوتر، ولكن لا يمكن مسح كلّ شيء أبدًا. لا توجد أسرار... يتمكّن 'هانغر 18' من العثور على أشياء لم تكن موجودة في الأساس».

بدأ حاسوب يوهان يصدر أصوات تنبيه. كتب شيئًا ما، ثمّ قرأ قائمة طويلة من الأرقام، وكتب المزيد، قبل أن تتوقّف التنبيهات فجأة.

سأله جونا: «ماذا يحدث؟».

«ليس الكثير. جدران الحماية وأدوات مراقبة عمل البرامج والحماية الزائفة من الفيروسات تجعل الأمر أقلّ سرعة فقط لا غير... إنّها معجزة أنّ أجهزة الكمبيوتر تعمل هذه الأيّام في ظلّ الحواجز المثبّتة عليها!».

ثمّ هزّ رأسه، ولعق قطعة تبغ عن شفته العلويّة. «لم يكن لديّ أبدًا أيّ برنامج للحماية من الفيروسات، و... حسنًا! سأصمت»، وقال لنفسه وسط استرساله في الحديث.

اقترب جونا منه، وألقى نظرة من فوق كتفه.

همس يوهان: «ماذا لدينا هنا؟ ماذا لدينا هنا؟». حكّ رقبته، ثمّ كتب شيئًا وضغط على «ادخل»، ثمّ ابتسم. قائلًا: «ها قد أتى. ثانية واحدة... ليس الأمر بهذه السهولة. تأتي الرسائل في شكل مقاطع صغيرة للغاية».

بينما يحدّق جونا وأريكسون، ظلّل يوهان الشاشة بيده وانتظر. بدأت حروف وأجزاء من رسومات بيانيّة في الظهور ببطء.

قال يوهانيوهان: «انظرا، يفتح الباب ببطء الآن... لنرَ ماذا كان يفعل يورن على هذا الكمبيوتر».

حرّك إريكسون كرسيّه، وانحنى ليرى الشاشة: «إنّها مجرّد أسطر عشوائيّة».

«انظرا إلى الزاوية».

ظهر علم صغير ملوّن في الجزء السفليّ من الشاشة على اليمين.

قال إريكسون: «كان يستخدم 'ويندوز' يا له من محبّ للأصالة!».

أضاف جونا: «هوتميل».

علّق يوهان: «تسجيل الدخول».

قال إريكسون: «قد تصبح الأمور أكثر أهمّيّة الآن».

سأل جونا: «هل يمكنك رؤية أيّ اسم؟».

قال يوهانيوهان وهو يمرّر الشاشة إلى أسفل: «لا يعمل البرنامج بهذا الشكل. نستطيع فقط معرفة الرسائل التي أرسلت، وليس من الذي أرسلها أو إلى من أُرسلت».

قال جونا وهو يشير إلى الشاشة: «ماذا كان ذلك؟».

«نحن الآن داخل صندوق الرسائل المُرسَلة».

سأل جونا بنبرة متوتّرة: «هل أرسل شيئًا؟».

ظهرت على الشاشة أجزاء من إعلانات لرحلات بأسعار زهيدة إلى ميلانو ونـ يو ركـ ولـ د ن وبـ رـس. وفي أسفل الشاشة، كان رقم باللون الرماديّ الباهت، توقيت الساعة «42 ,44 ,7» صباحًا.

قال يوهان: «لدينا شيء هنا».
ظهر مزيد من الرسائل المتقطّعة على الشاشة على النحو التالي: «إنـ... سَ أـي توا صـ...ـت معـ».
علّق إريكسون وهو يبتسم: «إعلانات شخصيّة. لا جدوى منها، كان لديّ...».
توقّف عن الكلام فجأة عندما رأى يوهان يمرّر بحرص مقاطع غير مفهومة من الرسومات البيانيّة، ثمّ يتوقّف فجأة. تحرّك بعيدًا عن الكمبيوتر وهو يبتسم.
جلس جونا مكان يوهان، وأخذ يتأرجح ويقرأ ما يظهر في منتصف الشاشة:
«كارل بالمكر...
سلت...صـ...ور...نسَ أـي تواصلـ...ت معك».
شعر جونا بقشعريرة في الجزء الخلفيّ من رقبته، وسرت رجفة في ذراعيه وظهره. كتب المقاطع بالطريقة التي ظهرت بها على الشاشة وهو يفكّر في بالمكرونا؛ ثمّ مرّر أصابعه في شعره وذهب إلى النافذة. حاول أن يتنفّس بهدوء حتّى يتمكّن من التفكير بوضوح. شعر بألم الصداع النصفيّ.
أمّا إريكسون فظلّ يحدّق إلى الشاشة، وهو يُحدّث نفسه مرارًا وتكرارًا.
سأل جونا: «هل أنت متأكّد من أنّ يورن ألمسكوغ كتب ذلك؟».
«من دون شكّ»، أجاب يوهان.
«متأكّد تمامًا؟».
«إذا كان جالسًا على هذا الكمبيوتر في ذلك الوقت، فهذا هو بريده الإلكترونيّ».
«إذن هذه رسالته الإلكترونيّة»، استنتج جونا وعقله بالفعل في مكان آخر.
همس إريكسون: «تبًّا».
نظر يوهان إلى الرسالة المتقطّعة لعنوان البريد الإلكترونيّ (crona@

isp.se)، وشرب بعضًا من «الفانتا» مباشرةً من الزجاجة. أرجع إريكسون ظهره على الكرسيّ المتحرّك، وأغمض عينيه لهنيهة من الوقت.

قال جونا لنفسه باهتمام شديد: «بالمكرونا».

فقال إريكسون: «هذا جنون. ما دخل كارل بالمكرونا بهذا الأمر؟».

سار جونا نحو الباب غارقًا في التفكير. غادر من دون أن يقول شيئًا، تاركًا زميليه خلفه. سار وحده عبر موقف السيّارات في ضوء الشمس الساطع نحو سيّارته السوداء.

37

دُهش جونا إذ وجد باب مكتب كارلوس مفتوحًا على مصراعيه، بينما الأخير ينظر إلى النافذة. عندما رآه عاد للجلوس إلى مكتبه، وقال: «لا تزال هناك».

«من؟»، سأل جونا.

«والدة الفتاة».

سأل جونا متجهًا إلى النافذة: «كلوديا؟».

«إنها تقف هناك منذ ساعة».

على الجانب الآخر من المدخل الرئيسيّ للشرطة الوطنيّة، رأى جونا امرأة منحنية بجوار شاحنة «مازدا» متّسخة؛ إنّها كلوديا فرنانديز. وقفت بثبات، محدّقة إلى المدخل بجدّيّة.

قال كارلوس: «خرجت وسألتها إذا كانت تنتظر أيّ شخص على وجه الخصوص. اعتقدت أنّك ربّما نسيت أنّك ستقابلها».

فقال جونا بهدوء: «لا».

«قالت إنّها تنتظر ابنتها بينيلوبي».

«كارلوس! أحتاج إلى التحدّث معك...».

قبل أن يحصل جونا على فرصة ليخبر كارلوس عن البريد الإلكترونيّ الخاصّ بيورن، طرق الباب، ثمّ دخل ڤيرنر ساندين، رئيس شرطة الأمن.

قال الرجل الطويل القامة وهو يصافح كارلوس: «سررت لرؤيتك».

«أهلًا بك».

ثمّ تصافح ڤيرنر مع جونا، ونظر حوله في الغرفة وخلفه، قبل أن يسأل بصوت أجشّ: «أين سوغا؟».

دخلت سوغا ببطء، فقال مبتسمًا: «لم أنتبه لأنّك خلفي».

التفت كارلوس إلى سوغا، وبدا عليه أنّه لا يعرف إذا كان من المناسب مصافحتها أم لا، فاختار أن يأخذ خطوة إلى الوراء، ويشير إليها وكأنّه يدعوها إلى دخول الغرفة.

قال لها بصوتٍ قويّ: «تفضّلي، تفضّلي».

قالت: «شكرًا».

«لقد التقيتِ من قبل مع جونا لينا».

بدت نظرات سوغا حادّة، وتعبيرات وجهها حازمة. جلست بثبات على الأريكة بجوار جونا. وضع كارلوس مجلّدًا لامعًا على الطاولة، مكتوبًا عليه: «استراتيجيّات التعاون».

رفع ڤيرنر يده مازحًا مثل تلميذ قبل أن يقول: «من منظور رسميّ، يأتي التحقيق برمّته ضمن اختصاصات شرطة الأمن، ولكن من دون تدخّل 'إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة' وجونا، لما أحرزنا هذا التقدّم في القضيّة».

أشار ڤيرنر إلى المجلّد، بينما توهّج وجه سوغا باللون الأحمر.

تمتمت: «ربّما لم يكن علينا أن نسمّيه تقدّمًا».

فسأل ڤيرنر: «ماذا؟».

«نجح جونا فقط في العثور على بصمة يد وبقايا صورة».

«وأنتما، معًا، اكتشفتما أنّ پينيلوپي فرنانديز ما زالت على قيد الحياة، وأنّها مُطاردة. أنا لم أقل إنّه يقود الأمر برمّته، ولكن...».

«هذا سخيف. كيف تمتدحه بينما من المفترض ألّا يكون هنا من الأساس؟ ولا حتّى أن يعرف شيئًا عن دانيال ماركلوند».

«ولكنّه فعل»، قاطعها ڤيرنر.

تابعت بصوت عالٍ: «يجب أن يكون هذا الأمر اللعين برمّته سرّيًا».

«سوغا! لم يكن من المفترض أن تكوني هناك أيضًا»، قال ڤيرنر بصرامة.

ردّت: «أجل، ولكن لو لم أكن...». وسكتت فجأة.

سأل ڤيرنر: «هل يمكننا مواصلة الحديث؟».

نظرت سوغا إلى مديرها للحظة، ثمّ التفتت إلى كارلوس قائلة: «آسفة. لم أقصد أن أغضب».

كرّرت وقد بدا على جبهتها الإحباط: «أنا في غاية الأسف».

تنحنح كارلوس، ثمّ وجّه إليها الكلام: «ما زلنا نأمل في أنّ مساهمة جونا، أو كما تحبّين أن تطلقي عليها، ستجعلك راغبة في تعاونه معك في التحقيق».

قالت سوغا لمديرها: «رغم ذلك، وبكلّ جدّيّة، لا أريد أن أكون سلبيّة، ولكنّي لا أفهم لماذا نحتاج إلى اشتراكه معنا في التحقيق. لسنا بحاجة إليه. أنت تتحدّث عن تقدّم، وأنا لا أوافقك.

قال جونا ببطء: «أنا أتّفق مع سوغا. أنا متأكّد من أنّك كنتِ ستعثرين على بصمة اليد وزاوية الصورة من دون مساعدتي».

فقال ڤيرنر: «ربّما».

سألت سوغا مديرها بصوت رصين وقد وقفت على قدميها: «هل يمكنني الذهاب الآن؟».

تابع جونا: «ولكن ما لا تعرفينه أنّ يورن ألمسكوغ تواصل مع كارل بالمكرونا سرًّا في يوم مقتل ڤيولا».

خيّم الصمت على الغرفة، وجلست سوغا ببطء مرّة أخرى.

انحنى ڤيرنر إلى الأمام، بدا أنه يجمع أفكاره، وسأل: «هل ترجّح أنّ ثمّة علاقة بين موت كارل بالمكرونا وڤيولا فرنانديز؟».

وقال كارلوس: «جونا؟ اخبرنا».

أكّد جونا: «أجل، الجريمتان مرتبطتان».

همس ڤيرنر: «هذا أكبر ممّا تخيّلنا».

طوت سوغا ذراعيها، وحدّقت إلى الأرض وقد توهّج جبينها.

تنحنح كارلوس، ثمّ قال: «جونا. لا يمكنني أن أتجاوز پيتر. ما زال مسؤولًا عن التحقيق، ولكنّني أقترح انتدابك للتعاون مع 'شرطة الأمن'».
سأل جونا: «ما رأيك يا سوغا؟».
تدخّل ڤيرنر قائلًا: «سيكون ذلك مثاليًا».
قالت سوغا وهي تغادر الغرفة: «أنا أقود هذا التحقيق». وغادرت.
استأذن ڤيرنر وتبعها.
لمعت عينا جونا الرماديّتان، وأظهر اللامبالاة. كسر كارلوس الصمت، قائلًا: «إنّها صغيرة في السنّ. كن لطيفًا، واعتنِ بها».
«أعتقد أنّها قادرة بشكل كافٍ على الاعتناء بنفسها»، ردّ جونا باقتضاب.

38

كانت سوغا تفكّر في كارل پالمكرونا، فلم تُدِر رأسها بسرعة كافية. تأخّرت قليلًا في رؤية اللكمة. أتت من جانبها. ضربة منخفضة مرّت بكتفها اليسرى، وصدمت أذنها ووجنتها. ترنّحت. اختلّ توازن خوذتها، وباتت ترى بصعوبة، خفضت ذقنها وحمت وجهها بيديها. كانت لكمة صعبة، تبعتها لكمة أخرى أعلى ضلوعها. تقهقرت نحو الحبال. اندفع الحكم بسرعة، بيد أنّ سوغا كانت قد خرجت بالفعل من الفخّ. تحرّكت من الأطراف إلى وسط الحلبة لتقييم منافستها: سڤيتلانا كرانتز، امرأة ممتلئة الجسم، في الأربعينيّات من عمرها، كتفاها مائلتان، وشمت على رقبتها وشم «الأسلحة والورود». تنفّست سڤيتلانا نافخةً صدرها واثقة من الفوز بضربة قاضية. تراجعت سوغا إلى الخلف برفق. كانت تعرف أنّها الملاكِمة الفضلى، ولكنّها لم تخطّط لضرب سڤيتلانا الضربة القاضية- وتفضّل أن تفوز بالنقاط. غير أنّها عندما سمعت صديق منافستها يصرخ داعيًا لتحطيم وجه «الفرج الأشقر» غيّرت رأيها.
تحرّكت سڤيتلانا بسرعة عبر الحلبة. يدها اليمنى على أتمّ الاستعداد. كانت عازمة على سحق سوغا، حتّى أنّها لم تعد تتبع حركاتها، وقرّرت أن

تُنهي الأمر بضربة قاضية أو أكثر بيمينها. ظنّت أنّ توازن سوغا قد اختلّ بما فيه الكفاية، وأنّها ستكون قادرة على ضربها ضربات مباشرة بيدها. ولكنّ سوغا لم تكن ضعيفة. أخذت تتمايل في المنتصف رافعة يديها إلى أعلى أمام وجهها، كأنّها تحمي نفسها فقط. ثمّ أدّت حركة مفاجئة بكتفيها وقدميها في اللحظة المناسبة تمامًا. وبخطوة واحدة إلى الأمام، انزلقت من خطّ هجوم منافستها. توقّفت بجانبها، حيث تمكّنت من جمع كلّ قواها في ضربة جسد واحدة وُجِّهت بشكل مباشر إلى أسفل صدر سڤيتلانا.

شعرت سوغا بحافّة واقي الصدر الذي ترتديه سڤيتلانا من خلال قفّازها وهي تحني جسدها إلى الأمام. كما أنّ الضربة الثانية لم تصل -كانت تضرب الحشو فقط- ولكنّ الثالثة كانت مثاليّة بشكل أقرب، كانت ضربة قويّة من أسفل باتجاه فم الخصم مباشرةً.

ترنّح رأس سڤيتلانا إلى الخلف، وتطاير العرق والمخاط من وجهها، وسقط منها واقي الفم ذو اللون الأزرق الداكن. انحنت ركبتاها، وارتطمت بقماش الحلبة ثمّ تدحرجت واستلقت هناك للحظة، قبل أن تبدأ في التحرّك مجدّدًا.

بعد انتهاء المباراة، وقفت سوغا في غرفة تبديل ملابس السيّدات شاعرةً بجسمها يسترخي ببطء. استذوقت طعمًا تألفه في فمها، هو مزيج من الدماء والمواد اللاصقة، لأنّها استخدمت أسنانها في إزالة الشريط الذي يغطّي رباط قفّازها. نظرت إلى المرآة، ومسحت بسرعة بعض الدموع. آلمها أنفها نتيجة اللكمة القويّة التي تلقّتها من سڤيتلانا. كان عقلها في مكان آخر في بداية المباراة، إذ كانت تفكّر في حديثها مع مديرها وكارلوس، وقرارهما إشراك جونا في عملها.

ارتعشت يداها وهي تخلع ملابسها. وارتجف جسدها في أثناء ذهابها إلى غرفة الاستحمام المبلّطة، حيث وقفت في إحدى الحجيرات. بدأت المياه تجري على رقبتها وظهرها. حاولت إرغام نفسها على الكفّ عن التفكير في جونا.

عندما عادت إلى غرفة تبديل الملابس، وجدت هناك نحو عشرين امرأة

أخرى انتهين للتوّ من التدريب. لم تلاحظ سوغا النساء الأخريات يقفن ويحدّقن إليها. فهي جميلة للغاية. حقيقة قرابتها بفنّان القصص الخياليّة يون باوِر ربّما دفعت الناس إلى الظنّ بأنّها جنّيّة أو حوريّة. يتميّز جمالها بوجه متقن متناسق، وعينين واسعتين زرقاوين. وأجزاء جسمها متناسقة بدقّة، حتّى أنّ معظم من يرونها قد يظنّون أنّها راقصة باليه، وليست ملاكمة وضابطة في شرطة الأمن.

يون باوِر، أسطورة عالم الفنّ الخياليّ، له أخوان هما هغالمار وإرنست. الأخ الأصغر، إرنست، هو الجدّ الأكبر لسوغا. وهي ما زالت تتذكّر جدّها وهو يتحدّث عن والده، ومدى حزنه عندما غرق أخوه الأكبر يون مع زوجته إستر وابنهما الصغير، في إحدى ليالي شهر نوفمبر. بعد ثلاثة أجيال، يبدو أنّ رسومات يون باوِر وجدت انعكاسًا ملحوظًا على أرض الواقع. تشبه سوغا تصويره للأميرة توفستر التي تقف أمام القزم الضخم من دون ذرّة خوف.

تعرف سوغا أنّها ضابطة شرطة ماهرة، رغم أنّه لم يُسمح لها باستكمال تحقيق واحد بمفردها. لقد اعتادت على أن يُؤخَذ عملها منها بداعي الإفراط في حمايتها أو يتم تهميشها في العمليّات. لقد اعتادت على ذلك، ولكنّ هذا لا يعني أنّه يعجبها.

ظلّت حريصة على تنمية مهاراتها، وممارسة كثير من التمارين الرياضيّة. كانت تركض كلّ يوم، وتلعب الملاكمة على الأقلّ مرّتين في الأسبوع، وتتدرّب على الرماية بمسدّسها من نوع «غلوك» وبندقيّة قنص الشرطة كلّ أسبوع.

تعيش سوغا مع ستيفان يووانسون، عازف البيانو في فرقة جاز اسمها «ريد بوب ليبل». عندما تعود إلى المنزل من العمل أو التدريب، عادةً ما تتمدّد على الأريكة، وتأكل الحلوى، وتشاهد الأفلام، ضابطةً الصوت على الوضع الصامت، في أثناء لعب ستيفان على البيانو لساعات.

عندما غادرت سوغا صالة التمرين، رأت أنّ منافستها تنتظرها بجوار إحدى القواعد الخرسانيّة. قالت لها: «أردت أن أشكرك وأهنئك».

فتوقّفت سوغا، وقالت لها: «حسنًا، أشكرك».

احمرّت سفيتلانا خجلًا قليلًا وهي تقول: «أنتِ ماهرة بالفعل».

«وأنتِ أيضًا».

نظرت سفيتلانا إلى أسفل وابتسمت، فسألتها سوغا: «هل ستركبين القطار؟».

«أجل، ربّما عليّ النزول إلى أسفل».

جذبت سفيتلانا حقيبتها، ثمّ توقّفت. بدا أنّها تريد أن تقول شيئًا، ولكنّها متردّدة. وأخيرًا قالت: «سوغا! أعتذر عمّا بدر من صديقي. لا أعرف ما إذا كنتِ سمعت ما صرخ به. إنّها آخر مرّة أسمح له فيها بالحضور».

تنحنحت سفيتلانا، ثمّ همّت بالذهاب. فقالت سوغا: «انتظري، يمكنني اصطحابك بالسيّارة إلى المحطّة، إذا أردتِ».

39

قدما پينيلوپي ويورن وركبتاهما تؤلمانهما. لقد ظلّا يسيران كمن يسير إلى الأبد، وها قد خرجا للتوّ إلى طريق مرصوف بالحصى. همس يورن لها وهو يتلفّت حوله بأن تتبعه، ثمّ بدأ في التوجّه جنوبًا، نحو أكثر المناطق المأهولة بالسكّان حول «سكينّاردال». يعرف أنّها ليست بعيدة. عرجت پينيلوپي لبضع خطوات، ثمّ تبعته. عندما وصلا إلى الطريق، رأيا شخصين: شابّة في العشرينيّات من عمرها ترتدي فستان تنس قصيرًا، وشابًّا على درّاجة ناريّة حمراء. رفعت پينيلوپي سحّاب سترتها ذات القلنسوة، وحاولت تهدئة أنفاسها.

قالت: «مرحبًا».

حدّقا إليها، ففهمت ما يبدو على وجهيهما. إنّها ويورن متّسخان ملطّخان بالدماء.

قالت بسرعة وهي تلتقط أنفاسها: «تعرّضنا لحادث. هل يمكننا استعارة هاتف منكما؟».

قال الشابّ وهو يُخرج هاتفه، ويعطيه لها: «بالطبع».
قال يورن وهو ينظر إلى الطريق والغابة: «شكرًا لك».
سأل الشابّ: «ماذا حدث؟».
ابتلعت پينيلوپي ريقها وراحت دموعها تنهمر على وجنتيها المتسخين.
قال يورن: «حادث».
قالت الفتاة التي ترتدي فستان التنس لصديقها: «أنا أعرفها؛ إنّها اليساريّة المجنونة التي رأيناها في التلفاز». وعندما أبدى دهشةً أضافت: «إنها التي تتحدّث بسلبيّة عن تصدير الأسلحة السويديّة، وتريد غلق المصانع. فهي لا تهتمّ بشأن الذين سيخسرون وظائفهم».
تسارعت الأفكار المتزاحمة في عقل پينيلوپي وهي تنظر إلى خلف الأشجار، وتسمع رنين هاتف بنغمة طقطقة بعيدة.
سألتها الشابّة بنبرة غاضبة: «ألا تعتقدين أنّ العمل مهمّ؟».
نظرت پينيلوپي إلى يورن متمنّية أن ينقذها، ويقول شيئًا لهذه الشابّة يطفئ غضبها. تنهّدت عندما سمعت صوت البريد الصوتي لوالدتها: «هذا هو البريد الصوتيّ لكلوديا. لا يمكنني الردّ الآن. ولكن إذا تركتِ رسالة، سأعاود التواصل معك في أقرب وقت».
طقطق الهاتف. الاستقبال سيّئ، فتحرّكت پينيلوپي، ولكن هذا زاد الأمر سوءًا. ساد الصمت على الخطّ فلم تعرف ما إذا كان الاتّصال قد انقطع عندما قالت: «أمّي، أحتاج إلى مساعدة. أنا مطاردة من قِبل...».
فجأة، سحبت الفتاة الهاتف منها، وأعادته إلى صديقها.
قال الأخير لپينيلوپي: «لِمَ لا تبحثين عن وظيفة؟!».
ترنّحت پينيلوپي وهي تنظر في دهشة إلى الشابّ والفتاة، وقد امتطت الأخيرة الدرّاجة الناريّة خلف صديقها واحتضنت خصره بذراعيها. وبينما ينطلقان رجاهما يورن منهما أن يتوقّفا، وركض خلفهما هو وپينيلوپي، ولكنّ الدرّاجة اختفت.
توقّفت پينيلوپي ونادت: «يورن».

انقطعت أنفاسها، وراحت تنظر إلى الخلف على امتداد الطريق، مدركة أنّهما يتصرّفان بشكل خاطئ. توقّف يورن واضعًا يديه على فخذيه للحظات.

قالت له: «إنّه يعرف بماذا نفكّر. نحتاج إلى التصرّف بطريقة مختلفة».

نظر يورن إليها وقال: «علينا العثور على من يساعدنا».

«ليس الآن».

اقترب منها وربّت على كتفها.

قال: «بيني! ربّما لن يستغرق الوقت أكثر من عشر دقائق للوصول إلى أقرب منزل. يمكنك فعل ذلك. سأساعدك...».

قاطعته: «علينا العودة إلى الغابة مرّة أخرى. ثق بي في هذا الأمر».

«عندما كنّا في المنزل، لماذا أجبتِه وأذنتِ له بالدخول؟».

«لأنّه بخلاف ذلك، كان سيفتح الباب ويدخل... لقد كان ذلك الشيء الوحيد الذي لم يتوقّعه».

«ولكن...».

«إنّه يسبقنا بخطوة طوال الوقت. نحن خائفان، وهو يعرف كيف يتصرّف الناس في هذا الموقف».

«صحيح، الخائفون لن يأذنوا له بالدخول»، قال يورن متفهّمًا.

«لذا، لا يمكننا البقاء على الطريق إلى 'سكينّاردال' هنا. نحتاج إلى مواصلة تغيير اتّجاهنا، والركض إلى أعماق الغابة. نحتاج إلى التفكير بشكل مختلف. وبدلًا من محاولة الخروج من الجزيرة إلى اليابسة، لا بدّ من أن نقطع طريقًا أبعد إلى الأرخبيل، بعيدًا عن اليابسة».

علّق يورن وعلى وجهه ابتسامة زائفة: «من الجنون فعل ذلك».

40

فكّ أكسيل ريسين زرّي كمّيه ببطء، ووضعهما في العلبة البرونزيّة على طاولة ملابسه. لقد ورث هذين الزرّين اللذين يتّخذان شكل ورقتي نخيل متقاطعتين من جدّه، الأدميرال ريسين.

نظر إلى نفسه في المرآة وأرخى ربطة عنقه، ثمّ سار إلى الطرف الآخر

من الغرفة، وجلس على حافّة السرير. كان المبرّد يصدر صوتًا مثل صوت اندفاع الهواء، بينما تُسمع عبر الجدران مقاطع موسيقيّة.

تدفّقت الأصوات من غُرفة أخيه الأصغر المجاورة. أدرك أنّه عزف منفرد لآلة الكمان، فجمع على الفور الموسيقى المتقطّعة في خياله: «سوناتا الكمان» رقم 1 لباخ (المفتاح G النغمة المنخفضة)، الافتتاحيّة، حركات بطيئة، ولكنّها أبطأ من أغلب العروض التي عزفتها. لم يسمع أكسيل فقط النغمات السليمة، ولكنّه كان يستمتع أيضًا بكلّ صرير، وكل طرقة عرضيّة بهيكل الكمان.

راحت أصابعه تتحرّك مع تغيير وتيرة العزف، ويداه تشتاقان إلى حمل الكمان. لقد مرّ وقت طويل منذ أن سمح لأصابعه بالاندماج مع الموسيقى، وتمريرها عبر الأوتار، وصولًا إلى رقبة الكمان.

هدأت الموسيقى في رأس أكسيل عندما رنّ هاتفه، فنهض عن السرير وفرك عينيه. إنّه متعب. لم ينم إلّا قليلًا على مدار الأسبوع الماضي.

وفقًا لتطبيق «هويّة المتّصل»، كانت المكالمة واردة من مكتب حكوميّ.

تنحنح أكسيل قبل الردّ بهدوء: «أكسيل ريسين».

«يورغن غرنليخت، رئيس لجنة الشؤون الخارجيّة الحكوميّة».

«مساء الخير».

«أعتذر عن الاتّصال في وقت متأخّر».

«كنت مستيقظًا».

«تمّ إعلامي بذلك. انتهينا للتوّ من اجتماع اللجنة الذي اتّفقنا فيه على تعيينك مديرًا عامًّا لـ 'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة' بالإجماع».

«أتفهّم ذلك».

صمتا للحظة، قبل أن يقول غرنليخت: «أفترض أنّك تعرف ما حدث لكارل بالمكرونا».

«أعرف فقط ما قرأته في الصحف».

تنحنح غرنليخت بصوت ضعيف، وقال شيئًا لم يتمكّن أكسيل من سماعه.

رفع صوته مجدّدًا، قائلًا: «أنت على دراية بعملنا. وإذا قبلت عرضنا، ستكون قادرًا على استلام العمل بسرعة كبيرة».

«أحتاج إلى استكمال مهامي لدى الأمم المتّحدة»، ردّ أكسيل.

سأل غرنليخت بنبرة قلق: «هل تتوقّع أن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا؟».

«لا».

«ألقِ نظرة على الأحكام والشروط المقترحة. كلّ شيء قابل للنقاش. نرحّب بشدّة بانضمامك إلينا».

«دعني أفكّر في الأمر».

«هل لديك وقت لنلتقي غدًا في الصباح الباكر؟».

«هل ثمّة ضرورة ملحّة؟».

«نأخذ دائمًا الوقت الذي نحتاج إليه. ولكن يبدو أنّنا، آخذين في الاعتبار ما حدث... وزير التجارة حريص على الوصول إلى قرار بشأن موضوع معيّن طال بالفعل عليه الأمد».

«ما الأمر؟».

«ليس بالشيء غير الاعتياديّ. مجرّد تصريح تصدير. لقد أخذنا عليه الموافقة مسبقًا، وقد أنجز مجلس الرقابة على الصادرات عمله في هذا الشأن. وكان التقرير جاهزًا، ولكنّ بالمكرونا لم يكن لديه الوقت لتوقيعه».

«أكان محتاجًا لفعل ذلك؟»، سأل أكسيل.

«يمكن للمدير العامّ فقط التصريح بتصدير المعدّات العسكريّة».

«ولكن من المؤكّد أنّ الحكومة تُجيز بعض الصفقات؟».

فقط إذا قرّر مدير عامّ 'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة' إحالة الأمر إلى الحكومة».

«فهمت».

قضى أكسيل أحد عشر عامًا في العمل كمفتّش أسلحة، وفقًا للنظام

القديم لوزارة الخارجيّة، قبل الانتقال إلى مكتب الأمم المتّحدة لشؤون نزع السلاح. وقد صار الآن استشاريًا أوّل في قسم التحليل والتقييم، وهو في الحادية والخمسين من عمره فقط، وشعره الرماديّ ما زال كثيفًا، إلّا أنّ ملامحه متناسقة جذّابة.

ذهب أكسيل إلى مكتبته، وجلس على كرسيّ القراءة، حيث أغمض عينيه المرهقتين، وفكّر في حقيقة أنّ كارل بالمكرونا قد وافته المنيّة. لقد قرأ تقريرًا قصيرًا عن وفاته في صحيفة «داغنز نيهيتر». كان من الصعب معرفة ما حدث بالضبط، ولكن ثمّة شيء في المقال يرجّح أنّ وفاة بالمكرونا جاءت بغتةً. من المؤكّد أنّه لم يكن يعاني من أيّ أمراض لأنّهم عادةً ما يذكرون هذا الأمر. تذكّر أكسيل المرّات الكثيرة التي تقابلا فيها على مدار السنوات الماضية. والآن، مات بالمكرونا الذي كان يتذكّره في مخيّلته رجلًا طويل القامة، شاحب الوجه، مقصوص الشعر، يعاني من الوحدة. شعر أكسيل بالقلق فجأة. الشقّة هادئة للغاية. نهض وتفقّد الغرف الأخرى باحثًا عن ضجيج.

نادى بهدوء: «بيڤرلي! بيڤرلي!».

لم تُجبه. بدأ يشعر بالخوف. سار بسرعة إلى الغرف الأخرى، ثمّ نزل أسفل الدرج ليأخذ معطفه ويخرج للبحث عنها، ولكنّه سمعها تهمهم لنفسها. مشت على السجادة حافية القدمين قادمة من المطبخ. اتّسعت حدقتا عينيها عندما رأت القلق على وجه أكسيل.

سألت بصوت مرتفع: «أكسيل! ما الأمر؟».

«خشيتُ أنّك ربّما غادرتِ المنزل».

قالت وهي تبتسم: «في العالم الكبير الموحش».

«أقصد فقط أنّه لا يمكنك دائمًا أن تثقي في الناس كافّة».

«أنا لا أثق فيهم جميعًا. أنا أنظر إليهم، إلى وجوههم بالتحديد؛ إذا كانت مشرقة، أعرف أنّهم طيّبون».

لم يعرف أكسيل بماذا يجيبها، فقال لها إنّه أحضر لها بعض رقائق

البطاطا والصودا. لم يبدُ عليها أنّها سمعته، فحاول قراءة وجهها حتّى يتمكّن من معرفة ما إذا كانت تشعر بالقلق أو الاكتئاب أو تريد الانسحاب.

سألته: «هل تعتقد أنّه ما زال علينا أن نتزوّج؟».

ردّ أكسيل عليها كاذبًا: «أجل».

«الأمر فقط أنّ الزهور تجعلني أفكّر في جنازة أمّي، ووجه أبي حين...».

«ليس من الضروريّ أن نحضر الزهور».

«لكنّني أحبّ زنابق الوادي».

«وأنا كذلك»، قال بوهن.

قالت بيڤرلي وهي تغادر الغرفة: «أشعر بالنعاس بشكل كبير. هل أنت مستعدّ للنوم؟».

ردّ أكسيل محدّثًا نفسه: «لا». لكنّه نهض وتبعها.

بينما مشى في الشقّة، كان لديه إحساس كبير بأنّ ثمّة أجزاء من جسمه تحاول إيقافه. شعر بالتراخي والبطء وهو يتبع بيڤرلي عبر الأرضيّة الرخام، ثمّ يصعد الدرج إلى الغرفة حيث يجلس عادةً كلّ مساء.

الفتاة نحيلة قصيرة، تصل بالكاد إلى صدره. بدأ شعرها في النموّ مرّة أخرى بعد أن حلقته الأسبوع الماضي. عانقته بسرعة، فشمّ رائحة كراميل.

41

التقى أكسيل بيڤرلي لأوّل مرّة منذ عشرة أشهر مضت. كان الأمر برمّته بسبب معاناته من الأرق الحادّ. فهو يعاني من صعوبات في النوم منذ وقوع حادث صادم له من أربعة وثلاثين عامًا، ويعيش حياته بشكل طبيعيّ عندما يتناول الحبوب المنوّمة، التي تمنحه نومًا كيميائيًّا من دون أحلام، وربّما من دون راحة حقيقيّة.

عكف على زيادة الجرعة حتّى صار لهذه الأقراص تأثير المخدّر، فشوّشت أفكاره. لكنّه أحبّ دواءه، ومزجه مع نوع باهظ من الكحول

المكوّن من الشعير الخالص. بعد عشرين عامًا من زيادة استهلاك المكوّنَين، وجده أخوه مغشيًّا عليه في الردهة والدماء تتدفّق من فتحتي أنفه.

شُخِّصت إصابته في مستشفى «كارولينسكا» بتليّف الكبد في مرحلة متأخّرة، حتّى أنّه أُدرِج على قائمة زراعة الكبد. ولكن، نظرًا لأنّ فصيلة دمه «O»، ونوع أنسجته لم يكن شائعًا للغاية، كان عدد المتبرّعين المحتملين ضئيلًا. بوسع أخيه الأصغر التبرّع له بجزء من كبده، ولكنّه يعاني من اضطراب حادّ في ضربات القلب، ما يعني أنّ قلبه لن يكون قادرًا على تحمّل هذه العمليّة الخطيرة.

رغم أنّ فرصة العثور على متبرّع تكاد تكون معدومة، فإنّ حياته ليست على حافّة الهاوية ما دام يبتعد عن تناول الكحول والحبوب المنوّمة. وبجرعات منتظمة من أدوية «كوناكيون» و«إندرال» و«سبايرونولاكتون»، بات كبده قادرًا على أداء وظائفه، وتمكّن من أن يعيش حياة طبيعيّة نسبيًّا.

صارت المشكلة تكمن في أنّ النوم قد اختفى. لم يعد ينام سوى ساعة واحدة كلّ ليلة. فدخل مصحّة لعلاج الأرق في «غوتنبرغ». وبما أنّ تناول الأدوية لم يُوضَع في الحسبان، نُصِح أكسيل باتّباع استراتيجيّات نوم مختلفة، مثل التأمّل والتنويم المغناطيسيّ والإيحاء الذاتيّ. ولكنّ هذه الأساليب لم تفلح.

بعد أربعة أشهر من تشخيص مرضه بتليّف الكبد، أمضى تسعة أيّام متواصلة مستيقظًا، وعانى من انهيار عصبيّ. بناء على طلبه، دخل أكسيل مصحّة نفسيّة خاصّة. وهناك التقى بيڤرلي.

كالعادة، كان أكسيل مستيقظًا في سرير غرفته. نحو الثالثة صباحًا، في الظلام الحالك، فتحت بيڤرلي بابه. كان يستلقي يقظًا مرتبكًا، عندما اقتربت وتوقّفت أمامه بقميص نومٍ طويل تجرّه على الأرض.

همست: «رأيت الضوء مشتعلًا هنا».

صعدت إلى سريره واسترخت عليه، بينما هو يصارع الأرق. لم يدرك ماذا يفعل، فأدار لها ظهره وشعر بدفء جسدها.

استلقت هناك في صمت، وسمع صوت أنفاسها الهادئة. فجأة، غلبه النوم.

استغرق الأمر فقط بضع دقائق أوّل مرّة، ولكن بعد ذلك باتت بيڤرلي تأتي إلى غرفته كلّ ليلة، فتعتلي سريره، ويدير هو ظهره لها وينام.

تعافى أكسيل من انهياره، وتوقّفت بيڤرلي عن التجوّل في الممرّات.

غادرا المصحّة، وأبرما اتّفاقيّة سرّيّة متهوّرة. لقد أدركا أنّ الطبيعة الحقيقيّة لعلاقتهما لا بدّ من أن تبقى سرّيّة. ولكن ظاهريًّا، حصلت بيڤرلي على إذن من والدها للإقامة في إحدى الغرف المستقلّة في شقّة أكسيل، في أثناء انتظارها توافر مكان لها في شقق الطلّاب.

شُخّصت حالة بيڤرلي ذات السبعة عشر ربيعًا باضطراب «الشخصيّة الحدّيّة». ليس عندها حسّ بالتصرّف المناسب وتفتقر إلى القدرة على الدفاع عن ذاتها. غريزة الحفاظ على النفس مفقودة عندها.

في العموم، تُعزل الفتيات اللائي في مثل حالتها داخل مؤسّسات، ويُعقَّمن بالقوّة، أو يخضعن لجراحة فصّيّة بالمخّ[1]. فعادة ما يذهبن إلى منازل أشخاص غير مناسبين، ويضعن كلّ ثقتهنّ في أشخاص يستغلّونهنّ.

إلّا أنّ بيڤرلي محظوظة لأنّها وجدت أكسيل، فليس لديه النيّة لإيذائها، بل يحتاج إليها فقط حتّى ينام، وحتّى يقف على قدميه.

تركها أكسيل تنسج خيالات عن زواجهما، حيث بدا أنّ الأمر يُشعرها بالسعادة. كان يحدّث نفسه بأنّها وسيلة لحمايتها من العالم الخارجيّ، لكنّه في قرارة نفسه كان يعلم أنّه يستغلّها. ورغم شعوره بالخزي، لم يعثر على حلّ آخر؛ كان مرتعبًا من العودة إلى أهوال الأرق الدائم.

خرجت بيڤرلي من الحمّام بفرشاة الأسنان في فمها، وأومأت برأسها نحو آلات الكمان الثلاث المعلّقة على الحائط.

سألت: «لماذا لا تعزف عليها أبدًا؟».

---

(1) عمليّة جراحية في الجزء الأمامي من المخ، أو بالقرب منه، كانت تُجرى في الماضي لعلاج الأمراض العقليّة الحادّة.

فأجاب مبتسمًا: «لا أقدر على ذلك».

«إذن، ستظلّ معلّقة هناك! أعطِها لشخص يعزف الكمان بدلًا من ذلك».

«أحبّها لأنّ روبرت أعطاني إيّاها».

«نادرًا ما تتحدّث عن أخيك».

«الأمر معقّد».

«إنّه يصنع آلات الكمان في ورشته»، قالت.

«أجل. كما أنّه يعزف مع أوركسترا صغيرة».

سألت وهي تمسح معجون الأسنان من زاوية فمها: «هل يمكنه العزف في زفافنا؟».

نظر إليها، وتمنّى ألّا تلاحظ التجهّم على وجهه. قال: «فكرة جيّدة».

شعر أكسيل بأنّ التعب تملّك من جسده وعقله، فتبعها إلى غرفة النوم، واستلقى على حافّة السرير: «أشعر بالنعاس الشديد».

«مسكين»، قالت بجدّيّة.

هزّ أكسيل رأسه.

قال وهو يشعر بأنّه على وشك البكاء: «أريد فقط أن أنام».

نظرت بيفرلي إلى الرسم الزيتيّ الكبير المعلّق على الحائط للفنّان إرنست بيلغرين، الذي يعرض ثعلبًا مرتديًا ملابس ويجلس على كرسيّ بذراعين في بيت جميل، وعلّقت: «صورة مخيفة».

«هل تعتقدين ذلك؟».

هزّت رأسها بالإيجاب. فذهب إلى الصورة وأنزلها عن الحائط، ووضعها على الأرض، ووجهها إلى الحائط.

***

غطّ أكسيل في نوم عميق ووجهه منقبض، وعظم فكّه مشدود. ولكن، في منتصف الليل، استيقظ فجأة والتقط أنفاسه، كأنّه يغرق. كان يتصبّب

عرقًا، وقلبه يخفق بسرعة. أشعل الضوء بجانب سريره. كانت بيڤرلي تنام مثل طفل صغير وفمها مفتوح.

وجد أكسيل نفسه يفكّر في كارل بالمكرونا مجدّدًا. كان آخر لقاء بينهما في «بيت النبلاء»، حيث كان الأخير مخمورًا ويتصرّف بعنف، شاكيًا الحظر المفروض على الأسلحة من قِبل الأمم المتّحدة. ما زال أكسيل يتذكّر كلمات الوداع الغريبة التي قالها: «إذا ذهب كلّ شيء إلى الجحيم، أتوقّع أنّه بإمكانك دائمًا أن تحذو حذو آليرنون لتتجنّب رؤية كابوسك يتحقّق».

أطفأ أكسيل الضوء مرّة أخرى، واسترخى وهو يفكّر في عبارة بالمكرونا: «تحذو حذو آليرنون». تساءل: «ماذا كان يقصد؟ وما الكابوس الذي أشار إليه؟». كرّر عبارة أخرى محاولًا التأكّد منها: «تجنّب رؤية كابوسك يتحقّق».

ظلّ مصير كارل فريدريتش آليرنون لغزًا وطنيًا. كان يعمل مفتّش أسلحة لدى وزارة الخارجيّة حتّى وافته المنيّة. وفي يناير 1987، كانت عنده مقابلة مع أندرز كارلبيرغ، رئيس مجموعة «نوبل للصناعات»، قال له فيها إنّ التحقيقات كشفت أنّ إحدى الشركات التابعة للمجموعة، وهي شركة «بوفورز»، تهرّب الأسلحة إلى دول في الخليج العربيّ. في وقت لاحق من اليوم نفسه، سقط آليرنون أمام إحدى عربات مترو الأنفاق في محطّة ستوكهولم المركزيّة.

واصلت أفكار أكسيل التدفّق، وتمركزت حول ادّعاءات تهريب الأسلحة والرشوة التي وُجّهت إلى شركة «بوفورز». ورأى في مخيّلته رجلًا يرتدي معطف المطر عندما سقط إلى الخلف أمام قطار سريع... تخيّله يسقط ببطء ومعطفه يرفرف خلفه.

هدّأت أنفاس بيڤرلي الرقيقة من روعه. استدار نحوها ووضع ذراعه حول خصرها النحيل. تنهّدت عندما جذبها إليه، وتمسّك هو بها بإحكام، وشعر بأنّ أفكاره قد تبدّدت.

نام أكسيل بارتياح لباقي الليل، واستيقظ في الخامسة صباحًا، ليجد

نفسه يتشبّث بذراعي بيڤرلي النحيلتين. شعر بشعرها المقصوص يدغدغ شفتيه، وتمنّى بشدّة لو بإمكانه تناول حبوب النوم.

42

ذهب أكسيل في السابعة صباحًا إلى سطح المنزل الذي يشاركه فيه أخوه. سيقابل يورغن غرنليخت في مكتب بالمكرونا لدى دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة خلال ساعة.

كان الهواء ساخنًا بالفعل في الخارج، ولكن لا رطوبة بعد. فتح روبرت، الأخ الأصغر لأكسيل، أبواب شقّته، وجلس على كرسيّ السطح. لم يكن قد حلق بعد، وكان يرتدي بُرنُس الحمّام الحريريّ القديم؛ إنّه البرنس نفسه الذي اعتاد والدهما على ارتدائه صبيحة يوم السبت.

قال روبرت: «صباح الخير».

أومأ أكسيل برأسه من دون أن ينظر إلى أخيه.

قال روبرت، محاولًا فتح باب الحوار: «أنهيت إصلاح آلة من تصنيع فيوريني لتشارلز غرينديرك».

علّق أكسيل بهدوء: «أنا متأكّد أنّه سيكون مسرورًا بذلك».

نظر روبرت إليه، وسأله: «هل أنت متوتّر؟».

«قليلًا، بصراحة. يبدو أنّني سألتحق بعمل جديد».

علّق روبرت وهو شارد الذهن: «بالفعل؟».

نظر أكسيل إلى وجه أخيه المألوف، وتجاعيده العميقة، ورأسه الأصلع. فكّر كيف اختلفت الأمور بينهما.

سأله: «كيف حال قلبك هذه الأيّام؟ لم يتوقّف بعد؟».

وضع روبرت يده على صدره قبل أن يجيب: «ليس تمامًا».

«جيّد».

«ماذا عن كبدك الضعيف؟».

تجاهل أكسيل السؤال، وهمّ بالعودة لشقّته، فقال روبرت: «سنعزف لـشوبرت هذه الليلة».

«هذا جميل».

«اعتقدت أنّك ربّما...».

صمت روبرت، ونظر إلى أخيه، ثمّ غيّر الموضوع قائلًا: «هذه الفتاة التي تسكن الغرفة العلويّة»».

«نعم... تُدعى بيفرلي»، قال أكسيل.

سأل روبرت وهو ينظر بطرف عينه إلى أكسيل: «إلى متى ستعيش هنا؟».

«لا أعرف. لقد وعدتها بأنّها تستطيع الإقامة هنا حتّى تحصل على إحدى شقق الطلّاب».

«أجل. لطالما أحببت إيواء المشرّدين».

«إنّها إنسانة»، قاطعه أكسيل.

رأى أكسيل وجه أخيه ينزلق عبر الباب الزجاجيّ المغبّش الذي تأرجح إثر فتحه. اختبأ خلف الستارة، وشاهده يهبط على الدرج المؤدّي من السطح إلى الحديقة والاستوديو الصغير. فور مغادرة روبرت، عاد أكسيل إلى غرفته، وأيقظ بلطف بيفرلي، التي كانت لا تزال نائمة وفمها مفتوح.

***

تعدّ «دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة» المسؤولة رسميًّا عن الأمور التي تتعلّق بتصدير الأسلحة كافّة، والمعدّات الأخرى ذات الأغراض الحربيّة.

عندما خرج أكسيل من المصعد، رأى غرنليخت ينتظره وراء الأبواب الزجاجيّة الكبيرة. أومأ الأخير برأسه متعجّلًا، على الرغم من أنّ أكسيل جاء قبل موعده بدقيقتين، ثمّ فتح له الأبواب. كان غرنليخت طويل القامة، على وجهه دبغات بدرجات متفاوتة، وثمّة بقع بيضاء كبيرة تميّز بشرته الورديّة اللون.

ذهبا إلى مكتب بالمكرونا الذي كان عبارة عن غرفة في الزاوية، فيها نافذتان ضخمتان، تطلّان على الطرق المتّجهة جنوبًا خلف المحطّة المركزيّة، وبعد ذلك بحيرة «كلارا»، والمخطّط القاتم المعتاد لمبنى «سيتي هول».

رغم وجوده في مكانٍ راقٍ، بدا مقرّ دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة متواضعًا. فالأرضيّات مبطّنةٌ بالمشمّع، والأثاث بسيط مصنوع من خشب الصنوبر الأبيض.

إنّه شعور مروّع إلى حدّ ما أن تكون في مكتب بالمكرونا بعد وفاته بفترة وجيزة. لاحظ أكسيل أنّ إضاءة السقف تُصدر صوتًا صاخبًا، مثل نغمة البيانو غير المضبوطة، فتذكّر أنّه سمع النغمة نفسها في تسجيل «سوناتا 1» للمؤلّف الموسيقيّ جون كيغ.

أغلق غرنليخت الباب. وعندما طلب من أكسيل أن يجلس، بدا عليه التوتّر، رغم الابتسامة الودودة المرسومة على وجهه.

قال وهو يعطي أكسيل مجلّدًا، أرفق به مسوّدة عقد العمل: «فعلت خيرًا بأنّك استطعت الحضور بسرعة».

ردّ أكسيل مبتسمًا: «لا عليك».

قال غرنليخت وهو يشير إلى المكتب: «تفقّد العقد».

جلس أكسيل على الكرسيّ المتواضع، ووضع المجلّد على المكتب.

قال: «سألقي عليه نظرة، وأتواصل معك الأسبوع المقبل».

«إنّه عقد مجزٍ للغاية، ولكنّ العرض ليس إلى أجل غير مسمّى».

«أقدّر أنّك تريد المضيّ قُدمًا في هذا الأمر بسرعة».

«ترغب اللجنة بشدّة في تعيينك نظرًا لمسارك المهنيّ، وسمعتك الطيّبة. ليس لدينا مرشّح أفضل. ومع ذلك، لا يمكننا ترك الدائرة عاطلة عن العمل».

فتح أكسيل المجلّد محاولًا التغلّب على قلقه وشكوكه بأنّ شركًا يُنصَب له. ثمّة شيء ضاغط في أسلوب غرنليخت، وشيء من التعجّل.

إذا وقّع هذا العقد، سيصبح المدير العام لـ 'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة'، وسيكون له القول الفصل في الموافقة على تصدير الأسلحة السويديّة كافّة. لقد أمضى سنوات في الأمم المتّحدة وهو يحاول نزع السلاح من مناطق النزاعات المسلّحة، وكذلك الحدّ من تدفّق الأسلحة، وهو يودّ التفكير في هذا التعيين على أنّه استكمال لذلك العمل.

قرأ العقد بحرص شديد. إنّه عرض كريم للغاية، أو بالأحرى كريم أكثر من اللزوم. احمرّ وجهه عدّة مرّات وهو يقرأه.

قال غرنليخت وهو يبتسم ويناوله قلمًا: «مرحبًا بك معنا».

شكره أكسيل، ووقّع اسمه على العقد، ثمّ وقف ونظر من النافذة، وأدار ظهره إلى غرنليخت. كان يرى فقط التيجان الثلاثة على قمّة مبنى «سيتي هول» في ضوء الشمس الضبابيّ.

همس غرنليخت: «ليست إطلالة سيّئة. أفضل من إطلالة مكتبي في وزارة الخارجيّة».

التفت أكسيل نحو غرنليخت.

قال الأخير: «لديك ثلاث قضايا على مكتبك في الوقت الحاليّ، من ضمنها العقد الكينيّ، وهو الأهمّ. يخصّ هذا العقد صفقة كبيرة مهمّة. أنصحك بأن تتفقّد هذا العقد أوّلًا، والأفضل على الفور. أنجز كارل بالفعل كثيرًا من العمل التمهيديّ فيه، لذا...».

توقّف عن الحديث، ودفع المستند نحو أكسيل، ثمّ نظر إليه بلمعة غريبة في عينيه. شعر أكسيل بأنّ غرنليخت يودّ حقًّا أن يدفع القلم في يده، ويرغمه على التوقيع.

استأنف كلامه: «أنا متأكّد من أنّك ستكون جديرًا بخلافة كارل».

من دون انتظار أيّ استجابة، ربّت غرنليخت على ذراع أكسيل، ثمّ خطا بسرعة نحو الباب. توقّف هناك واستدار نحو أكسيل قائلًا بحزم: «اجتماع مع اللجنة في الثالثة عصرًا اليوم».

تُرِك أكسيل بمفرده في المكتب. خيّم الصمت على أرجاء المكان.

جلس مجدّدًا على مقعد المكتب، وتفقّد المستند الذي تركه پالمكرونا من دون توقيع. كان العمل التمهيديّ دقيقًا وشاملًا. تتعلّق الصفقة بتصدير 1,25 مليون طلقة ذخيرة 5,56 × 45 ملم إلى كينيا، وقد صوّت «مجلس الرقابة على الصادرات» لصالح الصفقة، كما أنّ الشركة المُصنِّعة، «سايلانسيا ديفينس»، شركة معروفة ولها اسمها وسمعتها.

لكنّ الاتّفاق لن يتمّ من دون توقيعه.

مال أكسيل إلى الخلف، وفكّر في كلمات پالمكرونا عن «اتّباع ما فعله آليرنون»، والموت من دون أن يرى كابوسه يتحوّل إلى حقيقة.

43

ابتسم غوران في وجه جونا، ثمّ سحب ظرفًا من حقيبته، ووضع مفتاحًا بيده. وقفت سوغا خارج باب المصعد المغلق خافضة عينيها. كان الثلاثة يقفون على عتبة الدرج خارج شقّة كارل پالمكرونا.

قال غوران: «فريق الطبّ الشرعيّ الخاصّ بنا سيأتي إلى هنا غدًا».

سأل جونا: «هل تعرف أيّ وقت؟».

سأل غوران: «أيّ وقت يا سوغا؟».

«أعتقد...».

قاطعها: «تعتقدين؟ من المفترض أنّك تعرفين الوقت».

فأجابت بصوت خفيض: «العاشرة».

سألها غوران: «هل أخبرتِهم بأنّني شخصيًّا أريدهم أن يبدأوا بأمور تكنولوجيا المعلومات والهواتف؟».

«أجل. قلتُ...».

أسكتها غوران بإشارة منه عندما رنّ هاتفه. أجاب على الاتّصال وهو يتحرّك هابطًا على الدرج، ثمّ توقّف عند كوّة.

التفت جونا إلى سوغا، وسألها بصوت خافت: «ألستِ المسؤولة عن التحقيق؟».

هزّت سوغا رأسها. فسألها: «ماذا حدث؟».

أجابت بضجر: «لا أعرف. دائمًا يحدث الشيء نفسه. هذا الأمر ليس من اختصاص غوران. لم يعمل قطّ بمكافحة الإرهاب».

«ما الذي ستفعلينه حيال ذلك؟».

«ليس هناك...».

توقّفت سوغا عن الحديث عندما عاد غوران. فتحت يدها لالتقاط مفتاح باب شقّة بالمكرونا، قائلة لـغوران: «أعطني المفتاح».

«ماذا؟».

«أنا المسؤولة عن هذا التحقيق».

وجّه غوران حديثه إلى جونا وهو يضحك: «ما رأيك في ذلك؟».

«أنا متأكّد يا غوران أنّك قائد تحقيقات ممتاز، ولكنّني كنت في اجتماع للتوّ مع مديري ومدير سوغا، وقد اتّفقنا على تعاوني مع سوغا باوِر في العمل...».

«من المسموح لها أن تأتي»، قال غوران بسرعة.

«قائدةً للتحقيقات»، قالت سوغا.

سأل غوران في دهشة وهو يبتسم ابتسامة زائفة: «إذن، أنت تريدين التخلّص منّي؟ ما الذي يجري هنا؟».

قال جونا بهدوء: «مسموح لك بأن تأتي معنا، إن شئت».

أخذت سوغا المفتاح من يد غوران.

«سأتّصل بـڤيرنر»، قال وهو يهبط على الدرج.

سمع جونا وسوغا وقع خطوات غوران في مطلع الدرج، ثمّ حديثه مع مديره. ازداد صوته حدّة أكثر فأكثر، حتّى هتف أخيرًا بصوتٍ عالٍ رجّ صداه الدرج: «أوغاد!».

كبتت سوغا ابتسامتها، ثمّ وضعت المفتاح في قفل الباب الثقيل وفتحته.

أُسقِط الحاجز الوقائيّ للشرطة بعد أن قدّم نيلس أولِيان تقريره عن

تشريح الجثّة، وإغلاق التحقيق. كانت النتائج التي توصّل إليها كافّة تؤيّد ما قاله جونا عن الانتحار. وضع پالمكرونا نهاية لحياته بشنق نفسه بحبل الغسيل المقيّد بحبل خطّاف المصباح في سقف منزله. لم يتمّ تحليل العيّنات المرسلة إلى مختبر الطبّ الشرعيّ بعد.

لكنّهم يعرفون الآن أنّه قبل يوم من العثور على پالمكرونا معلّقًا في منزله، أرسل له يورن رسالة بريد إلكترونيّ.

في وقت لاحق من هذا اليوم، قُتِلت ڤيولا.

يُعدّ يورن همزة الوصل بين حالتي الوفاة- وفاة شخصين كان من الممكن أن يُسطَّرا على أنّهما واقعة انتحار وحادث غرق على التوالي، لو سارت الأمور وفقًا للخطّة.

دخلا إلى الشقّة، ولاحظا عدم وجود بريد على الأرض. عبق المكان برائحة المطهّر، وتدفّق ضوء الشمس عبر النوافذ.

اختفى الحصير الواقي لخبراء الطبّ الشرعيّ، ومُسِحت أرضيّة غرفة الجلوس الكبيرة ونُظِّفت.

سارا ببطء داخل الشقّة. بشكل غريب، لا يُلحظ أثر لانتحار پالمكرونا. المكان لا يبدو مهجورًا البتّة. شعر جونا وسوغا بالأمر نفسه. الراحة والهدوء يسودان الغرف الكبيرة.

قالت سوغا: «لم تتوقّف عن المجيء».

ردّ جونا مبتسمًا: «بالضبط». ما زالت مدبّرة المنزل تنظّفه، وتفتح النوافذ، وتتسلّم البريد، وتغيّر أغطية الأسِرّة، وهكذا. كانا يفكّران في أنّ هذا الأمر على وجه الخصوص ليس غريبًا في حالة الموت المفاجئ، حيث يتباطأ الناس في الاعتراف بأنّ الحياة قد تغيّرت.

رنّ جرس الباب. بدا على سوغا التوتّر قليلًا، لكنّها تبعت جونا إلى المدخل. عند العتبة، وقف رجل حليق الرأس، يرتدي بدلة رياضيّة فضفاضة لونها أسود.

قال: «أخبرني جونا بأن أرمي الهامبرغر من يدي، وأحضر على الفور».

شرح جونا لسوغا: «هذا يوهان جونسون من إدارة تكنولوجيا المعلومات».

قام يوهان بمحاولة بائسة لمحاكاة لكنة جونا الفنلنديّة.

قال جونا: «أقدّم لك سوغا باوِر من شرطة الأمن».

سأل يوهان وهو ما زال يتحدّث باللكنة الفنلنديّة: «إذن، نحن هنا لنتحدّث أم لنعمل؟».

قالت سوغا: «كفّ عن هذا».

وقال جونا: «نحتاج إلى تفقّد كمبيوتر بالمكرونا. كم سيستغرق ذلك؟».

وهم يتجهون إلى المكتب، سأل يوهان: «هل سيُستخدم دليلًا؟».

أجاب جونا: «أجل».

«إذن، تريد منّي استنساخه؟».

«كم سيستغرق من الوقت؟».

قال يوهان من دون أن يتحرّك: «سيكون لديك الوقت لإخبارها ببعض النكات».

قالت سوغا له غاضبة: «ما خطبك؟».

فسألها يوهان مبتسمًا ابتسامة خجولة: «هل أنت غير مرتبطة؟».

نظرت سوغا إليه مباشرةً، وهزّت رأسها، فغضّ من بصره، وهمس بشيء ما، ثمّ انهمك بفحص كمبيوتر بالمكرونا.

حصل جونا على زوجَي قفّازات واقية من سوغا. ارتداهما ليتحقّق من البريد الموجود على الرفّ، ولكنّه لم يجد أيّ شيء مميّز. لم يكن يوجد كثير من الرسائل، فقط بضعة خطابات من البنك والمحاسب، وبعض البيانات من مكتب مجلس الوزراء، ونتائج تحاليل من قسم جراحة العظام بعيادة «صوفيا»، ومحاضر اجتماع فصل الربيع للجنة السكّان.

عاد جونا وسوغا إلى غرفة الموسيقى. جلس جونا على إحدى الأرائك، وحرّك يده بلطف أمام الشعاع الرقيق لضوء الستيريو. صدحت

موسيقى لعزف منفرد على الكمان عبر مكبّرات الصوت. كأنّ العازف يستحضر لحنًا هشًّا في أعلى النطاق الموسيقيّ للآلة.

نظر جونا إلى ساعته. ترك سوغا بجانب الستيريو، وعاد إلى المكتب. لم يكن يوهان هناك. إنّه جالس في المطبخ أمام الكمبيوتر الخاصّ به وقد وضعه على الطاولة.

سأله جونا: «كف يسير الأمر؟ هل تمكّنت من استنساخ كمبيوتر بالمكرونا؟».

«انتهيت من الأعمال كافّة. استنساخ دقيق».

اقترب جونا من الطاولة لينظر إلى الشاشة.

سأل: «هل يمكنك الدخول إلى رسائل البريد الإلكترونيّ؟».

«ها هي!».

«سنتحقّق من رسائل البريد الإلكترونيّ للأسبوع الماضي».

«هل سنبدأ بصندوق الوارد؟».

«أجل. ابدأ من هناك».

سأل يوهان فجأة: «هل تظن أنّ سوغا معجبة بي؟».

«لا»، أجاب جونا.

«غالبًا ما يبدأ الحبّ بالجدال».

قال جونا وهو يشير إلى الشاشة: «جرّب أن تشدّ جديلتها!».

فتح يوهان صندوق الوارد وابتسم، ثمّ قال بالفنلنديّة: «الجائزة الكبرى!».

رأى جونا ثلاث رسائل من (skunk@hotmail.com)، فهمس: «افتحها».

نقر يوهان على الرسالة الأولى، فامتلأت الشاشة برسالة يورن الإلكترونيّة.

وهمس يوهان وهو يبتعد عن الشاشة: «يا إلهي! يا لك من نجم لامع!».

44

قرأ جونا رسالة البريد الإلكترونيّ، ثمّ فتح بقيّة الرسائل وقرأها مرّتين، ثمّ ذهب إلى سوغا.

سألته: «هل عثرت على شيء؟».

«أجل. في الثاني من يونيو، تسلّم پالمكرونا رسالة بريد إلكترونيّ من يورن ألمسكوغ يبتزّه فيها. أرسِلت الرسالة من عنوان مجهول».

همست: «إذن، الأمر كلّه بشأن عمليّة ابتزاز؟».

«لست متأكّدًا تمامًا من ذلك».

تابع جونا سرد الأيّام الأخيرة في حياة پالمكرونا: «في بداية الأمر، زار مصنع أسلحة شركة 'سايلانسيا ديفينس' في 'ترولهتان' وعلى الأرجح، لم يقرأ پالمكرونا رسالة يورن حتّى وصل إلى المنزل، لأنّ ردّه أُرسِل في الساعة 6:25 مساءً. في هذا الردّ، حذّر پالمكرونا المبتزّ من العواقب الوخيمة. وفي وقت الغداء من اليوم التالي، أرسل پالمكرونا رسالة أخرى إلى المبتزّ، معربًا له عن الاستسلام التامّ. بعد ذلك، من المرجّح أن يكون ربط الحبل في السقف، وطلب من مدبّرة منزله أن تتركه بمفرده. فور مغادرتها، شغّل بعض الموسيقى، وذهب إلى غرفة المعيشة، ووقف على حقيبة أوراقه، ووضع المشنقة حول رقبته. بعد الوفاة على الفور، وصلت رسالة يورن الثانية إلى بريد پالمكرونا، ثمّ جاءت الرسالة الثالثة في اليوم التالي».

وضع جونا النسخ المطبوعة من رسائل البريد الإلكتروني الخمس بالترتيب الصحيح على الطاولة. وقفت سوغا بجانبه تقرأ الرسائل المتبادلة بالكامل.

الرسالة الأولى من يورن في يوم الأربعاء، الموافق 2 يونيو، الساعة 11:37 صباحًا:

عزيزي كارل پالمكرونا،

أكتب إليك لأخبرك بأنّ لديّ النسخة الأصليّة من صورة ذات طبيعة حسّاسة. تظهر في الصورة وأنت جالس في مقصورة خاصّة تشرب نخبًا

مع رافاييل غويدي. وبما أنّني أدرك تمامًا الطبيعة المقلقة لهذا الدليل الوثائقيّ، فأنا على استعداد لبيع هذه الصورة لك مقابل مليون كرونا. فور تحويلك المبلغ إلى الحساب المؤقّت رقم (837-9 222701730)، ستُرسَل إليك الصورة، وستُتلَف الأدلّة المتعلّقة بهذه المراسلات كافّة.

مع خالص تحياتي،

«ظربان»

ردّ بالمكرونا يوم الأربعاء، الموافق 2 يونيو، في 6:25 مساءً:

أنا لا أعرف من أنت، ولكنّي أعرف شيئًا واحدًا فقط، وهو أنّك لا تدرك عاقبة ما تفعله؛ ليس لديك فكرة على الإطلاق. لذا أحذّرك: الأمر خطير للغاية، وأرجو منك أن تعطيني الصورة قبل فوات الأوان.

ردّ بالمكرونا الثاني في يوم الخميس، الموافق 3 يونيو، في 2:02 ظهرًا:

لقد فات الأوان؛ سنموت نحن الاثنين.

رسالة يورن الثانية في يوم الخميس، الموافق 3 يونيو، في 4:02 عصرًا:

أنا أستسلم؛ سأفعل ما تقوله.

رسالة يورن الثالثة في يوم الجمعة، الموافق 4 يونيو، في 7:47 صباحًا:

عزيزي كارل بالمكرونا،

أرسلت إليك الصورة. انسَ أنّني تواصلت معك.

مع خالص تحيّاتي،

«ظربان»

بعد قراءة رسائل البريد الإلكترونيّ مرّتين، قالت سوغا: «أراد يورن مساومة بالمكرونا على صورة. من الواضح أنّ بالمكرونا يعرف أنّ الصورة موجودة، ومن الواضح أيضًا أنّ محتوى هذه الصورة أخطر ممّا تخيّل يورن. وجّه بالمكرونا تحذيرًا إلى يورن. لا أمل في أن يدفع شيئًا مقابل الصورة، ولكن على ما يبدو أنّه فكّر في أنّ وجودها خطر عليهما».

«إذن، ماذا حدث في رأيك؟»، سألها جونا.

«انتظر بالمكرونا ردًّا سواء بالبريد الإلكترونيّ أو غيره. وفي حين أنّه

لم يتلقّ أيّ ردّ، أرسل الرسالة الثانية بالبريد الإلكترونيّ التي قال فيها إنّهما سيموتان».

«ثمّ شنق نفسه» قال جونا.

«عندما ذهب يورن إلى مقهى الإنترنت، وقرأ رسالة پالمكرونا الثانية: 'فات الأوان. سنموت نحن الاثنين' شعر بالرعب، وردّ بأنّه سيفعل ما اقترحه پالمكرونا».

«من دون علمه بأنّ پالمكرونا مات بالفعل».

«بالضبط. فات الأوان بالفعل؛ كلّ شيء فعله بعد ذلك كان عديم الجدوى».

قال جونا: «يبدو أنّه أُصِيب بالذعر بعد رسالة پالمكرونا الثانية، فعزف عن فكرة الابتزاز، وأراد فقط أن يخرج من الموقف».

«ولكنّ الصورة كانت ملصقة على الباب داخل شقّة پينيلوپي».

«لم تكن لديه الفرصة للحصول على الصورة، حتّى غادرت پينيلوپي لتحضر المناظرة. انتظر خارجًا، وراقب مغادرتها، وسارع إلى دخول المبنى، وقابل الفتاة الصغيرة على الدرج، ودخل الشقّة بسرعة. جذب الصورة، وأخذ القطار إلى المحطّة المركزيّة، وأرسلها بالبريد إلى پالمكرونا، وأرسل له رسالة إلكترونيّة. عاد إلى شقّته ليأخذ حقائبه، وركب الحافلة إلى 'سودرمالم' مسرعًا إلى اليخت».

سألت سوغا: «إذن، ما الذي يجعلك تعتقد أنّ هذا أكثر من ابتزاز عاديّ؟».

«احترقت شقّة يورن بالكامل بعد مغادرته بثلاث ساعات. واقتنع خبراء إدارة الإطفاء بأنّها اشتعلت بسبب ترك مكواة على وضعيّة التشغيل في الشقّة المجاورة».

قالت سوغا: «توقّفت عن تصديق المصادفات في هذه القضيّة».

قال جونا مبتسمًا: «وأنا أيضًا».

نظر الاثنان مجدّدًا إلى رسائل البريد الإلكترونيّ المتبادلة، وأشار جونا إلى رسالتي بالمكرونا.

قال: «لا بدّ من أنّ بالمكرونا تواصل مع أحد ما بين رسالتيه الأولى والثانية».

«تعدّ الأولى رسالة تحذيريّة، وتقول الثانية إنّه فات الأوان، وإنّهما سيموتان».

«أعتقد أنّ بالمكرونا اتّصل بأحد ما عندما تسلّم رسالة البريد الإلكتروني. كان خائفًا، ولكنّه كان يأمل في الحصول على المساعدة. وعندما أدرك ألّا مجال للخروج من هذا المأزق، أرسل الرسالة الثانية».

«يمكننا التحقّق من سجلّات هاتفه».

«لقد بدأ إريكسون بالفعل».

«ماذا بعد؟».

«نحتاج إلى التحقّق من هويّة الشخص الذي ذكره يورن في رسالته الأولى».

سألت سوغا: «رافاييل غويدي؟».

«هل تعرفينه؟».

«يُطلق الناس لقب 'الزعيم' عليه. رافاييل غويدي هو رجل أعمال إيطاليّ يُبرم صفقات الأسلحة في الشرق الأوسط وأفريقيا».

«تجارة الأسلحة».

ينشط غويدي في عمله منذ ثلاثين عامًا، وقد بنى إمبراطوريّة خاصّة به، ولكنّني أشكّ في أن يكون متورّطًا في أيّ شيء غير قانونيّ. لم يتمكّن الإنتربول أبدًا من إثبات أيّ شيء عليه. كانت تحوم حوله الشكوك، ولكنّها شكوك لا أكثر».

«هل من الغريب أن يلتقي بالمكرونا مع غويدي؟».

«على العكس، هذا جزء من عمله، رغم أنّ غويدي إنسان حقير».

«إنّه ليس بالأمر الذي ينتحر أو يُقتَل أحد من أجله».

قالت سوغا مبتسمة: «لا».

«إذن، لا بد أن الصورة تكشف شيئًا آخر، أمرًا خطيرًا».

«إذا كان يورن قد أرسل الصورة إلى بالمكرونا، فلا بدّ من أن تكون هنا في شقّته».

«لقد تحقّقت من البريد، و...».

توقّف جونا عن الحديث فجأة، فحدّقت سوغا إليه، وسألته: «ما الخطب؟ بماذا تفكر؟».

«وجدت فقط الخطابات الموجّهة إليه بشكل مباشر في الصندوق، ولم تكن ثمة إعلانات أو نشرات إعلانيّة؛ يُفرَز البريد بالفعل على حسب الوقت الذي يصل فيه إلى هنا».

45

لم يكن لدى إديث شوارتز، مدبّرة منزل بالمكرونا هاتفًا. جلس جونا بهدوء إلى جوار سوغا وهي تقود السيّارة إلى عنوانها شمال ستوكهولم.

قالت: «انتهت شرطة الأمن من التحقيق في شقّة بينيلوبي. تفقّدت الأدلّة الماديّة كافّة، وعلى ما يبدو ليس لديها أيّ صلة بأيّ جماعات يساريّة متطرّفة. على العكس تمامًا، أبعدت بينيلوبي نفسها بالفعل عنهم. إنّها داعية سلام جريئة. كما أنّها تشنّ حملات ضدّ أساليب هذه الجماعات. تفقّدتُ القليل الذي نعرفه عن يورن ألمسكوغ الذي يعمل في نادي 'ديباسر' وليس له نشاط سياسيّ، ولكن أُلقِي القبض عليه في مسيرة بالشارع نظّمتها حركة 'استرداد المدينة' مرّةً. لقد تفقّدت كلّ شيء لدينا عن الجماعات المتطرّفة في ستوكهولم، سواء اليساريّة أم اليمينيّة، واستغرق الأمر معظم الليل. من الواضح أنّ الأمر متشعّب، ولكنّك بحاجة إلى معرفة أنّ شرطة الأمن ارتكبت خطأً: بينيلوبي ويورن ليسا متورّطين في أيّ عمليّات تخريب أو شيء من هذا القبيل. إنّهما بريئان».

«إذن، انتهيتِ من هذا الخيط في التحقيق؟».

«مثلك تمامًا، أنا مقتنعة بأنّنا نحقّق في شيء مختلف، شيء بعيد عن متطرّفي الجناح اليساريّ أو اليمينيّ. ربّما خارج إطار 'شرطة الأمن' أو 'إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة'. أقصد أنّ خلف موت پالمكرونا، وحريق شقّة يورن، وقتل فيولا، وما إلى ذلك، شيئًا كبيرًا».

توقّفا عن الحديث، وتذكّر جونا لقاءه مع مدبّرة المنزل، والطريقة التي نظرت بها مباشرةً إلى عينيه، وسؤالها عمّا إذا كانوا قد أنزلوا پالمكرونا. تذكّر إجابتها: «عذرًا، أنا مدبّرة منزل فقط» حين سألها عن قصدها. وحين سألها عمّا إذا كانت قد لاحظت أيّ شيء غير مألوف، ردّت: «ثمّة حبل مشنقة مربوط بخطّاف المصباح في غرفة المعيشة». سألها إن كانت رأته فأجابت: «بالطبع».

تذكّر جونا الطريقة التي قالت بها «بالطبع»، وهو ينظر إلى الطريق السريع. لم تغب عن عقله الطريقة الحادّة التي قالتها بها. كما أنّه استرجع تعبيرات وجهها عندما شرح لها أنّها ربما تُستدعَى إلى مقرّ الشرطة، وتدلي بأقوالها إلى أحد الضبّاط؛ لم يظهر عليها القلق -كما توقّع- بل هزّت رأسها فقط.

وهما يجتازان منطقة «روتيبرو»، حيث اكتشف جونا جريمة مروّعة خلال تحقيق «تومبا»، اتّصل جونا بپولوك الذي سمع صوته المزكوم بعض الشيء بعد رنين الهاتف لمرّتين: «پولوك».

قال جونا: «تفقّدت أنت وكوفود البصمات أسفل جثمان پالمكرونا».

«أُغلِق التحقيق».

قال جونا: «نعم، ولكن الآن...».

قاطعه: «أعرف. تحدّثت إلى كارلوس، وأخبرني بآخر المستجدّات».

«هل يمكنك إلقاء نظرة أخرى؟».

«هذا ما أفعله الآن»، ردّ پولوك وهو يضرب على لوحة المفاتيح.

«يسرّني سماع هذا. متى تعتقد أنّك ستنتهي من ذلك؟».

«الآن. تخصّ بصمات الأحذية بالمكرونا، ومديرة منزله إديث شوارتز».

«لا أحد غيرهما؟».

«لا».

حافظت سوغا على سرعة قيادة ثابتة تبلغ مئة وأربعين كيلومترًا في الساعة منذ اتّجهت إلى أقصى الشمال.

استمع جونا وسوغا من قبل إلى تسجيل مقابلة ضابط الشرطة يون بنغتسون مع إديث شوارتز، في أثناء قراءتهما للتعليقات التي كتبها بخطّ يده.

استعاد جونا هذا الحوار مجدّدًا في رأسه: بعد المقدّمة الشكليّة، شرح يون ألّا أحد يشكّ في أنّ ثمّة جريمة ارتُبكت، ولكنّه يأمل في أن تتمكّن هذه السيّدة من إلقاء بعض الضوء على الظروف المحيطة بوفاة كارل بالمكرونا، ثمّ ساد الصمت. أشار جون في ملاحظاته إلى أنّه اختار أن ينتظر ليعطي فرصة لها كي تتحدّث لأنّها بدت غير مبالية تمامًا.

استغرق الأمر أكثر من دقيقتين حتّى تقول شيئًا؛ ويعدّ هذا وقتًا طويلًا للجلوس على مكتب مقابل ضابط شرطة في صمت. وسألت في النهاية: «هل خلع السيّد بالمكرونا معطفه؟».

سألها يون بلطف: «لماذا تسألين عن هذا الأمر؟».

ظلّت صامتة لمدّة ثلاثين ثانية تقريبًا قبل أن يتحدّث يون مرّة أخرى، ويسألها: «هل كان يرتدي معطفه في المرّة الأخيرة التي رأيته فيها؟».

«أجل».

«في وقت سابق، أخبرتِ المحقّق لينا أنّك رأيت مشنقة يتدلّى حبلها من السقف».

«أجل».

«ما الذي كنتِ تعتقدين أنّها ستستخدم فيه؟».

لم تردّ على هذا السؤال، فسألها يون: «منذ متى وهي معلّقة هناك؟».

أجابت بهدوء: «منذ يوم الأربعاء».

«إذن، رأيتِ المشنقة وحبلها يتدلّى من السقف في مساء يوم الثاني من يونيو، وذهبت إلى منزلك، ثمّ عدتِ في صباح اليوم التالي، الثالث من يونيو، ورأيتِ المشنقة مجدّدًا، والتقيتِ مع بالمكرونا، وغادرتِ الشقّة، ثمّ عدتِ في الثانية والنصف ظهرًا في يوم الخامس من يونيو... عندما قابلتِ المحقّق لينا».

تشير الملاحظات إلى أنها تجاهلت ما قاله.

سألها يون: «هل يمكنك أن تقصّي عليّ ما حدث خلال هذه الأيّام بأسلوبك؟».

«وصلتُ إلى شقّة السيّد بالمكرونا في السادسة صباحًا من يوم الأربعاء. كان مسموحًا لي فقط أن أستخدم مفتاحي في الصباح لأنّه ينام حتّى السادسة والنصف؛ كان حريصًا على اتّباع جدول منتظم، لذلك لم يكن يطيل النوم أبدًا حتّى في يوم الأحد. طحنت حبوب القهوة في المطحنة اليدويّة، وقطعت شريحتين من الخبز، ووضعت عليهما الزبدة الكثيرة الملح القابلة للدهن، ثمّ وضعت معجون الكبد مع الكمأة، وأضفت شرائح الخيار المخلّل الصغير، وشريحة جبن شيدر على الجانب. أعددت الطاولة، ووضعت عليها المفرش الكتّاني، والطقم الصينيّ. ويجب أن تكون صحف الصباح خالية من أيّ نشرات إعلانيّة منفصلة، ومن الملحق الرياضيّ، وتترك مطويّة على الجانب الأيمن للكرسيّ».

واصلت الحديث بالتفصيل عن إعداد وجبة مساء الأربعاء، من فطائر اللحم البقريّ المفروم مع صلصة الكريمة، ثمّ غداء يوم الخميس.

عندما وصلت إلى لحظة عودتها يوم السبت بأغراض البقالة لعطلة نهاية الأسبوع، ورنّ جرس الباب، توقّفت عن الحديث.

قال يون بعد فترة وجيزة من الصمت: «أقدّر أنّ الأمر صعب، ولكنّني جلست هنا، واستمعت إليك وأنت تصِفين ما حدث يومي الأربعاء والخميس بكثير من التفاصيل. ومع ذلك، لم تذكري أيّ شيء عن وفاة السيّد بالمكرونا المفاجئة، ولو لمرّة واحدة».

ظلّت صامتة، ولم تصدر عنها أيّ محاولة لتقديم أيّ تفسير.

تابع يون بصبر: «أطلب منكِ أن تبحثي في ذاكرتك مرّة أخرى. هل كنتِ تعرفين أنّ كارل بالمكرونا قد مات عندما قرعتِ جرس الباب؟».

«لا».

فسألها جون ضجِرًا: «ألم تسألي المحقّق لينا عمّا إذا كانوا قد أنزلوه؟».

«بلى»، أجابت.

«هل رأيتِ بالفعل أنّه مات؟».

«لا».

قال يون غاضبًا: «اللعنة! ألن تخبريني ماذا تعرفين؟ ما الذي دفعك إلى أن تسألي عمّا إذا كانوا قد أنزلوه؟ لقد سألتِ عن هذا الأمر! ما الذي جعلك تسألين مثل هذا السؤال إذا كنت لا تعرفين أنّه مات؟».

في تقريره، كتب يون أنّه ارتكب خطأً بأن سمح لأسلوبها المراوغ باستفزازه، وأنّها تمسكّت بالصمت تمامًا بعد أن فقد أعصابه.

سألت ببرود: «هل أنا موضع شكّ؟».

«لا».

«انتهينا إذن».

«سنقدّر لك مساعدتكِ إذا...».

فقاطعته قائلة وهي تنهض عن الكرسيّ: «لا أتذكّر أيّ شيء آخر».

***

نظر جونا إلى سوغا، ووجدها توجّه تركيزها إلى الطريق السريع والشاحنة التي أمامهما.

قال: «كنت أفكّر بالمقابلة التي أُجرِيت مع مدبّرة المنزل».

«وأنا أيضًا»، ردّت.

«شعر يون بالغضب منها. كان يعتقد أنّها تناقض نفسها. لقد زعمت أنّها لم تكن تعرف أن بالمكرونا قد مات عندما دقّ جرس الباب».

قالت سوغا من دون أن تنظر إليه: «أجل».

«لكنّها كانت تقول الحقيقة. لم تكن تعرف أنّه مات. كانت تعتقد أنّه ربّما مات، ولكنّها لم تكن تعرف، لذلك أجابت بالنفي».

«يبدو أنّ إديث شوارتز امرأة غير عاديّة».

قال جونا: «أعتقد أنّها تحاول إخفاء شيء عن الشرطة، ولكنّها لا تريد أن تكذب بالفعل».

46

يشكّ كلّ من جونا وسوغا في قدرتهما على دفع إديث إلى قول أيّ شيء شافٍ، لكنّها قد تكون قادرة على إيصالهما إلى الصورة، ما قد يساعد على إنهاء القضيّة برمّتها.

تركت سوغا الطريق السريع، وخفّفت السرعة، ثمّ استدارت إلى طريق ضيّق مرصوف بالحصى.

اتّجها إلى غابات الصنوبر المنخفضة التي تتخلّلها حقول المحاصيل.

قالت سوغا وهي تحدّق إلى نظام تحديد المواقع: «لا بدّ من أنه المكان».

خرج جونا من السيّارة، وسمع صوت حركة المرور على الطريق السريع القريب من المكان مثل الزئير المملّ الذي لا يهدأ.

على بُعد عشرين مترًا، ثمّة بيت من طابق واحد مبنيّ من الطوب الأصفر القذر، نوافذه مغلقة، وسطحه مسقوف بالبلاط الإسمنتيّ المكسوّ بالطحالب.

سمعا صوت طنين غريب عند اقترابهما من المنزل. نظرت سوغا إلى جونا. تحرّكا بحرص نحو الباب الأماميّ وهما في قمّة التأهّب. كان ثمّة صوت خشخشة خلف المنزل، ثمّ مرّة أخرى صوت الطنين الغريب.

اقترب الصوت منهما بسرعة، ثمّ قفز نحوهما كلب كبير من فصيلة الراعي الألمانيّ الطويل الفراء. وقف على ساقيه الخلفيّتين وفمه مفتوح على بُعد بوصات من سوغا. ثمّ انسحب إلى الخلف وأنزل ساقيه

الأماميّتين، وبدأ ينبح بعنف محرّكًا رأسه راكضًا من جنب إلى آخر. الآن فقط رأيا أنّ الكلب مقيّد برسن سلكيّ طويل يهتزّ ويُحدِث صوت طنين كلّما ركض.

ركض الكلب واندفع نحو جونا، ولكنّ الرسن أوقفه، فانسحب إلى الخلف مجدّدًا. راح ينبح بشكل لا يمكن السيطرة عليه، ولكنّه توقّف عند سماع صوت من خلف الجدار.

صرخت سيّدة: «نيلس!».

أخذ الكلب يئنّ ويدور حول نفسه وذيله بين ساقيه، وراحت الأرض تُحدِث صريرًا. بعد بضع ثوانٍ، فُتح الباب، فركض الكلب إلى داخل المنزل ساحبًا الرسن خلفه، وخرجت إديث إلى الدرج مرتدية بُرنُس حمّام مبطّنًا أرجوانيّ اللون.

قال جونا: «نودّ التحدّث إليكِ».

«ذكرت بالفعل كلّ ما أعرفه»، ردّت.

«هل يمكننا الدخول؟».

«لا».

نظر جونا إلى البيت الكئيب خلفها. الصالة مظلمة ومليئة بالخردة.

قرأ جونا ملاحظاته، وبدأ في التحقّق من التفاصيل التي قالتها إديث في اللقاء السابق. إنّها طريقة روتينيّة لكشف الأكاذيب أو التناقضات. فمن الصعب تذكّر التفاصيل غير الصحيحة، والتفاصيل التي توصّلت إليها ارتجالًا.

سألها: «ماذا أكل بالمكرونا يوم الأربعاء؟».

«فطائر اللحم المفروم في صلصة الكريمة»، أجابت.

«مع الأرزّ؟».

«البطاطا. دائمًا مع البطاطا المسلوقة».

«متى وصلتِ إلى شقّة بالمكرونا يوم الخميس؟».

«في السادسة».

«ماذا فعلتِ عندما غادرتِ شقّة بالمكرونا يوم الخميس؟».

«أعطاني المساء عطلة».

نظر إلى عينيها، وتوصّل إلى أنّه ليس ثمّة فائدة من الالتفاف حول الأسئلة المهمّة.

سألها: «هل علّق پالمكرونا المشنقة في السقف يوم الأربعاء؟».

«لا»، أجابت إديث.

قالت سوغا: «هذا ما أخبرتِ به زميلنا يون بنغتسون».

«لا».

قالت سوغا بتبرّم قبل أن تعاود السيطرة على نفسها: «لدينا تسجيل للمقابلة بأكملها».

وسألها جونا: «هل قلتِ أيّ شيء لپالمكرونا عن المشنقة؟».

«لم نكن نتحدّث عن أمورنا الشخصيّة».

فسألت سوغا: «ولكن أليس من الغريب أن تتركي رجلًا بمفرده مع مشنقة يتدلّى حبلها من السقف؟».

أجابت إديث مع ابتسامة خفيفة: «كان صعبًا عليّ البقاء والمشاهدة».

قالت سوغا بهدوء: «لا أعتقد ذلك».

لأوّل مرّة، أمعنت إديث النظر إليها. شعرها الأشقر المزيّن بشرائط ملوّنة، ووجهها الخالي من المكياج، وسروالها الجينز الباهت، وحذائها الرياضيّ.

قالت سوغا بتبرّم: «ما زلتُ لا أستطيع فهم الأمر. أخبرتِ زميلنا بأنّكِ رأيتِ حبل المشنقة يوم الأربعاء، ولكن عندما سألتكِ للتو، قلتِ العكس».

نظر جونا في دفتر ملاحظاته ليتحقّق ممّا كتبه، عندما سألت سوغا إذا كان پالمكرونا قد علّق المشنقة يوم الأربعاء.

قال: «إديث! أعتقد أنّني أفهم ما تقولينه».

فأجابت بصوت خافت: «جيّد».

«عندما سُئلتِ عمّا إذا كان پالمكرونا قد علّق المشنقة يوم الأربعاء، قلت لا لأنّه لم يكن الشخص الذي علّقها».

رفعت المرأة العجوز رأسها، وحدّقت إليه بشدّة، ثمّ قالت بحزم: «حاول، ولكنّه لم يتمكّن من فعل ذلك. كان ظهره ضعيفًا للغاية بعد إجراء العمليّة الجراحيّة في الشتاء الماضي... لذا، طلب منّي أن أفعل».

«إذن، أنتِ الشخص الذي ربط حبل المشنقة بخطّاف المصباح يوم الأربعاء؟»، سأل جونا.

«لقد صنع المشنقة، وأمسك بالسلّم حتّى أصعد لربطها».

قال جونا: «ثمّ وضعتِ السلّم بعيدًا، وعدتِ إلى مهامك المعتادة، ورجعتِ إلى منزلك مساء يوم الأربعاء، بعد أن غسلتِ أطباق العشاء».

«أجل».

«عدتِ في اليوم التالي، ودخلتِ المنزل كالمعتاد، وأعددتِ فطوره».

سألت سوغا: «هل كنتِ تعرفين أنّه لم يعلّق نفسه بالمشنقة بعد؟».

«تحقّقت من غرفة المعيشة»، قالت إديث وتسلّل شيء أشبه بالابتسامة بسرعة إلى وجهها الجامد.

قالت سوغا: «قلتِ إنّ بالمكرونا قد تناول فطوره في الوقت نفسه تمامًا كالمعتاد، ولكنّه لم يذهب إلى العمل في ذلك الصباح».

«مكث في غرفة الموسيقى ساعةً على الأقلّ».

«يستمع إلى الموسيقى؟».

أجابت: «أجل».

سألت سوغا: «قبل وقت الغداء على الفور، أجرى بالمكرونا مكالمة هاتفيّة قصيرة».

«لا أعرف أيّ شيء عن ذلك. كان في مكتبه، وكان الباب مغلقًا. ولكنّه قبل أن يجلس لتناول سمك السلمون المسلوق، طلب منّي أن أحجز له سيّارة أجرة بموعد الساعة الثانية ظهرًا».

قال جونا: «كان ذاهبًا إلى مطار 'أرلاندا' صحيح؟».

«أجل»، ردّت إديث.

«وفي الساعة الثانية إلّا عشر دقائق، تلقّى مكالمة هاتفيّة؟».

«أجل. كان يرتدي معطفه بالفعل عندما ردّ على الهاتف».
سألت سوغا: «هل سمعتِ ما قاله؟».
وقفت من دون حركة، وحكّت ضمادة على إحدى وجنتيها. وضعت يدها على مقبض الباب، وقالت بهدوء: «الموت ليس كابوسًا».
قالت سوغا: «سألتُ إن كنتِ قد سمعتِ ما قاله».
قالت إديث باقتضاب وهي تغلق الباب: «معذرةً».
فقال لها جونا: «انتظري!».
توقّف الباب فجأة، ونظرت إليه من خلال الفجوة من دون فتحه مرّة أخرى.
سألها: «هل كان لديك الوقت لترتيب بريد بالمكرونا اليوم؟».
«بالطبع».
قال جونا: «أحضري إليّ كلّ ما لديك باستثناء الإعلانات».
هزّت إديث رأسها، وذهبت إلى داخل المنزل مغلقة الباب خلفها، ثمّ عادت بصينيّة بلاستيكيّة زرقاء مليئة برسائل البريد.
قال جونا وهو يأخذها منها: «أشكرك».
أغلقت إديث الباب. بعد بضع لحظات، بدأ رسن الكلب يرنّ مرّة أخرى. سمعاه ينبح بشدّة خلفهما في أثناء عودتهما إلى السيّارة.
أدارت سوغا السيّارة. ارتدى جونا قفّازين واقيين، وتفقّد البريد. فتح ظرفًا لونه أبيض، مُعَنْونًا بخطّ اليد، وأخرج بحرص الصورة التي مات من أجلها شخصان على الأقلّ.

47

توقّفت سوغا على جانب الطريق. حدّق جونا إلى الصورة.
الجزء العلويّ من الصورة مخفيّ بشيء ما، ولكنّها شديدة الوضوح بخلاف ذلك. من المحتمل أنّ الكاميرا كانت مخفيّة، والتقطت الصورة من دون علم أيّ شخص. تُظهر الصورة أربعة أشخاص، ثلاثة رجال

وامرأة، جالسين داخل مقصورة واسعة في حفلة. وجوههم جميعًا مرئيّة واضحة للغاية، رغم أنّ أحدهم يدير وجهه بعيدًا إلى حدٍّ ما.

ثمّة دلو من الثلج وفيه زجاجة شمبانيا على طاولة مجهّزة لتسمح لهم بتناول الطعام والتحدّث والاستماع إلى الموسيقى في الوقت نفسه.

تعرّف جونا فورًا على كارل بالمكرونا الذي كان ممسكًا بكأس شمبانيا طويلة في يده، وتعرّفت سوغا على اثنين آخرين.

قالت مشيرةً إلى رجل شعره خفيف: «هذا هو رافاييل غويدي تاجر الأسلحة المذكور في رسالة الابتزاز بالبريد الإلكترونيّ. وهذا الرجل الذي يدير وجهه بعيدًا، فهو رئيس شركة 'سايلانسيا ديفينس' پونتوس سلمان».

قال جونا بصوت خفيض: «أسلحة».

كانت على المسرح خلف المقصورة فرقة عزف رباعيّة: آلتا كمان، وڤيولا، وتشيللو. الموسيقيّون الأربعة رجال. جلسوا متواجهين على شكل نصف دائرة، وبدا على وجوههم التركيز الهادئ. من المستحيل أن تعرف إذا كانوا ينظرون إلى النوتة الموسيقيّة، أم أنّ أعينهم مغلقة، ويستمعون إلى عزف الآلات الأخرى.

سأل جونا: «مَن الشخصيّة الرابعة، أقصد المرأة؟».

قالت سوغا بتمعّن: «اسمها على طرف لساني. أنا أعرفها، ولكن... اللعنة...».

حدّقت سوغا إلى وجه المرأة.

قال جونا: «علينا معرفة مَن تكون».

«أجل».

شغّلت سوغا السيّارة، وفور انطلقت تذكّرت: «إنّها أغاثا الحجّي، المستشارة العسكريّة للرئيس عمر البشير».

قال جونا: «السودان».

«نعم».

سأل جونا: «لكم سنة عملت مستشارة له؟».

«خمسة عشر عامًا، وربّما أكثر، لا أتذكّر».

«إذن، ما الذي يميّز هذه الصورة؟».

أجابت سوغا: «لا أعرف. لا شيء. أقصد... إنّه من المألوف أن يلتقي هؤلاء الأربعة لمناقشة إمكانيّة إبرام صفقات. بالعكس تمامًا. تعدّ المقابلات من هذا النوع جزءًا من عملهم. ويمكن أن تكون نقطة الاتّصال الأولى بينهم. فهم يتقابلون، ويناقشون خططهم، وربّما يطلبون تقييمًا مبدئيًّا من كارل بالمكرونا».

«وهذه تعني الموافقة المبدئيّة أنّ 'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة' قد تمنح تصريحًا بالتصدير؟».

«بالضبط. إنّها إشارة جيّدة».

سأل جونا: «هل تصدّر السويد عادةً معدّات عسكريّة إلى السودان؟».

«لا. لا أعتقد ذلك. علينا أن نتحدّث إلى أحد المتخصّصين في تلك المنطقة من العالم. أشعر أنّ الصين وروسيا هما المورّدان الرئيسان، ولكنّ هذا ليس حتميًا. انتهت الحرب الأهليّة في السودان عام 2005، وأتوقّع أنّ السوق أصبح مفتوحًا بعد ذلك».

«إذن، ماذا تعني هذه الصورة؟ ما الذي دفع بالمكرونا إلى الانتحار؟ أقصد أنّ الشيء الوحيد الذي يظهر في هذه الصورة أنّه قابل هؤلاء الأفراد داخل مقصورة في حفلة».

اتّجها جنوبًا في صمت، بينما جونا يحدّق إلى الصورة ويفكّر.

ثمّ سأل: «إذن، الصورة ليست خطيرة عن بُعد؟».

«لا. ليس بالنسبة لي».

«هل قتل بالمكرونا نفسه لأنّه أدرك أنّ الذي التقط الصورة كان سيكشف سرًّا؟ ربّما كانت الصورة مجرّد تحذير. ربّما كانت پينيلوپي ويورن أهمّ من الصورة؟».

«للأسف، لا نعرف شيئًا».

«بلى، نعرف. المشكلة أنّنا لم نتمكّن من جمع قطع الأحجية. لم نتمكّن سوى من تخمين مهمّة القاتل المأجور، ولكن يبدو أنّه كان يحاول العثور على الصورة لإتلافها، وقد قتل ڤيولا فرنانديز لأنّه ظنّ أنّها بينيلوبي».

قالت سوغا: «قد تكون بينيلوبي هي من التقط الصورة. هذا احتمال. ولكنّه لم يكتفِ بقتلها».

«هذا ما كنت أفكّر فيه للتوّ. لا نعرف ما الذي حدث أوّلًا... هل الصورة وسيلة للوصول إلى المصوّر؟ أم أنّ المصوّر كان الوسيلة للوصول إلى الصورة؟».

«كان الهدف الأوّل للمجرم المأجور شقّة يورن».

أكملا طريقهما في صمت لمدّة نصف ساعة، وحين صارا على مقربة من مقرّ الشرطة، نظر جونا مجدّدًا إلى الصورة: أربعة أشخاص في المقصورة، وخلفهم أربعة موسيقيّين على المسرح، وزجاجة شمبانيا.

قال: «أنا أنظر إلى هذه الصورة. أرى أربعة وجوه... وأنا متأكّد من أنّ أحدهم وراء مقتل ڤيولا فرنانديز».

وافقته سوغا: «أجل. مات بالمكرونا، لذا يمكننا بالتأكيد استبعاده. يتبقّى ثلاثة... ولن نتمكّن من التحدّث إلى اثنين منهم. هما خارج نطاق سيطرتنا».

قال جونا بإصرار: «نحتاج إلى إجبار پونتوس سلمان على الحديث».

48

تعذّر على جونا وسوغا تعقّب أيّ أحد في شركة «سايلانسيا ديفينس المحدودة». أرقام الهواتف التي عثرا عليها كافّة تؤدّي إلى المتاهة نفسها من الخيارات الآليّة والرسائل المسجّلة مسبقًا. في نهاية المطاف، نجحت سوغا في الوصول إلى إدارة المبيعات. تجاهلت أسئلة مندوبة المبيعات، وفسّرت سبب اتّصالها. في بداية الأمر، صمتت المندوبة، ثمّ شرحت لها أنّها تواصلت مع الرقم الخطأ، وأنّ مواعيد العمل قد انتهت. وبينما تطلب

منها أن تعاود الاتّصال غدًا بين التاسعة والحادية عشرة... قاطعتها سوغا بصوتٍ عالٍ: «تأكّدي فقط من أنّ پونتوس سلمان سيكون في استقبال 'شرطة الأمن' اليوم في الثانية ظهرًا».

سمعت نقرًا حذِرًا على لوحة المفاتيح.

قالت المرأة بعد ثوانٍ: «أنا آسفة. لديه اجتماعات طوال اليوم».

قالت سوغا بلطف: «ليس في الثانية ظهرًا».

«أجل. يقولون هنا...».

قاطعتها سوغا: «إنّه الوقت الذي سيتحدّث فيه معي».

«سأبلغ رسالتك».

قالت سوغا: «شكرًا جزيلًا»، وأنهت المكالمة. التقت عيناها بنظرات جونا الذي كان يجلس قبالتها على الطاولة.

سألها: «الثانية ظهرًا؟».

«أجل».

قال جونا: «يريد كوفود أن يلقي نظرة على الصورة. سأقابلك في مكتبه بعد الغداء، قبل أن نتوجّه إلى هناك».

بينما سيتناول جونا غداءه مع ديسا، سيكون خبراء التحليل الجنائيّ لدى «إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة» يشوّهون الصورة.

حين ينهون عملهم، سيصير وجه أحد الأشخاص الأربعة في المقصورة غير واضح إلى درجة عدم التعرّف عليه.

***

ابتسمت ديسا وهي تسحب الوعاء من آلة طهي الأرزّ. مرّرته إلى جونا، وأخذت تراقبه وهو يبلّل يديه ليتحقّق ممّا إذا كان الأرزّ باردًا بشكلٍ كافٍ ليبدأ العمل.

سألته: «هل كنت تعلم أنّ 'سودرمالم' لديها تمثال خاصّ بها للسيّد المسيح؟».

«تمثال للسيّد المسيح؟ أليس ذاك...».

هزّت رأسها، وقالت: «غولغوثا». فتحت ثلّاجة جونا، وأحضرت كوبين، وضعت في الأوّل نبيذًا، وفي الآخر ماءً.

بدا وجه ديسا مرتاحًا. نمشها أغمق لونًا، وشعرها مربوط إلى الخلف في جديلة غير مُحكمة. غسل جونا يديه، وأخرج منشفة أطباق نظيفة. وقفت ديسا أمامه، ولفّت ذراعيها حول رقبته، ردّ جونا العناق بمثيله. مال بوجهه نحو رأسها وتنشّق عطرها بينما كان يشعر بيديها تداعب رقبته وأعلى ظهره.

همست: «هل يمكننا المحاولة؟ يمكننا، أليس كذلك؟».

أجاب جونا بهدوء: «بلى».

تمسّكت به بقوّة، ثمّ أفلتت من عناقه.

قالت وهي تدير ظهرها له: «أحيانًا، أشعر بالغضب الشديد منك».

«ديسا، أنا ما أنا عليه. أقصد...».

قاطعته قبل أن تترك المطبخ: «من الجيّد أنّنا لا نعيش معًا».

سمعها جونا وهي تغلق على نفسها باب الحمام بالقفل. تساءل إن كان عليه أن يلحق بها، ولكنّه افترض أنّها تريد الانفراد بنفسها قليلًا. بدلًا من ذلك، واصل إعداد الطعام. حيث وضع قطعة سمك برفق في راحة يده، ثمّ فركها بالوسابي[1] اللاذع.

بعد بضع دقائق، فُتح باب الحمام، وعادت ديسا إلى المطبخ، وألقت نظرة على جونا وهو يحضّر السوشي. قالت ضاحكةً: «هل تتذكّر أنّ والدتك كانت تُخرج سمك السلمون من السوشي، وتقليه قبل إعادته إلى الأرزّ؟».

«أجل».

سألت ديسا: «هل أعدّ الطاولة؟».

«إذا أحببتِ».

أحضرت ديسا الأطباق وعيدان الطعام إلى غرفة المعيشة، ثمّ نظرت

(1) نبات ياباني ذو جذر أخضر سميك، يستخدم في طبخ السوشي تحديدًا (المترجم).

من النافذة إلى مجموعة من الأشجار، أوراقها الصيفيّة خضراء زاهية. ثمّ وجّهت نظرها إلى حيّ «نورا بانتورغيت» الجميل الذي كان جونا يعيش فيه العام الماضي.

أعدّت الطاولة الزجاجيّة الخاصّة بحجرة الطعام، ثمّ عادت إلى المطبخ، وتناولت رشفة من النبيذ. فقدَ رهافة المذاق التي تميّزه وهو بارد فقط.

ثمّ قالت: «لقد وقع تعدٍّ على حدودك».

«تعدٍّ على حدودي؟!».

أومأت برأسها وحاولت أن تكون لئيمة قليلًا.

قال لها جونا بهدوء وهو يحمل السوشي إلى الطاولة: «أخبريني».

حملت ديسا كوبها مرّة أخرى، وقالت بحماسة: «الأمر فقط أنّ أحدهم، في المتحف، كان يطلب منّي الخروج معه لتناول العشاء على مدار الأشهر الستّة الماضية».

«هل هذا ما يفعله الناس هذه الأيّام؟ يطلبون من السيّدات الخروج لتناول العشاء؟».

ابتسمت ديسا ابتسامة ساخرة، وسألت: «أتشعر بالغيرة؟».

أجاب وهو يتّجه نحوها: «لا أعرف. ربّما قليلًا. من اللطيف تلقّي دعوة عشاء».

قالت ديسا وهي تمرّر أصابعها في شعرها الكثيف: «أجل».

سألها: «هل هو وسيم؟».

«أجل، هو كذلك بالفعل».

«هذا جيّد».

قالت ديسا وهي تبتسم: «لكنّني لا أريد الخروج معه».

لم يعلّق على الأمر، ظلّ واقفًا هناك، مديرًا وجهه عنها.

قالت ديسا بلطف: «أنت تعرف ما أريده».

شحب وجهه، وظهرت نقاطًا صغيرة من العرق على جبهته. ببطء، التفت ونظر إليها بعينين تحوّلتا سوداوين وقاسيتين ولا قاع لهما.

قالت مسرعة: «انسَ الأمر يا جونا. آسفة...».
فتح فمه ليقول شيئًا ما. خطا خطوة نحوها، ولكنّ ساقيه هوتا فجأة.
«جونا!»، صرخت ديسا موقعةً كأسها عن الطاولة.
جلست إلى جواره على الأرض، وأمسكت به، وهمست بأنّ الأمر سينتهي قريبًا.
بعد هنيهة، تغيّرت تعبيرات وجه جونا. خفّ الألم ببطء تدريجيّ.
كنست ديسا قطع زجاج كأسها، ثمّ جلسا على الطاولة في صمت.
قالت ديسا بعد فترة: «أنت لا تتناول دواءك».
«الدواء يجعلني أشعر بالتعب، ومن المهمّ أن أفكّر بوضوح هذه الفترة».
«لقد وعدت بأنّك ستتناوله».
«سأفعل»، قال.
همست: «الأمر خطير. أنت تعرف ذلك».
«سأعاود تناوله فور حلّ لغز هذه القضيّة».
«وإذا لم تحلّ اللغز؟».

***

يبدو «متحف الشمال» عن بُعد مثل صرح من العاج، لكنّه في الواقع بُني من الحجر الرمليّ والحجر الجيريّ. كان الهدف من بناء هذا المتحف، الذي يظهر كأحد قصور عصر النهضة المزيّنة بكثير من الأبراج والقلاع الصغيرة، التغنّي بالسيادة النورديّة. ولكن، وقت افتتاحه، في يوم ممطر من أيّام صيف عام 1907، حُلّ الاتّحاد مع النرويج، وكان الملك يحتضر.
سار جونا بسرعة عبر قاعة المتحف الواسعة، وتوقّف عندما وصل إلى قمّة الدرج. تمالك نفسه، ثمّ سار ببطء خلف خزائن العرض المضيئة. لم يلفت انتباهه أيّ شيء. إنّه أسير الذكريات والفقد.
وضع حارس الأمن كرسيًّا له أمام أحد خزائن العرض.
جلس ونظر إلى «تاج الزفاف السابميّ» برؤوسه الثماني التي لها شكل يدين متعانقتين. كان يتلألأ برقّة خلف الفاصل الزجاجيّ الرقيق. سمع

جونا صوتًا بداخله، ورأى وجهًا يبتسم له وهو جالس خلف عجلة القيادة في ذاك اليوم. كان يومًا ممطرًا، وكانت أشعّة الشمس تسطع على قطرات المياه المتراكمة على الطريق، فتضيئها من أسفل. رمق الكرسيّ الخلفيّ ليتأكّد من أنّ لومي تضع حزام الأمان.

بدا تاج الزفاف وكأنّه صُنع من أغصان رقيقة أو جلد أو شعر مضفور. سرح بنظره في دلالته على الحبّ والسعادة، وفكّر في فم زوجته الجدّي، وشعرها الرمليّ اللون المتطاير على وجهها.

«كيف حالك؟».

رفع جونا رأسه، ونظر إلى حارس الأمن بدهشة. إنّه رجل في منتصف العمر، له لحية خفيفة وعينين متعبتين من حكّهما؛ وهو يعمل هنا منذ عدّة سنوات.

تمتم وهو ينهض عن الكرسيّ: «بصراحة، لا أدري».

49

انطلق جونا وسوغا إلى مقرّ شركة «سايلانسيا ديفينس» الرئيس للقاء پونتوس سلمان. أخذا معهما الصورة التي عدّلها التقنيّون. اتّجها نحو الجنوب على امتداد الطريق السريع رقم 73 في صمت.

قبل ساعتين، كان جونا ينظر إلى صورة واضحة، يظهر فيها أربعة أشخاص في مقصورة: غويدي ذو الوجه الهادئ والشعر الخفيف، وپالمكرونا ذو الابتسامة الفاترة والنظّارة ذات الحوافّ الفولاذيّة، وپونتوس سلمان الرجل الوسيم ذو النظرات الصبيانيّة، وأغاثا الحجّي التي تظهر على وجنتيها التجاعيد ويشعّ الذكاء من عينيها.

قال ببطء وهو ينظر إلى سوغا مباشرةً: «لديّ فكرة. ماذا لو جعلنا جودة الصورة أسوأ، بحيث لا يمكن التعرّف على پونتوس سلمان».

صمت مفكّرًا في الأمر بينه وبين نفسه.

سألت سوغا: «ما الهدف من ذلك؟».

«لن يعرف أنّ لدينا نسخة أصليّة عالية الدقّة، أليس كذلك؟».

«من المستحيل أن يعرف. ربّما يفترض أنّنا فعلنا كلّ ما بوسعنا لتحسين جودة الصورة، وليس جعلها أسوأ».

«لقد بذلنا كلّ ما في وسعنا حرفيًّا للتعرّف على الأشخاص الأربعة في الصورة، ولكنّنا نجحنا فقط في رؤية ثلاثة منهم لأنّ الشخص الرابع كان ملتفتًا، وهيئته غير واضحة تمامًا.

قالت سوغا بسرعة: «تقصد أن تعطيه فرصة ليكذب؟ ويقول إنّه لم يكن هناك، ولم يقابل پالمكرونا وأغاثا الحجي وغويدي».

«لأنّه إذا أنكر أنّه كان هناك، فقد يعني ذلك أنّ اللقاء نفسه هو الحسّاس».

«وإذا بدأ يكذب، نكون قد أوقعنا به».

تركا الطريق الرئيس، واتّجها نحو منطقة صناعيّة تحيط بها الغابات.

يقع مقرّ شركة «سايلانسيا ديفينس» في مبنى خرسانيّ بلون رماديّ باهت. نظر جونا إلى المبنى الضخم، وتفقّد ببطء النوافذ الداكنة، وزجاجها المظلّل، وهو يفكّر مجدّدًا في الأشخاص الأربعة داخل المقصورة. أطلق واحد منهم أو أكثر العنان لسلسلة من العنف تاركين في أعقابهم فتاة ميتة وأمًّا متألّمة. ربّما ماتت پينيلوپي يورن أيضًا بسببهم. حين خرج من السيّارة، انقبضت عضلات فكّه وهو يفكّر في أنّ پونتوس سلمان، أحد الأشخاص الأربعة، يجلس داخل هذا المبنى الآن.

نُسِخت الصورة، وأُرسِل الأصل إلى «مختبر الطبّ الشرعيّ الوطنيّ» في «لينكوبينغ». تلاعب كوفود رقميًّا بنسخة واحدة بحيث تبدو قديمة باهتة. كانت إحدى زوايا الصورة مفقودة، وتظهر بقايا إحدى الزوايا في النسخ الأخرى. وقد طمس كوفود وجه پونتوس سلمان ويده، كما لو كان يتحرّك عند التقاط الصورة.

فكّر جونا في أنّ سلمان سيعتقد أنّه المحظوظ الوحيد الذي طُمِست ملامحه ويتعذّر التعرّف عليه. من ثمّ، فلا صلة بينه وبين لقاء رافائيل غويدي وكارل پالمكرونا وأغاثا الحجي. كلّ ما عليه فعله كي ينأى بنفسه

عن الشبهات هو إنكار أنّه كان هناك. لا شبهة جنائيّة في أنّك لا تتعرّف على نفسك في صورة مشوّشة، أو لا تتذكّر لقاء أشخاص معيّنين.

بدأ جونا يتوجّه نحو المدخل.

حدّث جونا نفسه: «إذا أنكر ذلك، فسنعرف أنّه يكذب، ويريد إخفاء شيء ما».

الهواء حارّ وجافّ للغاية.

أومأت سوغا برأسها إلى جونا وهما يدخلان من الأبواب الضخمة اللامعة.

فكّر جونا في أنّهما، فور أن يتفوّه سلمان بأوّل كذبة، سيتيحان له الفرصة لمواصلة الكذب، حتّى يقع في الحفرة، ويستطيعا النيل منه.

وجدا نفسيهما في صالة استقبال واسعة، ولكنّها باردة.

خلف مكتب الاستقبال رُفع شعار مضيء باسم الشركة، وتصميم على شكل ثعبان مليء بالأحرف الرونيّة.

قرأ جونا: «كان يحارب ما دام لديه سلاح».

سألت سوغا متشكّكة: «هل يمكنك قراءة الأحرف الرونيّة؟!».

أشار جونا إلى اللافتة التي تحمل الترجمة، ثمّ نظر مجدّدًا إلى المكتب، حيث يقف رجل شاحب الوجه، وشفتاه رفيعتان جافّتان.

قال جونا له بجدّيّة: «پونتوس سلمان».

«هل لديك موعد معه؟».

قالت سوغا: «في الساعة الثانية».

نظر موظّف الاستقبال في أوراقه وتصفّحها، ثمّ قرأ شيئًا.

قال بهدوء: «أجل». ثمّ رفع رأسه نحوهما قائلًا: «لكنّ پونتوس سلمان اضطرّ إلى إلغاء الموعد».

قالت سوغا: «لم تصلنا الرسالة. نحتاج مساعدته كي...».

«آسف للغاية».

«اتّصلْ به، واشرح له سوء الفهم»، قالت سوغا.

«يمكنني إجراء المحاولة، ولكنّني لا أعتقد... لأنّه في اجتماع».

قال جونا: «في الطابق الرابع».
أجاب الموظّف تلقائيًا: «الخامس».
جلست سوغا على أحد المقاعد. كانت الشمس تسطع من النوافذ الكبيرة. ظلّ جونا واقفًا بجوار المكتب بينما موظّف الاستقبال يجري اتصّاله. رنّ الهاتف لفترة طويلة قبل أن يهزّ رأسه اعتذارًا لهما.
قال جونا فجأة: «لا تقلق. سنفاجئه بدلًا من ذلك».
سأل موظّف الاستقبال مضطربًا: «ستفاجئانه؟».
ذهب جونا إلى الباب الزجاجيّ وفتحه.
قال مبتسمًا: «لا داعي لأن تذكر له أنّنا في الطريق إليه».
تدفّقت الدماء إلى وجنتي موظّف الاستقبال الشابّ. نهضت سوغا عن الكرسيّ وتبعت جونا.
قال الشابّ: «انتظرا. سأحاول...».
عبرا المدخل، ودخلا المصعد، وضغطا على زرّ الطابق الخامس. عندما أغلقت الأبواب، صعدا إلى أعلى في هدوء.
عندما فُتح باب المصعد، وجدا سلمان في انتظارهما. هو في الأربعينيّات من عمره، وثمّة شيء من الإنهاك على هيئته.
قال بصوت خافت: «مرحبًا».
ردّ جونا: «شكرًا».
نظر سلمان إليهما من أعلى إلى أسفل، وقال موجّهًا حديثه إلى جونا: «يبدو عليك أنّك محقّق».
ثمّ التفت إلى سوغا وأكمل: «أمّا أنتِ، فليس كثيرًا».
بينما تبعاه في ردهة طويلة، شعر جونا برجفة في عموده الفقريّ، متخيّلًا ڤيولا فرنانديز تشاهدهم بترقّب.
كانت نوافذ الردهة مصبوغة، وتعطي انطباعًا بتوقّف الزمن. أمّا مكتب سلمان فكبير للغاية، فيه طاولة مصنوعة من خشب الدردار، ومجموعة من الأرائك باللون الرماديّ الباهت، وبضع كراسٍ حول طاولة زجاجيّة سوداء.

جلسوا جميعًا على الكراسي. ابتسم پونتوس سلمان لهما ابتسامة كئيبة، وحرّك أصابعه، وسأل: «ما الأمر؟».

سألت سوغا: «هل تعلم أنّ كارل پالمكرونا قد وافته المنيّة؟».

هزّ سلمان رأسه مرّتين، وقال: «سمعت أنّه انتحر».

قالت بلطف: «ما زال التحقيق مستمرًّا في القضيّة. وقد عثرنا على صورة، ونتطلّع إلى التعرّف على الأشخاص الجالسين مع پالمكرونا».

قال جونا: «نرى ثلاثة منهم بوضوح، ولكنّ الرابع غير واضح تمامًا».

«نودّ منك أن تطلب من موظّفيك النظر إلى الصورة، فقد يتعرّف عليه أحدهم. تبدو إحدى يديه واضحة نسبيًّا، على سبيل المثال».

زمّ سلمان شفتيه، قائلًا: «فهمت».

تابعت سوغا: «قد يتمكّن أحدهم من إخبارنا من هو. فلنحاول».

قال جونا: «لقد زرنا 'باتريا وساب بوفوش ديناميكس' ولكن لم يتمكّن أحد هناك من التعرّف على هذا الرجل».

لم يعبّر وجه سلمان المتجهّم عن أيّ شيء على الإطلاق. سأل جونا نفسه إن كان هذا الرجل يأخذ دواءً ليبقى بهذا الهدوء. فعيناه تفتقران إلى الحياة، أو ربّما تفتقران إلى التواصل بين العاطفة والتعبير عنها، ما يعطي انطباعًا باللامبالاة التامّة.

قال سلمان وهو يضع ساقًا على ساق: «لا بدّ من أنّكما تعتقدان أنّه أمر مهمّ».

فقالت سوغا: «أجل».

سأل سلمان بنبرة صوت غير متوتّرة: «هل يمكنني رؤية هذه الصورة المهمّة؟».

قال جونا: «بمعزل عن كارل پالمكرونا، تمكّنا من التعرّف على رافاييل غويدي تاجر الأسلحة، وأغاثا الحجي المستشارة العسكريّة للرئيس البشير... ولكن لم يتمكّن أحد من التعرّف على الشخص الرابع».

أحضر جونا مجلّده، وأمسك بالملفّ البلاستيكيّ الذي يحتوي على

الصورة. أشارت سوغا إلى الشخص الرابع على حافّة المقصورة في قاعة الحفلة الموسيقيّة. رأى جونا التركيز على ملامح وجهها. تربّصت لأيّ انفعال أو أيّ حركة بسيطة عندما يبدأ سلمان في الكذب.

لعق سلمان شفتيه مجدّدًا، وصارت وجنتاه شاحبتين؛ ثمّ ابتسم، ونقر على الصورة، وقال: «ولكن، هذا أنا!».

«أنت؟».

أجاب وهو يضحك حتّى ظهرت أسنانه الأماميّة التي تشبه أسنان الأطفال: «أجل». وتابع وهو يبتسم ابتسامة خفيفة: «التقينا في فرانكفورت، واستمعنا إلى عزف موسيقيّ رائع... لا يمكنني أن أتذكّر ما عزفوه الآن؛ أعتقد أنّه كان بتهوڤن».

حاول جونا أن يفهم هذا الاعتراف المفاجئ، فتنحنح وسأله: «هل أنت متأكّد؟».

ردّ سلمان: «أجل».

قالت سوغا: «إذن، هذا هو حلّ اللغز».

لم يُظهر صوت سوغا أيّ شيء من الخطأ في تقديراتهم، فقال سلمان مازحًا: «ربّما عليّ الالتحاق بشرطة الأمن».

سأل جونا: «ما سبب هذا اللقاء؟ إذا سمحت لي بالسؤال».

«بالطبع»، قال سلمان ضاحكًا وهو ينظر إلى جونا. «التقطت هذه الصورة في ربيع عام 2008. كنّا نناقش تصدير أسلحة إلى السودان. كانت أغاثا الحجي تتفاوض نيابةً عن حكومة السودان. احتاجت المنطقة إلى استقرار بعد عام 2005. وقد أحرزت المفاوضات تقدّمًا إلى حدٍّ ما، ولكنّها تبخّرت بعد ما حدث في ربيع عام 2009. لقد تأثّرنا بالوضع، بالطبع، كما تفهم. ومنذ ذلك الحين، انقطعت صلتنا بالسودان».

نظر جونا إلى سوغا. لم تكن لديه فكرة عمّا حدث في ربيع عام 2009. تعبيرات وجهها الحياديّة دفعته ألّا يسأل عن ذلك.

سأل عن شيء آخر: «كم مرّة التقيتم؟».

«هذه المرّة فقط. قد تعتقدان أنّه من الغريب قليلًا أنّ بالمكرونا يرفع كأس شمبانيا».

سألت سوغا: «هل هذا ما تظنّه؟».

قال سلمان وهو يبتسم: «لم يكن ثمّة ما يستحق الاحتفال به... ولكن ربّما كان يشعر بالعطش فقط».

50

شعرت پينيلوپي ويورن أنّهما سيختبئان في ذاك التجويف العميق داخل إحدى الصخور إلى الأبد. أمضيا قبل ذلك ليلتين وهما متكوّران تحت ظلّ شجرة صنوبر مكسورة.

لم تعد لديهما طاقة للركض بعد الآن- كانا متعبين تعبًا شديدًا- وكانا يتناوبان على المراقبة، ينام أحدهما بينما يراقب الآخر.

طوال الوقت توقّع مُطارِدهما كلّ حركاتهما، ولكن الآن يبدو أن حضوره المباشر قد تلاشى. لقد هدأ لفترة طويلة. اختفى الإحساس القاسي بأنّه وراءهما مباشرةً في اللحظة التي تركا فيها الطريق، ولجآ إلى الخيار غير المتوقّع بالتوجّه إلى الغابة مجدّدًا، بعيدًا عن الأماكن الآهلة بالسكّان.

لم تكن پينيلوپي متأكّدة من أنّها تمكّنت من ترك رسالة على البريد الصوتيّ لوالدتها. لكنّها فكّرت في أنّ أحدًا ما سيعثر على قارب يورن قريبًا، ومن ثمّ ستبدأ الشرطة في عمليّة البحث. كلّ ما عليهما فعله هو المواظبة على الاختباء حتّى لا يعثر المُطارِد عليهما.

كان سطح الصخرة مغطّى بالطحالب الخضراء، ولكنّ حجر التجويف كان مكشوفًا، والماء العذب يتسرّب من عدّة أماكن. كانا يلعقان المياه ثمّ يعودان إلى الاختباء في الظلال. الطقس حارّ في النهار، فكانا يجلسان من دون أيّ حراك، يلهثان، ولكنهما وينامان في المساء، عندما تغيب الشمس الحارقة خلف الأشجار.

امتزجت الأحلام بالذكريات داخل عقل پينيلوپي. راحت تسمع ڤيولا

تعزف أغنية «المعي، المعي، أيّتها النجمة الصغيرة» على كمانها، وقد ألصقت عليه علامات ملوّنة تدلّ إلى مكان وضع أصابعها، ثمّ تراها وهي تظلّل عينيها باللون الورديّ، وتشفط خدّيها أمام المرآة.

عندما استيقظت رأت يورن يجلس مرتجفًا وذراعاه تلتفّان حول ركبتيه.

عندما بدأ الليل يتلاشى، أصبحا عاجزين عن تحمّل الوضع أكثر من ذلك. دفعهما الجوع والوهن إلى ترك مخبئهما ومعاودة السير.

كاد الصباح ينبلج وقت وصولهما إلى الشاطئ. المياه راكدة هادئة، إلّا من حركة رقيقة لبجعتين تنزلقان على السطح جنبًا إلى جنب، وتحرّكان أقدامهما ببطء داخل المياه. أمسك يورن بيد پينيلوپي وهما ينزلقان داخل الماء. انثنت ركبتاه من الإجهاد، فأخذ يترنّح وينزلق ويمدّ يده إلى الصخور ليمنع نفسه من السقوط. حدّقت پينيلوپي أمامها كالمجنونة، بينما هي تخلع نعليها وتربطهما معًا، ثمّ تعلّقهما حول رقبتها.

همس يورن: «هيّا! سنسبح فقط. لا تفكّري في الأمر، افعليه فقط».

أرادت أن تطلب منه أن ينتظر -لأنّها غير متأكّدة من قدرتها على السباحة- ولكنّه كان قد دخل بالفعل في الماء. ارتجفت ونظرت إلى الجزيرة الأخرى. ثم تبعته وهي تشعر بأنّ المياه الباردة تداعب عضلات رجليها. كان قاع البحر حصويًّا زلقًا تحت قدميها. لم يكن لديها وقت لتفكّر في الأمر وهي تنزلق داخل المياه المفتوحة.

رغم ألم ذراعيها وثقل ملابسها التي كانت تسحبها إلى أسفل، بدأت تعوم نحو الجزيرة الأخرى، يسبقها يورن بمسافة. شعرت بالإجهاد، وكأنّ عضلاتها تصرخ للحصول على راحة.

لاحت جزيرة «كيميندو» أمامهما. راحت پينيلوپي تدفع المياه بساقيها المتعبتين، وتكافح من أجل البقاء طافية. لكنّ أشعّة الشمس الباكرة فوق رؤوس الأشجار لمعت في عينيها، وأعمتهما لفترة وجيزة، فتوقّفت عن السباحة. لم تعد ذراعاها تتحمّلان المزيد؛ لقد استسلمتا. مرّت بضع ثوانٍ، ولكنّها كانت كافية لتسمح لملابسها المبتلّة بسحبها إلى أسفل الماء. حين

قفزت إلى السطح كي تتنفّس، شعرت بالفزع. أخذ الأدرينالين يُضَخّ إلى جسدها. ما عادت ترى شيئًا غير مياه البحر حولها. بينما تدفع المياه وتدور حول نفسها بيأس، نجحت في منع نفسها من البكاء. ثمّ لمحت رأس يورن المتمايل، الذي يصل بصعوبة إلى سطح المياه، على بُعد خمسين مترًا. ورغم أنّها واصلت السباحة، لم تكن متأكّدة من أنّها ستستطيع الوصول إلى الجزيرة الأخرى.

كان الحذاء الذي يطوّق رقبتها يعوق حركتها في السباحة، لذا حاولت التخلّص منه. لكنّ خيطه تشابك مع الصليب الذي يتدلّى من سلسلتها، فانكسر القفل الضعيف للسلسلة، وغرق الصليب وحذاؤها في الماء.

واصلت السباحة وهي تشعر بتسارع دقّات قلبها. لمحت يورن يتقدّم عليها بفارق كبير ويزحف على الشاطئ.

غطّت المياه عينيها قبل أن تراه واقفًا على اليابسة يبحث عنها، بينما عليه الاختباء بسرعة، خشية أن يراه من يطاردهما.

صارت حركاتها أبطأ وأضعف. شعرت بالتعب والوهن الذي أصاب ساقيها بينما ينتشر حمض اللاكتيك عبر عضلات فخذيها. صارت السباحة أمرًا صعبًا، وبدا قطع المسافة الأخيرة المتبقّية أمرًا مستحيلًا. بدا القلق على يورن، ودخل في الماء متّجهًا نحوها عندما اقتربت من الشاطئ. كادت تستسلم مجدّدًا، ولكنّها اندفعت ببضع حركات أكثر فأكثر، ثمّ شعرت بالقاع تحتها. صار يورن في قلب المياه، فأمسك بيدها، وجذبها إليه، وجرّها إلى الشاطئ.

قالت لاهثة: «علينا الاحتماء بشيء».

ساعدها على الدخول تحت أشجار الصنوبر. فقدت الشعور بساقيها وقدميها، كما كانت ترتجف بردًا. شقّا طريقهما إلى أعماق الغابة، وتوقّفا فقط عندما غاب البحر عن أنظارهما. انهارا من الإرهاق تحت الطحالب وشجيرات العلّيق، وتمسّك كلاهما بالآخر حتّى تهدأ أنفاسهما.

همست پينيلوپي: «لا يمكننا الاستمرار على هذا النحو».

«يمكن أن يساعد أحدنا الآخر».

«سأتجمّد. علينا العثور على ملابس جافّة»، قالت بينما أسنانها تطقطق، ووجهها يضغط على صدر يورن المقشعرّ.

وقفا، ثمّ اتّكأت عليه وهما يسيران في الغابة متصلّبي السيقان. ترنّح حذاؤه الرياضيّ المبتلّ مع كلّ خطوة يخطوها، بينما لمع بياض قدميها العاريتين على الأرض. تدلّت ملابسها الرياضيّة المبتلّة الباردة عن جسدها. اتّجها صوب الشرق في صمت، وبعد عشرين دقيقة، وصلا إلى الجانب الآخر من الجزيرة. ارتفعت الشمس في السماء، وأخذت تسطع على البحر الهادئ، وبدأ الهواء يسخن. توقّفت بينيلوبي عندما رأت كرة تنس ملقاة على عشب المرج الطويل أمامها. أصفر الكرة وأخضر العشب ظهرا لها كائنًا فضائيًّا. خلف شجيرة ليلك كثيفة، توارى بشكل شبه كلّي كوخ أحمر صغير ذو شرفة تطلّ على الماء. ستائر جميع النوافذ مسدلة، ولا تُوجَد وسائد على الأريكة المتأرجحة في الحديقة. نما العشب أكثر من اللازم، وثمّة غصن شجرة تفّاح عتيقة مرميّ على عرض الممشى الحجريّ.

همست بينيلوبي: «لا أحدَ في هذا الكوخ».

تسلّلا نحو الكوخ، مستعدّين لمواجهة نباح الكلاب أو أيّ أصوات غاضبة. نظرا من خلال الفجوات بين الستائر، ثمّ سارا حول الكوخ، وحاولا فتح الباب الأماميّ. كان الباب مقفلًا. راحت بينيلوبي تنظر حولها.

قال يورن: «علينا الدخول. نحتاج إلى الراحة. سنضطرّ إلى كسر إحدى النوافذ».

وُضِعت قرب الباب حزمة خزامى صغيرة في أصيص بلاستيكي. تمكّنت بينيلوبي من استنشاق عطر الخزامى وهي تنحني وتلتقط إحدى الحصوات من فوق تراب الأصيص الذي يحتوي على حجيرة صغيرة مخفيّة. فتحتها والتقطت مفتاحًا، ثمّ أعادت الحصوة إلى مكانها.

فتحا قفل الباب وسارا على أرضيّة المدخل المصنوعة من خشب

الصنوبر. شعرت بينيلوبي بساقيها ترتجفان وتوشكان على الانهيار، فمدّت يدها لدعمهما. لقد أنهكها التعب والجوع، حتّى أنّ البيت بدا غير واقعيّ بالنسبة لها، مثل البيت المصنوع من خبز الزنجبيل في الحكاية الشعبية. يمتلئ المكان بالصور المؤطّرة والموقّعة بالحبر الذهبيّ والأسود. تعرّفا على الوجوه المصطفّة من برامج التلفزيون السويديّ: سيويرت أوهولم، بينغت بيدرب، كيجل لونا، آرني هيغرفورس، ومانجوس هارنستام، وماليتا آيڤرسون، چاكوب دالين.

توغّلا داخل المنزل، وتفقّدا غرفة المعيشة ثمّ المطبخ وهما ينظران حولهما بقلق. همست بينيلوبي: «لا يمكننا البقاء هنا».

توجّه يورن إلى الثلاجة وفتح بابها، فوجد الرفوف مليئة بالمأكولات الطازجة، ما يعني أن المنزل ليس مهجورًا كما ظنّا. نظر يورن حوله، ثمّ تناول بعض الجبن، ونصف علبة سلامي، وعبوة حليب كرتونيّة. وجدت بينيلوبي على المجلى الصغير إحدى قطع الخبز الفرنسيّ، وعبوة رقائق الذرة. أخذا يتناولان الطعام بأيديهما بشراهة، ويمرّران الجبن بينهما، ويقطعان منه بأسنانهما لمضغه مع الخبز. ظلّ يورن يشرب كمّيّات كبيرة من الحليب من العبوة الكرتونيّة حتّى أنّ الحليب كان يسيل من جانبي فمه على رقبته. تناولت بينيلوبي بعض السلامي مع رقائق الذرة، ثمّ جذبت الحليب من يورن، وكادت تختنق وهي تبتلعه ملء فمها في المرّة الأولى، فسعلت، ثمّ شربت منه المزيد. ابتسم كلاهما للآخر وقد بدا عليهما الضعف، ثمّ ابتعدا عن النافذة وتناولا مزيدًا من الطعام. وأخيرًا، هدأ روعهما.

قالت بينيلوبي: «لنبحث عن بعض الملابس قبل أن نمضي قدمًا».

وهما يتفقّدان المنزل، انتابتهما دغدغة غريبة: لقد مدّهما الطعام بالدفء، وأيقظ جسديهما. راح قلباهما يخفقان بشكل أسرع، ومعدتاهما تؤلمانهما، وتتدفّق الدماء بسرعة أكبر في عروقهما.

داخل غرفة النوم الكبرى ذات الباب الزجاجيّ المقابل لحديقة الليلك، ثمّة خزانة ملابس باباها من المرايا. توجّهت بينيلوبي إليها بسرعة

وفتحتها. وجدتها مليئة بالملابس الغريبة: سترات ذهبيّة، وأحزمة مرصّعة باللون الأسود اللامع، وتوكسيدو صفراء، ومعطف فرو يصل إلى الخصر. دُهِشت عندما لمحت مجموعة من البيكيني الرفيع: سواء الشفّاف أو ذا نقشة جلد الفهد أو المنقوش بألوان التمويه أو المنسوج من الكروشيه.

عندما فتحت الباب الآخر للخزانة، عثرت على ملابس أكثر بساطة: قمصان وبلوزات وسترات وسراويل. تفقّدتها بسرعة، وسحبت منها عدّة قطع، بعد أن خلعت ملابسها المبتلّة وهي ترتجف.

لمحت نفسها في المرآة، ورأت الكدمات الكبيرة التي تكسو جسدها، وخدوش وجهها، وجروح ساقيها. ما زالت تنزف من جرح صغير في فخذها، كما قُشِط ردفها أثناء انزلاقها عن إحدى الصخور. تطايرت خصل شعرها المشعثة حول رأسها.

لبست شورت سباحة رجاليًّا مجعّدًا، وقميصًا مكتوبًا عليه: «تناول مزيدًا من العصيدة»، وسترة من الصوف تصل تقريبًا إلى ركبتيها. بدأت تشعر بدفء متصاعد، وبمزيد من الارتياح، ولم يحتج جسدها إلى شيء سوى الراحة. فجأة، بدأت في البكاء، ولكنّها هدّأت نفسها، ومسحت الدموع عن وجنتيها، وذهبت كي تبحث عن حذاء. عثرت على جزمة زرقاء، ثمّ عادت إلى غرفة النوم، حيث كان يورن الموحل والمبتلّ يحشر ساقيه المتّسختين في سروال أرجوانيّ مخمليّ. بدت قدماه فظيعتين: كانتا قذرتين مغطّاتين بالجروح، وتتركان آثارًا دامية على الأرض حيثما سار. ارتدى قميصًا أزرق، وسترة ضيّقة من الجلد، لونها أزرق زاهٍ، ولها ياقة واسعة.

بدأت بينيلوبي تبكي بحرقة، ويهتزّ جسدها كلّه مع تنهّداتها العميقة. كانت متعبة للغاية، ولم تعد قادرة على حبس دموعها.

سألت وهي تئنّ: «ما الذي يحدث؟».

همس يورن: «لا أعرف».

«لم نرَ حتّى وجهه. ماذا يريد؟ اللعنة! لا أفهم لماذا يطاردنا؟».

مسحت دموعها بكُمّ السترة، ثمّ قالت: «كنتُ أفكّر... أقصد... ماذا لو

كانت ڤيولا قد فعلت شيئًا ما، شيئًا سخيفًا؟ لأنّكَ تعرف أنّ صديقها سيرغاي- الذي أنهت علاقتها به قد يكون مشبوهًا. أعرف أنّه كان يعمل حارس ملهى».

«پيني...».

«أقصد-ڤيولا-إنّها في غاية الـ... ربّما ارتكبت شيئًا غير متوقّع».

همس: «لا».

«ماذا تقصد؟! نحن لا نعرف شيئًا. لست مضطرًّا إلى تهدئتي».

«عليّ...».

«ربّما يودّ... أقصد الذي يطاردنا... التحدّث معنا... أعرف أنّ ذلك ليس صحيحًا، أقصد فقط...».

قال يورن بجدّيّة: «پيني! كلّ شيء كان بسبب خطأ منّي».

نظر إليها. عيناه محتقنتان بالدماء، ووجنتاه متورّدتان عكس بشرته الشاحبة.

سألته پينيلوپي بصوت خفيض: «ماذا تقول؟! اللعنة! ماذا تقول؟!».

ابتلع ريقه ببطء، ثمّ حاول شرح ما حدث: «لقد فعلتُ شيئًا غبيًّا للغاية».

«ماذا فعلتَ؟».

«إنّها الصورة. الأمر برمّته يتعلّق بالصورة».

«أيّ صورة؟! صورة پالمكرونا وغويدي؟».

«أجل. تواصلت مع پالمكرونا، وأخبرته عن الصورة، وطلبت منه المال، ولكن...».

«لا!»، همست. حدّقت إليه، ثمّ ابتعدت عنه، وطرقت على طاولةٍ بجوار السرير عليها كوب من الماء ومنبّه.

قال: «پيني!...».

«اخرس! أنا لا أفهم! ماذا قلتَ؟! اللعنة! ماذا قلتَ؟! أنتَ لا تستطيع... لا تستطيع... هل جُننتَ لتبتزّ پالمكرونا؟ هل حاولتَ أن؟...».

«فقط دعيني أكمل كلامي! لقد غيّرت رأيي، إذ كنت مخطئًا. أعرف أنّ الأمر كان خطأً. صارت الصورة لديه. لقد أعدتها إليه».

صمتا، وحاولت فهم ما قاله. أخذت الأفكار تتصارع في رأسها من دون هوادة.

قالت ببطء محاولة جمع أفكارها: «إنّها لي! قد تكون مهمّة. لقد أُرسِلت إليّ بصفتي مصدر ثقة. قد يعرف شخص ما شيئًا عن...».

همس يورن وهو على وشك البكاء: «أنا فقط لم أرغب في بيع المركب».

«أنا لا أفهم... هل أرسلتَ الصورة إلى پالمكرونا؟».

«كنتُ مضطرًّا إلى ذلك يا پيني. أدركتُ أنّني فعلتُ الشيء الخطأ. كان عليّ أن أعطيه الصورة».

«ولكن... عليَّ إعادتها! ألا تفهم ذلك؟! ماذا لو تواصل معي الشخص الذي أرسل لي الصورة، وأراد استعادتها؟ إنّها تتعلّق بأمور خطيرة: تصدير الأسلحة السويديّة! إنّها لا تخصّك، ولا تخصّ مشكلاتك الماديّة! إنّها لا تخصّنا! هذا حقيقيّ يا يورن».

«لم أعرف ذلك، يا پيني. كيف كان لي أن أعرف؟! لم تقولي لي أيّ شيء. قلتِ لي فقط إنّها صورة محرجة لـپالمكرونا، ولكنّكِ لم تقولي...».

«وما الفارق؟»، قاطعته.

«فقط اعتقدتُ أنّ...».

«اصمت! لا أريد أن أسمع أعذارَك. أنت مبتزّ، مبتزّ صغير وطمّاع! أنا لا أعرفكَ، وأنت لا تعرفني!».

تواجها في صمت هنيهة. صاح نورس فوق الماء، وتبعه آخرون.

قال يورن بوهن: «نحتاج إلى التحرّك من هنا».

هزّت رأسها، ولكن بعد لحظة سمعا الباب الأماميّ يُفتَح. ومن دون أن يتبادلا النظرات، تراجعا إلى الخلف حتّى وصلا إلى غرفة النوم. سمعا صوت شخص يتقدّم خطوة بعد خطوة. حاول يورن فتح الباب المؤدّي إلى السطح، ولكنّه كان مقفلًا. أرخت پينيلوپي مقبض النافذة بيديها المرتعشتين، ولكن كان أوان محاولة الهروب قد فات.

51

وقف رجل عند مدخل باب غرفة النوم. أخذت پينيلوپي نفسًا عميقًا، ونظر يورن حوله بحثًا عن شيء يدافع به عنهما؛ أيّ شيء يمكن استخدامه سلاحًا.

سأل الرجل بصوت أجشّ: «اللعنة! ماذا تفعلان هنا؟».

أدركت أنّه ليس من يطاردهما، بل قد يكون مالك البيت. كان رجلًا قصير القامة، عريض المنكبين، يميل للبدانة قليلًا. بدا وجهه مألوفًا لها نوعًا ما، كأنّها تعرفه منذ سنوات عدّة.

سألهما باهتمام كبير: «حشّاشان؟».

فجأة، أدركت من هو. لقد اقتحما منزل أوسيان ڤالناري الذي كان يقدّم برامج مسابقات رائعة، جوائزها سرّيّة، ويستضيف فيها المشاهير. كانت كلّ حلقة من برنامجه، «الجمعة الذهبيّة»، تنتهي بالطريقة نفسها، حيث يحاول أوسيان اختيار ضيفه مبتسمًا، محتقن الوجه. تذكّرت پينيلوپي أنّها شاهدته وهي طفلة عندما اختار الأمّ تيريزا. بدت المرأة العجوز الضعيفة مرعوبة. اشتُهر أوسيان بشعره الذهبيّ، وملابسه الباذخة، وكذلك حسّه الفكاهيّ اللاذع.

قال يورن: «لقد تعرّضنا لحادث. ونحتاج إلى الاتّصال بالشرطة».

ردّ أوسيان بلامبالاة: «آه، لديّ فقط هاتف جوّال».

«هل يمكننا استعارته؟ ثمّة ضرورة ملحّة».

أخرج أوسيان هاتفه، وألقى عليه نظرة ثمّ أغلقه.

سألت پينيلوپي: «ماذا تفعل؟».

ردّ أوسيان: «أفعل ما أريد!».

قالت پينيلوپي: «نحتاج حقًّا إلى استخدام هاتفك!».

قال مبتسمًا: «إذن، أنتما بحاجة إلى معرفة الرمز السرّيّ الخاصّ بي».

«ما الذي تتحدّث عنه؟».

مال أوسيان على الباب، ونظر إليهما، ثمّ قال: «تخيّلا أنّ اثنين من الحشّاشين وجدا طريقهما إلى مسكني المتواضع».

«لسنا كذلك...».

قاطعهما: «من يهتمّ؟».
توجّهت پينيلوپي بالحديث إلى يورن: «لقد سئمتُ هذا».
أرادت أن تغادر، ولكن يورن بدا مُجهدًا. كانت وجنتاه وشفتاه شاحبتين، وقد استند إلى الحائط بيدٍ واحدة.
قال: «نحن نعتذر عن اقتحام منزلكَ، وسندفع ثمن ما أخذناه، ولكنّنا نريد استعمال هاتفك الآن. نحن في وضع بائس، و...».
«وما اسمكَ؟».
«يورن».
«تبدو السترة مناسبة لك! ألم ترَ ربطة العنق؟ ثمّة ربطة عنق تتوافق معها».
ذهب أوسيان إلى خزانة الملابس، وسحب ربطة عنق رفيعة مصنوعة من الجلد، بدرجة زرقة السترة نفسها، وربطها ببطء حول عنق يورن.
قالت پينيلوپي: «اتّصل بالشرطة بنفسكَ، وأخبرهم أنّك ضبطتَ لصّين متلبّسين».
قال أوسيان بعدم اكتراث: «هذا ليس بمثل متعة ما أفكّر فيه».
سألت وهي تشدّ على أسنانها: «ماذا تريد تحديدًا؟».
تراجع أوسيان بضع خطوات، ونظر إليهما.
وجّه حديثه ليورن، قائلًا: «أنا لا أحبّها كثيرًا، ولكنّك أنيق للغاية، وسترتي تناسبك. يمكنها ارتداء هذه السترة القبيحة، أليس كذلك؟ مثل البومة العجوز. لا يبدو عليها أنّها سويديّة. يبدو أنّها...».
قال يورن: «كفّ عن هذا!».
سار أوسيان إليه غاضبًا، ورفع قبضة يده المشدودة.
قالت پينيلوپي: «أعرف من تكون».
علّق مبتسمًا ابتسامة صغيرة: «جيّد».
نظر يورن إليها بدهشة، ثمّ إلى الرجل. شعرت پينيلوپي بالتعب، فجلست على السرير، وحاولت أن تتنفّس بشكل طبيعيّ.

قال أوسيان: «انتظري! لقد شاهدتكِ في التلفاز. أنا أعرفكِ».

«ظهرتُ في بعض المناظرات في التلفاز».

فقال وهو يبتسم: «والآن، أنتِ ميتة!».

سيطر التوتّر على سائر جسد پينيلوپي. حاولت فهم ما يخطّط لفعله هذا الرجل، وراحت عيناها تدوران في كلّ مكان بحثًا عن سبيل للهروب. أمّا يورن الذي كان مستندًا إلى الحائط، فانزلق نحو الأرض. اختفت كل الألوان من وجهه، وبات غير قادر على التلفّظ بكلمة واحدة.

قالت پينيلوپي: «إن لم ترغب في مساعدتنا.

«أرغب، بالطبع أرغب».

ذهب إلى الردهة، وعاد بحقيبة بلاستيكيّة، أخرج منها علبة سجائر وجريدة. قذف بالجريدة على السرير، وأخذ الحقيبة والسجائر إلى المطبخ. رأت پينيلوپي صورة لها في الصفحة الرئيسة، وبجانبها صورة ليورن، وصورة أكبر حجمًا لڤيولا. كُتِب فوق صورة أختها كلمة «ميتة». بينما كُتِب فوق صورتها وصورة يورن كلمة «مفقودان».

أمّا العنوان الرئيسي فكان: **دراما اليخت... ثلاثة في عِداد الموتى.**

تخيّلت ما قد تفكّر فيه والدتها. مضطربة ومرهقة من البكاء، تجلس بهدوء وذراعاها ملفوفتان بإحكام حول جسدها، كأنّها عادت إلى السجن.

طقطقت الأرضيّة وعاد أوسيان مجدّدًا إلى غرفة النوم.

قال بحماس: «لنجرِ مسابقة».

فسألت پينيلوپي: «ماذا تقصد؟».

«اللعنة! أريد أن أجريَ مسابقة».

سأل يورن بابتسامة زائفة: «مسابقة؟».

«أجل، ألا تعرفان المسابقة؟».

نظرت پينيلوپي إلى أوسيان، وأدركت مدى ضعفهما. لا أحد يعرف أنّهما على قيد الحياة، أو ما حدث لهما.

قالت: «إنّه يريد أن يستعرض قوّته علينا».
سأل يورن: «هل ستجعلنا نستخدم هاتفكَ إذا لعبنا؟».
أجاب أوسيان وهو ينظر إليهما بعينين لامعتين: «إذا فزتما».
فسألت بينيلوبي: «وإذا خسرنا؟».

52

سار أكسيل إلى النافذة، ونظر إلى شجيرات الورد التي نمت بالقرب من الدرابزين المعدنيّ، ثمّ إلى الشارع والدرج المؤدّي إلى كنيسة «إنغلبريكت».

منذ توقيعه العقد، تولّى مهام كارل بالمكرونا كافّة.

ابتسم أكسيل وهو يفكّر في نقطة التحوّل التي حدثت في حياته، ثمّ انتبه إلى أنّه نسي بيڤرلي. بدأ القلق يؤثّر على معدته. في إحدى المرّات، أخبرته أنّها ذاهبة إلى المتجر، ولكنها تغيّبت أربع ساعات. خرج ليبحث عنها. وبعد مرور ساعتين من البحث، عثر عليها داخل كابينة ركن الدراجّات الهوائية. كانت مضطربةً للغاية، وتفوح منها رائحة الكحول، بينما ملابسها الداخليّة مفقودة، وقد لصق أحدهم علكة في شعرها.

قالت إنّها قابلت بعض الصبية في المتنزّه، ثمّ شرحت ما حدث: «كانوا يقذفون حمامة جريحة بالحجارة، فاعتقدت أنّني إذا أعطيتهم المال سيتوقّفون عن ذلك. ولكن لم يكن معي سوى اثني عشر كرونا، ولم يكن ذلك كافيًا في نظرهم، وقد أرادوا أن أفعل شيئًا بدلًا من ذلك. وإن لم أفعل، سيقتلون الحمامة».

توقّفت عن الكلام، واغرورقت عيناها بالدموع. ثمّ همست: «لم أكن أريد فعل ذلك، ولكنّني شعرت بالأسف تجاه الطائر المسكين الصغير».

أخرج هاتفه، واتّصل بها.

بينما الهاتف يرنّ، نظر إلى أسفل، إلى الشارع ومباني الحيّ.

يتقاسم أكسيل مع شقيقه روبرت أحد أكبر المنازل في شارع «بريغ»، في قلب منطقة تدعى «لاركستادين»، حيث تتشابه المباني خارجيًا، كأنّها مملوكة جميعًا من عائلة واحدة.

يتكوّن سكن عائلة ريسين من شقّتين كبيرتين منفصلتين، تتوزّع كلّ واحدة منهما على ثلاثة طوابق.

كان والدهما إرلوف، المتوفّى منذ عشرين عامًا، يعمل سفيرًا للسويد في باريس، ثمّ لندن. كما أنّ عمّهما تورليف كان عازف بيانو مرموقًا في «قاعة بوسطن السيمفونيّة»، و«قاعة غروسير موسيكفيرينسال» في ڤيينا، وأماكن أخرى. طالما ضمّت عائلة ريسين النبيلة عددًا كبيرًا من الدبلوماسيّين والموسيقيّين، وهما مهنتان تشتركان في كثير من الأمور؛ كلتاهما تتطلّبان أذنًا حسّاسة، وكثيرًا من التفاني.

قام الزوجان، أليس وإرلوف، بوضع اتّفاق غير اعتياديّ: فقد قرّرا مبكرًا أن يصير ابنهما الأكبر، أكسيل، موسيقيًّا، وأن يحذو ابنهما الأصغر، روبرت، حذو أبيه ويدخل السلك الدبلوماسيّ. لكنّ هذا الترتيب انقلب رأسًا على عقب، عندما ارتكب أكسيل خطأً مصيريًّا. في سنّ السابعة عشرة، أُجبِر على ترك الموسيقى، وأُرسِل إلى المدرسة الحربيّة. تبقّى لروبرت أن يمتهن الموسيقى. تقبّل أكسيل العقاب، ولم يعزف على آلة الكمان منذ ذلك الحين.

بعد ما حدث في ذاك اليوم الأسود منذ أربعة وثلاثين عامًا، قطعت والدة أكسيل طرق التواصل كافّة معه، حتّى أنّها لم تتحدّث إليه عندما كانت في فراش الموت.

بعد تسع رنّات، ردّت بيڤرلي أخيرًا على الهاتف وهي تسعل: «مرحبًا».

«أين أنتِ؟». لم يستطع سماع جوابها على نحوٍ واضح. جعل القلق صوته حادًّا متوتّرًا وهو يقول لها: «لا أستطيع سماعكِ».

«لماذا تبدو غاضبًا؟».

«فقط، قولي لي أين أنتِ»، قال بنبرة توسّل.

«ما خطبك؟ أنا هنا في شقّتي، أليس ذلك أمرًا جيّدًا؟».

«أنا قلق عليك».

«لا تكن سخيفًا. سأشاهد العرض الخاصّ بالأميرة ڤيكتوريا».

وأنهت المكالمة. نظرًا لشعوره بالقلق الكبير حيال تصرّفها الغامض، نظر إلى هاتفه، وتساءل هل عليه الاتّصال بها مجدّدًا. ولكنّ الهاتف في يده رنّ، فقفز وأجاب: «ريسين».

«يورغن غرنليخت».

«مرحبًا»، قال أكسيل.

«كيف كان اجتماعك؟».

«أعتقد أنّه كان جديرًا بالجهد المبذول»، أجاب أكسيل.

«هل أعطيت الأولويّة إلى كينيا، كما أتمنّى؟».

«وشهادة المستخدم النهائيّ من هولندا. لديَّ الكثير لأتفقّده، لذا أعلّق حكمي حتّى يتاح لي الوقت لمعرفة...».

قاطعه: «ولكن كينيا. ألم توقّع تصريح التصدير بعد؟ پونتوس سلمان لا يكفّ عن إزعاجي، متسائلًا عن سبب تأجيل هذا الأمر. إنّها اتفاقية مهمّة، وقد أُخِّرت بالفعل. فضلًا عن أنّ الدائرة قد أكّدت لهم بشكل قويّ أنّها ستُوقَّع، حتّى أنّهم بدأوا في الإنتاج. الشحنة جاهزة. نُقِلت من 'ترولهتان' إلى 'غوتنبرغ'، وسترسل شركة الشحن سفينة حاويات غدًا. بينما يقضون اليوم في تفريغ حمولتهم، ليكونوا مستعدّين لتحميل الذخيرة في اليوم التالي».

«أدرك ذلك، يا يورغن. لقد ألقيت نظرة على المستند، و... من الواضح أنّني سأمنح التصريح. لكنّني التحقت للتوّ بالدائرة، ومن المهمّ لي أن أكون دقيقًا».

«لقد تفقّدت الاتفاقيّة بنفسي، ولم ألاحظ افتقارها إلى الوضوح».

«أجل. ولكن...».

«أين أنت الآن؟».

أجاب أكسيل بارتباك طفيف: «في المنزل».

قال يورغن بحزم: «سأرسل إليك الأوراق بالبريد. يمكن للساعي الانتظار في أثناء توقيعها حتّى لا نفقد مزيدًا من الوقت».

«لا. سأتفقّدها غدًا».

بعد عشرين دقيقة، خرج أكسيل للقاء ساعي البريد. أزعجه ذاك الضغط والإلحاح، ولكنّه لم يكن يرى أيّ سبب لتأخير الصفقة.

53

فتح أكسيل الباب. تدفّق هواء المساء المعتدل مع الموسيقى الصاخبة لحفل تخرّج مدرسة «كي تي إتش» للهندسة المعماريّة. أخذ المجلّد، ولكنّه لسبب ما شعر بالحرج بشأن توقيع العقد أمام ساعي البريد. بدا كأنه من صنف الرجال الذين يرضخون للضغوط.

قال للساعي قبل أن يتركه في الردهة: «انتظرني دقيقة».

ذهب إلى المطبخ، وأخرج زجاجة ماء صغيرة من الثلّاجة. شرب بعض الماء، ثمّ فكّ ربطة عنقه، وجلس على أحد المقاعد العالية، وفتح المجلّد.

كان كلّ شيء منظّمًا ومرتّبًا: الملاحق كافّة موجودة، وإقرار مجلس الرقابة على الصادرات، والتصنيف، والموافقة المسبقة، والنسخ الخاصّة بلجنة الشؤون الخارجيّة، وأمر الشراء.

تفقّد المستندات المتعلّقة بتصريح التصدير، والتفويض النهائيّ. تصفّحها حتّى وصل إلى صفحة التوقيعات.

سرت قشعريرة في جسده. هذه صفقة كبيرة، ولها تأثير على الميزان التجاريّ للدولة. كما أنّها معاملة روتينيّة أُجّلت بسبب انتحار كارل بالمكرونا. كان أكسيل يتفهّم وضع بونتوس سلمان الصعب، فثمّة دائمًا احتماليّة لفشل الصفقة إذا تعطّلت لفترة أطول. في المقابل، يدرك أنّه يُضغَط عليه للتصريح بتصدير الذخيرة إلى كينيا، من دون أن يكون قادرًا بصورة شخصيّة على ضمان هذا القرار.

لذا فكّر في خطّة جعلته يشعر بارتياح. سيكرّس وقته كلّه على مدار اليومين المقبلين لهذه الصفقة، ثمّ يوقّع التصريح.

أدرك أنّه سيوقّع في نهاية الأمر، ولكن ليس الآن. لن يبالي إذا غضبوا. إنّه المسؤول عن اتّخاذ القرار النهائيّ، إنّه المدير العام.

التقط قلمه، ورسم شخصيّة مبتسمة تخرج من فمها فقاعة على خطّ التوقيع. وعاد إلى ساعي البريد وعلى وجهه تعبير جادّ. أعطاه المجلّد، ثمّ صعد الدرج وهو يتساءل هل بيڤرلي حقًّا في غرفتها، أم أنّها كذبت عليه بشأن التسلّل إلى الخارج.

ماذا لو اختفت؟

التقط جهاز التحكّم عن بُعد من لوح جانبيّ، وشغّل مجموعة من الأعمال الأولى لديڤيد بوي. مشى نحو خزانة زجاجيّة، وفتح بابها المقوّس، ونظر إلى مجموعة من الزجاجات. بعد تردّد وجيز، سحب زجاجة «هازلبرن» مرقّمة من «معامل سبرينغ بانك للتقطير» في كامبلتاون الاسكتلنديّة. كان أكسيل هناك، وقد تذكّر للتوّ حوض الهرس الأحمر الذي تجاوز عمره أكثر من مائة عام، وما زال قيد الاستخدام. كان باليًا ولا غطاء له.

أزال سدادة الفلّين، واستنشق رائحة الويسكي: تربة خثّيّة وقاتمة مثل سماء عاصفة. وضع السدّادة مكانها وأرجع الزجاجة إلى الرفّ.

غنّى ديڤيد بوي: «**ولكن لم يُرَ صديقها في أيّ مكان**».

أُغلق باب شقّة أخيه. نظر أكسيل من النافذة المطلّة على الحديقة الصغيرة، وتساءل إن كان روبرت سيمرّ به.

في هذه اللحظة، سمع طرقًا على الباب. دعا شقيقه: «تفضّل».

فتح روبرت الباب، ودخل إلى غرفة المعيشة، يرتسم على وجهه تعبير مضطرب.

قال: «أعلم أنك تستمع إلى هذه الحثالة فقط لتزعجني، ولكن...».

ابتسم أكسيل وأخذ يغنّي مع بوي.

رقص شقيقه متّجهًا إلى الخزانة الزجاجيّة، حيث نظر إلى الزجاجات التي فيها.

قال أكسيل بصوت مرِح: «أعِدّ شيئًا لنفسك».

«هل تودّ أن ترى كمان ستروسر؟ هل يمكنني إغلاق هذه الموسيقى قليلًا؟».

هزّ أكسيل كتفيه، فضغط روبرت على زرّ الإيقاف، وتلاشت الموسيقى بهدوء.

سأل أكسيل: «هل انتهيت منه بالفعل؟».

أجاب روبرت بابتسامة عريضة: «بقيت مستيقظًا طوال الليل، وقد وضعت الأوتار هذا الصباح».

جلسا صامتين. منذ وقت طويل، أدركت أمّهما أنّ أكسيل سيصير عازف كمان مشهورًا. كانت أليس نفسها تعزف الكمان الثاني في «أوركسترا أوبرا ستوكهولم الملكيّة» لعشر سنوات، وكانت تفضّل بوضوح ابنها الأكبر. كان أكسيل يدرس في «الكلّيّة الملكيّة للموسيقى»، وأصبح واحدًا من ثلاثة متنافسين في التصفيات النهائيّة بمسابقة «جون فريدريك بيروالد» لصغار العازفين المنفردين.

لكنّ كلّ شيء انهار عندما عندما انتقل أكسيل إلى الأكاديميّة العسكريّة، فأُلقي مستقبل العائلة الموسيقيّ على عاتق روبرت. لم يتمكّن أبدًا من أن يصير عازف كمان موهوبًا، لكنّه ظلّ يعزف في أوركسترا صغيرة، ونال سمعة جيّدة بصفته صانع كمان، مع عملاء من شتّى بقاع الأرض.

قال أكسيل بعد صمت وجيز: «أرني الكمان».

هزّ روبرت رأسه، وذهب لإحضار آلة كمان ساحرة الشكل، ومطليّة بالأحمر الناريّ، وقاعدتها مصنوعة من خشب القيقب المخطّط.

بدأ روبرت يعزف جزءًا من مقطوعة لبيلا بارتوك. طالما أحبّ أكسيل بارتوك، الذي كان ناقدًا صريحًا للنازيّة، وأُجبِر على مغادرة بلاده. كان

مؤلّفًا موسيقيًّا قلقًا بطبعه، ولكنّه نجح، من آن لآخر، في نقل بضع لحظات قصيرة من السعادة. بوصول روبرت إلى آخر المقطوعة، كان شقيقه يفكّر في أنّها نوع من الموسيقى الشعبيّة الكئيبة وسط أنقاض كارثة ما.

قال: «هذا يبدو جيّدًا، ولكن تحتاج إلى تحريك وتد الكمان. ثمّة صوت مكتوم قليلًا في...».

عبس شقيقه، وشرح باقتضاب: «يريد دانيال ستروسر هذا الصوت. يودّ أن يكون صوت الكمان مثل صوت بيرغت نيلسون[1] في شبابها».

علّق أكسيل مبتسمًا: «عليك بالفعل تحريك وتد الكمان».

«أنت لست خبيرًا. أردتُ فقط...».

«بخلاف ذلك، هي رائعة للغاية»، قال أكسيل بسرعة.

«يمكنك سماع النغمة على الرغم من ذلك؟ نبرة جافّة، ونبرة حادّة، و...».

«أنا لم أقل أيّ شيء سيّئ. أنا أقول فقط إنّ ثمّة جزءًا صغيرًا ليس مفعمًا بالحيويّة.

«ليس مفعمًا بالحيويّة؟ هذا الكمان لشخص يقدّر فعلًا بارتوك؛ لا ينطبق الأمر نفسه على بوي».

«ربّما سمعتُ خطأ»، قال أكسيل بهدوء.

فتح روبرت فمه ليردّ على أكسيل، ولكنّه غيّر رأيه عندما سمع زوجته آنيت تطرق الباب. ودخلت وابتسمت حين رأته يجلس مع آلة الكمان.

سألته بترقّب: «هل جرّبت آلة ستروسر؟».

قال روبرت: «أجل، ولكنّها لم تنل إعجاب أكسيل».

قال أكسيل: «هذا ليس حقيقيًّا. أنا متأكّد من أنّ عميلك سيفرح بها، وربّما يكون الشيء الذي ذكرته في دماغي، و...».

---

(1) مغنّية سوبرانو

تدخّلت آنيت بانزعاج: «لا تستمع إليه. إنّه لا يعرف شيئًا».

أراد روبرت المغادرة، واصطحاب زوجته معه، لكنّها ذهبت إلى أكسيل، وقالت له بنبرة حادّة: «اعترف أنّك اختلقت الأمر».

«ليس ثمّة خطأ. إنّه فقط وتد الكمان...».

«متى آخر مرّة عزفت فيها؟ منذ ثلاثين أو أربعين عامًا؟ كنت مجرّد طفل آنذاك. أظنّ أنّك لا بدّ من أن تعتذر».

قال روبرت: «دعي الأمر...».

أمرت أكسيل: «قل له إنّك آسف».

احمرّ وجه أكسيل وقال: «حسنًا، آسف!».

تابعت: «لأنّك كذبت. اعتذر لأنّك كذبت، لأنّك لا تستطيع أن تعطي روبرت الثناء الذي يستحقّه على آلة الكمان الجديدة التي صنعها».

«آسف على ذلك».

شغّل أكسيل الموسيقى مجدّدًا بصوت مرتفع إلى حدّ ما. في بداية الأمر، بدا الصوت عزفًا لطيفًا من آلتي غيتار غير متآلفتين، ومغنٍّ يحاول العثور على النوتة الصحيحة بصوت ضعيف وهو يقول: «وداعًا حبيبتي...».

قالت آنيت بتذمّر شيئًا ما عن افتقاره للموهبة، ولكنّ روبرت طلب منها أن تكفّ عن ذلك وهو يُخرجها من الغرفة. رفع أكسيل الصوت أكثر، وبثّت الطبول والباس[1] الروح في الموسيقى.

أغلق أكسيل عينيه وشعر بأنّهما تنخزانه في الظلام. كان متعبًا بالفعل. أحيانًا ينام لنصف ساعة فقط، وأحيانًا أخرى لا ينام أبدًا، حتّى لو كانت بيفرلي نائمة بجواره. وفي مثل تلك الليالي، عادةً ما يلفّ بطانيّة حول جسده، ويذهب للجلوس في الشرفة، حيث يحدّق إلى الأشجار الجميلة في ضوء الفجر. يعتقد أكسيل أنّه يعرف سبب مشكلاته. أغلق عينيه وفكّر في اليوم الذي غيّر حياته.

(1) غيتار كهربائي ذو أوتار أربعة تعزف نغمات منخفضة للغاية (المترجم).

54

تبادلت بينيلوبي النظرات مع يورن. سمعا عبر الباب المغلق غناء أوسيان وهو يعيد ترتيب الأثاث.

همست بينيلوبي: «يمكننا التغلّب عليه. علينا المحاولة».

«ماذا بعد؟ ماذا سنفعل بعد ذلك؟ نعذّبه حتّى يقول لنا رمز هاتفه؟».

قالت: «أعتقد أنّه سيسمح لنا باستخدامه إذا تبدّل ميزان القوى».

«وإذا لم يفعل؟».

ترنّحت بينيلوبي من الإرهاق وهي تسير إلى النافذة. حاولت فتحها، ولكنّ أصابعها بدت ضعيفة. توقّفت ونظرت إلى يديها في ضوء النهار. أصابعها الرماديّة بفعل الطين ملطّخة بالدماء الجافّة من الجروح.

قالت: «لن يساعدنا. علينا أن نواصل طريقنا إلى اليابسة، سـ...».

توقّفت عن الحديث، ونظرت إلى يورن الذي تكوّم عند حافّة السرير.

قال بهدوء: «جيّد. اذهبي أنتِ».

«لن أتركك».

قال من دون النظر إليها: «لا أستطيع يا بيني. قدماي! لا أستطيع أن أركض. ربّما يمكنني السير لنصف ساعة، ولكنّ قدميّ تنزفان».

«سأساعدك».

«ربّما لا هواتف أخرى على الجزيرة. لا نعرف!».

«لن أشارك في مسابقته المقزّزة...».

«يا بيني، نحن... علينا التحدّث إلى الشرطة، علينا استعارة هاتفه».

دفع أوسيان الباب بابتسامة عريضة على وجهه. ارتدى سترة عليها نقوش جلد الفهد وسارونغا. ثمّ دفع بينيلوبي ويورن نحو الأريكة الضخمة وهو يشير بإيماءات فاحشة. كانت الستائر مغلقة، راح يدفع الأثاث مقابل الجدران حتّى يتمكّن من التحرّك بحرّيّة. سار تحت ضوء الأباجورتين الرأسيّتين، ثمّ توقّف، واستدار. قال وهو يغمز: «جمهور ليلة الجمعة! يتبخّر الوقت عندما تحظون بالمرح! نحن الآن على مسرح

المسابقة بالفعل، لذا دعونا نرحّب بشخصيّة الليلة من المشاهير؛ إنّها كاتبة العمود الصغير الحقيرة، وعشيقها القاصر. إنّهما بالفعل ثنائيّ غريب؛ إذا سألتموني عن رأيي: شمطاء بائسة، وشابّ جذّاب منحوت الجسم بدقّة».

ضحك أوسيان، وثنى عضلاته تجاه الكاميرا المتخيّلة.

صاح وهو يقفز في مكانه: «هيّا الآن! هل نفد صبركم؟ هل أزراركم جاهزة؟ أقدّم لكم... حقيقة أم تحدٍّ! مع أوسيان ڤالنباري الذي يتحدّى الشمطاء والجذّاب!».

وضع زجاجة نبيذ فارغة على الأرض وأدارها، فلفّت عدّة مرّات، ثمّ توقّفت وعنقها متوجّه نحو يورن.

صاح أوسيان بابتسامة: «الجذّاب! بسرعة! ها هنا سؤالك، هل أنت على استعداد لقول الحقيقة، ولا شيء سوى الحقيقة؟».

قال يورن متنهّدًا: «قطعًا».

تساقطت قطرة عرق عن أنف أوسيان وهو يفتح ظرفًا، ثمّ يقرأ: «بماذا تفكر وأنت تضاجع الشمطاء؟».

فقالت پينيلوپي بتذمّر: «مضحك!».

وسأل يورن بكلّ هدوء: «هل سأحصل على الهاتف إذا أجبت؟».

زمّ أوسيان شفتيه، وهزّ رأسه، ثمّ قال: «لا. ولكن إذا اقتنع الجمهور بإجابتك، ستحصل على أوّل رقم من الرمز السرّيّ».

«وإذا اخترت تحدّيًا؟».

«إذن ستنافسني، وسيحكم بيننا الجمهور. ولكنّ الساعة تدقّ: تك توك، تك توك... خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنان...».

نظرت پينيلوپي إلى يورن في الضوء الساطع، إلى وجهه القذر، ورقبته، وشعره الأشعث، وفتحتي أنفه السوداوين الملطّختين بالدماء، وعينيه المتعبتين المحتقنتين.

أجاب يورن بهدوء: «أفكّر في پينيلوپي».

صاح أوسيان باستهجان وعلى وجهه علامات القرف وهرول إلى دائرة الضوء.

صرخ: «كان من المفترض أن تقول الحقيقة! وهذا لا يمّت إليها بصلة. لا أحد من الجمهور يصدّق أنّك تفكّر في هذه الشمطاء وأنت تضاجعها. هذا واحد، اثنان، ناقص ثلاث نقاط للجذّاب!».

ثمّ أدار الزجاجة مرّة أخرى، فتوقّفت مشيرةً إلى پينيلوپي.

صاح أوسيان: «ما هذا؟ غرامة! ماذا يعني ذلك؟ هذا صحيح! تحدٍّ تلقائيّ! لست محظوظة! سننطلق مباشرةً! سأفتح الستار، وأكتشف بماذا يهمس فرس النهر».

التقط أوسيان فرس نهر صغير من الخشب عن الطاولة، ووضعه عند إحدى أذنيه، وأومأ برأسه، وسأله: «هل تقصد الشمطاء؟».

ثمّ استمع إليه مجدّدًا، وقال: «أتفهّم ذلك، سيّد فرس النهر. أجل، أشكرك شكرًا جزيلًا».

وضع فرس النهر، والتفت إلى پينيلوپي مبتسمًا، وقال: «على الشمطاء منافسة أوسيان... والفئة هي استعراض التعرّي! إذا تمكّنتِ من تسلية الجمهور بشكل أفضل من أوسيان، ستحصلين على أرقام رمز الهاتف كافّة؛ وخلاف ذلك، على الجذّاب ركلك بأقصى قوّته».

ذهب إلى الستيريو، وضغط على زرّ، فانطلقت أغنية «علّمني، أيّها النمر».

همس أوسيان وكأنّه على المسرح وهو يؤرجح ساقيه مع الموسيقى في الوقت نفسه، قائلًا: «لقد خسرت هذه الجولة أمام آن مارغريت[1] في إحدى المرّات».

نهضت پينيلوپي عن الأريكة بشورت سباحة مخطّط وسترة كبيرة من الصوف والجزمة.

---

(1) ممثلة سويديّة-أميركيّة

سألت: «هل تريد هذا؟ هل هذا كلّ ما لديك؟ أن تراني عارية؟».
توقّف أوسيان عن الغناء، وعن الحركة، وبدت على وجهه خيبة الأمل، ثمّ نظر إليها ببرود قبل أن يجيبها: «لو كنت مهتمًّا في رؤية فرج لاجئة ساقطة للجأت إلى الإنترنت».
«اللعنة! إذن، ماذا تريد؟».
صفعها بشدّة، فترنّحت وكادت تسقط، ولكنّها تماسكت على قدميها.
قال أوسيان بحدّة: «عليكِ أن تكوني لطيفة معي».
تمتمت: «حسنًا».
كاد يبتسم قبل أن يتابع: «أنا أنافس مشاهير التلفاز. وقد شاهدتك على شاشته قبل أن يكون لديّ الوقت لتغيير القناة».
نظرت پينيلوپي إلى وجهه المتوهّج الذي تملؤه الحماسة.
قالت: «لن تعطينا هاتفك، أليس كذلك؟».
قال بسرعة: «أنا وعدت. القواعد هي القواعد. ستحصلون عليه، ما دمت سأحصل على ما أريد».
«أنت تعلم أنّ وضعنا بائس، وتستغلّ...».
صرخ: «أجل. أنا أفعل ذلك».
«حسنًا، لمَ لا؟ سأعطيك ما تريد ثمّ أحصل على الهاتف».
أدارت پينيلوپي ظهرها إلى أوسيان، وخلعت السترة والقميص. وفي الضوء الساطع، ظهرت الخدوش والكدمات والأوساخ التي على كتفيها وفخذيها بوضوح. استدارت وهي تغطي صدرها بيديها.
صفّق يورن بيديه، وأطلق صفيرًا، رغم الحزن الذي يظهر على وجهه. أمّا أوسيان فقد بدا وجهه متعرّقًا وهو يحدّق إلى پينيلوپي، ثمّ وقف في وهج الأضواء أمام يورن، وأدار ظهره، وخلع السارونغ وأداره حوله، وقذفه إليه.
أرسل أوسيان ليورن قبلة في الهواء وهو يومئ بإشارة «اتّصل بي».
صفّق يورن بيديه مجدّدًا، وأطلق صفيرًا أعلى من الأوّل، عندما رأى پينيلوپي تلتقط محراك الجمر الحديدي من المدفأة.

ترنّحت المجرفة الصغيرة، وأحدثت صوتًا رنّانًا وهي تصطدم بالملقط.
راح أوسيان يثب ويرقص بملابسه الداخليّة المرصّعة باللون الذهبي.
أمسكت بينيلوبي محراك الجمر بيديها الاثنتين، واقتربت من خلف أوسيان. تابع الأخير هزّ ردفيه أمام يورن.
همس ليورن: «اركع على ركبتيك. هيّا! انزل ايّها الجذّاب!».
حرّكت محراك الجمر الثقيل، وضربت به فخذ أوسيان بكلّ ما أُوتِيت من قوّة. صرخ أوسيان، وسقط على الأرض ممسكًا بفخذه وهو يتدحرج من الألم. ذهبت بينيلوبي إلى الستيريو، وحطّمته بأربع ضربات عنيفة.
ظلّ أوسيان مستلقيًا على الأرض، يتنفّس بسرعة كبيرة، ويئنّ من الألم. ذهبت بينيلوبي إليه، فنظر إليها بعينين خائفتين. وقفت هناك للحظة ومحراك الجمر يتأرجح بيدها اليمنى ببطء.
قالت بهدوء: «السيّد فرس النهر أخبرني بأنّه يريدك أن تعطيني هاتفك، والرمز السرّيّ».

55

صار الدفء خانقًا للغاية داخل كوخ أوسيان. مرارًا وتكرارًا، نهض يورن وذهب إلى النافذة لينظر إلى الرصيف. استلقت بينيلوبي على الأريكة والهاتف بيدها. حين تلقّت خدمات الطوارئ مكالمتها، وعدوها بأنّهم سيعاودون الاتّصال بها عندما تقترب الشرطة البحريّة من مكانها. أمّا أوسيان، فكان يجلس على كرسيّ مريح يشاهدهما وأمامه كأس ويسكي كبيرة. تناول بعض المسكّنات، وأخبرهما بصوتٍ خافتٍ بأنّه سينجو.
نظرت بينيلوبي إلى الهاتف. الإشارة أضعف الآن، ولكنّها ما زالت تعمل. ستتّصل الشرطة في أيّ دقيقة. الرطوبة مرتفعة بصورة مزعجة، وقميصها مبتلّ بالعرق. أغلقت عينيها، وفكّرت بدارفور، وتذكّرت الطقس الحارّ داخل الحافلة التي أقلّتها إلى «كوبوم» للقاء جاين أودويا ومنظّمة «العمل ضدّ الجوع».

في طريقها إلى الثكنات التي كانت بمثابة مبنى إداري للمنظّمة، استوقفها شيء ما. فقد رأت بعض الأطفال يلعبون لعبة غريبة. كانوا يضعون تماثيل لشخصيّات من الطين على الطريق، آملين أن تحطّمها السيّارات. اقتربت بحرص حتّى ترى ماذا يفعلون. كانوا يضحكون حين تُدهَس إحدى الشخصيّات التي صنعوها من الطين، ويصيحون: «لقد قتلت واحدًا آخر. كان رجلًا عجوزًا».

«قتلت أحد أبناء الفور».

ركض أحد الأطفال إلى الطريق مجدّدًا، ووضع تمثالين جديدين من الطين، أحدهما كبير والآخر صغير. عندما دهست عربة يدويّة الصغير، فرح الأطفال وهتفوا: «مات الطفل. مات ابن الساقطة».

ذهبت إليهم، وسألتهم عمّا يفعلون. لم يجيبوها، بل ركضوا فقط. ظلّت هي واقفة تحدّق إلى قطع الطين على الطريق الأحمر المُشمس.

ولأنّ أبناء قبيلة «الفور» كانوا في الأصل من المزارعين، كان بينهم وبين السكّان العرب الرحّل في المنطقة صراع منذ زمن سحيق. لكنّ السبب الحقيقيّ وراء الإبادة الجماعيّة الأخيرة كان النفط.

رغم انتهاء الحرب الأهليّة رسميًّا، فإنّ «الجنجويد» واصلوا غاراتهم الممنهجة. يغتصبون النساء، ويقتلون الرجال والصبيان، ثمّ يحرقون البيوت.

شاهدت بينيلوبي الأطفال العرب وهم يندفعون، ويلتقطون آخر دمية طينيّة عن الطريق حين سمعت أحدهم يناديها: «بيني! بيني!».

أصابها الخوف، قبل أن ترى جاين أودويا تلوّح لها. كانت جاين امرأة قصيرة القامة، مستديرة الجسد، ترتدي سروالًا من الجينز الباهت وسترة صفراء. صار وجهها متجعّدًا هرمًا في غضون سنوات قلائل، حتّى أنّ بينيلوبي تعرّفت عليها بصعوبة.

«جاين!».

تعانقتا بقوّة. وهمست جاين: «لا تتحدّثي إلى هؤلاء الأطفال. إنّهم مثل البقيّة. يكرهوننا لأنّنا سود. لا أستطيع أن أفهم ذلك. إنّهم يكرهون ذوي البشرة السوداء».

سارتا إلى معسكر اللاجئين. بدأ الناس يتجمّعون من كلّ صوب لتناول الطعام والشراب. كانت رائحة الحليب المحترق تمتزج برائحة المراحيض النتنة. انتشرت الأغطية البلاستيكيّة الزرقاء للأمم المتّحدة في كلّ مكان، إذ كانت تُستخدم بديلًا عن المفروشات كافّة، مثل الستائر والأغطية وفرش الأسِرّة. كما كانت مئات من خيم الصليب الأحمر البيضاء تهتزّ في مهبّ الريح التي اجتاحت السهول.

لحقت بينيلوبي بجاين إلى خيمة المستشفى الرئيسة. تحوّل نسيجها الأبيض إلى رماديّ بفعل أشعّة الشمس. نظرت جاين عبر النافذة البلاستيكيّة المطلّة على القسم الجراحيّ.

قالت بهدوء: «لقد صارت ممرّضاتي جرّاحات ماهرات، فهنّ يُجرين عمليّات البتر والعمليّات البسيطة كلّها بمفردهنّ».

جلب ولدان لا يتجاوزان الثالثة عشرة من عمرَيهما صندوقًا كبيرًا من الضمادات في الخيمة. وضعاه بحرص قرب بعض الصناديق الأخرى، ثمّ جاءا إلى جاين التي شكرتهما، وطلبت منهما أن يساعدا السيّدات اللاتي وصلن للتوّ، ويحتجن إلى الماء لغسل جروحهنّ.

وبينما تشير إليهما، شرحت جاين: «كانا ينتميان إلى الميليشيا العربيّة، لكنّ الأمور هادئة الآن. ونظرًا لنقص الذخيرة، توصّلنا إلى نوع من التوازن. لا يعرف الناس بالفعل ماذا يفعلون، وكثير منهم بدأ يقدّم يد المساعدة هنا. لدينا مدرسة للصبيان، التحق بها عدّة شباب من الميليشيا».

أصدرت امرأة أنينًا شديدًا من أحد الأسرّة المرتفعة، فهرولت جاين إليها، وخبطت على جبهتها ووجنتيها. رغم أنّها تبدو في الخامسة عشرة من العمر إلّا أنّها كانت ترزح تحت حملها، وقد بُترت إحدى قدميها.

أمضت پينيلوپي اليوم بأسره تساعد جاين، من دون توجيه أيّ أسئلة؛ كانت فقط تساعد بأيّ شيء تقدر عليه لعلاج أكبر قدر ممكن من الناس.

بعد الظهر، أتى رجل أفريقيّ في الثلاثين من عمره، جميل الوجه، مفتول العضلات، يحمل صندوقًا أبيض صغيرًا إلى جاين.

قال لها وهو يبتسم: «ثلاثون جرعة جديدة من المضادّات الحيويّة».

هزّ رأسه وهو ما زال يبتسم، فعلّقت جاين: «أحسنت صُنعًا».

«سأذهب، وأمارس مزيدًا من الضغط على روسّ، فقد قال إنّنا قد نحصل هذا الأسبوع على صندوق من أجهزة قياس الضغط».

قالت جاين: «هذا غراي. إنّه أستاذ في الحقيقة، ولكنّي لما استطعت إدارة الأمر من دونه».

مدّت پينيلوپي يدها إلى الرجل، وقابلت عيناها نظراته المرحة، ثمّ قالت له: «پينيلوپي فرنانديز».

ردّ وهو يصافحها: «طرزان».

فضحكت جاين، وقالت: «أراد أن يُدعَى طرزان عندما جاء إلينا».

فابتسم وقال: «طرزان وجاين. أنا هنا طرزان».

«في النهاية، قبلت أن أناديه غرايستوك. لكنّه كان اسمًا طويلًا للجميع هنا. لذا، كان عليه أن يستقرّ على غراي».

فجأة، أطلقت شاحنة بوقها خارج الخيمة، فركض الثلاثة إلى الخارج. كان الغبار الأحمر يدور حول السيّارة الصدئة، وسبعة رجال مصابين بأعيرة ناريّة يستلقون على السرير المفتوح داخل الشاحنة. لقد أتوا من قرية في الغرب، حيث نشب خلاف على بئر، تطوّر إلى تبادل لإطلاق النار.

مضى باقي اليوم في إجراء عمليّات طوارئ، مات خلالها أحد الرجال. وفي لحظة ما، أوقف غراي پينيلوپي، وأعطاها زجاجة ماء. هزّت پينيلوپي رأسها فقط وهي تشعر بالضغط والإرهاق، ولكنّها بادلته الابتسام بهدوء، فقال لها: «لديك وقت لتشربي الماء».

شكرته پينيلوبي، ثمّ ساعدته على رفع أحد الرجال المصابين على السرير.

في ذلك المساء، كانت پينيلوبي وجاين متعبتين للغاية، فجلستا على شرفة إحدى الثكنات، وتناولتا وجبة في وقت متأخّر تحت وطأة حرارة شديدة. تجاذبتا أطراف الحديث، وألقتا نظرة إلى الناس وهم يُنهون أعمالهم المسائيّة.

فور حلول الظلام، ساد الهدوء الذي يسبق العاصفة. سمعت پينيلوبي في البداية أشخاصًا يهرولون للعودة إلى منازلهم، ثمّ أصوات ضوضاء من الحمّامات. ولكن سرعان ما عاد كلّ شيء إلى السكون، ولم تُسمع حتّى أصوات أطفال يصيحون.

قالت جاين وهي تجمع الأطباق إنّ الجميع يخافون من مرور قوّات «الجنجويد».

ذهبتا إلى الداخل، وأقفلتا الباب، ثمّ غسلتا الأطباق معًا، وتمنّت إحداهما للأخرى ليلة سعيدة، وذهبت پينيلوبي إلى غرفة الضيوف في آخر الردهة.

استيقظت فزعةً بعد ساعتين. لقد غلبها النوم وهي بملابسها، والآن ترقد هناك منصتةً إلى ليل دارفور القاسي. لم تعرف ما الذي أيقظها من نومها. ما إن بدأت ضربات قلبها تهدأ حتّى سمعت صياحًا في الخارج. نهضت، ونظرت عبر النافذة الصغيرة ذات القضبان. كان الطريق مضاءً بضوء القمر، وتمكّنت من سماع جدال في مكان ما. كان ثلاثة مراهقين ذكور يسيرون في منتصف الطريق. لم يكن ثمّة شكّ في أنّهم ينتمون إلى «الجنجويد». مع أحدهم مسدّس في يده. سمعتهم پينيلوبي يقولون شيئًا عن قتل العبيد. كان عجوز أفريقيّ، عادةً ما يبيع البطاطا الحلوة المشويّة، يجلس على بطّانيّته خارج أحد مخازن الأمم المتّحدة. اتّجهوا نحوه وبصقوا عليه. رفع أحدهم المسدّس وأطلق النار على وجهه. أحدثت الطلقة دويًّا بين المباني. صاح الأولاد، وأخذوا البطاطا الحلوة، فتناولوا بعضها، وألقوا البقيّة على التراب بجانب الرجل الميّت.

نظر الأولاد حولهم، ثمّ أشاروا إلى الثكنات التي تقيم فيها جاين وپينيلوپي، وتقدّموا نحوها. تذكّرت كيف حبست أنفاسها حين سمعتهم من الشرفة يتحدّثون بحماسة ويضربون الباب.

التقطت پينيلوپي أنفاسها، وفتحت عينيها. لا بدّ من أنّها غفت قليلًا على أريكة أوسيان.

تلاشت ضجّة الرعد المملّة والمنذرة في الوقت نفسه. صارت السماء أكثر قتامة.

ما زال يورن واقفًا عند النافذة، وأوسيان يرتشف شرابه.

نظرت پينيلوپي إلى الهاتف، ووجدت أنّ أحدًا لم يتّصل.

لا بدّ من أن تصل شرطة البحريّة إلى هنا عاجلًا.

اقترب الرعد بسرعة، وانطفأ مصباح السقف، ثمّ توقّفت مروحة المطبخ. انقطع التيّار الكهربائيّ، وبدأت أولى قطرات المطر تسقط على السقف وأفاريز النوافذ، ثمّ بدأ الماء يتدفّق فجأة. واختفت إشارة الهاتف تمامًا.

أضاء وميض من البرق الغرفة، وتبعه دويّ شديد من الرعد.

مالت پينيلوپي إلى الخلف وهي تسمع صوت المطر، وتشعر بتدفّق الهواء البارد عبر النوافذ، ثمّ غلبها النعاس مرّة أخرى، لكنّها استيقظت عندما قال يورن شيئًا.

سألت: «ماذا حدث؟».

«ثمّة قارب. قارب شرطة»، كرّر يورن.

نهضت مسرعة وحدّقت النظر إلى الخارج. بدت المياه وكأنّها تغلي من قوّة الهطل. بات القارب الكبير قريبًا بالفعل، واتّجه نحو الرصيف.

نظرت پينيلوپي إلى الهاتف، ولكن الإشارة لم ترجع بعد.

قال لها يورن: «أسرعي!».

حاول يورن إدخال المفتاح في قفل الباب، ولكن يديه كانتا ترتعشان.

انزلق قارب الشرطة إلى جانب الرصيف، وأطلق صفّارات الإنذار.

قال يورن بصوتٍ عالٍ: «إنّه لا يعمل. إنّه المفتاح الخطأ».

ضحك أوسيان وهو يُخرج حلقة مفاتيحه، قائلًا: «آه يا عزيزي. إذن، لا بدّ من أن يكون هذا هو المفتاح».

أخذ يورن المفتاح، وبرمه داخل القفل. سمع نقرة معدنيّة في داخله.

كان من الصعب رؤية قارب الشرطة في المطر. بدأ في الانزلاق بعيدًا عن الرصيف حين فتح يورن الباب.

صاحت بينيلوبي: «يورن!».

كان محرّك المركب يزأر، والرغوة البيضاء ترتدّ خلفه. لوّح يورن بيديه وركض في المطر بأقصى سرعته على الممرّ المرصوف بالحصى المؤدّي إلى المنحدر.

صاح: «هنا في الأعلى! نحن هنا!».

كان كتفا يورن وفخذاه مبلّلين بالمطر عندما نزل إلى الرصيف، ورأى محرّكات القارب تتحرّك في الاتّجاه المعاكس. هناك صندوق إسعافات أوّليّة على السطح الخلفيّ. ظهر شرطيّ عبر الزجاج الأماميّ.

أضاء وميض آخر من البرق السماء. صمّ الضجيج الآذان. بدا الشرطيّ خلف عجلة القيادة كما لو كان يتحدّث في جهاز لاسلكيّ. المطر يتلاطم على سقف القارب. صاح يورن ولوّح بذراعيه. انزلق القارب مرّة أخرى، واصطدم جانبه بالرصيف.

تمسّك يورن بالسور المبتلّ، وصعد على متن القارب المتأرجح. مال بجسده وفتح بابًا معدنيًّا، ودخل إلى القارب.

كانت للمقصورة رائحة معدنيّة مقزّزة، مثل رائحة الزيوت الممتزجة بالعرق.

رأى يورن ضابط شرطة مسمرّ البشرة ممدّدًا على الأرض، ورأسه محطّم، وعيناه مفتوحتان على اتّساعهما، وثمّة بركة من الدماء تحت جسده. تنفّس يورن بصعوبة، ناظرًا إلى معدّات الشرطة ومعاطف المطر ومجلّات ركوب الأمواج. سمع صوتًا يعلو ضجيج المحرّك؛ إنّه أوسيان ينادي من الممرّ،

اقترب من المركب حاملًا مظلّة صفراء فوق رأسه. شعر يورن بنبضات صدغيه ترتطم بقوّة، وأدرك خطأه؛ لقد سار بقدميه إلى الفخّ. رأى الدماء المتناثرة على الزجاج الأماميّ للقارب، وأخذ يتحسّس مقبض الباب، ثمّ هبط إلى المقصورة، ورأى من يطارده خارجًا من الظلام، مرتديًا زيّ الشرطة. ارتسم على وجه المجرم التأهّب وما يشبه الفضول. أدرك يورن أنّ أوان الركض فات. جذب مفكّ البراغي من الرفّ فوق لوحة العدّادات للدفاع عن نفسه. بينما تمسّك من يطارده بالدرابزين، ووصل إلى أعلى الدرج، وراح يومض في الضوء الساطع، ثمّ حدّق إلى الزجاج الأماميّ والشاطئ. كانت قطرات المطر تضرب الزجاج، فتحرّك يورن بسرعة. استهدف قلب المُطارِد بالمفكّ. دفعه ولكنّه لم يفهم ما الذي حدث بعد ذلك. شعر بكتفه تهتزّ، ثمّ فقد الشعور بذراعه عندما صدّ الرجل هجومه بضربة جانبيّة عنيفة. كأنّ ذراعه لم تعد موجودة. سقط المفكّ على سطح القارب، وتدحرج خلف علبة عدّة من الألومنيوم. ظلّ الرجل ممسكًا بذراع يورن المصابة. دفعه بعنف إلى الأمام، وأدار جسده، وركل ساقيه من تحته. وجّه زاوية سقوط يورن ودفعه بشدّة حتّى سحق وجهه على الأرض تجاه مسند القدم أسفل المقود. كُسرت رقبة يورن. تشنّج وجهه قليلًا. وبعد لحظات، فارق الحياة.

56

وقفت بينيلوبي عند النافذة. السماء تُضَاء بوميض البرق، والرعد يدوّي عبر البحر. تدفّقت مياه الأمطار. صعد يورن إلى قارب الشرطة، واختفى في المقصورة. راح سطح البحر يرغي بسبب تدفّق الهطل الشديد. راقبت أوسيان وهو يعرج على الرصيف. فُتح باب المقصورة المعدنيّ، وظهر شرطيّ بالزيّ الرسميّ ثمّ قفز إلى الرصيف، وربط القارب.

فقط عندما بدأ الشرطي يسير على الممرّ المرصوف بالحصى، أدركت بينيلوبي مَن يكون؛ لم يكلّف المُطارِد نفسه عناء ردّ التحية إلى أوسيان. أمسك بيده اليسرى، وقبض على ذقنه بشدّة.

لم تلاحظ پينيلوپي أنّها أسقطت الهاتف.

بفظاظة خطيرة، حرّك الرجل المتخفّي في زيّ الشرطة وجه أوسيان إلى اتّجاه واحد. سقطت المظلّة الصفراء على الأرض، وتدحرجت جزئيًا إلى أسفل المنحدر. انتهى الأمر برمّته في بضع ثوانٍ. توقّف الرجل عن الحركة، وأخرج خنجرًا صغيرًا بيده الأخرى. أدار وجه أوسيان أكثر قليلًا، ثمّ، بسرعة كبيرة، طعنه في رقبته. ارتطم أوسيان بالأرض جثّة هامدة.

سار الرجل على الممرّ في اتّجاه الكوخ بخطوات واسعة. أظهرت ومضة من ومضات البرق وجهه. التقت نظرات پينيلوپي بنظراته تحت المطر. قبل أن تتلاشى الومضة، كان لديها الوقت لرؤية الاضطراب على وجهه؛ كانت عيناه متعبتين حزينتين، وثمّة ندبة عميقة على فمه. دوّى الرعد. واصل الرجل السير، ولكنّ پينيلوپي بقيت واقفة عند النافذة. رغم أنّها كانت تتنفّس بسرعة، لكنّها شعرت بالشلل وعدم القدرة على الركض.

ظلّ المطر يدقّ على النافذة. بدا العالم في الخارج بعيدًا عن پينيلوپي بشكل غريب، ولكن، سطع حينذاك ضوء أصفر خلف الرجل، وألقى بنوره على الرصيف والمياه والسماء. ارتفعت ألسنة اللهب من قارب الشرطة. تناثرت شظايا معدنيّة في الهواء. كبرت سحابة النار وتشكّلت في ظلال من اللون الأصفر الناريّ، فأضاءت الخيزران والرصيف، ووصل الضغط وزئير الانفجار إلى المنزل.

لم تُبدِ پينيلوپي أيّ ردّة فعل، حتّى بدأ زجاج النافذة يهتزّ ثمّ يتصدّع. استمرّ هطول المطر الغزير، والتقى بالدخان الأسود المتصاعد من بقايا القارب. سار الرجل نحو المنزل. استدارت وأسرعت عبر الغرف قافزة على الكراسي نحو المدخل. فتحت الباب الأماميّ وركضت عبر الحديقة الرطبة الكثيفة العشب. رغم أنّها كادت تنزلق، واصلت ركضها تحت المطر بعيدًا عن المنزل، على طول الممرّ، حول مجموعة من أشجار البتولا، وإلى المروج.

التقت هناك بأسرة يرتدي أطفالها معاطف المطر. أمسكوا بصنّارات

الصيد وسترات النجاة ذات اللون البرتقاليّ اللامع. ركضت مباشرةً مرورًا بهذه المجموعة الصغيرة صوب الشاطئ الرمليّ. مع انقطاع أنفاسها، وفقدان سيطرتها على لهاثها، شعرت بأنّها ستموت. كان عليها أن تتوقّف. لم يكن لديها فكرة عمّا يجب فعله، فظلّت تزحف خلف كوخ صغير، حيث أفرغت ما في معدتها، ثمّ تمتمت بالدعاء للربّ. تردّد صدى دويّ الرعد من بعيد. ارتجف جسدها كلّه. لكنّها نهضت على قدميها مجدّدًا، ومسحت المطر عن وجهها بكُمّ سُترتها. مالت إلى الأمام بحرص، ونظرت حول الزاوية، وإلى الخلف عبر المروج. وجدت أنّ مَن يطاردها وصل فقط إلى مجموعة أشجار البتولا، وتوقّف قرب الأسرة التي أشارت على الفور إلى الاتّجاه الذي سلكته بينيلوبي. تراجعت إلى الخلف، وانزلقت أسفل الصخور، وبدأت تركض على طول اليابسة حتّى وصلت إلى الشاطئ الرمليّ. تركت خطوات قدميها آثارًا باللون الأبيض خلفها على الرمال الرطبة. بينما هي تركض باتجاه رصيف طويل، سمعت الضجيج المرتفع لطائرة مروحيّة.

رأت بينيلوبي مُطارِدها يجري بين الأشجار متّجهًا نحو الشاطئ. هبط رجل بزيّ أصفر لامع من مروحيّة الإنقاذ، واستقرّ عند الطرف البعيد للرصيف. تحرّكت المياه من حوله على شكل دوائر متقطّعة. ركضت بينيلوبي مباشرةً إليه. ألقى عليها التعليمات بصوت مرتفع، ثمّ ربطها بحمّالة الأمان، وأشار إلى طيّار المروحيّة. ارتفعا معًا، وحلّقا فوق الماء، ثمّ جُذِبا إلى أعلى. آخر ما رأته قبل أن يختفي الشاطئ خلف الأشجار هو مُطاردها راكعًا على إحدى ركبتيه وأمامه حقيبة ظهره السوداء، وقد أظهرت حركاته أنّه يجمع بندقيّة.

لم تستطع رؤيته مجدّدًا. لا شيء سوى أشجار خضراء كثيفة. تلاشى سطح الماء من تحتها. فجأة، سمعت صوت تصدّع عنيف وقعقعة من أعلى. اهتزّ الحبل بشدّة وانقبضت معدتها. صرخ الرجل الذي خلفها بشيء للطيّار. راحا يتأرجحان في الاتّجاه المعاكس والمروحيّة تميل على الجانب بشدّة، فأدركت بينيلوبي ما حدث: لقد أطلق مُطاردها النار على الطيّار من الشاطئ.

من دون أن تعي الأمر، فتحت قبضة أمان حزامها، وكذلك الأشرطة، وسقطت مباشرة إلى أسفل. منطلقة في الهواء، بينما فقدت المروحيّة قدرتها على الارتفاع ومالت على الجانبين وبدأت في الدوران. اشتبك الحبل الذي يحمل منقذها بالمروحة الرئيسة للمروحيّة، وعلا صوت يصمّ الآذان، تلاه صوتا تصدّع واضحان، حيث تحطّمت المراوح الدوّارة الضخمة. سقطت بينيلوبي على بُعد عشرين مترًا قبل أن ترتطم بالماء. غاصت عميقًا في الماء البارد، ثمّ بدأت في الارتفاع مرّة أخرى ببطء.

ركلت بينيلوبي الماء بساقيها، ورفعت رأسها فوق سطح الماء للحصول على الهواء، ثمّ نظرت حولها، وبدأت تسبح بعيدًا عن الجزيرة متوغّلة في البحر مباشرةً.

57

غادر جونا وسوغا مقرّ شركة «سايلانسيا ديفينس» بعد اجتماعهما القصير مع بونتوس سلمان.

سأل جونا: «هل تعرفين ما كان يتحدّث عنه؟».

«ما حدث في ربيع عام 2009، وجعل الأمر مستحيلًا بشأن التفاوض على تصدير شحنة أسلحة إلى السودان؟».

التقطت سوغا هاتفها قبل أن يخرجا على طريق «نايناس»، واتّصلت بسايمون لورينس، أحد أفراد شرطة الأمن.

قال سايمون: «أتوقّع أنّك تتّصلين بي للخروج معي».

«منطقة شمال الصحراء الأفريقيّة تابعة لك، أليس كذلك؟ ما الذي حدث في السودان في ربيع عام 2009؟».

«ما الذي تشيرين إليه؟».

«لسبب ما، لم تعد السويد قادرة على تصدير الأسلحة إلى السودان بعد ذلك».

«ألا تقرئين الصحف؟»

«نعم»، أجابت بهدوء.

شرح سايمون: «في مارس 2009، أصدرت المحكمة الجنائيّة الدوليّة في لاهاي مذكّرة توقيف بحقّ الرئيس السودانيّ عمر البشير، بتُهم ارتكاب خمس جرائم ضدّ الإنسانيّة: القتل، والإبادة، والنقل القسريّ، والتعذيب، والاغتصاب، وبتُهمتي ارتكاب جرائم حرب: نهب المدنيّين، واستهدافهم».

«فهمت».

قبل إنهاء المكالمة، أعطاها سايمون ملخّصًا قصيرًا عن الصراع في السودان.

سأل جونا: «ما الأمر؟».

أخبرته سوغا بأمر مذكّرة توقيف الرئيس السودانيّ والجرائم ضدّ الإنسانيّة، فقال: «لم يكن لديّ فكرة عن الأمر».

«فرضت الأمم المتّحدة حظرًا على الأسلحة ضدّ الجنجويد والجماعات المسلّحة الأخرى في دارفور في عام 2004».

ازدادت سماء الصيف قتامة.

قال جونا: «أكملي».

«طالما أنكر الرئيس البشير أيّ صلة بينه وبين الميليشيات. لذا، بعد الحظر الذي فرضته الأمم المتّحدة، كان يمكن تصدير الأسلحة فقط بشكل مباشر إلى الحكومة السودانيّة».

«لأنّها ليست على صلة بالميليشيات في دارفور».

«بالضبط. في عام 2005، تمّ التوصّل إلى اتّفاق سلام شامل يُنهي أطول حرب أهليّة في أفريقيا. ومن ثمّ، لم تكن هناك عقبات أساسيّة أمام تصدير الأسلحة السويديّة إلى الجيش السودانيّ، وكان دور كارل بالمكرونا هو تحديد إن كانت عمليّة التصدير مناسبة أم لا من حيث السياسة الأمنيّة».

قال جونا بنبرة قاطعة: «ولكنّ المحكمة الجنائيّة الدوليّة، في نهاية المطاف، توصّلت بوضوح إلى نتيجة مختلفة».

«أجل. رأت صلة مباشرة بين الرئيس والميليشيات المسلّحة، وأصدرت مذكّرة توقيف ضدّه، بتُهم الاغتصاب والتعذيب والإبادة الجماعيّة».

«ماذا حدث منذ ذلك الحين؟».

«أُجريت انتخابات في أبريل، وبقي البشير رئيسًا للسودان، وبالطبع لم يكن لديه نيّة الالتزام بمذكّرة التوقيف، ولكن صار تصدير الأسلحة إلى السودان في وقتنا هذا، أو إبرام صفقة مع البشير وأغاثا الحجي، أمرًا غير مطروح للنقاش».

«مثلما قال سلمان»، قال جونا.

«لهذا السبب أوقفوا الصفقة».

مع هطول أولى قطرات المطر على الزجاج الأماميّ للسيّارة قال جونا: «علينا العثور على پينيلوپي فرنانديز».

قادت سوغا السيّارة في عاصفة ممطرة شديدة، ورؤية ضعيفة للغاية. انهمر المطر بقوّة على سقف السيّارة، وراحت مسّاحتا الزجاج الأماميّ تمسحان الماء بسرعة ذهابًا وإيابًا. رغم الظلام الحالك، كانت السماء تضيء بومضات البرق.

رنّ هاتف جونا. ردّ على پيتر واستمع إليه وهو يشرح بصوت مضطرب أنّ پينيلوپي فرنانديز اتّصلت بالخطّ الساخن للطوارئ منذ عشرين دقيقة.

سأل جونا: «لماذا لم أُخبَر بذلك حتّى الآن؟».

«الشرطة البحريّة في طريقها بالفعل، لكنّني طلبت إرسال مروحيّة من خفر السواحل لإحضارهما بشكل أسرع».

«فعلت خيرًا يا پيتر»، ردّ جونا بينما سوغا تلقي عليه نظرة خاطفة، وكأنّها تسأل عمّا حدث.

«أعلم أنّك تودّ التحدّث مع پينيلوپي ويورن بأسرع وقت ممكن».

«أجل»، قال جونا.

«سأتّصل بك عندما أعرف وضعهما».

«أشكرك».

«لا بدّ من أن يصل زملاؤنا من الشرطة البحريّة إلى 'كيميندو' خلال... انتظر. ثمّة خطب ما... هل يمكنك الانتظار لثانية؟».

سمع جونا بيتر وهو يتحدّث إلى شخص ما، ويتصاعد غضبه أكثر فأكثر، ويصيح في النهاية: «استمرّ في المحاولة!».

التقط بيتر الهاتف مجدّدًا، قائلًا بصرامة: «عليّ الذهاب الآن».

«ماذا حدث؟».

دوّى الرعد عنيفًا في السماء، ثمّ تبدّد صداه ببطء.

قال بيتر: «لا يمكننا الاتّصال بزملائنا على القارب، فهم لا يجيبون على الهاتف. اللعنة! ربما رصد لانس إحدى الموجات التي يريد تجربتها».

قال جونا بصوت مرتفع: «بيتر! استمع إليّ، عليك التصرّف بسرعة بالغة. أعتقد أنّ القارب قد اختُطِف، وأنّ...».

«لا يا رجل...».

«اصمت، واستمع إليّ. أغلب الظنّ، قُتِل زملاؤنا من الشرطة البحريّة. لديك فقط بضع دقائق لتكوين فريق للسيطرة على العمليّة. اتّصل بمركز الاتّصالات القوميّ، ثمّ اتّصل ببينغت أولوفسون، وحاول الحصول على دوريّتين من وحدة الاستجابة الوطنيّة، واطلب دعمًا بالمروحيّات من أقرب قاعدة بحريّة».

58

اجتاحت عاصفةٌ ماطرة ستوكهولم. راح الرعد يدوّي، والبرق يومض في السماء، والماء ينهمر بغزارة. طرق بقوّة على نوافذ شقّة كارل بالمكرونا الكبيرة، حيث تومي كوفود وناثان پولوك يستأنفان ما تبقّى من تفتيشهما الجنائيّ.

رغم أنّه منتصف اليوم، إلّا أنّ الظلام كان حالكًا، فاضطرّا إلى إشعال

الأضواء. في إحدى الخزانات المرتفعة، تحت صفٍّ من البدلات الرماديّة والزرقاء والسوداء، وجد پولوك مجلّدًا أزرق اللون.

نادى: «تومي!». فجاء كوفود منحني الظهر متجهّمًا.

نقر پولوك بإحدى أصابعه على المجلّد، وقال: «أعتقد أنّني وجدت شيئًا».

ثمّ فتح المجلّد بحرص، بينما همس كوفود: «استمرّ».

أزال پولوك صفحة الغلاف التي كان مكتوبًا عليها «الشهادة والوصيّة الأخيرة لكارل پالمكرونا».

قرأ الاثنان بصمت. صُدِّر المستند بتاريخ 1 مارس منذ ثلاث سنوات، وترك پالمكرونا بموجبه أملاكه كافّة لشخص واحد، اسمه ستيفان برغكڤيست.

سأل كوفود فور انتهائهما من القراءة: «اللعنة! من يكون ستيفان برغكڤيست هذا؟ لم يكن لدى پالمكرونا أيّ أسرة أو أصدقاء، على حدّ علمي... لم يكن لديه أحد».

«يعيش ستيفان برغكڤيست في منطقة 'ڤيستيروس'... أو كان يعيش فيها وقت توقيع هذا المستند، على أيّ حال. المنزل رقم 11، شارع 'ريكيل' منطقة 'ڤيستيروس' و...».

توقّف پولوك عن الحديث، وبحث في الأوراق.

قال: «إنّه طفل. وفقًا لرقم هويّته، يبلغ من العمر ستّة عشر عامًا فقط».

حُرِّرت الوصيّة لدى مكتب محامي پالمكرونا الذي يُدعى «ڤيزيلغرين آند صانز». تصفّح پولوك الملحق الذي يُدرِج ممتلكات پالمكرونا كافّة: ثمّة أربعة صناديق تقاعد، وبعض الأراضي في الغابات، ومزرعة في «سودرمانلاند» مؤجّرة بعقد طويل الأمد، وشقّة رهن عقاريّ في شارع «غريڤ». ويبدو أنّ أثمن أملاكه هو حساب في بنك «ستاندرد تشارترد» في جيرسي، يقدّر رصيده بمبلغ تسعة ملايين يورو.

قال پولوك: «يبدو أنّ ستيفان هذا قد ورث ثروة».

«أجل».

«ولكن لماذا؟».

رفع كوفود كتفيه، ثمّ قال: «بعض الناس يتركون كلّ ما لديهم لكلابهم أو مدرّبيهم الشخصيّين».

«سأتصل به».

«الولد؟».

«هل لدينا شيء آخر نفعله؟».

أخرج پولوك هاتفه، واتّصل برقم، ثمّ طلب أن يُوصل بهاتف المدعو ستيفان برغكڤيست القاطن في المنزل رقم 11، شارع «ريكيل»، بمنطقة «ڤيستيروس». قيل له إنّ في هذا عنوان سيّدة تُدعى سيڤ برغكڤيست، لعلّها والدته. نظر پولوك إلى الأمطار الغزيرة في الخارج والمزاريب التي تتدفّق منها المياه.

أجابت سيّدة بصوت ضعيف: «سيڤ برغكڤيست».

«أنا المحقّق ناثان پولوك... هل أنت والدة ستيفان برغكڤيست؟».

«أجل»، قالت هامسةً.

«هل يمكنني التحدّث إليه؟».

«ماذا؟».

«لا داعي للانزعاج. أودّ فقط أن أسأل...».

فقاطعته قبل أن تنهي المكالمة قائلة: «اذهب إلى الجحيم!».

اتّصل پولوك بالرقم نفسه مرّة أخرى، ولكنّه لم يتلقّ إجابة.

نظر إلى الشارع المبتلّ، ثمّ اتّصل مجدّدًا فأجابه رجل بحذر: «ميكي».

«أدعى ناثان پولوك، وأريد...».

«تبًا لك! ماذا تريد؟».

تمكّن پولوك من سماع صوت سيّدة تبكي بجوار الرجل. قالت له شيئًا، فردّ عليها بأنّه يستطيع التعامل مع الأمر.

قالت: «لا. أنا سأفعل...».

مُرِّر الهاتف، وسمع ناثان وقع خطوات تبتعد.
تحدّثت السيّدة بهدوء: «مرحبًا!».
«أنا حقًّا بحاجة إلى...».
«مات ستيفان. لماذا تفعلون ذلك؟ لماذا تتّصل وتقول لي إنّك تريد أن تحدّثه؟ لا يمكنني تحمّل ذلك...».
أخذت تنتحب على الهاتف، ثمّ سقط شيء على الأرض مُحدثًا قعقعة.
قال پولوك: «أنا آسف. لم أعرف. أنا...».
قالت باكية: «لا أستطيع تحمّل ذلك. لا يمكنني تحمّله بعد الآن...».
سمع پولوك مجدّدًا وقع أقدام، ثمّ عاد صوت الرجل: «هذا أكثر ممّا ينبغي».
قال پولوك بسرعة: «انتظر. هل يمكنك أن تخبرني ماذا حدث؟ الأمر مهمّ...».
تابع كوفود المحادثة، وشاهد وجه پولوك يشحب وهو يضرب بيده على شعره الفضّيّ المربوط على شكل ذيل الحصان.

59

في جوّ مضطرب، احتشد عدد كبير من الضبّاط في ردهات مقرّ الشرطة في انتظار إصدار تقارير جديدة بفارغ الصبر. الجوّ متوتّر. بداية، انقطع الاتّصال بين مركز التنسيق وقارب الشرطة، ثمّ مع مروحيّة الإنقاذ.
جلس جونا في مكتبه يقرأ بطاقة بريديّة أرسلتها له ديسا من مؤتمر تحضره في «غوتلاند»، كتبت فيها: «أعيد إرسال رسالة غراميّة من معجبتك السرّيّة. أعانقك. ديسا». افترض أنّها أمضت كثيرًا من الوقت في البحث عن بطاقة تجعله يختلج. تمالك نفسه ثمّ قلبها على الوجه الآخر، ليجد عبارة «جنس على الشاطئ» مطبوعة أعلى صورة بظهر البطاقة، يجلس فيها كلب أبيض من نوع «البودل» على كرسيّ سباحة، وهو يرتدي نظّارة الشمس، وبيكيني أبيض اللون، وبجانبه كأس طويلة فيها شراب أحمر.

قُرِع الباب. اختفت ابتسامة جونا حين رأى تعبيرات وجه پولوك الكئيبة.
قال پولوك: «ترك پالمكرونا كلّ ما يملكه لابنه».
«لم أكن أعرف أنّ لديه أسرة».
«مات الابن وهو في السادسة عشرة من العمر. مات في حادث أمس».
«أمس؟!».
«لحق ستيفان برغكڤيست بوالده كارل پالمكرونا بعد ثلاثة أيّام من وفاته».
«ماذا حدث؟».
«لم أفهم تمامًا. ثمّة شيء ما يتعلّق بدرّاجته الناريّة. لقد طلبت نسخة من التقرير المبدئيّ...».
«ما الذي تعرفه؟».
جلس پولوك على كرسيّ المكتب، ثمّ قال: «تحدّثت إلى والدته سيڤ برغكڤيست وشريك حياتها مايك يوهانسون... سيڤ كانت تعمل سكرتيرة لپالمكرونا في 'قاعدة السرب الرابع البحريّة' على ما يبدو. ارتبطا بعلاقة قصيرة، ولكنّها حملت منه. عندما أخبَرته، قال لها إنّه يتوقّع أن تجهض نفسها، فعادت إلى 'ڤيستيروس' حيث أنجبت طفلًا، وأنكرت منذ ذلك الحين معرفتها بهويّة والده».
«هل علم ستيفان أنّ كارل پالمكرونا والده؟».
هزّ ناثان رأسه نافيًا، وقال: «أخبرته والدته أنّ والده قد مات قبل ولادته».
طُرق على الباب. دخلت آنيا ووضعت على مكتب جونا تقريرًا ما زال يحمل حرارة الطابعة. قالت من دون أيّ تفاصيل قبل مغادرتها للغرفة: «حادث».
التقط جونا الملفّ البلاستيكيّ، وبدأ يقرأ التقرير المبدئيّ الذي أعدّه الطبيب الشرعيّ: «ونظرًا لانتشار النار بسرعة البرق، لم يكن سبب الوفاة التسمّم بغاز ثاني أكسيد الكربون. أُحرق الصبيّ حتّى الموت. وأفاد اختصاصيّ الطبّ الشرعيّ بوجود ورم دمويّ بسبب الحروق، وجلطات دمويّة بين الجمجمة وأنسجة المخّ عندما بدأت دماؤه في الغليان».

قال جونا بتذمّر: «شيء بشع!».

أعيق التحقيقُ في حادث الحريق لأنّه لم يتبقّ شيء تقريبًا من الكوخ الذي عُثِر فيه على رفات ستيفان. لم يكن هناك سوى كومة من الرماد المشتعل، والمعدن الملتوي، وبقايا الجثّة المشوّهة في وضع ملتوٍ خلف الباب. استندت نظريّة عمل الشرطة إلى شهادة شخص واحد، هو مهندس القطار الذي اتّصل بإدارة الإطفاء، وقال إنّه رأى درّاجة ناريّة مشتعلة مثبتة على الأرض مثل الوتد مقابل باب الكوخ. ترجّح الدلائل كافّة أنّ ستيفان برغكفيست، ذا الستة عشر ربيعًا، كان داخل الكوخ عندما انقلبت درّاجته الناريّة بطريقة سدّت الباب. لم يُغلَق غطاء خزّان الوقود بإحكام، فتدفّق منه. ولم يتّضح بعد سبب إشعال النار في الوقود، ولكن ربّما كانت هناك سيجارة مشتعلة في المكان.

قال يولوك ببطء: «مات بالمكرونا، وترك ثروته بالكامل لابنه الذي لقي حتفه بعده بثلاثة أيّام».

«هل ستنتقل الثروة في هذه الحالة إلى والدته؟».

«أجل».

سمعا خطوات بطيئة متثاقلة في الردهة، قبل أن يدخل كوفود المكتب.

قال كوفود: «فُتِحت خزانة بالمكرونا، ولم يكن فيها شيء سوى هذا».

كان يحمل دفترًا جميلًا مغلّفًا بالجلد، فسأل جونا: «ما هذا؟».

«قصّة حياته. إنّه أمر شائع بين ذويه من هذه الطبقة».

«تقصد يوميّات؟».

رفع كوفود كتفيه وأنزلهما، قائلًا: «إنّها أقرب إلى مذكّرات بسيطة لم تُكتَب بغرض النشر، بل من المفترض أن تُضاف إلى تاريخ العائلة العريق المشترك بين أفرادها. تبدأ المذكّرات بشجرة العائلة، ومهنة والده، ثمّ تنتقل إلى سردٍ مملٍ عن دراسته وامتحاناته وخدمته العسكريّة وحياته المهنيّة... واستعراض عدد من الاستثمارات غير الناجحة له، وتدهور

تمويلاته الشخصيّة بسرعة، ما اضطرّه إلى بيع أراضٍ وممتلكات؛ كلّ ذلك مدوّن بشكل جافّ للغاية».

«ماذا عن ابنه؟».

أجاب كوفود وهو يأخذ نفسًا عميقًا: «ذُكِرت علاقته بسيف برغكڤيست فقط باختصار على أنّها خطأ، ولكن ما لبث أن بدأ يذكر ستيفان بالاسم، وكانت كلّ كتاباته في السنوات الثماني الماضية عن ابنه. ظلّ يتابع حياته عن بُعد، ويعرف أيّ مدرسة التحق بها، وما اهتماماته، ومع من يتواصل. كما أنّه ذكر عدّة مرّات أنّ مسار إرثه سيُصحَّح. يبدو أنّه كان يدّخر أمواله كافّة لابنه. في النهاية، كتب ببساطة أنّه يفكّر في زيارة ابنه عندما يصل إلى سنّ الثامنة عشرة، وأنّه يتمنّى أن يسامحه ستيفان، وأن يتعارفا بعد كلّ هذه السنوات. والآن، وعلى حين غرّة، مات الاثنان».

علّق پولوك بتذمّر: «يا له من كابوس!».

نظر إليه جونا، وسأل: «ماذا قلت؟».

أجاب پولوك: «كنت أفكّر للتوّ في أنّه كابوس. لقد فعل كلّ ما في وسعه من أجل مستقبل ابنه، ليتحوّل الأمر إلى أن يعيش ابنه بعد وفاته لثلاثة أيّام فقط، من دون معرفة من يكون والده».

60

كانت بيڤرلي مستلقية على السرير حين دخل أكسيل. نام لساعتين فقط الليلة الماضية، وهو يشعر بدوار نتيجة الإرهاق.

سألته بصوت واضح: «كم من الوقت تستغرق القيادة إلى 'إيڤرت' من هنا؟».

«تقصدين الذهاب إلى والدك؟ ربّما ستّ ساعات».

نهضت من السرير، وبدأت تسير في اتّجاه الباب، فسألها: «ماذا تفعلين؟».

استدارت، وقالت له: «اعتقدت أنّه ربّما ينتظرني في السيّارة».
«أنت تعرفين أنّه ليس قادمًا إلى ستوكهولم».
«سألقي نظرة من النافذة تحسّبًا للأمر».
«يمكننا الاتّصال به. هل تريدين ذلك؟».
«لقد حاولت بالفعل».
مدّ يده وربّت على إحدى وجنتيها بلطف، فعادت وجلست على السرير.
سألته: «هل تشعر بالتعب؟».
«أشعر بأنّني مريض. أنا متعب للغاية».
قالت بصوت خفيض: «أعتقد أنّ والدي سيرغب في التحدّث معي غدًا».
هزّ رأسه، وقال: «أنا متأكّد من أنّ الأمور ستكون على ما يرام غدًا».
عيناها الواسعتان اللامعتان جعلتاها تبدو أصغر سنًّا من ذي قبل.
قالت: «استلقِ إذن. استلقِ يا أكسيل حتّى تأخذ قسطًا من النوم».
نظر إليها بضجر، وشاهدها وهي تستلقي بعناية على جانبها من السرير، ورائحة قميص نومها كرائحة القطن المغسول للتوّ. عندما رقد إلى جوارها، شعر برغبة في البكاء. أراد إخبارها أنّه يفكّر في العثور على طبيب نفسيّ ليساعدها في التغلّب على هذه المرحلة، وأنّ الوضع سيتحسّن. دومًا يتحسّن.

***

في صباح اليوم التالي، استيقظ أكسيل مبكرًا. نام لأربع ساعات، وهو يشعر بالألم في عضلاته. وقف عند النافذة، ونظر إلى الزهور الداكنة لشجيرات الليلك.
عندما وصل إلى مكتبه الجديد، كان لا يزال يشعر بالتعب والخمول. وقف أمس على بُعد لحظات من توقيع اسمه على عقد أعدّه رجل ميّت.

كان سيضع سُمعته الخاصّة في يد بالمكرونا، ويثق في حكمه، ويتجاهل بصيرته.

شعر بكثير من الارتياح حيال قرار الانتظار، ولكنّه لم يكفّ عن التفكير في أنّ رسم وجه مبتسم على العقد كان عملًا أخرق قليلًا.

يعرف أنّه في لحظة محدّدة خلال الأيّام القليلة المقبلة سيصرّح بتصدير الذخيرة إلى كينيا. فتح الملفّ، وبدأ يقرأ عن تجارة الأسلحة السويديّة في المنطقة.

بعد ساعة، فُتح باب غرفة مكتبه، ودخل يورغن غرنليخت الذي جرّ كرسيًّا إلى جوار المكتب وجلس عليه، وأخذ العقد وتصفّحه حتّى وصل إلى صفحة التوقيع، ثمّ نظر إلى أكسيل مباشرةً.

قال له أكسيل: «مرحبًا!».

لم يكف يورغن عن التبسّم، حيث إنّ شخصيّة الولد بشعرها الفوضويّ تشبه أكسيل، كما أنّ فقّاعة الكلام مكتوب فيها «مرحبًا!».

قال يورغن أخيرًا: «مرحبًا!».

شرح أكسيل: «كان الوقت مبكرًا».

«أقدّر استجابتك، ولم أقصد أن أضعك تحت ضغط، رغم أنّ الأمر مستعجل. وزير التجارة يلاحقني مجدّدًا، وشركة 'سايلانسيا ديفينس' تتّصل عدّة مرّات في اليوم، ولكنّني أتفهّم أنّك تعرف ذلك، وأنّ التحاقك بالمكان كان حديثًا تمامًا، و... أنّك تريد تحرّي الدقّة ذلك جيّد بالطبع، ولكن -كما تعرف- إذا لم تكن متأكّدًا، يمكنك دائمًا ترك القرار للحكومة".

«أنا متأكّد. ولكنّي غير مستعدّ، لا أكثر».

«الأمر فقط... من وجهة نظرهم، استغرق قدرًا غير معقول من الوقت».

«أنا أنحّي كلّ شيء جانبًا، ويمكنني القول إنّ كلّ شيء يبدو جيّدًا حتّى الآن. لم أطلب منكم ألّا تحمّلوا الشحنة، ولكنّني لست مستعدًّا للتوقيع عليها بعد».

«سأخبر الأطراف الأخرى بأنّك تنظر بإيجابيّة لإبرام الصفقة».

«بالوسائل كافّة... ما دمت لن أجد أيّ شيء غير سليم».

«لن تجد. لقد تفقّدت المستندات كافّة بنفسي».

«حسنًا إذن»، قال أكسيل بلطف.

قال يورغن وهو ينهض عن الكرسي: «لن أزعجك أكثر من ذلك. متى تعتقد أنّك ستنتهي من تقييمك؟».

ألقى أكسيل على المستند نظرة خاطفة مرّة أخرى، ثمّ قال: «بعد يومين. قد اضطرّ إلى طلب بعض المعلومات بنفسي من كينيا».

قال يورغن مبتسمًا وهو يغادر الغرفة: «بالطبع».

61

ترك أكسيل دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة في الساعة العاشرة ليكمل عمله في المنزل. أخذ معه المستندات الخاصّة بتصريح التصدير. أشعره الإرهاق بالبرد والجوع، فقاد السيّارة إلى «غراند هوتيل»، واشترى وجبة لفردين. حمل معه الطعام إلى المطبخ، حيث كانت بيڤرلي تجلس وتتصفّح مجلّة «إميليا: العرائس وحفلات الزفاف».

سألها: «هل أنت جائعة؟».

«لا أعرف إن كنت أودّ ارتداء اللون الأبيض في الزفاف، ربّما الوردي الفاتح».

همس قائلًا: «أحبّ اللون الأبيض».

أعدّ أكسيل صينيّة الطعام، ثمّ صعدا إلى أعلى، حيث جلسا بالقرب من النافذة. بينهما طاولة مثمّنة الزوايا تعود إلى القرن الثامن عشر، عليها زخارف بستانيّة.

وضع طقم الخزف العائليّ الذي يزيّنه شعار النبلاء باللون الفضّيّ، وصبّ مشروب الكولا في كوبها، والمياه الفوّارة مع شريحة ليمون في كوبه.

كانت رقبتها نحيفة، وذقنها رفيعًا جميلًا. ولأنّ شعرها كان قصيرًا

للغاية، برز المنحنى اللطيف لجمجمتها من الخلف بأكمله. شربت كوبها عن آخره ثمّ نظرت إلى أكسيل.

قالت: «حدّثني عن الموسيقى مرّة أخرى».

سألها وهو يشير بجهاز التحكم بالستيريو عن بُعد: «أين توقّفنا؟».

بدأت سمّاعات الستيريو تبثّ عزف ألكسندر مالتر المتميّز على البيانو لمقطوعة «ألينا» للمؤلّف الموسيقيّ آرڤو بارت. نظر أكسيل إلى كوبه، حيث كانت الفقّاعات ترتفع في الماء، وتمنّى بشدّة لو يستطيع تناول الكحول مجدّدًا. تمنّى أن يأخذ كأس شمبانيا المناسب مع الهليون، ثمّ بعض الأقراص المنوّمة مثل «بروبوڤان» و«ستيسوليد»، قبل أن يذهب إلى السرير.

صبّ مزيدًا من الكولا في كوبها. نظرت إليه وشكرته في صمت. بادلها النظر مباشرةً إلى عينيها الواسعتين السوداوين، ولم يلاحظ أنّ كوبها قد فاض بالكولا التي انسكبت على الطاولة.

نهض أكسيل، ورأى انعكاس بيڤرلي على زجاج النافذة، فأدرك فجأة أنّها تشبه غريتّا إلى حدّ كبير.

غريب أنّه لم يلاحظ ذلك من قبل. رغم شعوره بأنّه يريد الهرب، فإنّه دفع نفسه لجلب منشفة، ثمّ هدأت ضربات قلبه مرّة أخرى. توقّف ومسح فمه بيده المرتعشة.

يفكّر أكسيل في غريتّا يوميًّا، مع أنّه يحاول كلّ يوم ألّا يفعل.

ما زالت أحداث أسبوع نهائيّات مسابقة الموسيقى تطارده.

رغم أنّها حدثت قبل أربعة وثلاثين عامًا، إلّا أنّها جعلت كلّ شيء في حياته مظلمًا. كان يافعًا جدًّا، فقط في سنّ السابعة عشرة، ولكنّه شعر أنّه ميّت جدًّا في ذلك اليوم.

62

كانت «مسابقة جون فريدريك بيروالد»، بلا شكّ، أكثر المنافسات المرموقة

لصغار عازفي الكمان في شمال أوروبا. لقد أسهمت في إيصال عدّة موهوبين من المشاهير، على مستوى العالم، إلى مكانة بارزة، ووضعتهم مباشرةً في دائرة الضوء. تلك الدورة، وصل إلى النهائيّات فقط ثلاثة عازفين منفردين. خلال الجولات الستّ السابقة، أدّى عدد أقلّ فأقلّ من الموسيقيّين الصغار أمام لجنة تحكيم مغلقة، ولكنّ الجولة النهائية ستُقام في اليوم التالي أمام جمهور كبير في «قاعة ستوكهولم للاحتفالات»، وسيتمّ بثّها مباشرةً على التلفاز.

في الدوائر الموسيقيّة، يُعدّ من المثير للانتباه أن يكون اثنان من الذين وصلوا إلى النهائيّات، وهما أكسيل ريسين وغريتّا ستيرنلود، طالبين في «الكلّيّة الملكيّة للموسيقى» في ستوكهولم. المتسابق الثالث هو شيرو سازاكي، من اليابان.

بالنسبة لأمّه، أليس ريسين، التي يُنظَر إليها بصفتها موسيقيّة محترفة لم يسبق لها مثيل، كان نجاح أكسيل يُعدّ انتصارًا عظيمًا، لا سيّما وأنّها تلقّت عددًا من التحذيرات من مدير المدرسة بأنّ ابنها لا يحضر محاضرات، ولا يركّز في دراسته، وغير مبالٍ.

بعد وصولهما إلى الجولة الثالثة، أُعفِي أكسيل وغريتّا من صفوفهما حتّى يكرّسا كلّ وقتهما للمنافسة. وهكذا، منحتهما المنافسة فرصة التعارف، وبات كلّ منهما يستمتع بنجاح الآخر. قبل الجولة النهائيّة، كانا يلتقيان في منزل أكسيل حتّى يقدّم كلّ منهما الدعم للآخر. في الجزء الأخير من المسابقة، سيعزف كلّ عازف كمان مقطوعة يختارها بالتشاور مع معلّمه.

كان أكسيل يشارك شقيقه الأصغر روبرت سبع غرف في الطابق الأعلى من منزل كبير في «لاركستادين». لم يكن في الحقيقة يتدرّب، بل كان يحبّ عزف مقطوعات جديدة، وتجريب أصوات لم يسمعها من قبل، وأحيانًا يظلّ مستيقظًا لوقت متأخّر من الليل وهو يعزف الكمان، حتّى تؤلمه أطراف أصابعه.

تبقّى يوم واحد على المسابقة. غدًا سيتنافس أكسيل وغريتّا في قاعة الاحتفالات في الجولة النهائيّة. راح أكسيل يتفقّد أغلفة الألبومات المنتشرة على الأرض أمام مشغّل الأسطوانات، بما في ذلك ثلاثة تسجيلات لـديڤيد بوي: «سبيس أوديتي» و«آلادين سين» و«هانكي دوري».

طرقت أمّه الباب، ثمّ دخلت وهي تحمل زجاجة من الكولا وكوبين فيهما مكعّبات الثلج وشريحتا ليمون. شكرها أكسيل، وهو مندهش، ووضع الصينيّة على الطاولة.

نظرت حولها في الغرفة، وقالت: «ظننت أنّكما تتدرّبان».

«أرادت غريتّا العودة إلى المنزل لتناول الطعام».

«حسنًا، ولكن يمكنك مواصلة التدريب في هذه الأثناء، أليس كذلك؟».

«سأنتظرها».

قالت أليس وهي تجلس إلى جوار ابنها: «تعرف أنّ الجولة النهائيّة غدًا. أنا أمارس العزف على الأقلّ لثماني ساعات في اليوم الآن، وأحيانًا أعزف لعشر ساعات».

قال أكسيل مازحًا: «أنا لا أستيقظ لعشر ساعات في اليوم حتّى».

«أنت موهوب يا أكسيل».

«كيف عرفتِ؟».

«أنا أعرف ذلك فقط... ولكنّه غير كافٍ، غير كافٍ لأيّ أحد».

كذب عليها، قائلًا: «أنا أتدرّب كالمجنون يا أمّي».

«اعزف لي».

فقال بشكل قاطع: «لا».

قالت أليس متمالكةً أعصابها: «أقدّر أنّك لا تريد أن تكون والدتك هي معلّمتك، ولكن دعني أساعدك، لا سيّما في أمر مهمّ للغاية مثل هذا. كانت آخر مرّة سمعتك تعزف فيها منذ عامين، في حفلة رأس السنة، ولم يتمكّن أحد من معرفة المقطوعة التي تعزفها».

«كانت 'كراكد أكتور' لديڤيد بوي».

اقتربت منه وربّتت عليه بيدها قائلة: «لقد كان عزفك غير ناضج... ولكنّه كان مدهشًا بالنسبة لعازف في الخامسة عشرة من عمره، ولكن، غدًا...».

ابتعد أكسيل عن يد والدته، وقال لها: «كُفّي عن التذمّر».

«هل يمكنني على الأقلّ معرفة المقطوعة التي اخترتَ أن تعزفها؟».

فأجاب بابتسامة عريضة: «مقطوعة كلاسيكيّة».

«حمدًا لله على هذا».

هزّ أكسيل كتفيه، وتجنّب النظر إلى والدته. عندما رنّ جرس الباب، أسرع بالخروج من الغرفة، وهبط الدرج.

بدأ الظلام يحلّ، ولكنّ هطول الثلج كان يعكس نورًا غير مباشر. لذا لم يكن الجوّ معتمًا خارج المنزل بصورة كبيرة. وقفت غريتّا عند الدرج مرتدية قبّعة ومعطفًا سميكًا وشالًا مخطّطًا حول رقبتها. لمعت وجنتاها من البرد، وغطّت رقائق الثلج شعرها المتناثر على كتفيها. وضعت كمانها على خزانة الملابس في المدخل، وبعناية علّقت معطفها وقبّعتها، وخلعت جزمتها، وأخرجت من حقيبتها حذاء منزليًا.

نزلت أليس إلى الطابق السفليّ لترحّب بغريتّا. بدت والدة أليكس متحمّسة جدًّا، وتتوهّج وجنتاها سعادةً. وقالت للشابّة: «من الجيّد أنّ كلاكما يساعد الآخر. لا بدّ من أن تكوني صارمة مع أكسيل وإلّا لن يُعير الأمر اهتمامًا».

ضحكت غريتّا قائلة: «لاحظتُ ذلك».

كانت غريتّا ستيرنلود ابنة رجل أعمال في قطاع الصناعة. وقد نشأت مع والدها بعد أن انفصل والداها وهي صغيرة جدًّا، ولم ترَ والدتها منذ ذلك الحين. في وقت مبكر- ربما قبل مولدها- قرّر والدها أنّها ستصير عازفة كمان.

عندما صعدا إلى غرفة الموسيقى الخاصّة بأكسيل، ذهبت غريتّا إلى البيانو الكبير. كان شعرها اللامع المتماوج الخصلات ينسدل على كتفيها، وكانت ترتدي بلوزة بيضاء تحت السترة الداكنة الزرقة، وكولونًا مخطّطًا تحت تنّورة مقلّمة بالطول والعرض.

أخرجت آلة الكمان، ووضعت مسند الذقن، ثمّ نظّفت الأوتار بقطعة من القماش القطنيّ، وضبطت القوس، ووضعت النوتة الموسيقيّة على الحامل، وتحقّقت من أنّ آلتها مضبوطة، وبدأت تتدرّب.

عزفت بالطريقة التي اعتادت عليها دائمًا وعيناها نصف مغلقتين، مركّزة على نفسها. ألقت رموشها الطويلة ظلالًا مرتعشة على وجنتيها المتوهّجتَيْن. يعرف أكسيل المقطوعة التي تعزفها عن ظهر قلب: الجزء الأوّل من الوتريّة الرباعيّة لبيتهوڤن (الوتر A، النغمة المنخفضة). استمع إليها مبتسمًا وهو يفكّر في أنّ لديها حسًّا موسيقيًّا. كان الصدق في أدائها يغمره بالاحترام تجاه عزفها.

قال لها عندما انتهت من العزف: «رائع».

بدّلت النوتة، وأخذت تنفخ في أصابعها المتقرّحة.

قالت: «لا يمكنني اتّخاذ القرار بعد. قال أبي إنّني لا بدّ من أن أعزف 'سوناتا الكمان' لتارتيني (الوتر G، النغمة المنخفضة)».

التزمت الصمت، وتفقّدت النوتة الموسيقيّة بعينيها، وراحت تحصي النوتات الأقصر، وتحفظ النغمات المعقّدة.

قالت: «لكنّني لست متأكّدة. أنا...».

«هل يمكنني سماعها؟».

ردّت ووجهها يحمرّ خجلًا: «عزفي فظيع».

راحت تعزف ووجهها متوتّر. كانت الموسيقى جميلة وحزينة، ولكن في النهاية فقدت غريتّا سيطرتها على سرعة الإيقاع، في حين أنّه كان من المفترض أن تنطلق النغمات المرتفعة تصاعديًّا مثل ألسنة اللهب.

همست وهي تضع الكمان تحت ذراعها: «اللعنة. عزفت ببطء. كنت أتدرّب مثل الطاحونة، ولكنّني أحتاج إلى عزف 'الدوبل كروش' بشكل صحيح».

«لكنّني أحببت الاهتزاز في النغمات، كما لو كنتِ تلوين مرآة كبيرة إلى أعلى نحو...».

فقاطعته وهي تشعر بالخجل أكثر من ذي قبل: «لقد عزفتُ بشكل خاطئ... أعتذر. أعرف أنّك تحاول مجاملتي، ولكن عليّ أن أعزفها عزفًا صحيحًا. من السخف أن أجلس هنا عشيّة المسابقة وأنا لا أعرف حتّى ما الذي سأعزفه».

«لكنّك تعرفين الاثنين، لذا...».

«لا. غير صحيح. سيكون عزف مقطوعة تارتيني مجازفة، ولكن أمهلني ساعتين أو ثلاث ساعات، وقد أجازف وأجرب حظّي معها».

«لا يمكنك فعل شيء لمجرّد أنّ والدك يعتقد...».

قاطعته: «لكنّه محقّ».

قال أكسيل وهو يلفّ سيجارة حشيش ببطء: «لا. ليس محقًّا».

«أعرف المقطوعة السهلة، ولكن قد لا يكون ذلك كافيًا. الأمر يعتمد على ما تختاره أنت وشيرو».

«لا يمكنك التفكير هكذا».

«كيف لي أن أفكر إذن؟ لم أرك تتدرّب ولو لمرّة واحدة. ما الذي ستعزفه؟ هل قرّرت ذلك حتّى؟».

أجاب: «رافيل».

سألت وهي تضحك: «رافيل؟! من دون أن تتدرّب! هل أنت جادّ؟!».

«سأعزف له مقطوعة 'تزيغان' بالتحديد».

«معذرة، أكسيل. هذا اختيار مجنون، وأنتَ تعرف ذلك. إنّها معقّدة، وسريعة، وفيها كثير من التحدّيات، و...».

«أريد أن أعزفها مثل بيرلمان، ولكن ببطء، لأنّها فعليًا ليست سريعة».

قالت وهي تبتسم: «إنّها سريعة للغاية يا أكسيل!».

«سريعة بالنسبة للأرنب... ولكن بطيئة بالنسبة للذئب».

نظرت إليه بضجر متسائلة: «أين قرأتَ ذلك؟».

«من المفترض أنّ باغانيني قال ذلك».

قالت وهي تضع آلة الكمان على كتفها: «حسنًا! عليَّ أن أقلق فقط بشأن شيرو. أنت لا تتدرّب يا أكسيل؛ لا يمكنك عزف 'تزيغان' لرافيل».

ردّ وهو يشعل السيجارة: «إنّها ليست صعبة مثلما يقول الجميع».
قالت وهي تبتسم: «بلى»، وعاودت العزف.
ثمّ توقّفت بعد فترة وجيزة، ونظرت إليه نظرة صارمة.
قالت: «هل ستعزف مقطوعة راڤيل؟».
«أجل».
سألته وقد تحوّلت إلى الجدّية: «هل كنتَ تكذب عليّ؟ هل مكثت أربع سنوات تتدرّب على هذه المقطوعة أم ماذا؟».
«لقد قرّرت للتوّ، عندما سألتني».
قالت وهي تضحك: «كيف لك أن تكون أحمق إلى هذه الدرجة؟».
قال أكسيل وهو يستلقي على الأريكة: «لا أهتمّ إذا كان ترتيبي الأخير».
«أنا أهتمّ».
«أعرف ذلك، ولكن ستأتي فرص أخرى».
«ليست لي».
عاودت غريتّا عزف مقطوعة تارتيني الصعبة مرّة أخرى. بدا عزفها أفضل هذه المرّة، إلّا أنّها ما زالت مضطربة. فعزفت الجزء المعقّد ثانيةً، ثمّ أعادت عزفه مرّة أخرى.
صفّق أكسيل بيديه، ووضع أسطوانة ديڤيد بوي على مشغّل الأسطوانات: «صعود وهبوط زيغي ستاردست وعناكب من المرّيخ»، ثمّ رفع الإبرة عن الأسطوانة. عاد ليستلقي، وأغلق عينيه وبدأ يغنّي بمفرده. بتردّد وضعت غريتّا كمانها من يدها، ثمّ ذهب إليه وأخذت السيجارة من يده. أخذت بضعة أنفاس، ثمّ سعلت وأعادتها إليه.
سألته: «كيف يمكن لأحد ما أن يكون أحمق مثلك؟».
انحنت، وحاولت أن تقبّله ولكنها مالت أكثر وقبّلت رقبته بدلًا من ذلك. همست له بالاعتذار وقبّلته مرّة أخرى. تابعا تبادل القبلات، بتردّد واحتراس. خلع سترتها عنها، فطقطق شعرها بفعل الكهرباء الستاتيكية. حين لمس خدّها تلقّى صدمة، فسحب يده بسرعة. ابتسما بتوتّر وتبادلا

القبل مجدّدًا. فكّ أزرار بلوزتها البيضاء المكويّة بعناية وتحسّس صدرها الصغير. كان شعرها الطويل المتماوج يفوح برائحة الثلج والشتاء، لكنّ جسدها كان دافئًا مثل الخبز الطازج.

ذهبا إلى غرفة النوم وغرقا في سرير أكسيل. بيدين مرتعشتين فكّت أزرار تنّورتها ثم أمسكت سروالها الداخليّ بينما هو يسحب كولونها.

همس لها: «ما الأمر؟ أتريدين أن نكفّ عمّا نفعله؟».

«لا أعرف. هل تريد أن تكفّ عن ذلك؟».

فابتسم وقال: «لا».

«أنا مضطربة فقط».

«لكنّك أكبر منّي سنًّا».

قالت وهي تبتسم: «صحيح. ما زلتَ في السابعة عشرة من عمرك فقط. هذا غير مناسب تقريبًا».

خفق قلب أكسيل بقوّة وهو يسحب سروالها الداخلي. استلقت من دون حراك بينما هو يقبّل بطنها، صدرها الصغير، رقبتها، ذقنها، شفتيها. باعدت ساقيها بحذر. استلقى فوقها، وشعر بها تضغط فخذيها على ردفيه. تورّدت وجنتاها حين انزلق داخلها. رفعته إليها، داعبت رقبته وظهره، وتنهّدت بهدوء مع كلّ اندفاعة له داخلها.

حين أبطآ وتوقّفا، راحا يلهثان لالتقاط أنفاسهما، وقد تكوّنت طبقة رقيقة من العرق الدافئ بين جسديهما العاريين. استلقيا متشابكين على السرير وأغلقا عيونهما وسرعان ما غرقا في النوم.

63

كان النّهار قد طلع حين استيقظ أكسيل. غلبه النوم هو وغريتّا وناما طوال الليل متعانقين ومرهقَيْن وسعيدَيْن.

نهض أكسيل من السرير، ونظر إلى غريتّا التي كانت تنام في سلام،

وتلفّ الغطاء السميك حولها. سار إلى الباب، ثمّ توقّف أمام المرآة، ونظر للحظة إلى جسمه العاري ذي السبعة عشر ربيعًا، قبل أن يتوجّه إلى غرفة الموسيقى. أغلق باب غرفة النوم بحرص، وأخرج الكمان من حقيبته. وضعه على كتفه، ثمّ وقف بجانب النافذة، ونظر إلى الصباح الشتويّ. كان الثلج يتساقط من سطوح المنازل، وينسدل في شكل ستائر طويلة. بدأ يعزف «تزيغان» لرافيل من ذاكرته.

بدأت المقطوعة بلحن غجري جنائزي. بعد البداية البطيئة والموزونة صار الإيقاع أسرع. استحضر اللحن أصداءً سريعة لنفسه بشكل متزايد، مثل الذكريات العابرة لليلة صيف.

تدفّق الإيقاع بسرعة لا تُصدّق. كان يعزف لأنّه سعيد. لم يفكّر في الأمر. ترك أصابعه ترقص مع التيّار المتدفّق.

بدأ يبتسم حين تذكّر اللوحة المعلّقة في مرسم جدّه. كان يدّعي أنّها النسخة الأكثر بهاءً لعمل إرنست جوزيفسون الذي يحمل اسم «جنّيّ الماء». أغرم أكسيل في طفولته بسماع قصص ذاك الكائن الخياليّ الذي يجذب الناس إلى الماء وهو يعزف على آلة الكمان بشكل شديد الجمال.

اعتقد أكسيل أنّه يشبه جنّي الماء في هذه اللحظة، الشاب العاري الجالس في الماء يعزف الكمان. تحرّك قوسه على الأوتار، وغيّر النغمات بسرعة مذهلة، من دون أن يبالي لارتخاء بعض شعرات الخيل وتدلّيها من كعب القوس.

وفقًا له هكذا يجب أن يُعزف رافيل. لا بدّ من أن تُعزف موسيقاه بصفتها موسيقى سعيدة، لا غريبة. رافيل مؤلّف موسيقيّ سعيد وشابّ.

ترك أكسيل أصداء النغمات الأخيرة تتردّد عبر الكمان، وتتوهّج مثل الثلج المتساقط في الخارج على سطوح المنازل. خفض القوس، وكان على وشك الانحناء أمام مشهد الشتاء أمامه حين شعر بحركة خلفه. عندما استدار، رأى غريتّا واقفة عند مدخل الباب تلفّ نفسها بالغطاء، وتنظر إليه دهِشةً بعينين داكنتين.

شعر بالقلق حين رأى التعبيرات الحادّة على وجهها. سألها: «ماذا حدث؟».

لم تُجِب، ابتلعت ريقها بصعوبة. تدحرجت دمعتان كبيرتان على خدّيها.

كرّر سؤاله: «ماذا حدث يا غريتّا؟».

قالت في رتابة: «قلتَ لي إنّكَ لا تتدرّب».

تلعثم أكسيل وهو يردّ عليها: «لا. أنا... أنا... أخبرتكِ من قبل أنّ تعلّم مقطوعات جديدة أسهل بالنسبة لي».

«تهانيّ».

«الأمر ليس كما تعتقدين».

هزّت رأسها، وقالت: «لا أفهم كيف كنتُ بهذا الغباء».

وضع الكمان والقوس من يديه. لكنّها عادت إلى غرفة النوم، وأغلقت الباب خلفها. فأخذ سروال جينز عن ظهر أحد الكراسي، واقترب من الباب، وطرقه.

«هل يمكنني الدخول يا غريتّا؟».

لم تُجبه. شعر بغصّة من القلق تنمو داخله. بعد هنيهة، خرجت غريتّا مرتدية ملابسها. من دون أن تنظر إليه، سارت إلى البيانو، ووضعت كمانها في حقيبتها، وتركته.

***

امتلأت قاعة الاحتفالات بالكامل. غريتّا أوّل منافس سيؤدّي على المسرح. لم تنظر إلى أكسيل، ولم تلقِ عليه التحيّة عندما وصلت. كانت ترتدي فستانًا مخمليًا باللون الأزرق الداكن، وقلادة بسيطة تتدلّى منها حلية على شكل قلب.

جلس في غرفة تبديل الملابس وعيناه نصف مغلقتين. كانت الأجواء هادئة تمامًا، باستثناء الطنين الضعيف الذي يأتي من خلف فتحة التهوية المتربة. دخل شقيقه الأصغر روبرت إلى الغرفة.

سأله: «ألن تذهب وتجلس مع أمّي يا روبرت؟».

«أنا متوتّر للغاية؛ لا أستطيع مشاهدتك وأنت تعزف. سأجلس هنا، وأنتظر بدلًا من ذلك».

«هل بدأت غريتّا؟».

«أجل. يبدو عزفها جيّدًا».

«أيّ مقطوعة اختارت؟ 'سوناتا الكمان' لتارتيني أم...».

«لا. إنها تعزف شيئًا ما لبيتهوڤن».

«حسنًا»، همس أكسيل.

جلسا في صمت، من دون أن يتفوّها بشيء آخر. بعد هنيهة، سمعا طرقًا على الباب. نهض أكسيل وفتحه، فأخبرته امرأة أنّ دوره قد اقترب.

قال روبرت: «حظًّا سعيدًا».

أجاب أكسيل قبل أن يحمل الكمان والقوس، ويتبع المرأة إلى الكواليس: «شكرًا».

سمع أصوات التصفيق العالي في القاعة، ولمح غريتّا وهي تتوجّه مع والدها بسرعة إلى غرفة تبديل الملابس الخاصّة بها. انتظر وراء الكواليس بينما يقدّمه رئيس التشريفات على المسرح. بعد أن سمع اسمه، توجّه مباشرةً إلى دائرة الضوء التي أبهرت عينيه، وابتسم للجمهور. ثمّ انتشرت همهمة في القاعة بأكملها عندما قال إنّه سيعزف «تزيغان» لموريس راڤيل.

وضع الكمان على كتفه، ورفع القوس، وبدأ يعزف الافتتاحيّة الحزينة. ثمّ زاد الإيقاع بشكل يبدو مستحيلًا. حبس الجمهور أنفاسه. استطاع أكسيل سماع عزفه الذي بدا مذهلًا، ولكن، هذه المرّة لم يكن اللحن يرقص مثل الماء في الجدول. لم يكن يعزف وهو سعيد، بل كان يعزف بغضب وحزن. بعد ثلاث دقائق من العزف، والنغمات تتساقط مثل قطرات المطر، بدأ عن عمد في تخطّي نغمة وأبطأ الإيقاع، وارتكب غلطتين، ثمّ توقّف تمامًا.

عمّ الهدوء أرجاء قاعة الاحتفالات.

همس أكسيل قبل أن ينزل عن خشبة المسرح: «أنا آسف للغاية».

صفّق الجمهور بلطف. نهضت والدته عن كرسيّها وتبعته، ثمّ أوقفته في الممرّ. قالت وهي تضع يديها على كتفيه: «تعالَ هنا يا بنيّ».

ربّتت على خدّه، وكان صوتها دافئًا متأثّرًا بشكل ملحوظ حين قالت: «كان هذا لا يُصدّق، أفضل أداء سمعته».

«آسف يا أمّي».

«لا»، قالت. تركته، وغادرت قاعة الاحتفالات.

اتّجه أكسيل لجلب حاجياته من غرفة تبديل ملابسه، فأوقفه قائد الأوركسترا العظيم هيربرت بلومستيدت.

قال له بصوت خافت: «كان العزف جيّدًا للغاية حتّى تظاهرتَ بأنّك أخطأتَ».

***

كان المنزل هادئًا عندما عاد أكسيل في وقت متأخّر من المساء. صعد إلى غرفتيه العلويّتين، وعبر غرفة الموسيقى، وصولًا إلى غرفة النوم، ثمّ أغلق الباب. لا يزال يسمع الموسيقى داخل رأسه. يسمع نفسه وهو يزيل نغمات، ثمّ بشكل غير متوقّع يبطئ الإيقاع ويتوقّف.

استلقى على سريره، وغلبه النوم وبجانبه حقيبة الكمان.

استيقظ في اليوم التالي على صوت رنين الهاتف في مكان ما في المنزل.

طقطقت أرضية غرفة الطعام تحت قدمي أحدٍ ما.

بعد قليل، سمع خطوات على الدرج. من دون أن تطرق الباب، دخلت والدته مباشرة إلى الغرفة. وقالت بصرامة: «اجلس».

شعر بالقلق عندما نظر إليها. فهم أنّها كانت تبكي. كانت وجنتاها مبللتين.

قال: «أنا لا أفهم يا أمّي...».

فقاطعته بصوت خفيض: «اهدأ! اتّصل مدير المدرسة، وهو...».

«إنّه يكرهني لأجل...».

«اهدأ!»، صرخت أليس.

خيّم الصمت على المكان، ووضعت أليس يدها المرتعشة على فمها والدموع تنهمر على وجهها.

قالت في النهاية: «الأمر يتعلّق بغريتّا؛ لقد انتحرت».

نظر أكسيل إليها وهو يحاول فهم ما أخبرته به، ثمّ قال: «لا. لأنّني...».

قاطعته: «شعرَت غريتّا بالخزي؛ كان يجب أن تتدرّب. وأنت، لقد وعدتني، وكان عليّ أن أعرف. أجل كنت أعرف... لم يكن عليها أن تأتي إلى هنا. هي... لا أقول إنّها غلطتك يا أكسيل. إنّها ليست غلطتك؛ لقد خذلت نفسها عندما كان الأمر مهمًّا حقًّا، ولم تستطع تحمّل ذلك».

«أمّي، أنا...».

صرخت مجدّدًا: «اهدأ! انتهى الأمر».

تركت أليس الغرفة. نهض أكسيل من السرير باضطراب هادر. تعثّر، ثمّ فتح حقيبة الكمان، وأخرج الآلة الجميلة، وحطّمها على الأرض بأقصى قوّته. انكسرت رقبتها، وارتجّ صندوقها بأوتاره المرتخية. سحقها بقدميه، فانتشرت بقايا خشبها في أنحاء الغرفة.

«ماذا تفعل يا أكسيل؟!»، قال روبرت وهو يهرع إليه محاولًا إيقافه، لكنّ أكسيل دفع أخاه بعيدًا.

رغم أنّ ظهر روبرت ارتطم بخزانة ملابس كبيرة، فقد اقترب من أكسيل مرّة أخرى، وقال بتردّد: «لقد أخطأتَ في بعض النغمات يا أكسيل، ولكن ما أهمّيّة ذلك؟ لقد قابلتُ غريتّا، وقد أخطأتْ في بعض النغمات هي الأخرى. كلّ واحد...».

«اصمت! لا تذكر اسمها أمامي مرّة أخرى!».

نظر روبرت إليه، ثمّ استدار وترك الغرفة. أخذ أكسيل يسحق ما تبقّى من الآلة، حتّى بات من المستحيل معرفة أنّها كانت في الأصل كمانًا.

فاز شيرو سازاكي من اليابان بمسابقة «جون فريدريك بيروالد». اختارت غريتّا المقطوعة السهلة لبيتهوفن، ولكنّها أخطأت رغم ذلك. عندما عادت إلى المنزل، تناولت جرعة زائدة من الحبوب المنوّمة، وأغلقت على نفسها

غرفتها بالمفتاح. لم يُعثَر عليها حتّى اليوم التالي، عندما لم تأتِ لتناول الإفطار.

***

غرقت ذكريات أكسيل، مثل «أتلانتس»، في الوحل والحشائش. أخذ يحدّق النظر إلى بيڤرلي التي كانت تبادله النظر بعيني غريبًا الواسعتين. نظر إلى المنشفة التي بيده، والسائل المنسكب على الطاولة.

كان الضوء يتسلّل من الخارج نحو مؤخّرة رأس بيڤرلي حين استدارت، ونظرت إلى آلات الكمان المعلقة على الحائط.

قالت: «أتمنّى لو أستطيع العزف على الكمان!».

ردّ أكسيل مبتسمًا: «يمكننا القيام بدورة معًا».

قالت بجدّيّة: «أودّ ذلك».

وضع المنشفة على الطاولة، وشعر بتعب هائل يزأر داخله. تردّدت أصداء موسيقى البيانو عبر الغرفة، وتتابعت النغمات بصورة حالمة.

قالت بيڤرلي: «يا لك من مسكين يا أكسيل! أنت تريد أن تنام».

همس لنفسه تقريبًا: «عليّ أن أعمل».

فقالت بيڤرلي وهي تقف: «الليلة، إذن».

64

جلس جونا في مكتبه يقرأ قصّة حياة بالمكرونا. في إحدى الملحوظات منذ خمس سنوات، وصف بالمكرونا كيف سافر إلى «ڤيستيروس» ليحضر حفلة نهاية العام في مدرسة ابنه. كان الجوّ ممطرًا، وقف بعيدًا، في الوقت الذي اجتمع فيه الحاضرون كافّة في ساحة المدرسة تحت المظلّات وهم يغنّون أغاني المدرسة التقليديّة. وصف بالمكرونا سروال ابنه من الجينز الأبيض اللون، وسترته من الدنيم الأبيض، وشعره الأشقر الطويل، وقال إنّ ثمّة «شيئًا ما يتعلّق بأنفه وعينيه جعلني أجهش بالبكاء». في أثناء عودته وهو يقود السيّارة إلى ستوكهولم، كان يفكّر في أنّ ابنه يستحقّ كلّ ما فعله حتّى الآن، وسيستمرّ في القيام به من أجله.

رنّ جرس الهاتف، فأجاب جونا فورًا.

قال پيتر الذي يجلس في وحدة القيادة المتنقّلة في «دالارو» بحماس: «اتّصلتُ للتوّ بوحدة المروحيّات التابعة للبحريّة. إنّهم يطيرون عبر مضيق 'إرستا' الآن في طريقهم إلى العودة، ومعهم پينيلوپي».

سأل جونا وهو يشعر ببعض الارتياح: «هي على قيد الحياة؟».

«كانت تسبح في عمق البحر عندما عثروا عليها»، شرح پيتر.

«كيف حالها؟ هل هي بخير؟».

«يبدو الأمر كذلك. إنّهم في طريقهم إلى المستشفى 'سودرمالم' الآن».

قال جونا على عجل: «لا! الأمر خطير للغاية. عُد بها إلى هنا، إلى مقرّ الشرطة. يمكننا إحضار فريق طبّي من 'كارولينسكا' بدلًا من ذلك».

سمع جونا پيتر يطلب من أحد الأشخاص الاتّصال بالمروحيّة.

سأله جونا: «ماذا عن الآخرين؟».

«إنّها فوضى عارمة يا جونا! فقدنا أفرادًا من بيننا. هذا جنون!».

«ماذا عن يورن ألمسكوغ؟»، سأل جونا.

«لم نعثر عليه بعد. لم نحصل على أيّ معلومات؛ لا نعرف أيّ شيء».

«ماذا عن المجرم؟ هل اختفى؟».

«سنعثر عليه قريبًا. إنّها جزيرة صغيرة. لدينا طاقم من النجدة في البرّ والجوّ، وقوارب خفر السواحل، والشرطة البحريّة في الطريق».

قال جونا: «حسنًا».

«هل تعتقد أنّنا لن نعثر عليه؟».

«إذا لم تعثروا عليه الآن فالأرجح أنّه غادر المكان بالفعل».

«هل هذا خطئي؟».

قال جونا بهدوء ولطف: «پيتر! لو لم تتصرّف بسرعة مثلما فعلت لكانت پينيلوپي فرنانديز في عداد الموتى. ومن دونها، لن يكون لدينا أيّ شيء؛ أيّ صلة بالصورة أو أيّ شاهد».

***

بعد نحو ساعة، كان طبيبان من مستشفى «كارولينسكا» يفحصان پينيلوپي في غرفة عليها حراسة أسفل مقرّ الشرطة الوطنيّة مباشرةً. ضمّدا جراحها، وأعطياها مهدّئًا ومكمّلات غذائيّة ومحلول معالجة الجفاف.

أخبر پيتر كارلوس أنّهم تعرّفوا على بقايا زميليهما لينارت يوهانسون وغوران فودين وجثّة يورن ألمسكوغ. كذلك عثروا على جثّة أوسيان ڤالنباري خارج منزله، وثمّة غوّاصون في طريقهم إلى مسرح الجريمة، حيث تحطّمت مروحيّة الإنقاذ. وقال إنّه يتوقّع أن يكون أفراد الطاقم الثلاثة الذين كانوا على متنها قد فارقوا الحياة. ولم تتمكّن الشرطة من إلقاء القبض على المجرم، ولكنّ پينيلوپي فرنانديز ما زالت على قيد الحياة.

نُكّست الأعلام أمام مقرّات الشرطة، وعقد كلّ من كارلوس ورئيسة الشرطة الإقليميّة مارغريتّا ويدينغ مؤتمرًا صحافيًّا قصيرًا.

لم يشارك جونا في المؤتمر. بدل ذلك أخذ المصعد، هو وسوغا، وانطلقا إلى القبو لرؤية پينيلوپي.

65

تشكّل الطوابق الخمسة تحت الجزء الأكثر حداثة من مقرّ الشرطة قسمًا يحتوي على شقّتين، وثماني غرف ضيوف، ومسكنَيْن. وقد بُنِيت بغرض توفير أماكن للإقامة الآمنة لكبار ضبّاط الشرطة في حالات الطوارئ. خلال السنوات العشر الماضية، استُخدمت غرف الضيوف لتوفير الحماية اللازمة للشهود الذين يُعتقد أنّهم يقعون تحت تهديدات استثنائيّة.

شعرت پينيلوپي وهي مستلقية على سرير مستشفى بسائل بارد يدخل ذراعها، حيث عُدِّلت سرعة التنقيط داخل الجهاز.

بصوت ناعم، شرحت الدكتورة دانييلا ريتشاردز ما تفعله بينما تثبّت القُنية إلى داخل مرفق پينيلوپي: «نحن نعيد ترطيب جسمكِ، ونعطيكِ المكمّلات الغذائيّة».

نُظِّفت جروحها وخدوش ظهرها، وخِيطَت قدمها اليسرى المصابة، وخِيطَ جُرح فخذها العميق، وضُمِّدت جميعها.

أضافت الطبيبة: «أودّ أن أعطيكِ بعض المسكّن لتخفيف الألم».

همست پينيلوپي وهي ترطّب شفتيها بلسانها: «أمّي. أودّ التحدّث إلى أمّي».

«بالطبع. سأبلغهم بذلك».

انهمرت الدموع ساخنة على وجنتي پينيلوپي. سمعت الطبيبة تطلب من الممرّضة تحضير نصف ملليمتر من عقاري «المورفين» و«السكوبولامين».

بدت الغرفة مثل غرف المستشفيات الاعتياديّة، إلّا أنّها كانت أكثر سكونًا. كان ثمّة إناء بسيط من الزهور على الطاولة بجانب السرير، وصور مشرقة على الجدران المطليّة باللون الأصفر. امتلأت مكتبة خشبيّة بكتب طُويت أطراف صفحاتها، ما يدلّ بوضوح على أنّ الناس كان لديها الوقت الكافي هنا للقراءة. ورغم أنّه ليس للغرفة نوافذ، فإنّ الضوء المثبّت خلف الستارة خفّف من حدّة الشعور بالوجود في مخبأ تحت الأرض.

أخبرت دانييلا برفق پينيلوپي أنّها ستتركها بمفردها، ويمكنها إذا احتاجت إلى أيّ مساعدة الضغط على زرّ التنبيه المضيء. أوضحت: «هناك مَن ينتظر في الخارج إذا كان لديكِ أيّ استفسارات، أو إذا احتجتِ إلى بعض الصحبة».

أغلقت پينيلوپي عينيها و«المورفين» ينتشر في جسدها، ويسحبها إلى النوم.

سمعت صوت شيء يُسحَق، حيث دهست سيّدة ترتدي النقاب الأسود بنعلها تمثالين من الطين الجافّ. فتاة وشقيقها الصغير تفتّتا إلى غبار. لم تلاحظ السيّدة المحجّبة التي تحمل على ظهرها عبوة ثقيلة من الحبوب ما فعلته. أطلق صبيّان الصفير وهما يضحكان ويصيحان بأنّ الطفلين العبدين قد ماتا، وأنّه تبقّى عدد قليل الآن من الصغار، وأنّ أبناء قبيلة «الفور» كافّة سيموتون.

حاولت دفع ذكريات «كوبوم» من عقلها، ولكن قبل أن يغلبها النعاس مرّت بلحظة وجيزة من الفزع، إذ شعرت بأطنان من الحجارة والخرسانة ملقاة فوقها، كأنّها تسقط في باطن الأرض وهي تنحدر... وتنحدر... وتنحدر.

***

عندما استيقظت بينيلوبي، لم تستطع فتح عينيها. ما زال المورفين يُثقل جسدها. لكنّها تذكّرت أنّها مستلقية على سرير مستشفى في غرفة محروسة أسفل مقرّ الشرطة، وليس عليها أن تركض بعد الآن. غير أنّ موجة كبيرة من الألم والحزن تبعت عمليّة الإغاثة. لم تعرف كم من الوقت ظلّت نائمة، وشعرت بأنّها يمكن أن تنجرف بسهولة مرّة أخرى إلى ما كانت فيه، لولا أنّها فتحت عينيها.

عندما فتحتهما رأت الغرفة حولها مظلمة تمامًا.

ظلّت ترمش بعينيها، ولكنّها لم تتمكّن من رؤية أيّ شيء. حتّى زرّ الإنذار المضاء بجانب السرير. لا بدّ من أنّ التيّار الكهربائيّ مقطوع. كادت تبكي، ولكنّها ضغطت على نفسها حتّى تظلّ هادئة حين سمعت صوت نقرة مفاجئة على الباب المؤدّي إلى الردهة. حدّقت إلى الظلام، وهي تسمع دقّات قلبها تخفق بشدّة. شعرت بالوخز في جسدها. ارتجفت كل عضلة من عضلاتها. لمس أحد ما شعرها بخفّة لم تكد تشعر بها تقريبًا. استلقت بثبات تامّ، وشعرت بأنّ أحدًا ما يقف بجوار السرير، ويمرّر أصابعه ببطء في خصلات شعرها. أوشكت أن تصلّي عندما جذب الشخص الذي يقف بجانبها شعرها، وسحبها من السرير. أخذت تصرخ وهو يرطمها بالحائط حتّى تحطّمت الصور التي في الإطارات، وجهاز المصل. انهارت على الأرض ومن حولها الزجاج المكسور. وهو يمسك بشعرها، سحبها على ظهرها ولفّها وحطّم وجهها على عجلة السرير المغلقة، ثمّ سحب خنجرًا بشفرة سوداء.

استيقظت بينيلوبي عندما سقطت على الأرض. فُتح الباب وأسرعت

ممرّضة بالدخول. كانت الأضواء كافّة مشتعلة، فأدركت بينيلوبي أنّ ما رأته كان كابوسًا. ساعدتها الممرّضة على العودة إلى السرير وهي تتحدّث إليها برفق، ثمّ رفعت الأسوار على جانبي السرير حتّى لا تسقط مرّة أخرى.

برد العرق الذي بلّل جسدها بعد ثوانٍ. لم تستطع بينيلوبي استعادة طاقتها لتتحرّك، وشعرت بالقشعريرة في ذراعيها. استلقت على ظهرها، وأمسكت بيدها زرّ التنبيه، وحدّقت إلى السقف، حين سمعت طرقًا على الباب. دخلت سيّدة شابّة ذات شرائط ملوّنة متداخلة في شعرها الأشقر، ونظرت إليها، وكان خلفها رجل طويل القامة، أشعث الشعر أشقره، ويتمتّع بوجه ودود جذّاب.

قالت السيّدة الشابّة: «أنا سوغا باوِر من شرطة الأمن، وهذا زميلي جونا لينا من إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة».

نظرت إليهما وليس في عينيها أيّ تعبير، ثمّ غضّت بصرها ونظرت إلى الضمادات التي على ذراعيها، وأنبوب المصل في رسغها.

قالت سوغا: «نشعر بالأسف حيال ما حدث لكِ على مدار الأيّام القليلة المنصرمة، ونتفهّم أنّكِ ربّما تريدين فقط البقاء بمفردك، ولكن يؤسفنا أنّنا مضطرّين إلى التحدّث معكِ، ونحتاج إلى ذلك في أسرع وقت ممكن».

سحبت سوغا الكرسيّ من عند المكتب الصغير في زاوية الغرفة، وجلست إلى جانب السرير.

قالت بينيلوبي بعد صمت لفترة وجيزة: «ما زال يطاردني، أليس كذلك؟».

ردّت سوغا: «أنتِ في أمان هنا».

«قولي لي إنّه مات».

«بينيلوبي، نحتاج إلى...».

فقاطعتها بهذيان: «لم تتمكّنوا من إيقافه».

«أعدكِ بأن نعثر عليه، ولكن عليكِ أن تساعدينا».

تنهّدت بشدّة، ثمّ أغلقت عينيها.

تابعت سوغا: «أعلم أنّ الأمر صعب، ولكنّنا نحتاج إلى إجابات عن بعض الأسئلة، هل تعرفين لماذا حدث كلّ ذلك؟».

تمتمت پينيلوپي: «اسألي يورن. ربّما كان يعرف السبب».

«ماذا تقولين؟».

همست وهي تفتح عينيها ببطء: «قلت يجب أن تسألا يورن. اسألا يورن. ربّما يعرف».

شعرت كأنّها أحضرت طنًّا من العناكب والحشرات معها من الغابة، وأنّها تزحف على جلدها بالكامل، فبدأت تحكّ جبهتها، ولكنّ سوغا أوقفت يديها بلطف، وقالت لها: «هناك مَن يلاحقكِ. أنا لا أتخيّل مدى فظاعة الموقف، ولكنّنا نحتاج إلى معرفة إذا ما كنتِ قد تعرّفتِ عليه... هل رأيته من قبل؟».

هزّت پينيلوپي رأسها بشكل غير ملحوظ تقريبًا.

قالت سوغا: «لا نعتقد ذلك، ولكن هل يمكنكِ أن تعطي وصفًا له؟ ربّما لديه وشم أو أيّ سمات غير اعتياديّة؟».

«لا»، أجابت هامسةً.

«ربّما بإمكانكِ مساعدتنا في رسم صورة مركّبة له. لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتّى نتمكّن من إخبار الإنترپول».

اقترب جونا بعينيه الرماديّتين اللتين تبدوان كحجرين أبرزت لمعتهما تيّارات المياه، وقال بهدوء: «كان يبدو أنّكِ تهزّين رأسكِ بالنفي منذ لحظة، عندما سألتْ سوغا إذا كنتِ قد قابلتِ مَن يلاحقك من قبل، هل هذا صحيح؟».

أومأت برأسها بإيجاب.

تابع جونا برفق: «لا بدّ من أنّكِ رأيته إذن. لأنّه بخلاف ذلك، لم يكن لكِ أن تعرفي أنّكِ لم تقابليه من قبل».

حدّقت پينيلوپي إلى فضاء الغرفة، وتذكّرت كيف كان الرجل يتحرّك وكأنّه يملك كلّ أوقات العالم، حيث يحدث كلّ شيء بسرعة بالغة. تخيّلته راكعًا مركزًا على هدفه وهي معلّقة بالمروحيّة، ورأته وهو يرفع البندقيّة ويصوّب؛ لم يكن متسرّعًا ولا عصبيًّا. ثمّ رأت وجهه مرّة أخرى، عندما أضاءه وميض البرق، ونظر كلّ منهما إلى الآخر مباشرةً.

واصل جونا حديثه: «نتفهّم أنّكِ خائفة. ولكنّنا...».

صمت عندما جاءت الممرّضة إلى الغرفة، وقالت إنّهم لم يستطيعوا الوصول إلى أمّ پينيلوپي حتّى الآن.

أوضحت: «إنّها ليست في المنزل، ولا تجيب على...».

انتحبت پينيلوپي واستدارت، ثمّ خبّأت وجهها بالوسادة. وضعت الممرّضة يدها على كتفها لتهدّئها، فتنهّدت وقالت: «لا أريد... لا أريد...».

أسرعت ممرّضة أخرى بالدخول، وشرحت أنّها بحاجة إلى إضافة مزيد من المهدّئات.

قالت لسوغا وجونا: «مضطرّة إلى أن أطلب منكما المغادرة».

قال جونا: «سنأتي لاحقًا. أعتقد أنّني أعرف مكان والدتكِ. سأتولّى الأمر».

كفّت عن البكاء، ولكنّها بقيت تتنفّس بسرعة. وفي أثناء إعداد الممرّضة للدواء، فكّرت پينيلوپي في أنّ الغرفة تذكّرها بالزنزانة في السجن. لن تودّ والدتها أبدًا المجيء إلى هنا. حاولت پينيلوپي الضغط على أسنانها وحبس دموعها.

ثمّة لحظات تعتقد فيها پينيلوپي أنّها قادرة على تذكّر سنواتها الأولى، فرائحة العرق والأجسام المتّسخة تذكّرها بالزنزانة التي وُلدت فيها. يمكنها تقريبًا رؤية شعاع المصباح المنير وهو يمضي على وجوه السجينات، ووالدتها تمرّرها إلى امرأة أخرى. تبدأ السجينة على الفور في الغناء بلطف في أذنها حين يأخذ الحرّاس والدتها.

66

نزلت كلوديا من الحافلة في محطّة «فندق دالارو ستراند». في أثناء سيرها على طول الميناء، سمعت أصوات المروحيّات، وصفّارات الإنذار تتلاشى عن بُعد. لم تنتهِ عمليّة البحث بعد، ولا بدّ من مواصلتها. ثمّة عدد قليل من قوارب الشرطة يطفو على مسافة من الشاطئ. لمّا نظرت حولها، لم ترَ معبرًا في الميناء، ولا سيّارات على الشاطئ أيضًا.

صاحت: «پينيلوپي! پينيلوپي!».

كانت تدرك كيف يبدو شكلها، وكيف تتصرّف بغرابة، ولكن لم يتبقَّ لها شيء سوى پينيلوپي.

بدأت تسير على طول حافّة الماء، حيث انتشر عشب بنّي جافّ ونفايات في كلّ مكان. وصلت إلى لافتة مكتوب عليها بدهان أبيض: «خاصّ». سارت خلف اللافتة على رصيف خرسانيّ وهي تنظر إلى الصخور الكبيرة. عرفت أنّه لا يوجد أحد هنا. عادت إلى طريق الميناء مرّة أخرى، حيث كان يسير رجل يلوّح لها، وترفرف خلفه علامة داكنة على سترته. حدّقت النظر مقابل أشعّة الشمس، وصاح الرجل بشيء ما لم تستطع سماعه. بينما تنظر إليه في اضطراب، بدأ الرجل يسرّع خطواته نحوها. والآن، بات بوسعها رؤية وجهه الودود.

ناداها: «كلوديا فرنانديز؟».

أجابت: «هذه أنا».

قال الرجل عندما وصل إليها: «اسمي يون بنغتسون. أرسلني جونا لينا إليك، وقال إنّك قد تكونين هنا».

سألت بصوت ضعيف: «لماذا؟».

«ابنتك على قيد الحياة».

نظرت إليه وهو يكرّر ما قاله، ويبتسم لها: «پينيلوپي على قيد الحياة».

67

بات الوضع محمومًا داخل مقرّ الشرطة. غدا الناس يقارنون الأحداث الأخيرة مع جرائم قتل الشرطة في «مالكسندر» عام 1999، وقضيّة يوسِف إيك قبل عامين. بدأت الصحف تكتب عن دراما الأرخبيل، مُطلقةً لقب «جزّار الشرطة» على المجرم. أثار الصحافيّون تكهّنات على نطاق واسع في هذا الشأن، وضغطوا على مصادرهم بين قوّات الشرطة.

انتهت المهلة المعطاة لجونا وسوغا لتقديم تقرير عن آخر مستجدّات القضيّة لكلّ من كارلوس وڤيرنر وپيتر ورئيس العمليّات، بيني روبين، وكذلك پولوك وكوفود من اللجنة الوطنيّة لمكافحة جرائم القتل.

راح الضابطان يمشيان على طول الردهة وهما يتناقشان حول قدرة پينيلوپي على مساعدتهما في التقدّم في القضيّة.

قال جونا: «أعتقد أنّها ستتحدّث قريبًا».

ردّت سوغا: «هذا أمر غير محسوم. من السهل أن تلتزم الصمت».

أغلقا الباب، ثمّ جلسا ورحّبا بالحاضرين الذين سبقوهما وجلسوا حول الطاولة.

قالت سوغا: «أودّ أن أبدأ حديثي بأنّنا لم نعد نشكّ في تورّط أيّ من متطرّفي الجناح اليساريّ في هذه الأحداث».

همس ڤيرنر بشيء ما لپولوك، فقالت سوغا رافعةً صوتها: «أليس كذلك؟».

نظر ڤيرنر إليها وأومأ برأسه، ثمّ قال وهو يتنحنح: «أجل. هذا صحيح».

وقال كارلوس: «إبدئي من أوّل الأمر».

«حسنًا، تُعدّ پينيلوپي فرنانديز داعية سلام، وهي تتقلّد منصب رئيسة 'جمعيّة السلام والتحكيم السويديّة'، وقد كانت على علاقة منذ وقت طويل بيورن ألمسكوغ، الذي يعمل نادلًا في نادي 'ديباسر' في ميدان 'ميدبورغار'. هي تسكن في '3 شارع سانت بول' وهو يسكن في '47 شارع بونتونيار'. وقد كانت ثمّة صورة بحوزة پينيلوپي ملصقة على الباب الزجاجيّ بين غرفة المعيشة ومدخل الشقّة».

عرضت على الكمبيوتر الخاصّ بها الموصول بشاشة نسخةً من الصورة، وشرحت: «التُقِطت الصورة في فرانكفورت في ربيع عام 2008».

قال كارلوس: «نعرف بالمكرونا في الصورة».

«بالضبط»، قالت ثمّ أشارت إلى الآخرين في الصورة، «هذا پونتوس سلمان، العضو المنتدب لشركة 'سايلانسيا ديفينس'، إحدى شركات تصنيع الأسلحة. وهذا رافاييل غويدي، تاجر الأسلحة الشهير، المعروف في هذه التجارة بلقب 'الزعيم'، وهو يبرم أغلب صفقات الأسلحة في أفريقيا والشرق الأوسط».

سأل بيني: «وهذه السيّدة التي سُمِح لها بحضور اجتماعهم الصغير؟».

أجابت سوغا من دون أن تبتسم: «اسمها أغاثا الحجي وهي المستشارة العسكريّة لحكومة السودان، وهي على تواصل مباشر مع الرئيس البشير».

خبط بيني بشدّة على الطاولة، وضغط على أسنانه بينما نظر پولوك إليه نظرة غير مرغوب فيها، وسأل كارلوس: «هل هذا طبيعيّ؟ هل من الطبيعيّ أن يلتقوا هكذا؟».

«أجل. أُقِرّ ذلك. عُقِد الاجتماع الذي يظهر في هذه الصورة لمناقشة تصدير شحنة كبيرة من الذخيرة إلى الجيش السودانيّ. كانت الصفقة مقبولة سياسيًّا، وكان من الممكن أن تتمّ، لو لم تُصدر المحكمة الجنائيّة الدوليّة في لاهاي مذكّرة بتوقيف الرئيس البشير».

سأل پولوك: «كان ذلك في عام 2009، أليس كذلك؟».

فقال كارلوس: «لقد سبقتني».

تابعت سوغا: «لم يجذب الأمر كثيرًا من الانتباه هنا، ولكن أُصدِرت مذكّرة الاعتقال بسبب تورّطه بشكل مباشر في أعمال التعذيب والاغتصاب والإبادة الجماعيّة في دارفور».

ختم كارلوس: «إذن، لم تُبرَم الصفقة؟».

«لم تُبرَم».

سأل ڤيرنر: «ماذا عن الصورة؟ ما المميّز فيها؟ لا شيء؟».

قالت سوغا: «يبدو أنّ پينيلوپي لم تكن تعلم خطورة هذه الصورة. والدليل على ذلك أنّها لصقتها على باب داخل شقّتها».

أشار كارلوس: «ولكن ربّما كانت تعرف أنّها مهمّة لأنّها تركتها في مكان ظاهر».

خمّنت سوغا: «لا نعرف حقًّا. ربما كانت محض تذكير بالطريقة التي يعمل بها العالم. قلّة من الناس في قاع العالم تناضل لأجل السلام، بينما الأغنياء والنافذون يتاجرون بالأسلحة ويرفعون أنخاب الشمبانيا إلى أعلى».

قال جونا: «نأمل في أن نتمكّن من استجواب پينيلوپي قريبًا، لكنّنا على يقين من أنّ يورن تصرّف بمفرده في هذا الأمر. ربّما كان على دراية أكبر من پينيلوپي بالصورة، إلّا إذا كان يجرّب حظّه فقط، لأنّه في الثاني من يونيو ذهب إلى مقهى إنترنت، وأرسل رسالة بريد إلكتروني من حساب مجهول، محاولًا ابتزاز كارل پالمكرونا. كانت رسالة مختصرة، كتب فيها يورن أنّه يعرف أنّ الصورة قد تثير المشكلات لپالمكرونا، وأنّه على استعداد لبيعه هذه الصورة مقابل مليون كرونا».

همس پولوك: «ابتزاز كلاسيكيّ».

تابعت سوغا: «استخدم يورن كلمة 'مقلقة' ليصف الصورة، الأمر الذي جعلنا نعتقد أنّه لم يدرك أنّ ردّ فعل پالمكرونا سيكون بهذه الشدّة».

قال جونا: «اعتقد يورن أنّه سيطر على الموقف، لذا دُهِش بردّ پالمكرونا بتحذير شديد اللهجة، حيث كتب له أنّه لا يعرف ما يتورّط به، وطلب منه أن يرسل له الصورة قبل فوات الأوان».

شرب جونا بعض الماء، فسأله پولوك: «ما لهجة الرسائل... عدوانيّة؟».

هزّ جونا رأسه، ووزّع نسخًا مطبوعة من رسائل البريد الإلكترونيّ، ثمّ قال: «أنا لا أراها عدوانيّة. أراها رسائل جادّة فقط».

قرأ كوفود الرسائل المتبادلة، وأومأ برأسه وهو يكتب شيئًا ما، ثمّ سأل: «ماذا حدث بعد ذلك؟».

«قبل أن تعود مدبّرة منزل بالمكرونا إلى بيتها يوم الأربعاء، ساعدته على تعليق المشنقة بالسقف».

ضحك بيتر وسأل: «لماذا؟».

قالت سوغا: «لأنّه خضع لعمليّة جراحيّة في ظهره، ولم يتمكّن من فعل ذلك بنفسه».

قال كارلوس: «حسنًا».

فتابع جونا: «في اليوم التالي، في وقت الغداء، بعد استلام البريد، وفق توقّعاتنا، اتّصل بالمكرونا برقم في 'بوردو'.»

أشارت سوغا: «لم يكن من الممكن تتبّع الرقم بدقّة أكبر من ذلك».

واصل جونا: «قد يكون رقم مركز اتّصال، لذا ربّما حُوِّلت المكالمة إلى دولة أخرى، أو قارّة أخرى، أو حتّى مكان آخر بالسويد. على أيّ حال، كانت مكالمة قصيرة للغاية، حيث استغرقت ثلاثًا وأربعين ثانية. ربّما ترك رسالة فقط. نثق بأنّه كان يجريها بشأن الصورة ورسالة الابتزاز، وأنّه كان يتوقّع المساعدة».

قالت سوغا: «لأنّه بعد ذلك ببضع دقائق فقط، اتّصلت مدبّرة منزله، وحجزت له سيّارة أجرة إلى مطار 'أرلاندا' في تمام الثانية ظهرًا. وبعد مرور ساعة وخمسين دقيقة بالضبط من هذه المكالمة القصيرة، رنّ هاتف بالمكرونا الذي كان قد ارتدى معطفه، ولكنّه ردّ على الهاتف؛ كانت المكالمة من 'بوردو' من الرقم نفسه الذي اتّصل به. وقد استغرقت المكالمة الثانية دقيقتين، ثمّ أرسل بالمكرونا رسالة بريد إلكترونيّ أخيرة إلى من يبتزّه، تقول إنّ الأوان قد فات و'سنموت نحن الاثنين'، وأرسل مدبّرة منزله إلى بيتها، ودفع للسائق مقابل الأجرة المهدورة، ثمّ توجّه إلى أعلى من دون أن يخلع معطفه، حيث ذهب إلى غرفة المعيشة، ووضع حقيبة الأوراق الخاصّة به على جانبها، وصعد عليها شانقًا نفسه».

التزم الجالسون حول الطاولة الصمت.

قال جونا ببطء: «ولكن هذه ليست نهاية القصة لأنّ محادثات بالمكرونا

الهاتفيّة حرّكت الأمور... أرسل من تلقّى هذه المكالمة مجرمًا للتخلّص من الأدلّة كافّة، وتولّي أمر الصورة».

سأل كارلوس بنبرة شكّ: «كم مرّة- في السويد أقصد- صادفنا بالفعل قاتلًا مأجورًا بهذا الاحتراف؟ لا بدّ أنّ ثمّة تلالًا من المال لتمويل مثل هذا النوع من الجرائم».

نظر جونا إليه مباشرةً، وقال: «أجل».

قالت سوغا: «نثق في أنّ پالمكرونا قرأ محتويات رسالة البريد الإلكترونيّ على من اتّصل به، بما في ذلك رقم الحساب البنكيّ الذي أعطاه إيّاه يورن».

همس ڤيرنر: «ليس من الصعب أن ترصد شخصًا ما، إذا كان لديك رقم حسابه البنكيّ».

تابع جونا: «تقريبًا في الوقت نفسه الذي شنق فيه پالمكرونا نفسه، كان يورن بمقهى 'دريم باو' للإنترنت يدخل على حساب البريد الإلكترونيّ المجهول، ويرى أنّه تلقّى رسالتين من پالمكرونا».

قالت سوغا: «من الواضح أنّه كان يتمنّى أن يكون قد وافق على دفع المليون كرونا مقابل الصورة. ولكن على العكس، وجد تحذيرًا من پالمكرونا، ثمّ رسالة قصيرة تقول إنّ الأوان فات، وإنّهما سيموتان».

قال پولوك: «وقد ماتا بالفعل».

قالت سوغا: «يمكنكم تخيّل مدى خوف يورن. لم يكن فعليًّا يبرع بالابتزاز. لقد أراد انتهاز ما ظنّ أنه فرصة».

«ماذا فعل؟».

كان پيتر ينظر إليهم فاغر الفم، فصبّ له كارلوس بعض الماء.

قالت سوغا: «غيّر يورن رأيه، وقرّر إرسال الصورة إلى پالمكرونا لوضع نهاية للموضوع برمّته».

أضاف جونا: «لكنّه كان ميّتًا في الوقت الذي كتب فيه يورن موضحًا أنّه سيتراجع».

قالت سوغا: «المشكلة أنّ الصورة كانت ملصقة على باب داخل شقّة پينيلوپي التي لم تكن تعرف أيّ شيء عن محاولة الابتزاز تلك».

أومأ كوفود برأسه، وقال: «أراد الحصول على الصورة من دون تفسير عمليّة الابتزاز».

فقالت سوغا مبتسمة: «لا نعرف كيف كان يخطّط لتفسير أمر الصورة المفقودة لپينيلوپي. ربّما أصيب بالذعر، وأراد أن يرمي كلّ شيء خلف ظهره، وتمنّى أن ينتهي الأمر في أثناء خروجهما على متن القارب في الأرخبيل».

ذهب جونا إلى النافذة، ونظر إلى الخارج. بينما تابعت سوغا:

«في صبيحة اليوم التالي، أقلّت پينيلوپي سيّارةُ أجرة إلى استوديو التلفزيون، حيث كان من المقرّر أن تحضر مناظرة. بعد مغادرتها الشقّة، دخل يورن، وأخذ الصورة، ثمّ ركب مترو الأنفاق إلى المحطّة المركزيّة، حيث اشترى طوابع وظرفًا، وأرسل الصورة إلى پالمكرونا، ثمّ توجّه إلى مقهى الإنترنت، وأرسل لپالمكرونا رسالة أخيرة عبر البريد الإلكترونيّ، يخبره فيها أنّ الصورة في الطريق إليه. بعدئذ، ذهب إلى منزله، وجلب أمتعته وأمتعة پينيلوپي، وتوجّه إلى القارب الذي كان راسيًا في 'لانغولمين'، ثمّ غادرت پينيلوپي استوديو التلفزيون لتلحق به».

قال جونا: «في ذلك الوقت، كان المجرم قد تفقّد بالفعل شقّة يورن، وأشعل فيها النار التي حطّمت طابقًا بأكمله داخل المبنى».

قال پيتر: «لكنّني قرأت التقرير... توصّل الفريق الذي حقّق في الأمر إلى أنّ الحريق كان نتيجة مكواة كهربائيّة تُرِكت في الشقّة المجاورة».

قال جونا: «ربّما يكون ذلك صحيحًا».

وقالت سوغا: «مثلما كان انفجار الغاز سيؤدّي إلى اندلاع حريق في شقّة پينيلوپي».

فتابع جونا: «على الأرجح، كان هدف المجرم التخلّص من أيّ دليل. وعندما فشل في العثور على الصورة في شقّة يورن، أشعل النار فيها، ثمّ تبعه إلى اليخت».

أضافت سوغا: «ليبحث عن الصورة، ويقتل يورن وپينيلوپي، ويجعل الأمر يبدو حادثًا لليخت. لكنّ ما لم يعرفه أنّ خططهما تغيّرت في اللحظة الأخيرة، وأنّ أخت پينيلوپي ذهبت معهما».

التزم جونا الصمت، وفكّر في شأن الشابّة التي كانت تستلقي في المشرحة: شبابها، وشحوب وجهها، والعلامة الحمراء التي كانت تتخلّل منطقة الصدر.

قال جونا: «أتوقّع أنّهما أرسيا القارب في جزيرة من جزر 'يونغفروفياردن' قبالة 'دالارو'، وقبل وصول المجرم ذهبت پينيلوپي ويورن إلى الشاطئ لسبب ما. وعندما صعد المجرم على متن اليخت، وجد ڤيولا، وظنّ أنّها پينيلوپي، فأغرقها في الحوض، ثمّ وضعها في السرير في المقصورة الأماميّة. وفي أثناء انتظاره يورن، ربّما بحث عن الصورة. وعندما لم يتمكن من العثور عليها، رتّب لانفجار اليخت. وها هو تقرير إريكسون أمامكم. لا نعرف بالضبط ماذا حدث، ولكن بطريقة ما تمكّنت پينيلوپي ويورن من الفرار... كما أنّهما تركا القارب وعلى متنه ڤيولا فرنانديز... لا نعرف كيف ذهبا إلى هناك، ولكنهما كانا في 'كيميندو' يوم الإثنين».

كانت زاويتا فم بيني ترتعشان وهو يقول: «في منزل أوسيان ڤالنباري؟ كان عظيمًا، ولكن من الواضح أنّه كان متحمّسًا أكثر من اللازم بالنسبة لهذا البلد ذي الإيقاع الرتيب».

تنحنح كارلوس في أثناء صبّه مزيدًا من القهوة، فتابع جونا من دون أن يُعير تعليق بيني انتباهه: «حين أدرك المجرم أنّه فقد أثرهما، ذهب إلى شقّة پينيلوپي للبحث عن الصورة، عندما ذهبت أنا وإريكسون وأفسدنا عليه عمله. وقد أدركت بالفعل، منذ ذلك الحين، وبعدما واجهته، أنّنا نتعامل مع مجرم دوليّ محترف».

قالت سوغا: «ثمّة احتمال أنّه اقتحم أنظمتنا، واستمع إلى محادثاتنا، وهكذا».

سأل پيتر: «هل هذه هي الوسيلة التي تمكّن بها من الوصول إلى 'كيميندو' حيث يورن وپينيلوپي؟».

أجاب جونا: «لا نعرف بعد».
وقالت سوغا: «لكنّه يتصرّف بسرعة. من المحتمل أنّه عاد إلى 'دالارو' للبحث عن پينيلوپي مباشرةً بعد مواجهة جونا وإريكسون».
قال پيتر وهو يطوي الصفحة المكتوب عليها جدول الأعمال: «إذن، كان هناك بالفعل عندما تحدّثت مع الشرطة البحريّة».
فسأل كارلوس: «ماذا حدث؟».
قال پيتر: «عندما بدأنا عمليّة إعادة البحث، تمكّن المجرم بشكل ما من اختطاف الزورق البخاريّ السريع الخاصّ بالشرطة، وقتل لينارت يوهانسون وغوران فودين، ثمّ توجه إلى 'كيميندو' حيث قتل يورن ألمسكوغ وأوسيان ڤالنباري، ثمّ فجّر زورق الشرطة، وتتبع پينيلوپي، وأسقط مروحيّة الإنقاذ بإطلاق النار عليها».
تنهّد كارلوس قائلًا: «ثمّ اختفى!».
فقال جونا: «ولكن بفضل القيادة الماهرة لـپيتر تمكّنّا من إنقاذ پينيلوپي».
التفت پولوك بإعجاب إلى پيتر الذي سُرَّ بالثناء وقال بجدّيّة: «من الواضح أنّ التسلسل الدقيق للأحداث يحتاج إلى التحقّق».
قال كوفود وهو يبتسم ابتسامة باهتة: «سيستغرق الأمر وقتًا طويلًا».
تنهّد پيتر قائلًا: «ماذا عن الصورة؟».
قال جونا بصرامة: «مات من أجلها عشرة أشخاص. وقد يتبعهم المزيد، إذا لم نتمكّن...». توقّف ونظر من النافذة، ثمّ تابع حديثه: «يمكن أن تكون الصورة هي القفل. القفل الذي يتطلّب مفتاحًا».
سأل پيتر: «أيّ نوع من المفاتيح؟».
قالت سوغا: «المصوّر».
سأل پولوك: «پينيلوپي فرنانديز! هل هي المصوّرة؟».
قال كارلوس بصوتٍ عالٍ: «هذا قد يفسّر سبب مطاردتها».
فقالت سوغا متردّدةً: «قد».

وسأل بيني: «ما الدليل الذي يرجّح خلاف ذلك؟».
قالت سوغا: «لا يعتقد جونا أنّ بينيلوبي هي التي التقطتها».
فقال بيتر: «يا إلهي!».
أبقى كارلوس فمه مغلقًا، وحدّق إلى الطاولة، وكانت لديه رغبة في أن يظلّ صامتًا. قالت سوغا:
«واضح أنّها في حالة صدمة، ونحن لا نعرف ما دورها في كلّ هذا حتّى الآن».
تنحنح بولوك، ووزّع عليهم نسخًا من وصيّة بالمكرونا.
قال: «كان لدى بالمكرونا حساب بنكيّ في 'جيرسي' كما اتّضح».
فقال بيتر وهو يزيل مُضغة التبغ من تحت شفته: «الجنّة المعفاة من الضرائب». ثمّ مسح إبهامه في الطاولة من دون أن يلاحظ تعبيرات الغضب على وجه كارلوس.
سأل ڤيرنر: «هل يمكننا معرفة رصيده في هذا الحساب؟».
قال جونا: «ليس ثمّة وسيلة للاطلاع على معاملاته، ولكن وفقًا لوصيّته، لا بدّ أن يقدّر رصيده بتسعة ملايين يورو».
قال بولوك: «لم تكن تمويلاته الشخصيّة على ما يرام، لذا لا نفهم كيف تمكّن من كسب كلّ هذه الأموال الطائلة بشكل قانونيّ. وقد تواصلنا مع 'ترانسبيرنسي إنترناشيونال'، وهي مؤسّسة عالميّة لمكافحة الفساد، ولكن لم نجد لديها أيّ شيء ضدّ بالمكرونا، أو أيّ شخص آخر من 'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة'، ولا حتّى تلميحًا إلى أيّ شيء. ولقد آلت ممتلكات بالمكرونا إلى صبيّ في السادسة عشرة من عمره، يدعى ستيفان برغكڤيست، اتّضح أنّه كان ابنه الذي لم يقابله من قبل. ولكنّ الصبي مات في حادث حريق في 'ڤيستيروس' بعد انتحار بالمكرونا بثلاثة أيّام».
وأضافت سوغا: «لم يعرف الولد من كان والده قطّ».
قال كارلوس: «وفقًا للتقرير المبدئيّ للشرطة، كان اندلاع الحريق حادثًا».
فسأل جونا: «أجل، ولكن هل يصدّق أحد أنّ الحريق الذي قتل ابن بالمكرونا بعد انتحاره بثلاثة أيّام كان صدفة؟».

قال كارلوس: «كيف يمكن أن يكون؟».
«هذا مقزّز! لماذا يقتل أحد ابن بالمكرونا الذي لم يقابله قطّ؟»، قال بيتر.
وسأل ڤيرنر: «اللعنة! لماذا يحدث كلّ هذا؟».
قال جونا مشيرًا إلى بالمكرونا الذي يبتسم في الصورة: «لم ينقطع ظهور بالمكرونا. إنّه في الصورة، وهو الشخصيّة الرئيسة في محاولة الابتزاز، وقد عُثِر عليه ميتًا، وابنه مات، ولديه تسعة ملايين يورو في حساب بنكيّ في الخارج».
قالت سوغا: «المبلغ مغرٍ».
وقال پولوك: «لقد درسناً حياته عن قرب. ليست لديه عائلة أخرى، أو هوايات، ولم يكن يضارب بالبورصة، أو يتداول الأسهم، أو...».
قاطعه جونا: «إذا كان هذا المبلغ حقًّا في حسابه، فلا بدّ من أنّ الأمر يتعلّق بشكل ما بمنصبه، بصفته مديرًا عامًّا لدائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة».
قال ڤيرنر: «من الممكن أن يكون مضاربًا من الباطن عبر حسابات وهميّة أو وسطاء».
«أو في نهاية الأمر، ربما كان مرتشٍ»، قالت سوغا.
همس پولوك: «تتبّعوا المال».
وقف جونا على قدميه وقال: «نحتاج إلى التحدّث مع أكسيل ريسين خليفة بالمكرونا. إذا كان ثمّة شيء مريب بشأن القرارات التي اتّخذها بالمكرونا، فربّما اكتشفها الآن».

68

سمع جونا صوت أبواق وصفّارات وطبول آتية من مسيرة على طول شارع «أودين». قدّر وجود نحو سبعين شابًّا يحملون رموزًا مناهضة للفاشيّة، ولافتات تحتجّ على معاملة شرطة الأمن لأفراد «اللواء». رُفع علم واحد ملوّن يحمل مطرقة ومنجلًا ورفرف في النسيم، بينما هم يهتفون.

اختفت الأصوات الغاضبة حين اتّجه جونا وسوغا إلى شارع «بريغ». اتّصلا قبل قليل بدائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة، فقِيلَ لهما إنّ المدير العامّ يعمل من المنزل هذا الصباح.

على الجانب الأيسر من الشارع يقع منزل جميل، يعيش فيه الشقيقان ريسين. واجهة المنزل مذهلة، بطوبها الداكن، ونوافذها المزخرفة، والديكور الخشبيّ الأنيق، والنحاس حول فتحات النوافذ والمداخن.

سارا صوب الباب الخشبيّ الذي يحمل لافتة من النحاس، مكتوب عليها اسم أكسيل ريسين. دقّت سوغا جرس الباب. بعد هنيهة، فتح رجل طويل القامة، مصبوغ بحمرة الشمس، ذو وجه بشوش، الباب لهما.

قدّمت سوغا نفسها بصفتها محقّقة في شرطة الأمن، وشرحت سبب حضورهما. تفقّد أكسيل هويّتها بعناية، ثمّ نظر إليهما، وقال: «لستُ متأكّدًا من أنّني سأفيدكما، ولكن...».

فقال جونا لينا: «ما زال من دواعي سرورنا إجراء محادثة معك».

نظر أكسيل إليه في دهشة، ولكنّه ابتسم وأومأ بالموافقة على ما قاله، ثمّ قادهما إلى الشقّة الكبيرة الأنيقة. كان يرتدي سروالًا فضفاضًا لونه أزرق داكن، وقميصًا بلون أزرق فاتح حُلّت أزرار قبّته، وينتعل شبشبًا منزليًا. أخرج شبشبين من خزانة مصقولة منخفضة الارتفاع، وأعطاهما لسوغا وجونا.

قال: «أقترح أن نجلس في دفيئة البرتقال. قد يكون الجوّ أقلّ حرارة هناك».

تبعاه إلى داخل الشقّة الكبيرة، ثمّ صعدا الدرج الواسع من خشب الماهوغني، بسلالمه الداكنة، الذي يقود إلى غرفتي استقبال كبيرتين.

تقع دفيئة البرتقال الزجاجيّة مقابل الحديقة، حيث يشكّل السياج المرتفع جدارًا من الأوراق ملقيًا ظلالًا خضراء. رُتِّبت أصص الأعشاب ونباتات الأوركيد العديمة الرائحة بدقّة على طاولات من النحاس ذات الأسطح المبلّطة.

قال أكسيل مشيرًا إلى الكراسي: «تفضّلا بالجلوس. كنت أفكّر للتوّ بتناول بعض الشاي مع الفطائر الإنجليزيّة، وسأكون سعيدًا إذا شاركتماني».

قالت سوغا مبتسمةً: «لم أتناول الفطائر الإنجليزيّة منذ أن كنت في إدنبرة».

ردّ أكسيل بمرح وهو يغادر الغرفة: «حسنًا، إذن حان وقتها».

عاد بعد بضع دقائق ومعه صينيّة معدنيّة عليها إبريق الشاي، ووعاء السكّر، وصحنًا صغيرًا فيه شرائح ليمون، وضعها في منتصف الطاولة. لُفَّت الفطائر الإنجليزية الساخنة بمنديل من الكتّان، إلى جانب صحن من الزبدة. أعدّ أكسيل الطاولة بعناية، موزّعًا الفناجين وصحونها والأطباق والمناديل، قبل أن يصبّ الشاي.

سمعا صوت موسيقى الكمان عبر الأبواب والنوافذ.

سألهما: «إذن، أخبراني كيف يمكنني مساعدتكما؟».

تنحنحت سوغا ثمّ قالت: «نحتاج إلى طرح بعض الأسئلة عن 'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة'، ونتمنّى أن تساعدنا».

شرح بشكل ودود وهو يُخرج هاتفه: «بالطبع، ولكن ربّما عليَّ فقط أن أجري اتّصالًا سريعًا للتأكّد من أنّه لا بأس بذلك».

«بكلّ تأكيد».

«أنا آسف. لقد نسيت، اسمكِ...».

«سوغا باوِر».

«هل يمكنني رؤية هويّتكِ مرّة أخرى؟».

سلّمته هويّتها، فوقف، ثمّ ترك الغرفة. سمعاه يتحدّث باختصار. عاد، وشكرها، وأعاد إليها بطاقتها.

قالت سوغا، كأنّ هذا التوقّف لم يحدث: «في العام الماضي، اعتمدت الدائرة تصريحات التصدير إلى جنوب أفريقيا، وناميبيا، وتنزانيا، والجزائر، وتونس؛ ذخيرة للمدافع الرشّاشة الثقيلة، والمدافع المحمولة المضادّة للدبّابات، وقاذفات القنابل اليدويّة...».

«للسويد علاقات طويلة الأمد مع عدد من تلك البلدان»، أضاف أكسيل.

«ولكن ذلك غير قائم مع السودان، أليس كذلك؟».

نظر أكسيل إليها وعلى ملامح وجهه ابتسامة، ثمّ أجاب: «لا أعتقد ذلك».

«قصدت قبل إصدار مذكّرة توقيف الرئيس البشير».

«أدرك ذلك، وإلّا سيكون الأمر غير معقول تمامًا. هذا ما نسمّيه عقبة لا يمكن التغلّب عليها».

«من المفترض أنّك اطّلعت على عدد من قرارات بالمكرونا السابقة».

«بالطبع».

هل لاحظتَ أيّ شيء غير معتاد؟».

«ماذا تقصدين بغير معتاد؟».

قالت سوغا وهي تحتسي الشاي: «قرارات قد تبدو غريبة».

«هل ثمّة أسباب لهذا الاعتقاد؟».

قالت سوغا مبتسمة: «هذا ما نسألك عنه».

«في هذه الحالة، فإنّ إجابتي هي لا».

«إلى أي مدى بحثتَ؟».

استمع جونا إلى أسئلة سوغا التمهيديّة عن التصنيفات، والإخطارات المسبقة، وتصاريح التصدير، وهو يشاهد الهدوء والحضور على تعبيرات وجه أكسيل. فجأة، سمع صوت موسيقى الكمان مجدّدًا؛ كان آتيًا من الخارج، من النافذة المطلّة على الحديقة. كما سمع النغمات العالية الحزينة للمازوركا[1]. لكنّ صوت الكمان توقّف، ثمّ عاد، ليتوقّف مرّة أخرى، ثمّ يعود من جديد.

في أثناء استماعه للموسيقى، فكّر في الصورة التي تضمّ أربعة أشخاص داخل مقصورة خاصّة في حفلة، ومن دون عمد، لمس الحقيبة التي تحتوي

---

(1) الموسيقى المصاحبة لرقصة المازوركا البولندية (المترجم).

على نسخة من الصورة. فكّر في بالمكرونا الذي كان معلّقًا في السقف بحبل غسيل مربوط حول عنقه، وفي وصيّته، وموت ابنه.

رأى سوغا تومئ برأسها على شيء قاله أكسيل. انعكس على وجه أكسيل لون أخضر خاطف من صينيّة النحاس الموجودة على الطاولة.

ثمّ فكّر في أنّ بالمكرونا أدرك على الفور مدى خطورة الأمر. كلّ ما قاله يورن في رسالة البريد الإلكترونيّ إنّه التُقِطت له صورة بصحبة غويدي، ولكنّه لم يشكّ في صحّة الصورة، ولو للحظة.

ربّما كان يعلم بالفعل بوجودها.

صبّ أكسيل مزيدًا من الشاي لسوغا التي كانت تمسح فتات الفطائر عن إحدى زوايا فمها.

فكّر جونا في أنّ الأمر هكذا يبدو غير منطقيّ.

استطاع بونتوس سلمان رصد تاريخ المقابلة. لم يظهر عليه أنّ وجود هذه الصورة يُعدّ أمرًا محرجًا. إذن، لماذا غدت مثيرة للمشكلات بالنسبة لبالمكرونا؟

سمع أكسيل وسوغا يتناقشان حول طريقة تغيّر الظروف السياسيّة والأمنيّة كلّما فُرِض حظرٌ على الدول أو رُفِع عنها.

راح يتمتم قليلًا من حين لآخر ليظنّا أنّه يتابع حوارهما، ولكنّه لم يكفّ عن التفكير في الصورة.

الطاولة في المقصورة مُعدّة لأربعة أشخاص، وثمّة أربعة أشخاص بالفعل في الصورة. إنّ الشخص الخامس الذي يحمل الكاميرا إذن لم يكن من المدعوّين. لم يُخصَّص له مكان على الطاولة، ولم يكن ليُعرض عليه كأس شمبانيا.

يمكن للشخص الخامس أن يحمل الجواب عن اللغز كلّه.

فكّر جونا في ضرورة أن تتكلّم بينيلوبي، وبسرعة، لأنّها حتّى لو لم تكن الشخص الذي التقط الصورة، فبإمكانها أن تكون مفتاح اللغز. لكنّه

عاد بتفكيره إلى الأشخاص الموجودين في الصورة: كارل پالمكرونا ورافاييل غويدي وأغاثا الحجّي.

تذكّر تعليق پونتوس سلمان على الصورة قائلًا إنّ الأمر الوحيد الملحوظ في الصورة أنّ پالمكرونا لم يرفض كأس الشمبانيا، رغم عدم وجود شيء يستحقّ الاحتفال، وكان هذا أول لقاء بينهم.

ولكن ماذا لو كان ثمّة شيء يستحقّ الاحتفال؟

تسارع نبض جونا.

ماذا لو رفع هؤلاء الأربعة كؤوسهم بعد قليل، وشربوا نخبًا؟

تعرّف پونتوس سلمان على نفسه في الصورة، وأخبرهما عن سبب اللقاء ومكانه وزمانه.

همس جونا لنفسه: «زمان اللقاء. ربّما التُقطت الصورة في مناسبة أخرى. لقد استمعنا فقط إلى قول سلمان إنّ الاجتماع عُقِد في فرانكفورت في ربيع عام 2008. نحتاج إلى مساعدة پينيلوپي».

نظر جونا إلى يديه المنبسطتين على حقيبته. فكّر في أنّه من الممكن تحديد الموسيقيّين الأربعة في خلفيّة الصورة لأنّ وجوههم ظاهرة. لا بدّ من أنّ شخصًا ما قادر على التعرّف إليهم. وإذا تمكّنّا من تحديد هويّة الموسيقيّين، قد يكون ممكنًا تأكيد تاريخ اللقاء.

أربعة أشخاص يعزفون رباعيّة وتريّة. ربّما عزف الأربعة معًا فقط في هذه المناسبة. سيحدّد ذلك التاريخَ من دون شكّ.

«بالتأكيد»، قال لنفسه. كان عليهم إجراء ذلك سابقًا. قرّر أن يترك سوغا وأكسيل، ويعود إلى مقرّ الشرطة ليتحدّث مع پيتر، ويعرف رأيه حول إمكانية تحديد تاريخ الصورة عبر معرفة هذه المجموعة من الموسيقيّين.

رأى سوغا تبتسم لأكسيل، ثمّ تسأله حول تعزيز صناعة الدفاع الأميركيّة.

سمع مجدّدًا صوت الموسيقى من النافذة، بيد أنّ العزف كان سريعًا هذه المرّة. ثمّ توقّف الصوت، وبدا أنّه يجري ضبط وترين أحدهما على الآخر.

سأل جونا وهو جالس: «من الذي يعزف؟».
أجاب أكسيل بصوت دهِش إلى حدّ ما: «إنّه أخي روبرت».
«رائع! هل هو عازف كمان؟».
«فخر العائلة. لكنّه في المقام الأوّل صانع آلات كمان. ذاك هو الأستوديو الخاصّ به خلف المنزل».
«هل من الممكن أن أسأله عن شيء؟».

69

سار جونا خلف أكسيل في الممرّ الرخاميّ. ذهبا إلى الأستوديو وطرقا الباب. توقّف عزف الكمان، وفتح الباب رجل في منتصف العمر، شعره خفيف، وتبدو على ملامح وجهه الوسامة والذكاء، كما يبدو جسمه نحيفًا امتلأ تدريجيًا على مدار السنين.
قال أكسيل بجدّيّة: «ترغب الشرطة في التحدّث معك. إنّهم يشتبهون في سلوكك السيّئ».
قال روبرت: «أنا أعترف».
قال جونا: «عظيم!».
فسأل روبرت: «هل ثمّة شيء آخر؟».
«لدينا بالفعل بضع قضايا لم تُحَلّ».
«أنا واثق من أنّني مذنب».
قال جونا وهو يصافحه: «شكرًا جزيلًا. أنا جونا لينا من 'إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة' هل لي بسؤال؟».
سأل روبرت مبتسمًا: «كيف يمكنني مساعدتك؟».
«نحن نحقّق في حادث وفاة مفاجئة للمدير العامّ السابق لـ 'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة'، كنت أتحدّث عنها مع شقيقك».
«حسنًا، لكنّي لا أعرف شيئًا عن بالمكرونا أكثر ممّا نُشِر في الصحف».
«هل يمكنني الدخول لبضع دقائق؟».

«بالطبع».

قال أكسيل وهو يغلق الباب خلف جونا: «سأعود إلى زميلتك».

ثمّة درج خشبيّ جميل مصقول يؤدّي إلى الورشة. سقف الأستوديو منخفض ومنحدر، مثل سقف علّيّة، وكأنّه مصنوع من سرداب قائم. عبق الهواء بالروائح القويّة، لا سيّما الخشب الذي نُشِر للتوّ والصمغ والتربنتين. انتشرت أجزاء من آلات الكمان في شتّى الأرجاء: الخشب المختار بعناية، والقواقع المنحوتة، والأدوات الخاصّة، والسكاكين المقوّسة.

قال جونا: «سمعت عزفك من النافذة».

أومأ روبرت برأسه، وأشار إلى آلة كمان جميلة، ثمّ قال: «تحتاج إلى تعديل بسيط».

«هل صنعتها بنفسك؟».

«أجل».

«تبدو مذهلة!».

«شكرًا».

التقط آلة الكمان المصقولة الخفيفة للغاية، وأعطاها لجونا الذي قلبها وشمّ رائحتها. فقال روبرت وهو وضعها في حقيبة مبطّنة بفرش نبيذي اللون: «يكمن السرّ في الطلاء».

فتح جونا حقيبته، وأخرج الملفّ البلاستيكيّ، ثمّ أعطى الصورة لـروبرت.

قال روبرت: «بالمكرونا».

«أجل. ولكن هل تعرف أيًا من هؤلاء في الخلفيّة، أقصد الموسيقيّين؟».

نظر روبرت إلى الصورة مرّة أخرى، وأومأ برأسه، ثمّ قال وهو يشير إليهم: «هذا هو مارتن بيڤر، وهذا كيكوي آيكيدا... وكازوهايدي إيزومورا، وكليف غرينسميث على التشيلّو».

«هل هم موسيقيّون مشهورون؟».

لم يستطع روبرت كبح ابتسامته وهو يردّ: «الأسطورة العالميّة! رباعيّ طوكيو الوتريّ».

«رباعيّ طوكيو الوتريّ. الأشخاص أنفسهم في كلّ مرّة؟».

«أجل. منذ فترة طويلة والأمور تسير على ما يرام بالنسبة لهم».

«هل ترى أيّ شيء غير طبيعيّ في هذه الصورة؟».

نظر روبرت إليها باهتمام، ثمّ قال بعد هنيهة: «لا».

«إذن، فهم لا يعزفون في طوكيو فقط؟».

«لا. إنّهم يعزفون في أنحاء العالم كافّة، ولكنّ آلاتهم مملوكة لجهة يابانيّة».

«هل هذا أمر شائع؟».

«أجل، عندما يخصّ الأمر آلات خاصّة حقًّا. وتعدّ الآلات في هذه الصورة من دون شكّ ضمن الأفضل على مستوى العالم».

«فهمت».

«رباعيّة باغانيني».

كرّر جونا وهو ينظر إلى الموسيقيّين مجدّدًا: «رباعيّة باغانيني!».

كان الخشب الداكن يلمع، وزيّ الموسيقيّين الأسود ينعكس على طلائه.

قال روبرت: «لقد صنعها ستراديڤاريوس. أقدم آلة كمان بينها هي 'ديزينت' التي يعود تاريخها إلى عام 1680، ويعزف عليها كيكوي آيكيدا، بينما يعزف مارتن بيڤر على آلة الكمان التي أهداها الكونت كوزيو دي سالابو إلى باغانيني».

صمت ونظر إلى جونا نظرة تساؤل، فأومأ له الأخير برأسه مشيرًا إلى أنّه يريده أن يستمرّ في الحديث.

أضاف روبرت: «كانت الآلات الأربع مملوكة لنيكولو باغانيني. لا أعرف مدى معرفتك به، ولكنّه كان فنّانًا مبدعًا، سواء بصفته عازف كمان أو ملحّنًا. لقد ألّف مقطوعات ظنّها الناس سخيفة لأنّه كان من المستحيل

عزفها، حتّى بدأ باغانيني نفسه العزف على الكمان. كانت قد مرّت مئة عام على وفاته حين تمكّن أحدهم من عزف هذه المقطوعات مجدّدًا... وما زالت بعض أساليبه الفنّيّة تُعَدّ مستحيلة؛ ثمّة كثير من القصص عن باغانيني ومبارزاته بآلة الكمان».

نظر جونا إلى الصورة مجدَّدًا، وركّز على الرجال الأربعة الذين يجلسون على المسرح في الخلفيّة، ونظر إلى آلاتهم.

سأل: «إذن، أعضاء رباعيّ طوكيو الوتريّ غالبًا ما يعزفون معًا باستخدام هذه الآلات».

«أجل. من المحتمل أنّهم يؤدّون من ثماني إلى تسع حفلات في الشهر».

«هل تُقدّر تاريخ التقاط هذه الصورة؟».

«ليس أكثر من عشر سنوات، على أساس هيئة مارتن بيڤر؛ لقد قابلته مرّتين».

«هل من الممكن تحديد التاريخ إذا تمكّنا من تحديد المكان؟».

«هذه قاعة ' ألتي أوپر' في فرانكفورت».

«هل أنت متأكّد؟».

«أعرف أنّهم يعزفون هناك كلّ سنة، وأحيانًا عدّة مرّات خلال العام».

«عفريت!».

لا بدّ من وسيلة ما لتحديد تاريخ التقاط الصورة، إمّا لتأكيد صحّة رواية سلمان للأحداث أو لتكذيبها. لذا فتح جونا الملفّ البلاستيكيّ ليضع الصورة؛ من المحتمل أن تكون پينيلوپي هي الشخص الوحيد الذي بإمكانه إلقاء الضوء على مُلابسات الموقف.

مرّة أخرى، نظر إلى الصورة، وركّز على أحد العازفين، وحركة القوس، ومرفقه الأيمن، ثمّ نظر إلى روبرت بعينيه الرماديّتين. وسأله: «هل يعزفون دائمًا المقطوعات نفسها في جولاتهم؟».

«المقطوعات نفسها؟ لا، يا إلهي... إنّهم يعزفون رباعيّات بتهوڤن

كافّة، وهذا وحده يعني الكثير من التنوّع في عزفهم، ولكنّهم بالطبع يعزفون أيضًا كثيرًا من المقطوعات لشوبرت وبارتوك، وبالطبع برامس. إنّها قائمة طويلة... ولا بدّ من أن تضمّ ديبوسي ودڤوراك وهايدن، وكثيرًا من أعمال موتسارت ورافيل، وغيرهم».

نظر جونا أمامه، ثمّ سار بضع خطوات وتوقّف، وعاد ينظر إلى روبرت.

قال بحماسة مفاجئة: «لديّ فكرة. في هذه الصورة، وفقط من خلال النظر إلى أيادي الموسيقيّين، هل من الممكن تحديد أيّ مقطوعة يعزفون من خلال النظر إلى الصورة؟».

فتح روبرت فمه وأغلقه، ثمّ هزّ رأسه، ولكنّه نظر إلى الصورة مجدّدًا بابتسامة ورأى التالي: في دائرة الضوء على مسرح «ألتي أوبر» يعزف رباعيّ طوكيو الوتريّ. يبدو وجه كليڤ غرينسميث النحيف ضعيفًا بشكل غريب، ولكنّ جبهته تبدو لامعة، ويعزف كيكوي آيكيدا نغمة عالية، والإصبع الصغيرة ليده اليسرى على لوحة الأصابع.

قال روبرت: «هذا مستحيل. ربّما يعزفون... حسنًا! كنت سأقول...، ولكن...».

«ولكن باستخدام عدسة مكبّرة يمكنك رؤية أصابعهم على الأوتار، ورقاب الآلات».

قال روبرت وهو يتنهّد ويهزّ رأسه: «بالطبع، نظريًّا...».

تابع جونا بإصرار كبير في نبرة صوته: «هل تعرف أيّ أحد بإمكانه مساعدتي؟ أيّ موسيقيّ أو مدرّس في الكلّيّة الملكيّة للموسيقى، أو أيّ أحد قد يكون قادرًا على تحليل هذه الصورة لنا؟».

«كنت أتمنّى أن...».

«لن يكون الأمر ممكنًا، أليس كذلك؟».

أجاب روبرت وهو يهزّ كتفيه: «لا، بكلّ جدّيّة. إذا لم يستطع أكسيل، فأنا أشكّ أن يكون الأمر ممكنًا».

«أكسيل؟ شقيقك؟».

«ألم يرَ الصورة؟».

«لا».

«ولكنّكَ كنتَ تتحدّث إليه».

ابتسم جونا قائلًا: «ليس عن الموسيقى. أنت هو الموسيقيّ».

قال روبرت خاتمًا حديثه: «تكلّم معه في كلّ الأحوال».

«لمَ؟...».

توقّف جونا عندما سمع طرقًا على باب الأستوديو. وبعد لحظة، دخلت سوغا وأشعّة الشمس تتلألأ على شعرها الأشقر، وسألت: «هل أكسيل هنا؟».

فأجاب جونا: «لا».

وسأل روبرت مبتسمًا: «مزيد من المحقّقين؟».

فقالت سوغا باقتضاب: «شرطة الأمن».

خيّم الصمت على المكان لفترة طويلة إلى حدّ ما. لم يتمكّن روبرت من إبعاد عينيه عن سوغا. وأخيرًا قال بابتسامة عريضة: «لم أكن أعرف أنّ لدى شرطة الأمن قسمًا للحوريّات».

ثمّ حاول أن يكون جادًّا: «آسف. لم أقصد أن أكون وقحًا، ولكنّك تشبهين الحوريّات في رسومات باوِر».

ردّت سوغا مازحة: «كم تكون المظاهر خدّاعة!».

فقال روبرت وهو يقدّم نفسه مادًّا يده: «روبرت ريسين».

«سوغا»، ردّت.

70

خرج جونا وسوغا من منزل عائلة ريسين. في السيّارة أصدر هاتفها طنينًا. نظرت إلى الرسالة وابتسمت، ثمّ قالت وقد بدا عليها الخجل بسرعة: «لديّ موعد غداء في المنزل».

«كم الساعة الآن؟».

«الحادية عشرة والنصف. هل ستواصل العمل؟».

«لا، لديّ موعد غداء في ردهة طعام 'سودرا' مع صديقة».

«هل بوسعك أن توصلني إلى 'سودرمالم' إذن؟ أنا أسكن في شارع 'باستو' القريب».

«بوسعي أن أوصلك إلى المنزل، إذا أردتِ».

كان أكسيل قد بدأ يشرح لسوغا طبيعة عمله لدى الأمم المتّحدة، حين رنّ هاتفه. نظر إلى الشاشة واستأذن منها، ثمّ غادر الغرفة. جلست هي وانتظرته، ولكن، بعد خمس عشرة دقيقة، نهضت من مكانها، وبدأت تبحث عنه. عندما فشلت في العثور عليه، هبطت إلى أستوديو روبرت. ساعدها روبرت وجونا في البحث عن أكسيل، قبل أن يستنتجوا أنّه غادر المنزل.

سألت سوغا: «ماذا أردت من شقيق أكسيل؟».

قال جونا: «مجرّد شعور».

تمتمت: «مرحى! شعور».

«كما تعرفين... عندما أطلعنا سلمان على الصورة، تعرّف على نفسه، وتحدّث بأريحيّة عن المقابلة، ثمّ قال إنّ المفاوضات توقّفت عندما أصدرت المحكمة الجنائيّة الدوليّة في لاهاي مذكرة التوقيف لـ...».

رنّ هاتفه، فسكت وأخرجه، ثمّ ردّ على آنيا من دون أن يصرف نظره عن الطريق.

قال: «استجابة سريعة!».

قالت آنيا: «التوقيت صحيح. عزف رباعيّ طوكيو الوتريّ في 'ألتي أوپر' وكان سلمان في فرانكفورت».

«عُلِم».

رأته سوغا وهو يومئ برأسه ويشكرها قبل أن ينهي المكالمة.

قالت: «إذن، سلمان يقول الحقيقة؟».

«لا أعلم».

«ولكنّ التوقيت صحيح!».

«كلّ ما نعرفه أنّه سافر إلى فرانكفورت، وأنّ 'رباعيّ طوكيو الوتريّ' كان يعزف في 'ألتي أوبر'... ولكنّه سافر إلى فرانكفورت عدّة مرّات، و'رباعيّ طوكيو' يعزف هناك على الأقلّ مرّة كلّ عام».

«هل تحاول أن تقول إنّه كذب بشأن التوقيت، رغم تأكيده للتوّ؟».

«لا، ولكن... لا أعرف. مثلما قلت، إنّه مجرّد إحساس. لديه سبب قويّ للكذب، إذا كان هو وبالمكرونا يتفاوضان مع أغاثا الحجي بعد إصدار مذكّرة التوقيف».

«هذه مخالفة جنائيّة! يا إلهي! سيعني ذلك أنّهم كانوا يُصدّرون الأسلحة مباشرة إلى الميليشيات في دارفور، وهو خرق للقانون الدوليّ».

«لقد صدّقنا سلمان لأنّه تعرّف على نفسه. ولكن في الواقع، ليس معنى أنّه قال الحقيقة في جانب واحد أنّه صادق في كلّ شيء».

«هل هذا ما تشعر به؟».

«ثمّة شيء يتعلّق بنبرة صوته. عندما قال إنّ الشيء الوحيد الملحوظ في الصورة أنّ بالمكرونا لم يرفض نخب الشمبانيا...».

«لعدم وجود ما يستحقّ الاحتفال به».

«أجل، هذا كان تفسيره، ولكنّ حدسي يقول لي إنّه على العكس، كان ثمّة شيء يُحتَفل به، وكانوا يشربون نخبًا لأنّهم توصّلوا إلى اتّفاق».

«تتناقض كلّ الحقائق مع ما ترجّحه!».

«فكّري في الصورة؛ ثمّة خطبٌ داخل هذه المقصورة. وجوههم، كانوا سعداء، كأنّ عقدًا يُوقَّع».

«حتّى لو كان ذلك صحيحًا، لا يمكننا تأكيد تاريخ الصورة من دون مساعدة بينيلوبي».

«ماذا قال أطبّاؤها؟».

«يمكننا التحدّث إليها قريبًا، ولكنّها ما زالت منهكة للغاية».

«لا فكرة لدينا عن حجم ما تعرفه».

«يا إلهي! ماذا تبقّى لنا غير ذلك لمواصلة الأمر؟».

«الصورة، لأنّ الموسيقيّين الأربعة يظهرون بوضوح في الخلفيّة. ربّما يمكننا معرفة أيّ مقطوعة يعزفون من وضعيّات أيديهم، ومن ثمّ تحديد التاريخ بهذه الطريقة».

قالت مع تنهيدة: «جونا!».

أجاب مبتسمًا: «نعم».

«أتمنّى أن تدركَ أنّ هذا جنون خالص».

«قال روبرت إنّ هذا ممكن من الناحية النظريّة».

«علينا أن ننتظر حتّى تتحسّن پينيلوپي».

«سأجري مكالمة»، قال وأخرج هاتفه، واتّصل برقم 'هيئة الشرطة الوطنيّة'، ثمّ طلب توصيله بالغرفة رقم 12.

نظرت سوغا إلى وجهه الهادئ. وهو يقول: «أُدعَى جونا لينا...».

التزم الصمت، وبعد أن ظهرت على ملامح وجهه ابتسامة عريضة.

قال: «بالطبع أتذكّركِ، وأتذكّر معطفكِ الأحمر... أجل، ولكن كنتُ أظنّكِ ستقترحين تنويمًا مغناطيسيًّا».

سمعت سوغا الطبيبة وهي تضحك على مزحته.

قال: «لا، ولكن بجدّيّة... في الحقيقة، نحن بحاجة إلى التحدّث معها».

بدت على وجهه الرصانة وهو يردّ على الطبيبة: «أتفهّم ذلك... ولكن من الأفضل أن تقنعيها... حسنًا، سنتولّى الأمر. مع السلامة».

أنهى المكالمة، واستدار إلى شارع «بيلمانز»، ثمّ أخبر سوغا: «هذه دانييلا ريتشاردز».

«ماذا قالت؟».

«تعتقد أنّ بإمكاننا التحدّث مع پينيلوپي خلال يومين، ولكنّها تحتاج إلى مكان آخر للإقامة فيه أوّلًا؛ إنّها ترفض الإقامة في غرفة تحت الأرض...».

«لا يوجد مكان آخر أكثر أمانًا».

«لن يكون كذلك إذا رفضت البقاء».

«علينا أن نشرح لها خطورة الموقف».

«إنّها تعرف ذلك بالفعل، ربّما أكثر منّا».

71

جلست ديسا وجونا متقابلين على طاولة في ردهة طعام مسرح «سودرا» في ميدان «موزيباكي». تخلّل ضوء الشمس النوافذ الضخمة المطلّة على «أولد تاون» بجزيرة «سكيبشولمن» ومياه النافورة. تناولا سمك الرنجة المقليّ مع البطاطا المهروسة، وصلصة التوت البرّيّ، وهم الآن يصبّان آخر ما تبقّى من الجعة. جلس رونالد بروتيغام للعزف على البيانو الأسود الكبير الموجود على المسرح الصغير، وارتفع مرفق إيزابيل ڤان كولين الأيمن في أثناء متابعتها لحركة القوس.

توقّفت الموسيقى، مع بقاء آخر نغمة للكمان تترنّح في الهواء، لتتجاوز صوت البيانو، وتنتهي بنبرة عالية مرتجفة.

غادرا المطعم بعد انتهاء الحفلة، واتّجها إلى الميدان، حيث توقّفا عن تبادل النظرات.

قالت ديسا وهي ترتّب ياقة قميصه: «ماذا عن باغانيني... كنتَ تتحدّث عنه؟».

أمسك يدها بلطف، ثمّ قال: «أردتُ فقط أن أراكِ».

«حتّى أتمكّن من الصياح بوجهكَ لعدم تناولكَ الدواء؟».

«لا»، قال بجدّية.

«هل تتناوله إذن؟».

ردّ بنبرة ملولة: «سأفعل قريبًا».

لم تقل شيئًا، بل تركت لعينيها المتّشحتين باللون الأخضر الفاتح عنان لقاء عينيه اللتين تحملقان فيها للحظة، ثمّ أخذت نفسًا عميقًا، واقترحت أن يسيرا قليلًا.

قالت: «حسنًا، حفلة رائعة. الموسيقى تتوافق نوعًا ما مع الضوء في الخارج، وقد كانت رقيقة للغاية. ظننت دائمًا أنّ باغانيني... أتعلم؟ إنّ موسيقاه متّزنة جدًّا سريعة جدًّا. لقد سمعت مالمستين يعزف له 'كابريس رقم 5' في 'غرونا لاند' ذات مرّة».

«عندما كنتِ تواعدين بنيامين غانتيبين».
«نحن الآن صديقان على فيسبوك».
شبكا يديهما وواصلا السير عبر «سلوسين»، انحدارًا إلى «سكيبسبرون».
سأل جونا: «هل تعتقدين أنّه من الممكن معرفة النغمات التي يعزفها شخص ما على آلة الكمان من حركة أصابعه فقط؟».
«هل تقصد من دون سماع ما يعزف؟».
«أجل، من خلال صورة فقط».
«بشكل أو بآخر، أتخيّل أنّ الأمر قد يعتمد على مدى معرفتك بالآلة».
«وكيف أتأكّد من دقّة ذلك؟».
«يمكنني سؤال كاي إذا كان الأمر مهمًّا».
«كاي؟».
«كاي ساموليسون، أستاذ في قسم الموسيقى في الجامعة؛ صديق والدي».
«هل بوسعكِ الاتّصال به الآن؟».
قالت وهي ترفع أحد حاجبيها: «أتريدني أن أتّصل به على الفور؟».
«أجل».
تركت يده، وأخرجت هاتفها، ثمّ اتّصلت بصديق والدها.
قالت مبتسمة: «مرحبًا! أنا ديسا. هل أتّصل في منتصف وجبة الغداء؟».
سمع صوت رجل مرح عبر الهاتف. وبعد الدردشة معه هنيهة، قالت: «ثمّة صديق بصحبتي يريدني أن أطرح عليك سؤالًا».
ضحكت على شيء قاله، ثمّ سألت: «هل من الممكن معرفة النغمات التي يعزفها أحد ما على آلة الكمان من رؤية وضع الأصابع؟».
نظر جونا إليها وهي تستمع إلى صديق والدها مقطبة جبينها، بينما يسمعان صوت فرقة موسيقيّة متجوّلة من مكان ما بين أزقة «أولد تاون».
قالت بعد ثوانٍ: «حسنًا، أتعلم يا كاي؟ ربّما من الأفضل أن تتحدّث إليه بنفسك».

ناولته ديسا الهاتف من دون مقدّمات، فقال: «آلو. جونا لينا».
ردّ كاي بشغف: «مَن تتحدّث عنه ديسا كثيرًا!».
«لآلة الكمان أربعة أوتار فقط. إذن، ليس ثمّة كثير من النغمات المختلفة للعزف...».
سأل كاي: «ماذا تقصد بكلمة عزف؟».
شرح جونا: «تُعدّ أكثر النغمات انخفاضًا نغمات الوتر G المفتوح. وفي مكان ما على آلة الكمان، لا بدّ من نغمة أعلى...».
قاطعه: «فكرة جيّدة. نشر العالم الفرنسي ميرسين خلاصة فكره الموسيقيّ في عمل أطلق عليه 'الانسجام العالميّ' عام 1636، زعم فيه أنّ أفضل عازفي الكمان بإمكانهم العزف بحدّ أقصى طبقة 'أوكتاف' الموسيقيّة فوق كلّ وتر مفتوح، ما يعني أنّ النطاق يمتدّ من G أسفل النغمة المتوسّطة C وصولًا إلى E3... بإجماليّ أربع وثلاثين نغمة على السلّم الموسيقيّ».
كرّر جونا: «أربع وثلاثون نغمة!».
«ولكن إذا انتقلنا إلى الموسيقيّين الأكثر حداثة، وُسّع هذا النطاق من خلال لوحة الأصابع الجديدة... لذا، يمكننا الوصول إلى النغمة A3، ليرتفع السلّم الموسيقيّ من هذا المنطلق إلى تسع وثلاثين نغمة».
«استمرّ»، قال جونا في أثناء وقوف ديسا أمام صالة تعرض بعض الرسومات الغريبة غير الواضحة في نافذتها.
«يوم راجع ريتشارد شتراوس أطروحة برليوز عن الآلات في عام 1904، حُدِّدت النغمة G4 بصفتها أعلى طبقة ممكنة للعزف على يد عازف الكمان المحترف، ليصل عدد النغمات إلى تسع وأربعين».
ضحك كاي بينه وبين نفسه على التزام جونا الصمت.
ثمّ شرح: «لم يتوصَّل أحد إلى أقصى حدّ بأيّ حال من الأحوال. ومن ثمّ تُوجَد التناغمات كافّة، والنغمات الرباعيّة».
مرّا بقارب من قوارب «الفايكنغ» الطويلة، بُنِي حديثًا، وكان راسيًا في «سلوتسكاچين»، ثمّ توجّها ببطء نحو متنزّه «كانغستارد».

سأل جونا بنفاد صبر: «ماذا عن التشيلّو؟».

«ثمان وخمسون نغمة».

قال جونا: «هل بإمكانك إلقاء نظرة على صورة لأربعة موسيقيّين: عازفَيّ الكمان، وعازف ڤيولا، وعازف تشيلّو. هل يمكن من مجرّد صورة تحديد أيّ مقطوعة يعزفون من خلال النظر فقط إلى حركة أصابعهم، وأوتار ورقاب الآلات؟».

سمعه جونا يهمس لنفسه: «سيكون ثمّة كثير من البدائل، بل آلاف».

تجاهلت ديسا وجود جونا، وسارت من دون النظر إليه.

قال كاي بعد صمت وجيز: «سبعة ملايين تركيبة».

كرّر جونا: «سبعة ملايين».

واصل جونا حديثه بإصرار: «ولكن في الصورة التي لديّ، يمكنك بوضوح رؤية أصابع العازفين، والأوتار. ومن ثمّ، سيكون من السهل جدًّا استبعاد كثير من الاحتمالات».

«سيسرّني رؤية الصورة، ولكن لا يمكنني تخمين النغمات؛ هذا ببساطة غير ممكن. تخيّل يا جونا... تخيّل أنّك فعليًّا تمكّنت من تحديد النغمات، بشكل أو بآخر، كيف يمكنك تحديد إلى أيّ مقطوعة تنتمي هذه التركيبة من النغمات التي توجد في الرباعيّات الوتريّة كافّة التي تُقدّر بالآلاف؟ بتهوڤن وشوبرت وموتسارت...».

«فهمت. هذا مستحيل».

ردّ كاي: «بصراحة نعم».

شكره جونا على وقته، ثمّ ذهب وجلس إلى جوار ديسا التي كانت تنتظره عند جدار بجانب نافورة مياه. مالت بخدّها على كتفه. حالما وضع ذراعه حولها. تذكّر قول روبرت عن أخيه: «إذا لم يستطع أكسيل، فأنا أشكّ أن يكون الأمر ممكنًا».

72

بينما جونا يسير مسرعًا على أحد جانبي شارع «بريغ»، سمع صوت ضحك الأطفال وصياحهم من المدرسة الألمانيّة.

ضغط على جرس منزل أكسيل، وسمع نغمات لحن ما بالداخل. بعد الانتظار لفترة، قرّر أن يذهب إلى خلف المنزل. فجأة، سمع صوتًا صاخبًا من آلة وتريّة. أحد ما يقف تحت ظلّ شجرة. توقّف جونا. رأى على الشرفة الرخاميّة فتاة تحمل آلة كمان. بدت له في السابعة عشرة من عمرها، شعرها قصير للغاية، وقد رفعت ذراعيها. كان أكسيل ريسين يقف بجانبها، ويومئ برأسه، ويستمع باهتمام وهي تحرّك القوس على الأوتار. بدا عليها أنّها تحمل الآلة لأوّل مرّة. نظر أكسيل إليها بشغف واهتمام.

خرج القوس عن الأوتار، مُصدرًا صريرًا مزعجًا. رجّحت الفتاة تفسيرًا لهذه الضوضاء المزعجة: «ربّما خرجت عن الإيقاع».

ابتسمت، وأعادت له الآلة بحرص. فقال أكسيل بحرارة: «يعتمد عزف الكمان في المقام الأوّل على الإنصات. عليكِ الإنصات إلى اللحن، وسماع الموسيقى بداخلكِ، قبل نقلها إلى أرض الواقع».

وضع الكمان على كتفه، وعزف مقدّمة «لا سيغويديلا» من «أوبرا كارمن» التي ألّفها بيزيه، ثمّ توقّف ليريها الكمان.

قال وهو يغيّر وضع الأوتاد لاتّجاهات مختلفة: «الآن، سأعيد ضبط الأوتار، بشكل عشوائيّ قليلًا مثل هذا».

«ولكن لماذا؟...».

«الآن، صارت آلة الكمان غير متناغمة أبدًا. وإذا كنتُ قد تعلّمتُ القطعة ميكانيكيًّا فقط، ومواضع الأصابع بشكل دقيق، تمامًا مثلما عزفتها الآن، سيصدر الصوت على النحو التالي».

وعزف مقطوعة «لا سيغويديلا» مرّة أخرى، فكانت نشازًا، ولا يمكن معرفة اسمها تقريبًا.

قالت مازحة: «جميل!».

شرح وهو يجذب الوتر E: «ولكن إذا استمعتِ إلى الأوتار، بدلًا من ذلك... هل تسمعين هذا؟ إنّ صوته منخفض للغاية، ولكن لا يهمّ؛ عليكِ فقط أن تعوّضي ذلك من خلال عزف النغمة أعلى الرقبة».

وقف جونا يشاهد أكسيل وهو يعزف المقطوعة مجدّدًا على آلة كمان أوتارها غير متناغمة، مع وضعيّات خاطئة للأصابع، ولكن باتّباع النغمات الصحيحة بالضبط، عاد عزفُ «لا سيغويديلا» رائعًا مرّة أخرى.

ضحكت الفتاة وصفّقت بيديها، قائلةً: «أنت ساحر!».

اتّجه جونا إليهما قائلًا: «مرحبًا». صافح أكسيل، ثمّ الفتاة.

قال لأكسيل الذي ما زال يحمل آلة الكمان غير المتناغمة الأوتار: «مذهل!».

نظر أكسيل إلى الكمان، وهزّ رأسه قائلًا بنبرة غريبة: «لم أعزف منذ أربعة وثلاثين عامًا».

فسأل جونا الفتاة: «هل تصدّقين ذلك؟».

أومأت برأسها موافقة، ثمّ أجابت بشكل غامض: «ألا ترى التوهّج؟».

وقال أكسيل بهدوء: «بيڤرلي».

نظرت إليه مبتسمة، ثمّ سارت بعيدًا عنهما تحت الأشجار.

أومأ جونا برأسه نحو أكسيل، وقال: «أحتاج إلى التحدّث معك».

قال أكسيل بينما شرع في إعادة ضبط الكمان: «آسف لاختفائي فجأة، ولكنّي استُدعِيتُ للضرورة».

«لا بأس، لقد عدت».

كانت الفتاة تلتقط بعض الحشائش التي تنمو على المرجة المُظلّلة. وسألت: «هل ثمّة إناء زهور في الداخل؟».

«نعم، في المطبخ»، أجاب أكسيل.

حملت باقة صغيرة من زهور الهندباء البرّية إلى الداخل.

قال أكسيل: «زهورها المفضّلة». ثمّ استمع إلى الوتر G، وضبط الأوتاد، ثمّ وضع الكمان على سطح الطاولة المصنوعة من الفسيفساء.

قال جونا وهو يُخرج الصورة من الملفّ البلاستيكيّ: «أريد أن تُلقي نظرة إلى هذه الصورة».

جلسا حول الطاولة. أخرج أكسيل نظّارة القراءة من جيب صدره، ونظر إلى الصورة بعناية.

سأل بعجلة: «متى التُقِطت هذه الصورة؟».

«لا نعرف، ولكن ربّما في ربيع عام 2008».

قال أكسيل وقد بدا على الفور أكثر استرخاءً: «أجل».

«هل تعرف هؤلاء الأشخاص؟».

«بالطبع! بالمكرونا وپونتوس سلمان ورافاييل غويدي و... أغاثا الحجي».

«جئت إليك لأنني أريدك أن تلقي نظرة إلى الموسيقيّين في الخلفيّة».

نظر أكسيل إليه بفضول، ثمّ التفت إلى الصورة مجدّدًا.

قال بهدوء: «إم، 'رباعيّ طوكيو الوتريّ' فرقة جيّدة».

«نعم، ولكنّني كنت أتساءل. هل من الممكن لشخص ذي معرفة أن يحدّد من الصورة وحدها أيّ مقطوعة يعزفها الرباعيّ».

«سؤال مثير للاهتمام».

«هل من الممكن إعطاء تخمين صحيح؟ لا يبدو أنّ كاي ساموبلسون مقتنع بذلك. وعندما نظر شقيقك روبرت إلى الصورة، قال إنّ الأمر مستحيل تمامًا».

مال جونا نحو الأمام، وبدت عيناه هادئتين تحت أوراق الشجر الظليل.

قال: «كان شقيقك متأكّدًا من أنّ أحدًا لا يمكنه فعل ذلك، إن لم تستطع أنت».

ارتسمت ابتسامة على فم أكسيل، ثمّ قال: «هل قال ذلك بالفعل؟».

«أجل، ولكنّني لست متأكّدًا ممّا كان يقصده».

«ولا أنا»، قال أكسيل.

«غير أنّي ما زلت آمل أن تلقي نظرة إلى الصورة».

سأل أكسيل بنبرةٍ جادة: «هل تعتقد أنّ معرفة المقطوعة التي عُزِفت سيساعد على تأكيد تاريخ التقاط الصورة؟».

أومأ جونا برأسه، وأخرج عدسة مكبّرة من حقيبته أعطاها له، ثمّ قال: «يمكنك الآن رؤية أصابعهم».

جلس جونا بهدوء في أثناء تفقّد أكسيل للصورة، وأخذ يفكّر مجدّدًا في أنّه إذا كانت الصورة قد التُقِطت قبل إصدار مذكّرة الاعتقال في مارس 2009، فقد قاده إحساسه الغريزيّ إلى الاتّجاه الخاطئ. ولكن إذا كانت التقطت بعد ذلك، فستثبت صحّته، وتصبح الصورة عندئذ دليلًا على عمل إجراميّ.

قال أكسيل ببطء: «يمكنني رؤية أصابعهم بالتأكيد».

«هل يمكنك تخمين النغمات التي يعزفونها؟».

تنهّد أكسيل، وأعاد الصورة والعدسة المكبّرة إلى جونا، ثمّ بدأ يغنّي أربع نغمات. غناها بهدوء كبير، ولكن بوضوح شديد. بعد التفكير هنيهة، التقط آلة الكمان عن الطاولة المصنوعة من الفسيفساء، وعزف نغمتين مرتفعتين مرتجفتين.

قفز جونا على قدميه قائلًا: «هل تمزح؟».

نظر أكسيل إليه مباشرةً، وقال: «مارتن بيڤر يعزف C3، وكيكوي يعزف C2، أمّا كازوهايدي إيزومورا فلا يعزف، في حين يعزف كليڤ أربع نغمات 'بيزيكاتو'[1]؛ هذا ما كنت أدندن به، النغمة المرتفعة E، والنغمة المرتفعة A، وA3، والنغمة الحادّة C4».

كتب جونا ما قاله، ثمّ سأله: «ما مدى دقّة هذا التخمين».

«هذا ليس تخمينًا».

«هل تعتقد أنّ هذه التركيبة من النغمات موجودة في كثير من المقطوعات؟ أقصد... هل من الممكن تحديد المقطوعة التي يعزفونها في الصورة من خلال هذه النغمات بمفردها؟».

---

(1) عزف البيزيكاتو أو النقر بالأصبع: هو نقر الأوتار بواسطة أحد أصابع اليد. (المترجم).

ردّ أكسيل: «تظهر هذه التركيبة من النغمات مرّة واحدة فقط».
«كيف تعرف ذلك؟».
رفع أكسيل نظره إلى النافذة. انعكست على زجاجها الأوراق الكبيرة المرتجفة.
قال جونا: «استمرّ من فضلك».
ردّ أكسيل وهو يهزّ كتفيه اعتذارًا: «أنا متأكّد من أنّني لم أسمع الأعمال الموسيقيّة كافّة التي يعزفونها».
«لكنّك ما زلت تعتقد أنّ هذه النغمات موجودة فقط في مقطوعة معيّنة؟».
«هذه التركيبة من النغمات موجودة فقط في مكان واحد، على حدّ علمي، في الجزء رقم 156 من الحركة الأولى للرباعيّة الوتريّة الثانية لبيلا بارتوك».
التقط أكسيل الكمان مجدّدًا، ووضعه على كتفه. «حركة هادئة... تصبح الموسيقى هادئة بشكل رائع مثل التهويدة. استمع إلى الجزء الأوّل»، قال وبدأ العزف.
شرح: «تتعقّب آلة الكمان الأولى الآلة الأخرى، وتتبعان النغمات نفسها، ولكن بطبقات 'أوكتاف' مختلفة؛ إنّها جميلة جدًّا. ولكن على عكس نغمة التشيلّو A المرتفعة، تقدّم آلتا الكمان درجة من الاختلاف التي...».
توقّف أكسيل عن الكلام، ووضع آلة الكمان من يده.
نظر جونا إليه، وسأله: «إذًا أنت متأكد أن الموسيقيّين في هذا الصورة يعزفون الوتريّة الرباعيّة الثانية لبيلا بارتوك؟».
«أجل».
سار جونا لبضع خطوات، ثمّ توقّف بجانب شجيرات الليلك المزهرة. لقد سمع تقريبًا للتوّ كلّ ما أراده لتحديد تاريخ هذا الاجتماع. أخفى ابتسامته، واستدار ليلتقط تفّاحة حمراء من طبق الفاكهة الموجود على

طاولة الفسيفساء، ثمّ التقت عيناه بعيني أكسيل. فسأل مرّة أخرى: «هل أنت متأكّد؟ متأكّد بالفعل؟».

أومأ أكسيل برأسه، فأعطاه جونا التفّاحة، واستأذن منه ليتّصل بـآنيا.

«الأمر عاجل يا آنيا...».

قاطعته: «كان من المفترض أن نأخذ حمّام بخار معًا في عطلة نهاية هذا الأسبوع».

«أحتاج إلى مساعدة».

ضحكت قائلة: «أعلم ذلك».

حاول إخفاء توتره وهو يسألها: «هل يمكنك التحقّق من سجلّ 'رباعيّ طوكيو الوتريّ' الموسيقيّ على مدار السنوات العشر الماضية؟».

«تحقّقت منه بالفعل».

«هل يمكنك معرفة ما عزفته الفرقة في 'ألتي أوپر' في فرانكفورت خلال هذه الفترة؟».

«أجل، لقد كانت تعزف هناك كلّ عام، وأحيانًا أكثر من مرّة في العام».

«هل عزفت في أيّ مرّة الرباعيّة الوتريّة الثانية لبيلا بارتوك؟».

بعد بعض الوقت، أجابته: «مرّة واحدة. 'أوبوس 17' كما أرى الآن».

«أوبوس 17!»، كرّر جونا وهو ينظر إلى أكسيل الذي هزّ رأسه بالإيجاب.

سألت آنيا: «ماذا؟».

«متى كان ذلك؟ متى عزفت الرباعيّة الوتريّة الثانية لبيلا بارتوك؟».

«13 نوڤمبر 2009».

«هل أنت متأكّدة؟».

فكّر جونا في أنّ الأشخاص في الصورة قد التقوا بعد ثمانية أشهر من إصدار مذكّرة اعتقال الرئيس السودانيّ البشير، وأنّ سلمان كذب عليه هو وسوغا بشأن التاريخ؛ لقد اجتمعوا في نوڤمبر 2009، ما تسبّب في موت

أناس بالفعل جراء ذلك، وقد يموت عدد أكبر. القاتل هو أحد الأشخاص في هذه الصورة.

مدّ جونا يده، ولمس أزهار الليلك ذات اللون البنفسجيّ. يجب أن يقابل سوغا ليخبرها عن آخر المستجدات.

سألته آنيا عبر الهاتف: «هل هذا كلّ شيء؟».

«أجل».

«وماذا نقول...».

«أنا آسف». ثمّ قال بالفنلنديّة: «يمكنك الحصول على قبلة شكر».

فكّر مجدّدًا في أنّ سلمان كذب؛ كان ثمّة حظر تامّ على الأسلحة حين التقى مع بالمكرونا وغويدي وأغاثا الحجي.

أرادت أغاثا شراء الذخيرة، وأراد الآخرون الحصول على المال غير عابئين بحقوق الإنسان أو القوانين الدوليّة.

لقد كذب سلمان بشأن التاريخ ببراعة. افترض أنّ إدراج بعض الحقائق فيما يقوله سيخفي الكذبة. وباعترافه غير المتحفّظ أنّه في الصورة، اعتقد أنّ كلّ كلامه سيؤخذ على محمل الصدق، وتُقبل كذبته بشأن التاريخ.

تذكّر وجه سلمان الجامد وهو يتحدّث، كان شاحبًا وكئيبًا. ثمّ صراحته المزيّفة عندما تعرّف على نفسه، وأخبرهما بتاريخ اللقاء.

همس صوت داخل عقل جونا: «تهريب الأسلحة. إنه كلّ ما تدور حوله هذه القضية؛ الصورة، ومحاولة الابتزاز، وكلّ الوفيّات».

سأله أكسيل: «ما الذي توصّلت إليه؟ هل تمكّنت من تحديد التاريخ؟».

أجاب جونا باقتضاب: «أجل».

حاول أكسيل النظر إليه مباشرةً، وسأله: «ما الخطب؟».

«عليّ أن أذهب».

«هل التقوا بعد إصدار مذكّرة توقيف البشير؟ يجب أن أعرف إذا كان الأمر كذلك!».

نظر جونا إليه مباشرةً نظرة هادئة مشرقة.

استلقت سوغا مغمضة العينين على بطنها فوق السجّادة الشاحبة اللون. راح ستيفان يقبّل ظهرها ببطء. تناثر شعرها الجميل على الأرض. مرّ وجه ستيفان الدافئ على طول بشرتها.

حدّثت نفسها: «استمرّ».

دغدغت لمسات شفتيه اللطيفة كتفيها. أصابها والارتجاف بسرور.

صدحت من الستيريو موسيقى دويتو للتشيلّو والميزو سوبرانو لكارل أوناندير-شارين[1]. تقاطع اللحنان بشكل إيقاعيّ متكرّر، تاركين تأثيرًا إيروتيكيًا. شعرت بالإثارة تسري في جسدها وهي مستلقية من دون حراك تتنفّس من خلال شفتيها نصف المفتوحتين، وترطبهما بلسانها.

انزلقت يدا ستيفان على خصرها وردفيها ورفعتا ظهرها بخفّة الريشة.

ابتسمت لنفسها، فهي لم تقابل رجلًا قبله تعامل معها بهذا اللطف. نظر إليها، فباعدت فخذيها. شعرت بأنّها آخذة في التوهّج الداخليّ. أطلقت أنينًا بينما هي تشعر بلسانه. أدار جسدها بلطف شديد. فظهرت على بطنها آثار خطوط السجادة. فهمست: «استمر».

قال: «أو ستطلقين النار عليّ».

هزّت برأسها وابتسمت ووجهها مشرق سعيد. سقط شعر ستيفان الأسود على وجهه، وتدلّى ذيل الحصان الرفيع على صدره. فقالت: «تعالَ إلى هنا».

جذبت وجهه نحوها وقبّلته، فتلاقى لسانها بلسانه الدافئ الرطب.

خلع بنطاله بسرعة واستلقى فوقها عاريًا. أطلقت أنّة طويلة مستمتعين بتلاصقهما المدوّخ. ضغط ستيفان بلطف، وتحرّك ردفاه ببطء. مرّرت سوغا أصابعها على كتفيه وظهره ومؤخّرته.

رنّ هاتفها. وانبعثت نغمة «بلو چين بلوز» الهاتفيّة من كومة الملابس على الأريكة. فهمست: «دعه يرنّ».

---

(1) مؤلّف موسيقي ومغنّي أوبرا سويديّ

قال: «إنّه هاتف العمل».

انسحب منها وتحسّس جيوب سروالها بحثًا عن الهاتف. كان الرنين قد توقف، وأشار صوت طنين بوصول رسالة صوتيّة جديدة.

***

بعد عشرين دقيقة، كانت سوغا تركض بنصف سرعتها داخل ردهة «إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة». شعرها لا يزال رطبًا إثر الاستحمام السريع، ويعتري جسدها شعور بوخز الشهوة غير المُشبَعة. لم تكن مرتاحة في جينزها وملابسها الداخلية.

وهي تتّجه مسرعة إلى مكتب جونا، لمحت وجه آنيا أعلى شاشة الكمبيوتر. كان يقف في منتصف الغرفة ممسكًا الصورة بيده في انتظارها. حين التقت بالنظرات الحادّة لعينيه الرماديّتي اللون، شعرت برجفة من القلق تنساب أسفل عمودها الفقري.

قال: «أغلقي الباب». فأغلقت الباب واستدارت لتواجهه.

قال: «تذكّر أكسيل ريسين الموسيقى التي سمعها كافّة، وعرف كلّ نغمة من كلّ آلة في أيّ أوركسترا...».

«لا أفهم ما الذي تحاول أن تقوله».

«تمكّن من معرفة أيّ مقطوعة كان الرباعيّ يعزفها في الصورة؛ إنّها الرباعيّة الوتريّة الثانية لبيلا بارتوك».

قالت: «حسنًا! كنتَ محقًّا. كان من الممكن تحديد المقطوعة».

قال بنبرة حادّة غير معتادة: «التُقطت الصورة في 13 نوفمبر 2009».

علّقت: «إذن، كان الأوغاد يبيعون الأسلحة للسودان بعد إصدار مذكّرة التوقيف ضدّ البشير... كانوا يعرفون أنّ الذخيرة ستُضَخّ إلى دارفور».

أومأ برأسه وعضلات فكّه ترتجف تحت جلده، وقال: «ما كان لپالمكرونا أن يجلس في المقصورة، ولا سلمان، ولا لأيّ منهم...».

قالت بحماسة متحفّظة: «ولكنّهم الآن في الصورة التي معنا، ويبدو أنّ غويدي وراء كلّ ذلك».

ردّ وهو ينظر إلى عينيها الزرقاوين: «أجل».

«السمك الأكبر هو الأكثر حقارة بالفعل! هذا ليس جديدًا. معظم الناس يعرفون ذلك. ولكنّ الكبار دائمًا ما يفلتون».

ظلّا واقفين في صمت وهما يتفحّصان الصورة. نظرا إلى الأشخاص الأربعة داخل المقصورة في «ألتي أوبر»: الشمبانيا، وجوههم، الموسيقيين وهم يعزفون على آلات باغانيني القديمة.

قالت سوغا وهي تأخذ نفسًا عميقًا: «حسنًا! حلّينا اللغز الأوّل. الصورة إذًا تتعلّق بمحاولات السودان شراء أسلحة، على الرغم من الحظر».

قال جونا بتردّد: «كان بالمكرونا هناك. وربما يكون رصيد حسابه في البنك من الرشوة. ولكنّه... لم يعتمد قطّ أيّ عمليّات تصدير أسلحة إلى السودان بعد إصدار مذكّرة التوقيف. هذا أمر غير وارد، ولم يكن له أبدًا...».

توقّف عن الحديث عندما رنّ هاتفه في جيب سترته. ردّ، وظلّ يستمع للحظة في صمت، ثمّ أنهى المكالمة. نظر إلى سوغا.

قال لها: «كان هذا أكسيل. لقد كشف أمر الصورة».

74

نُصب في الفناء الخلفيّ للكنيسة الفنلنديّة في «أولد تاون» تمثال حديديّ لصبيّ ناسك، يصل ارتفاعه إلى خمسة عشر سنتيمترًا. على بُعد ثلاثة أمتار، كان أكسيل يتّكئ على الجدار المطليّ باللون الأحمر، ويتناول الشعيريّة الشريطيّة من عبوة كرتونيّة. أشار لجونا وسوغا بعودَي الطعام الصينيّ حين رآهما قادمين من البوّابة.

سأله جونا: «إذن، ما الذي كشفته؟».

أومأ أكسيل برأسه، ومسح فمه بمنديل، ثمّ صافحهما.

قال جونا بإصرار: «قلتَ إنّك اكتشفتَ ما تدور حوله الصورة».

غضّ أكسيل بصره، وأخذ نفسًا عميقًا، ثمّ نظر إلى أعلى مجدّدًا.

قال: «كينيا. يحتفل الأشخاص الأربعة داخل المقصورة لأنّهم توصّلوا إلى اتّفاق بشأن تصدير شحنة كبيرة من الذخيرة إلى كينيا».

توقّف عن الكلام للحظة. فقال جونا: «أكمل».

«تشتري كينيا 1,25 مليون طلقة ذخيرة 5,56 × 45 ملم مصنّعة بموجب ترخيص».

قالت سوغا: «لبنادق الهجوم».

«ستذهب الشحنة إلى كينيا، ولكنّ الذخيرة ليست لكينيا، بل ستوجّه إلى السودان، لميليشيات دارفور. لقد أدركتُ الأمر كلّه».

سأل جونا: «أين كينيا من كلّ هذا؟».

«التقوا أربعتهم في المقصورة بعد صدور مذكّرة التوقيف ضدّ البشير، أليس كذلك؟ عُزِفت الرباعيّة الوتريّة الثانية لبارتوك لمرّة واحدة فقط. من غير القانونيّ تصدير أسلحة إلى السودان، ولكن ليس إلى جارتها في الجنوب، إذ لا توجد عقوبات ضدّ كينيا».

قالت سوغا: «كيف يمكنك أن تكون متأكّدًا إلى هذه الدرجة؟».

أجاب أكسيل بمرارة: «ترك پالمكرونا لي هذا الأمر بانتحاره. كانت الاتفاقيّة آخر شيء يعمل عليه، ولكنّه لم يكمله، وقد وعدتُ بتوقيع تصريح التصدير اليوم».

قالت سوغا: «إنّها الذخيرة نفسها، والصفقة نفسها. بعد إصدار مذكّرة التوقيف ضدّ البشير، مسحوا السودان، وكتبوا كينيا».

قال أكسيل: «كانت خطّة مُحكمة».

أشار جونا: «حتّى التقط أحد ما صورة الاجتماع».

قال أكسيل: «انتهى التقييم بوقت انتحار پالمكرونا. ربّما اعتقد الجميع أنّه وقّع التصريح بالفعل».

قال جونا: «ربّما شعروا بالفزع الشديد عندما أدركوا أنّه لم يفعل».

«عُيّنتُ بسرعة بالغة، ثمّ وضعوا في يدي القلم لأوقّع العقد».
سأل جونا: «ولكن؟».
ردّ أكسيل: «أردتُ إجراء تقييمي الخاصّ».
«وقد فعلتَ؟».
سألت سوغا: «وبدا كلّ شيء على ما يرام؟».
«أجل... ووعدتُ أنّ أوقّع. كنتُ سأفعل ذلك، لولا أنّني رأيتُ الصورة».
وقف الجميع في صمت ينظرون إلى التمثال الحديديّ الصغير الذي يُعدّ أصغر عمل فنّيّ عامّ في ستوكهولم. ربّتت جونا على رأس الصبيّ اللامع. كان يشعّ حرارة بعد مرور يوم في الشمس، كما لو كان حيًّا.
قال أكسيل بصوت خفيض: «إنّهم مشغولون بتحميل السفينة في ميناء 'غوتنبرغ' الآن».
قالت سوغا: «كما أفهم، من دون تصريح التصدير».
أعلن أكسيل: «لن تغادر هذه الذخيرة أرض السويد».
قال جونا: «لقد قلتَ إنّهم ينتظرون توقيعكَ اليوم! كيف يمكنكَ تأجيل ذلك؟ من المهمّ بالنسبة لتحقيقنا ألّا يشعروا بأيّ خطب».
«لن يسترخوا فقط وينتظروا».
اقترح جونا: «قل إنّكَ لم تنتهِ من الأمر تمامًا».
«قد يكون ذلك صعبًا. أنا مسؤول بالفعل عن تأخير الصفقة، ولكنّني سأحاول».
شرح جونا: «لا يؤثّر ذلك فقط على تحقيقنا. أنا قلق بشأن سلامتك يا أكسيل».
ابتسم أكسيل، وسأله بنبرة من الشكّ في صوته: «هل تظنّ أنّهم سيهدّدونني؟».
بادله جونا الابتسامة، وأجابه: «ما داموا يتوقّعون أنّك ستعتمد الصفقة، لن تكون في خطر أبدًا. ولكن إذا رفضت، فإنّهم سيفقدون مبالغ ضخمة

من المال. لا يمكنني حتّى تخيّل حجم الرشوة التي دفعوها. كما أنّ ثمّة عددًا من الأشخاص قد قُتِلوا بالفعل بسبب هذه الصفقة».

قال أكسيل حين بدأ هاتفه يرنّ: «لن أكون قادرًا على تأجيل توقيع التصريح إلى أجل غير مسمّى. يحاول سلمان الإمساك بي طوال اليوم. يعرف هؤلاء الناس عملهم، ولا يمكن خداعهم».

نظر إلى شاشة هاتفه وتيبّس، ثمّ قال: «أعتقد أنّه سلمان مجدّدًا».

فقال جونا: «ردّ عليه».

«حسنًا»، قال أكسيل وأجاب الاتّصال.

قال سلمان بصوته المتشدّق عبر الهاتف: «حاولت الاتّصال بك عدّة مرّات. تعرف... انتهينا من شحن السفينة. يعدّ انتظارها في الميناء أمرًا مكلفًا. وقد حاولت شركة الشحن التواصل معك. يبدو أنّها لم تتسلّم تصريح التصدير».

قال أكسيل وهو يحدّق إلى جونا وسوغا: «أنا آسف. للأسف لم يكن لديّ الوقت لتفقّد آخر بضع...».

«لقد تحدّثت بالفعل مع مكتب رئيس الوزراء. كان من المفترض أن توقّعه اليوم».

تردّد أكسيل في كلامه، إذ باتت أفكاره تسير في اتّجاهات شتّى، وتمنّى لو كان قادرًا على إنهاء المكالمة على الفور. ولكنّه تنحنح بدلًا من ذلك، واعتذر لسلمان، قائلًا: «طرأ شيء ما».

سمع النبرة المزيّفة في صوته، وعرف أنّه يستغرق وقتًا طويلًا بعض الشيء للردّ على سلمان. بل إنّه أوشك أن يقول الحقيقة.

قال سلمان الذي لم يستطع إخفاء غضبه: «كان لديّ انطباع بأنّ الأمر سيُحسَم اليوم على أبعد تقدير».

«لقد غامرتَ».

«ماذا تقصد؟».

«من دون تصريح تصدير، لا يمكن أن يكون...».

«ولكنّنا بالفعل... آسف».

«لقد حصلت على تصريح بتصنيع الذخيرة، وعلى موافقة مبدئيّة على الصفقة، وأنا أنظر إلى عمليّة التصدير بشكل إيجابيّ، ولكنّ هذا كلّ شيء حتّى الآن».

قال سلمان بنبرة أكثر لطفًا: «كثيرون على المحكّ في هذا الأمر... أتوجَد أيّ رسالة يمكنني إبلاغ شركة الشحن بها؟ هل يمكنك إعطائي فكرة كم سيستغرق الأمر وفقًا لتقديركَ؟ تريد الشركة معرفة إلى أيّ مدى ستنتظر الشحنة في الميناء. يتعلّق الأمر كلّه بالأعمال اللوجستيّة».

قال أكسيل: «أنظر إلى عمليّة التصدير إيجابيًّا، لكنّني سأتفقّد كلّ شيء مرّة أخيرة، وبعد ذلك سأطلعكَ».

75

كان وجه سوغا متعرّقًا شاحبُ، بعد أن قفزت بالحبل في صالة الألعاب الرياضيّة التابعة لمقرّ الشرطة لنحو خمسين دقيقة، حين جاءها أحد الزملاء قلقًا، وسألها إن كانت بخير. وقال لها: «أنتِ قاسية للغاية على نفسك».

ردّت بحسم وهي تقفز: «لا». واستمرّت.

بعد عشرين دقيقة، جاء جونا إلى الصالة، وسار نحو سوغا، ثمّ جلس على مقعد منحدر أمام بعض الأوزان.

قالت من دون توقّف: «اللعنة... سيضخّون الذخيرة إلى دارفور، وليس ثمّة شيء يمكننا فعله حيال ذلك».

قال جونا بهدوء: «على الأقلّ علمنا ما يدور حوله هذا الأمر برمّته، وعرفنا أنّهم يستخدمون كينيا جسرًا».

سألت وهي تقفز: «ولكن ماذا سنفعل؟ نقبض على هذا الوغد الذي يُدعى بونتوس سلمان، ونتواصل مع مكتب الشرطة الأوروبيّ 'يوروبول' بشأن رافاييل غويدي؟».

«ليس بإمكاننا إثبات أيّ شيء حتّى الآن».

قالت والحبل يرتفع ثمّ يرتطم بالأرض: «إنّ هذا الأمر أكبر بكثير ممّا قد يتخيّله أيّ شخص، وكم تمنّيت لو لم يكن بهذا التعقيد! تورّط بالمكرونا في الأمر، وسلمان، مواطن سويديّ... ورافاييل غويدي، من كبار الشخصيّات... لا بدّ من أنّ شخصًا ما من جانب الحكومة الكينيّة طرف في الأمر. بخلاف ذلك، لن تُبرَم الصفقة، وربّما شخص من جانب الحكومة السويديّة...».

قال جونا: «لن نستطيع النيل منهم كلّهم».

قالت: «ربّما يكون الخيار الأذكى هو التخلّي عن القضيّة».

«لنفعل ذلك إذًا»، قال جونا. أطلقت ضحكة وهي مستمرّة في القفز.

قال جونا بتمعّن: «ربّما كان بالمكرونا يحصل على الرشوة منذ سنين، ولكنّه عندما تسلّم رسالة البريد الإلكترونيّ من يورن، شعر بالخوف من أنّ الأمر قد يكون انتهى... لذا، اتّصل بشخص ما، من المرجّح غويدي، بيد أنّه أدرك خلال المكالمة أنّه يمكن أن يُستبدَل... وأنّه بسبب هذه الصورة، صار يتسبّب في مشكلة للأشخاص الذين استثمروا في هذه الصفقة. لم يكونوا على استعداد لخسارة أموالهم، والتضحية برزقهم من أجله».

قالت وهي تقفز أسرع: «لذا قتل نفسه».

«ما يعني أنّه كان بعيدًا عمّا حدث، تاركًا وراءه الصورة والمبتزّ».

قالت: «لذا استأجروا مجرمًا محترفًا لقتل يورن والتخلّص من أيّ دليل».

قال جونا: «لو لم تظهر ڤيولا، لقتل يورن وپينيلوپي، ثمّ أغرق اليخت».

توقّفت أخيرًا. وقالت وهي تلهث: «وكنّا... سنسجّلها حادثة، فيما يحصل المجرم على الصورة، ويمسح البيانات عن أجهزة الكمبيوتر كافّة، ويغادر البلد من دون أيّ أثر».

قال جونا: «انطباعي عنه أنّه ليس قلقًا من أن نراه، فهو يتصرّف بشكل عمليّ. أجل، الأمر أسهل من دون تدخّل الشرطة، ولكن عندما يكون

لديه الخيار بين حلّ المشكلة أو تجنّب عمليّة تتبّعه، فإنّه سيختار أن يحلّ المشكلة. لو كان الأمر عكس ذلك، لما حاول حرق الشقّتين، إذ إنّ هذا الأمر يلفت كثيرًا الانتباه، ولكنّه أراد أن يكون دقيقًا، فهو يعطي الدقّة الأولويّة قبل أيّ شيء آخر».

بينما العرق يتساقط من وجهها. قالت: «من الواضح أنّنا كنّا سنربط بين الحرائق وغرق اليخت، عاجلًا أم آجلًا».

«ولكن بعد فوات الأوان. كانت مهمّة المجرم التخلّص من كلّ الأدلّة والشهود».

«ولكن الآن لدينا الصورة وبينيلوبي. لم يحلّ المجرم المشكلة بعد».

«ليس بعد...».

لكمت حقيبة متدلّية من السقف بضع لكمات، ونظرت إليه بتركيز.

قالت: «في أحد التدريبات، كان عليّ أن أشاهد شريطًا لسرقة بنك، حيث ألقيتَ القبض على أحد المجرمين باستخدام مسدّس مزيّف».

ردّ: «كنتُ محظوظًا».

«أجل».

ضحك جونا، واقتربت سوغا منه. راحت تدور حوله محاولةً القيام ببعض تدريبات الأقدام، ثمّ توقّفت ورفعت ذراعيها، ونظرت إليه. استدعته بإشارة من أصابعها. أرادته أن يحاول تلقّي لكمة. ابتسم وأدرك أنّها حركة بروس لي المسمّاة «اليد المحيّرة». هزّ رأسه، ولكنّه لم يكفّ عن النظر إليها.

قال: «رأيتُ كيف تتحرّكين».

«إذن، أنتَ تعرف».

«أنتِ سريعة، وقد تسدّدين الضربة الأولى، ولكن بعد ذلك...».

استنتجت: «سأكون قد اختفيت».

«فكرة جيّدة، ولكن...».

كرّرت الإيماءة مستدرجة إيّاه نحوها وقد نفد صبرها قليلًا.

تابع بمرح: «ولكن، قد تسدّدينها بشدّة».
«لا».
قال بهدوء: «جرّبيها لتري».
استدرجته إليها، ولكنّه تجاهل دعوتها وأدار ظهره لها، وبدأ بالسير نحو الباب. تحرّكت بسرعة خلفه وهي تحاول استهدافه بلكمة بيدها اليمنى. لكنّه خفض رقبته ببساطة، بحيث تمرّ الضربة من فوق رأسه. واستمرارًا للحركة نفسها، دار حولها، وسحب مسدّسه، وأسقطها على الأرض عبر ركل ركبتها.
قالت بسرعة: «أريد فقط أن أقول شيئًا واحدًا».
«أنّني كنتُ على حقّ؟».
قالت سوغا ببعض الغضب قبل أن تنهض: «دعكَ من هذا».
«إذا تحرّكتِ بجهد كبير ضدّ...».
«لم أتحرّك بجهد. لقد أبطأتُ لأنّني أدركتُ شيئًا مهمًّا بخصوص القضيّة».
ضحك جونا قائلًا: «لقد فعلتِ بالطبع».
«مهما كان، أدركتُ أنّ علينا استخدام پينيلوپي طُعمًا».
«ما الذي تتحدّثين عنه؟».
«بدأتُ أفكّر في انتقالها إلى بيت آمِن. خطرت لي فكرة. لذلك سحبتُ لكمتي لأنّني لم أكن أريد أن أضربكَ، إذ نحتاج إلى التحدّث معًا».
فقال جونا بلطف: «تحدّثي إذن».
«أدركتُ أنّ پينيلوپي ستصبح طُعمًا للمجرم، شئنا أم أبينا. ستستدرجه إليها».
كفّ عن التبسّم، وأومأ برأسه بتركيز، قائلًا: «استمرّي».
«لا نعرف إن كان المجرم يتنصّتُ على محادثاتنا اللاسلكيّة، ولكنّ ذلك أصبح شديد الاحتمال، بدليل أنّه نجح في العثور على پينيلوپي في 'كيميندو' كما تعرف».

«أتّفق معكِ».

«إذن، سيتمكّن المجرم من العثور عليها. هذا ما أفكّر فيه، فهو لا يبالي إذا توفّرت لها الحماية من الشرطة. من البديهي أنّنا سنفعل ما بوسعنا حتّى نحافظ على سرّيّة مكانها، ولكن... لن نكون قادرين على الحفاظ على سلامتها من دون استخدام الاتّصال اللاسلكيّ».

قال جونا متّفقًا معها: «سيعثر عليها».

«المسألة الوحيدة هنا هي إذا ما كنّا على استعداد لمواجهته. ستحصل بينيلوبي على الحماية الكاملة، كما هو مخطّط بالفعل، ولكن إذا وفّرنا كاميرات مراقبة لرصد المكان في الوقت نفسه، ربّما يمكننا الإمساك بالمجرم».

«أنتِ محقّة تمامًا».

76

عبر كارلوس وسوغا وجونا بسرعة الردهة المؤدّية إلى مقرّ شرطة الأمن. كان ڤيرنر في انتظارهم على الأريكة حين وصلوا. بدأ يتحدّث حالما أغلقوا الباب:

«استُدعِيت كلارا أولوفسدوتر من هيئة الادّعاء العامّ الدوليّة. هذه عمليّة كبيرة بالنسبة لمكافحة الجرائم الوطنيّة وشرطة الأمن، ولكن، بمن نحاول الإمساك بالضبط؟».

أجابت سوغا: «لا نعرف سوى القليل عنه، ولا نعلم إن كان يعمل بمفرده؛ ربّما نتعامل مع محترفين من بلجيكا أو البرازيل، أو أعضاء سابقين في الاستخبارات السوڤيتيّة، أو محاربين من أيّ مكان آخر في الكتلة الشرقيّة سابقًا».

قال كارلوس: «لم يتكبّدوا أيّ عناء لاختراق اتّصالاتنا اللاسلكيّة».

قال جونا: «من الواضح أنّ المجرم يعرف أنّ بينيلوبي تحت الحراسة، ومن الصعب الوصول إليها، ولكن لا بدّ من فتح الأبواب أحيانًا، وتبديل

ورديّات الحراسة. كما يجب أن تحصل على الطعام، وترى والدتها، وطبيبة العلاج النفسيّ، و...».

توقّف جونا عن الكلام حين رنّ هاتفه. نظر إلى الشاشة على عجل، ثمّ قرّر عدم الردّ.

قالت سوغا: «تُعدّ حماية پينيلوپي أولويّتنا، ولكنّ ذلك يمنحنا الفرصة لإلقاء القبض على الرجل الذي قتل عددًا من زملائنا».

قال جونا: «أفترض أنّني لست بحاجة إلى تذكيركم بمدى خطورته».

***

تقع الشقّة الآمنة في «1 شارع ستور»، وتطلّ نوافذها على شارع «سيبيل»، وكذلك ميدان «أوستيرمالم». لا توجد شقق مقابل نوافذ هذه الشقّة، ويقع أقرب مبنى مقابل لها على بُعد مئات الأمتار. أمسكت سوغا بالباب الحديديّ المفتوح بينما دانييلا تقود پينيلوپي بحرص خارج شاحنة الشرطة الرماديّة اللون، يحيط بهنّ الضبّاط المسلّحون بكثافة.

قالت سوغا: «هذا المسكن الأكثر أمانًا فوق سطح الأرض في ستوكهولم».

لم تُبدِ پينيلوپي أيّ ردّ فعل، بل اكتفت باللحاق بدانييلا إلى المصعد. ثمّة كاميرات مراقبة أمنيّة في كلّ مكان بالردهة ومطلع الدرج.

شرحت سوغا والمصعد يأخذهنّ إلى أعلى: «ركّبنا كاشفات للحركة تمثّل نظام إنذار متطوّر للغاية، وخطّين مشفّرين على تواصل مباشر بمركز الاتّصالات».

في الطابق الثالث، قِيدَت پينيلوپي عبر الباب الأمنيّ الضخم إلى الحاجز الهوائيّ مع حارس بالزيّ الرسميّ فتح بابًا آخر، وأدخلهنّ إلى الشقّة.

قالت دانييلا: «أنتِ بأمان هنا».

فتحت پينيلوپي عينيها، ونظرت مباشرةً إلى الطبيبة، وهمست: «شكرًا».

«يمكنني البقاء، إذا أردتِ».

هزّت پينيلوپي رأسها ببطء، فغادرت دانييلا مع سوغا.

أغلقت پينيلوپي الباب، ثمّ وقفت بجانب إحدى النوافذ المضادّة للرصاص، وألقت نظرة على ميدان «أوستيرمالم». كان على زجاج النوافذ نوع من الرقائق يحول تمامًا دون الرؤية من الخارج. بينما تنظر إلى الخارج، فكّرت في أنّ بعض من يتحرّكون في الميدان قد يكونون ضبّاطًا سرّيين.

لمست النافذة بحرص، ولم تكن قادرة على سماع أيّ صوت من الخارج.

رنّ جرس الباب فجأة.

شعرت پينيلوپي بالخوف، وبدأت ضربات قلبها تخفق بسرعة.

ذهبت إلى الشاشة، وضغطت على زرّ الاتّصال الداخليّ. رأت ضابطة الشرطة عبر الكاميرا تشرح لها أنّ والدتها جاءت لرؤيتها.

راحت والدتها تقول باضطراب من خلف الضابطة: «پيني! پيني!».

فتحت الباب الحديديّ الضخم.

قالت: «أمّي». صُدِمت حين اخترق صوتها الصمت الذي يخيّم على أرجاء الشقّة. غير أنّها تناست ذلك، وأدخلت والدتها، ثمّ أغلقت الباب والقفل مجدّدًا. وقفت بجوار الباب وهي تضغط على شفتيها وترتجف، وتحاول إبعاد مشاعرها كافّة بعيدًا عن ملامح وجهها. ورغم أنّها نظرت بسرعة إلى والدتها، فإنّها لم تكن قادرة على النظر إليها مباشرةً؛ كانت تعلم أنّها ستُلَام على عدم حماية أختها.

أمّا كلوديا، فأخذت بضع خطوات حذرة عبر المدخل، ونظرت حولها بحرص.

سألت ابنتها: «هل يهتمّون بكِ الآن يا پيني؟».

«سأكون بخير هنا».

«يجب عليهم حمايتكِ».

«إنّهم يفعلون. أنا بأمان هنا».

قالت كلوديا بصوت غير مسموع تقريبًا: «هذا هو الشيء الأهمّ».

حاولت پينيلوپي كبح دموعها. وكانت رقبتها كانت متشنّجة وتؤلمها.
قالت كلوديا وهي تدير وجهها عنها: «عليّ إعداد كثير من الأمور. أنا... لا يمكنني... لا يمكنني أن أصدّق أنني سأعدّ جنازة ڤيولا».
هزّت پينيلوپي رأسها ببطء. اقتربت والدتها منها وربّتت على إحدى وجنتيها بلطف. لكنّ پينيلوپي ابتعدت عنها بصورة لا إرادية، فسحبت كلوديا يدها بسرعة.
قالت پينيلوپي: «يقولون إنّ هذا سينتهي قريبًا، وإنّ الشرطة ستلقي القبض على الرجل... الرجل الذي... قتل ڤيولا ويورن».
أومأت كلوديا برأسها. رأت پينيلوپي أمّها تبتسم. قالت الأمّ:
«فكّري فقط في أنّك على قيد الحياة. ما زلت معي. هذا أهمّ شيء الآن».
«أمّي...».
«ابنتي الحبيبة». مدّت كلوديا يدها مرّة أخرى، ولم تتراجع پينيلوپي.

77

جلست قائدة العمليّات ينّي يورانسون تنتظر على شرفة بارزة في شقّة بالطابق الثالث بالمبنى رقم 4-أ من شارع «نايبرو». مرّت ساعات من دون شيء للتبليغ. بدا كلّ شيء هادئًا. ألقت ينّي نظرة إلى الميدان، وإلى سطح شقّة پينيلوپي، وكذلك سطح المبنى رقم 27 من شارع «سيبيل»، حيث يطير بعض الحمام.
يتمركز سوني يونسون هناك، وربّما هو مَن تحرّك وأخاف الطيور.
حين اتّصلت ينّي به، أكّد لها أنّه غيّر مكانه، ليتمكّن من رؤية ما يحدث داخل شقّة أخرى.
قال: «اعتقدت أنّني أرى عراكًا، ولكنّهم كانوا فقط يلعبون لعبة إلكترونيّة ويحرّكون أذرعهم أمام التلفاز».
فقالت: «عد إلى مكانك السابق».

التقطت المنظار، وتفقّدت المنطقة المظلمة بين الكشك وأشجار الدردار، مفترضة أنّها منطقة غير آمنة.

اتّصل بها بلومباري الذي يرتدي بدلة رياضيّة بنّيّة اللون، ويركض في شارع «سيبيل».

قال بصوت مضطرب: «يمكنني رؤية شيء ما في ساحة الكنيسة».

«ما هو؟».

«أحدهم يتحرّك تحت الأشجار، على بُعد عشرة أمتار من السور المقابل لشارع 'ستور' تقريبًا».

قالت: «تحقّق من الأمر يا بلومباري، وكن حذرًا».

ركض بلومباري خلف الدرج نهاية متحف الجيش، ثمّ شقّ طريقه ببطء إلى ساحة الكنيسة. كانت ليلة صيفيّة دافئة هادئة. سار بصمت بمحاذاة العشب على جانب الطريق. فكّر في أنّه قد يكون عليه التوقّف والتظاهر بممارسة بعض تمرينات التمدّد، ولكنّه تحرّك بدلًا من ذلك. كانت السماء مظلّلة بفروع الأشجار، والأرض مظلمة بين المقابر. فجأة، رأى وجهًا بالقرب من الأرض؛ إنّها امرأة في العشرينيّات من عمرها. شعرها الأحمر مقصوص، وحقيبة ظهرها الكاكيّة ملقاة بجانب رأسها. ابتسمت بسعادة بينما امرأة أخرى تسحب قميصها وتبدأ في تقبيل صدرها.

عاد بلومباري بحذر، ثمّ أبلغ ينّي بما حدث، قائلًا: «إنذار كاذب. صديقتان تتحابّان».

***

مرّت ثلاث ساعات. ارتجف بلومباري بردًا، وتساقط الندى على الأرض. بينما هو يركض بالقرب من زاوية، واجه امرأة شاحبة في منتصف العمر. بدا أنّها ثملة جدًّا، إذ ترنّحت بصورة ملحوظة وهي تمسك برسني كلبين يلهثان حولها وهما يريدان الذهاب، ولكنّها دفعتهما إلى الخلف مرّة أخرى بغضب.

سارت امرأة ترتدي زيّ مضيفة طيران خلف سور فناء الكنيسة، وعجلة

حقيبتها ذات اللون الأزرق الداكن تُحدث صوت احتكاك بالرصيف. نظرت إلى بلومباري من دون أيّ تعبير على وجهها، وتظاهر هو الآخر بأنّه لم يلاحظها، رغم أنّهما كانا زميلين لأكثر من سبع سنوات.

سحبت ماريا ريستونين حقيبتها باتّجاه مدخل محطّة مترو الأنفاق كي تتحقّق من الشخص الذي يقف مختبئًا عند المدخل. أخذت تمشي وصدى صوت نعلي حذائها يهزّ الجدران. علقت الحقيبة بحافّة الرصيف. وحين كان عليها التوقّف، وسحبها إلى أعلى، لمحته. إنّه رجل في زيّ متأنّق إلى حدّ ما، تبدو على ملامح وجهه الغرابة. نظر إليها باضطراب وهو يتظاهر بأنّه يبحث عن شيء ما؛ حبست ماريا أنفاسها، واستدارت حين سمعت ينّي عبر سمّاعة الأذن: «بلومباري يراقبه أيضًا، إنّه في الطريق إليكِ. انتظريه يا ماريا، انتظري بلومباري».

عدّلت ماريا من وضع حقيبتها، ولكنّها لم تستطع التلكّؤ أكثر من ذلك. عليها الذهاب. حاولت السير ببطء أكثر حين اقتربت من الرجل. عليها أن تتخطّاه وتعطيه ظهرها. تراجع الرجل باتجاه المدخل. حين اقتربت منه، رأته يضع إحدى يديه داخل ملابسه. شعرت بأنّ الأدرينالين يُضَخ عبر أوردتها بينما الرجل يخطو نحوها وهو يمسك بشيء ما مُخبّأ داخل معطفه. رأت ماريا بلومباري يسحب مسدّسه من خلف الرجل ليطلق النار عليه، ولكنّه توقّف عندما اتّصلت ينّي به عبر سمّاعة الأذن، وأخبرته أنّه إنذار كاذب، وأنّ الرجل ليس مسلّحًا. إنّها قارورة جعة.

تذمّر الرجل، ورشّ المشروب على ماريا، قائلًا: «فرج!».

تنهّدت ينّي في سمّاعة الأذن، وقالت: «يا إلهي! استمرّي في التوجّه إلى محطّة مترو الأنفاق يا ماريا».

***

مرّت الليلة من دون أيّ واقعة. وبعد أن أغلقت الملاهي الليليّة أبوابها، لم يعد هناك سوى بضعة من جامعي القمامة، وموزّعي الصحف الذين تبعهم عدد من منزّهي الكلاب، وبعض ممارسي رياضة الجري. بدأت ينّي

تنتظر في شوق وقت انتهاء ورديّتها في الثامنة، وأخذت تتفقّد مكان كنيسة «هيدڤيغ إلينورا»، ثمّ نوافذ بينيلوبي غير الشفّافة، قبل إلقاء نظرة إلى شارع «ستور»، والمبنى الذي نشأ فيه المخرج إنغمار بيرغمان. وضعت قطعة من علكة النيكوتين في فمها، وتفقّدت الميدان: مقاعد المتنزّه، والأشجار، والتمثال المنحوت لامرأة تتكئ على ساقيها، وتمثال الرجل الذي يحمل لحمًا على أحد كتفيه.

رصدت ينّي حركة عند المدخل الذي تحيط به البوّابة الحديديّة المرتفعة المؤدّية إلى سوق «أوستيرمالم». المكان مظلم، ولكنّها رأت حركة سريعة في الانعكاس الضعيف على الزجاج. اتّصلت بكارل شويرت الذي كان يجلس على مقعد بين الأشجار، ومعه حقيبتان من القمامة المليئة بعلب فارغة.

أجاب: «لا، لا يمكنني رؤية أيّ شيء».

«ابقَ مكانك».

فكّرت في أنّ عليها أن تطلب من بلومباري مغادرة مكانه عند الكنيسة، والركض نحو شارع «هامل بارك» للتحقّق من المدخل.

نظرت مجدّدًا: يبدو أنّ أحدًا ما يركع على ركبتيه خلف البوّابة السوداء، حيث تسير سيّارة أجرة غير مرخّصة في الاتّجاه الخاطئ، وتدور حول نفسها في شارع «نيبرو». التقطت منظارها بسرعة وانتظرت حتّى ينزلق ضوء المصابيح الأماميّة للسيّارة عن الجدران الحجريّة للسوق. ولكن، حتّى عندما مرّ الضوء على المدخل، لم تتمكّن من رؤية أيّ شيء. توقّفت السيّارة، ثمّ عادت إلى الخلف.

انتهى الأمر بالسائق إلى الصعود بإحدى العجلات على الرصيف، فهمست ينّي بتذمّر: «أحمق!».

غير أنّ ضوء المصابيح الأماميّة راح يتلألأ على واجهة المحلّ التي هي على مقربة من المكان، وأضاء انعكاس الإنارة المدخل.

هناك شخص خلف البوّابة المرتفعة. ربطت ينّي الخيوط المتناثرة: هناك رجل يعدّل منظار التصويب على أحد الأسلحة.

وضعت المنظار من يدها، وصاحت عبر الجهاز اللاسلكيّ: «مواجهة مباشرة! أرى سلاحًا! ثمّة سلاح عسكريّ مع قنّاص ومنظار تصويب... ثمّة رجل في مدخل ساحة السوق... أكرّر! ثمّة قنّاص في الطابق الأرضيّ، بزاوية المبنى، في مفترق الطرق بين شارعي 'نيبرو' و'هامليغاردس' أكرّر».

***

وقف الرجل خلف البوّابة. راقب الساحة الخالية لبعض الوقت. كان ينتظر نهوض الرجل الذي يجمع العُلب الفارغة عن المقعد ومغادرته، ولكنّه قرّر أن يتجاهله حين بدا له أنّه سيقضي ما تبقّى من الليل هناك. تحت غطاء الظلام، أخرج بندقيّة القنص المعياريّة، نصف الآليّة، المصمّمة خصّيصًا للقنص عن بُعد مسافات تصل إلى كيلومترين. بهدوء، أدخل مخزن البندقيّة.

ذهب إلى السوق قبل أن يغلق بقليل، واختبأ في أحد المخازن، وانتظر حتّى يفرغ أفراد النظافة والأمن من دوريّاتهم. فور حلول الصمت والظلام، ترك مكان اختبائه.

من الداخل، فصل أجهزة الإنذار بالأبواب الرئيسة، ثمّ خرج إلى الممرّ الذي تفصله عن الشارع بوّابة قويّة.

خلف البوّابة، كان الباب المجوّف بمثابة غرفة صغيرة. الرجل مغطّى من الجوانب كافّة، ولكنّ الرؤية مكشوفة تمامًا من أمامه. لا يمكن رؤيته وهو ثابت في مكانه. إذا سار أحدهم باتجاه البوّابة، فكلّ ما عليه فعله هو أن يولّي مدبرًا في الظلام.

وجّه الرجل بندقيّته إلى المبنى الذي تقيم فيه بينيلوبي، وتفقّد الغرف عبر منظار التصويب ببندقيّة القنص. كان بطيئًا ونظاميًّا. انتظر لوقت طويل، سيطلع الصباح قريبًا، وسيكون عليه أن يترك مكانه عاجلًا وينتظر الليلة المقبلة. لكنّه عرف أنّها في وقت ما ستطلّ على الميدان من النافذة معتقدةً أنّ الزجاج المصفّح سيحميها.

عدّل بالفعل رؤية منظار التصويب عندما سُلِّط عليه ضوء السيّارة،

وابتعد قليلًا. ثمّ عاد إلى تفقّد الشقّة. وقد اكتشف مصدرًا حراريًا خلف نافذة مظلمة تقريبًا على الفور. كانت الإشارة ضعيفة مشوّشة تحجبها المسافة والزجاج المقوّى بشكل أسوأ ممّا كان يتوقّع. حاول تحديد الحواف الخارجيّة للصورة الحراريّة الضبابيّة، ثمّ عثر على الهدف. تحرّك ظلّ ورديّ شاحب داخل رداء أرجوانيّ منقّط، ثمّ اختفى قبل أن يثبت مرّة أخرى.

فجأة، لاحظ أنّ ثمّة شيئًا يحدث في الميدان أمامه مباشرةً. ضابطا شرطة يركضان باتجاهه وهما يشهران سلاحَيهما.

78

استيقظت بينيلوبي مبكرًا، ولم تتمكّن من العودة إلى النوم. في النهاية، نهضت ووضعت بعض الماء لتعدّ الشاي.

رفعت الماء المغليّ عن الموقد، وملأت الإبريق، وأضافت كيسين من شاي الليمون. أخذت الإبريق وفنجانًا إلى غرفة المعيشة ذات الإضاءة الخافتة، ووضعتهما على حافّة النافذة. أشعلت المصباح ذا الإضاءة الخضراء، وألقت نظرة إلى الميدان المهجور.

فجأة، رأت بينيلوبي شخصين يركضان على الحصى، ثمّ يسقطان ويمكثان على الأرض. بدا الأمر غريبًا. أطفأت المصباح بسرعة. بدأ يترنّح بعيدًا عن الزجاج. تحرّكت بينيلوبي إلى جانب النافذة، حيث لمحت مجدّدًا فريقًا من القوّات الخاصّة يجري على امتداد شارع «نيبرو»، وشيئًا يتحرّك عند مدخل السوق. بعد أقلّ من ثانية، كان ثمّة صوت مثل إلقاء أحد الأشخاص بقطعة قماش مبتلّة على النافذة. مرّت رصاصة مباشرة من الزجاج المصفّح، وارتطمت بالمصباح لتستقرّ في الجدار من خلفها، فألقت بنفسها على الأرض، وأخذت تزحف. تبعثرت شظايا الزجاج على الأرض، لكنّ بينيلوبي لم تنتبه لها وهي تجرح راحتيها.

***

انتقل ستيوي بيلغرين للتوّ من منصب هادئ إلى العمل مع مجموعة العمليّات الخاصّة. والآن، يجلس في مقعد الركّاب بجانب رئيسته المباشرة، ميرا كارلسون، داخل مركبة المراقبة «ألفا»، السيّارة مدنيّة تتجوّل ببطء في شارع «هامليغردس» الآن. لم يحضر ستيوي أيّ مواجهة مباشرة من قبل، ولكنّه كان يتساءل في أغلب الأحيان عن كيفيّة تعامله مع الموقف، وقد بدأ التفكير في الأمر يقلقه، لا سيّما بعد أن خرجت شريكة حياته من الحمّام الأسبوع الماضي وعلى وجهها ابتسامة عريضة، وأطلعته على اختبار الحمل.

***

يشعر ستيوي بالإرهاق بعد مباراة كرة القدم التي لعبها أمس. عضلات ساقيه وفخذيه تؤلمه.

ثمّة صوت يأتي من الخارج، فيما ميرا تمعن النظر إلى الزجاج الأماميّ للسيّارة، وتتساءل بصوتٍ عالٍ: «ما الخطب؟...».

سمعت صوتًا يصيح عبر الجهاز اللاسلكيّ بأنّ ثمّة ضابطين أُصِيبا في منتصف ميدان «أوستيرمالم»، وبأنّ على المجموعة رقم 5 التحرّك من شارع «هامليغردس».

قال منسّق عمليّات شرطة الأمن بصوت مرتفع: «لقد عثرنا عليه. ثمّة فقط أربعة مداخل إلى السوق، و...».

قاطعته ميرا: «هل أنت متأكّد من ذلك؟».

«هناك مدخل عند شارع 'نيبرو' ومدخل عند الزاوية، وفي شارع 'هامليغردس' مدخلان».

قال راغنار برولين، رئيس انتشار القوّات لأحدهم: «وجّه مزيدًا من القوّات إلى هناك... مزيدًا من القوّات!».

«نحاول العثور على خريطة للسوق».

«وجّه المجموعتين 1 و2 إلى الباب الرئيس؛ المجموعة رقم 2 تقتحم، والمجموعة رقم 1 تؤمّن الباب. انطلق».

قالت يِنّي بتركيز: «المجموعة رقم 3 تتوجّه إلى المداخل الجانبيّة، وتغطّي المجموعة رقم 4، والمجموعة رقم 5 لديها أوامر لتتوجّه إلى داخل السوق. علينا استخدام مركبة المراقبة 'ألفا' الموجودة على مقربة من المكان».

اتّصل راغنار برولين بالمركبة «ألفا». نظر ستيوي بتوتّر إلى ميرا، ثمّ ردّ على المكالمة. أتاه صوت برولين مضطربًا وهو يطلب منهما التوجّه إلى شارع «ماجورزز»، وانتظار مزيد من الأوامر؟ شرح له بسرعة عن توسيع نطاق منطقة العمليّات، وإمكانية أن يُطلب منهما تغطية المجموعة رقم 5. كرّر عدّة مرّات أنّ المواجهة مباشرة، وأنّ المشتبه به داخل السوق.

همس ستيوي: «اللعنة! لم يكن عليّ القدوم إلى هنا. أنا غبيّ جدًّا».

فقالت له ميرا: «اهدأ».

«شريكتي حامل. علمت ذلك الأسبوع الماضي فقط. سأصير أبًا».

«تهانينا».

أخذ ستيوي يتنفّس بسرعة، ويعضّ على ظفر إبهامه وهو يحدّق أمامه. عبر الزجاج الأماميّ للمركبة، شاهدت ميرا ثلاثة ضبّاط شرطة مدجّجين بالسلاح يندفعون نحو شارع «هامليغردس» من ميدان «أوستيرمالم».

اتّصل برولين مرّة أخرى قائلًا: «مركبة المراقبة 'ألفا' هيّا!».

قالت ميرا لستيوي: «أجب».

قال رئيس نشر القوّات بجزع: «المركبة 'ألفا' انطلقي!».

ردّ ستيوي على مضض: «هنا المركبة 'ألفا' حوّل».

قال برولين وهو يصيح تقريبًا: «ليس لدينا وقت لتحريك قوّات. سنقتحم على الفور، وعليكما تغطية المجموعة رقم 5... أكرّر، سنقتحم، وعليكما تغطية المجموعة رقم 5. مفهوم؟».

«أجل»، أجاب ستيوي.

قالت ميرا بصوت متوتّر: «تحقّق من سلاحك».

كأنّه في حلم يمرّ بطيئًا، أخرج مسدّس الخدمة، وفتح زر الأمان، وتحقّق من الذخيرة، ثمّ سأل: «لماذا؟».

«سنقتحم».
هزّ ستيوي رأسه، وهمهم قائلًا: «إنّه يقتل ضبّاط الشرطة مثل الذباب».
قالت ميرا بنبرةٍ حازمة: «الآن!».
همهم ستيوي مجدّدًا: «سأكون أبًا، لذا ربّما... ربّما عليّ أن...».
«أنا ذاهبة. اجلس خلف السيّارة، وراقب الباب، وتابع الاتّصال اللاسلكيّ، واستعدّ للّحاق به».
غادرت ميرا السيّارة من دون النظر إلى زميلها. ركضت إلى باب قريب كان يتأرجح لأنّه مكسور، وألقت نظرة سريعة على الداخل، ثمّ أعادت رأسها إلى الخلف. كان زميلها من المجموعة رقم 5 واقفًا أعلى الدرج في انتظارها. أخذت ميرا نفسًا عميقًا، وشعرت بأنّ الخوف يجتاح جسدها، ثمّ انطلقت.

79

استيقظ جونا في شقّته في شارع «والين»، ونظر إلى سماء الصيف. هو لا يغلق الستائر لأنّه يفضّل بشكلٍ كبير الضوء الطبيعيّ.
إنّه الصباح الباكر. بينما تقلّب في سريره، رنّ جرس هاتفه.
كان يعرف سبب المكالمة قبل أن يجيب. استمع إلى الرواية المشوّشة للعمليّة، ثمّ فتح خزانة السلاح، وأخرج مسدّسه الفضّيّ من ماركة «سميث آند ويسون». المشتبه به في سوق «أوستيرمالم»، وقد اقتحمت الشرطة المبنى من دون استراتيجيّة محكمة.

***

مرّت ستّ دقائق فقط على سماع صوت الإنذار. اختفى القاتل داخل السوق. تحاول القيادة الآن تنسيق تحرّكاتها، وتطويق المنطقة بشكل موسّع، وضمان عدم المساس بسلامة بينيلوبي.

***

بدأت سماء الصيف تظهر من خلف زجاج المنور القاتم. ظلّ قلب

ميرا يخفق بسرعة بالغة، إذ خرجت طلقتان ثقيلتان منذ بضع دقائق، ثمّ أربع طلقات مسدّس، ثمّ طلقتان ثقيلتان أخريان. لبث أحد ضبّاط الشرطة صامتًا، والآخر جريحًا يصيح بأنّه أصِيب في بطنه، وأنّه يحتاج إلى مساعدة، ويئنّ قائلًا: «هل من أحد يسمعني؟».

نظرت ميرا إلى الانعكاس على لوح الزجاج، ورأت الشخص الذي يتحرّك خلف متجر يعرض طيورًا معلّقة ولحوم رنّة مدخّنة. أشارت إلى زميلها بأنّ ثمّة شخصًا ما على أحد الجوانب أمامهما. اتّصل زميلها بفريق الإدارة، وسأل بهدوء إذا كان هناك أيّ شرطيّ في الممرّ المركزيّ. مسحت ميرا العرق عن يدها، ثمّ أمسكت مسدّسها مجدّدًا بينما هي تتبع بعينيها التحرّكات المشبوهة. أشار زميلها إليها. كان يرتّب للتحرّك مع ثلاثة آخرين اقتحموا المكان. انتقل باتّجاه القاتل على امتداد طاولة بيع الألعاب. فجأة، أُطلِق النار من سلاح فائق السرعة باتّجاه المطعم. سمعت ميرا صوت ارتطام من بعيد، حيث عبرت الطلقة السترة الواقية لأحد زملائها، واستقرّت باللحم الطريّ. أحدث مشط السلاح الفارغ صوت قعقعة عندما ارتطم بالأرض، وكان قريبًا منها.

رأى المجرم أولى طلقاته تدخل صدر أحد رجال الشرطة. مات قبل أن تبدأ ركبتاه في الالتواء. فلم ينظر المجرم إليه وهو ينهار على جانبه ساحبًا إحدى الطاولات وهو يسقط.

تحرّك المجرم سريعًا متوغّلًا داخل ساحة السوق. وحين أدرك أنّ ضبّاط الشرطة ينتشرون في كلّ مكان، استدار وأطلق رصاصتين بسرعة قبل التوجّه إلى مطبخ مطعم السمك.

سمعت ميرا طلقتين أخريين، ورأت جسد زميلها الشابّ وهو يرتجف، وسلاحه نصف الآلي يرتطم بالأرض. تقهقر ثمّ انهار وارتطم بالأرض بشدّة، حتّى أنّ خوذته سقطت عن رأسه وتدحرجت. كان الضوء بسلاح المجرم يشير مباشرةً إلى استهداف ميرا التي تحرّكت بعيدًا، وزحفت على الأرض بجانب طاولة بيع الخضراوات. في لحظة، اقتحم السوقَ أربعة

وعشرون ضابطًا، بواقع ستّة ضبّاط عبر كلّ مدخل. حاولت ميرا الإبلاغ، ولكنّها لم تستطع الاتّصال بأيّ أحد. رأت الجاني على بُعد عشرة أمتار. توجّه إلى مطبخ مطعم السمك، فرفعت ميرا مسدّسها «الغلوك»، ووجّهته صوبه، وأطلقت ثلاث رصاصات.

أُصِيب المجرم بطلق ناريّ أعلى ذراعه اليسرى في أثناء توجّهه إلى المطبخ المظلم. شعر بالدماء الساخنة تتدفّق على باطن يده. من دون أن يتوقّف ليتحقّق من الجرح، فتح الباب المؤدّي إلى مصعد البضائع، وعبر منه إلى الجانب الآخر. ركل بابًا معدنيًّا مفتوحًا، ثمّ خرج إلى ضوء الصباح، وعبرَ فناءً داخليًّا تصطفّ فيه ثماني سيّارات. ركض إلى سيّارة «ڤولڤو» حمراء قديمة، وركل بقدمه إحدى النوافذ الجانبيّة الخلفيّة، وأدخل يده ليفتح الباب الأماميّ، ثمّ دخل السيّارة، وكسر قفل مقود السيّارة، وأدارها بسكّينته.

80

رأى ستيوي بيلغرين اثني عشر ضابط شرطة مدجّجين بالسلاح يركضون إلى داخل السوق. ستّة ضبّاط عبر كلّ باب جانبيّ. كان واقفًا شاهرًا سلاحه باتّجاه أقرب باب منذ أن ذهبت ميرا مع زميلهما من المجموعة رقم 5 قبل أقلّ من عشر دقائق. الآن لديها الدعم. مدّد جسمه باستقامة، وتنفّس الصعداء، ثمّ جلس داخل المركبة على مقعد السائق. ومضت الأضواء الزرقاء أسفل الجدران بالقرب من شارع «ستور». نظر ستيوي إلى جهاز الشرطة اللاسلكيّ.

فجأة، رصد حركة غير متوقّعة في المرآة الخلفيّة. تحرّك جزء أماميّ من سيّارة «ڤولڤو» حمراء في ممرّ تحت المبنى المجاور للسوق، ثمّ تحرّكت السيّارة ببطء وانعطفت يمينًا إلى شارع «هامليغُردس»، ثمّ اقتربت من الخلف وانعطفت إلى شارع «ماجورز» أمامه، بيد أنّ لون السماء الشاحب كان ينعكس على النوافذ، فلم يستطع أن يرى بوضوح الشخص الذي يقودها.

نظر ستيوي إلى الميدان مرّة أخرى، ورأى مديرة العمليّات تتحدّث في جهاز اللاسلكيّ. فكّر في الاقتراب منها وسؤالها عن ميرا، ولكنّ مجموعة من الملاحظات تجمّعت معًا داخل رأسه. أدرك أنّ الرجل الذي يقود السيّارة «الفولفو» الحمراء يترك عجلة القيادة حتّى يغيّر التروس، وهو لا يستخدم ذراعه اليسرى، وتبدو سترته السوداء لامعة. ظنّ ستيوي أنّها مبتلّة. فبدأ قلبه يخفق أسرع. ذراعه اليسرى هي المبتلّة، ولون السماء لم يكن منعكسًا على النافذة الجانبيّة من الخلف لأنّه ليس هناك نافذة. المقعد الخلفيّ لامع بسبب شظايا الزجاج المكسور. النافذة مكسورة، وذراع السائق ملطّخة بالدماء.

تصرّف ستيوي بسرعة، واتّصل بمديرة العمليّات فور بدأت السيّارة «الفولفو» الحمراء تسير في شارع «ماجورز». وبما أنّه لم يتلقَّ أيّ استجابة، قرّر أن يتبع السيّارة المشتبَه بها. لم يفكّر في الأمر، وبدأ يتصرّف على الفور، ولم يكترث لسلامته. في أثناء انعطافه إلى شارع «ماجورز»، بدأت السيّارة «الفولفو» الحمراء تزيد من سرعتها بعيدًا عنه. أدرك السائق أنّه مرصود، وراحت الإطارات تزعق كأنّها جديدة ولم تُستعمل سابقًا.

رفعت السيّارتان من سرعتهما بقوّة في اتّجاه الشارع الضيّق خلف «كنيسة الثالوث المقدّس القوطيّة الجديدة»، صوب مفترق طريقين بنهاية الشارع. نقل ستيوي التروس إلى الغيار الرابع، معتقدًا أنّه بحاجة إلى الاندفاع بجانب السيّارة لإرغام السائق على التوقّف. اقترب من المبنى على الجهة المقابلة للتقاطع نتيجة السرعة المذهلة، فانعطفت «الفولفو» يمينًا إلى شارع «لينيه»، ولكنّ الانحدار كان شديدًا حتّى أنّ السيّارة اندفعت إلى رصيف تحت مظلّة حمراء. اصطدمت ببعض الطاولات الخارجيّة لأحد المقاهي. تدلّى الرفراف من الجانب الأيسر، وأخذ يحتكّ بجنبات الطريق. ما زال ستيوي يتبع السيّارة، ويزيد من سرعته نحو الشارع الضيّق. حين وصل إلى التقاطع، ضغط على المكابح، وانحدر إلى الزاوية، ثمّ انزلق، وانتظر لبضع ثوانٍ. غيّر من وضعيّة التروس مرّة أخرى وهو يرصد

«الڤولڤو» من الخلف. ثمّ شقّت السيّارتان طريقهما بسرعة داخل شارع «لينيه». انكسر الرفراف الأمامي للسيّارة «الڤولڤو»، وطار في الهواء ليصدم الزجاج الأماميّ لمركبة ستيوي. أبطأ الشرطيّ سرعته لفترة وجيزة، ثمّ عاود رفعها بشدّة. تحرّك الاثنان إلى الخطّ الخطأ ليتخطّيا سيّارتين بطيئتي السرعة. لاحظ ستيوي بالكاد حواجز الطرق المنتشرة بشكل سيّئ أمامه، حيث بدأ المتفرّجون يتجمّعون بفضول على الطريق. صار الشارع أكثر اتّساعًا بالقرب من «متحف التاريخ»، حيث حاول ستيوي الاتّصال بقيادة العمليّات مرّة أخرى على الجهاز اللاسلكيّ.

صاح: «مركبة المراقبة 'ألفا' حوّل!».

«نعم، نسمعك».

«أنا أتبعه بالسيّارة في شارع 'لينيه' نحو 'ديورغاردن' وهو يقود سيّارة 'ڤولڤو' حمراء».

أسقط ستيوي سمّاعة الجهاز اللاسلكيّ على دوّاسة مقعد الركّاب، بسبب اصطدام مركبته بحاجز خشبيّ أمام كومة من الرمال. ارتفعت العجلة الأماميّة اليُمنى عن الأرض، فانحرفت المركبة نحو اليسار. أدار ستيوي عجلة القيادة، لينتقل إلى الخطّ الآخر قبل استعادة تحكّمه في السيّارة، وضغطه على دوّاسة البنزين مجدّدًا.

أخذ ستيوي يلاحق «الڤولڤو» باتّجاه شارع «نارڤا». اضطرّت حافلة إلى كبح الفرامل بشدّة قبل الاصطدام بها، وانزلقت عبر التقاطع. ارتطم قسمها الخلفيّ بعمود إنارة. انحرف سائق آخر ليتفاداها.

لاحق ستيوي السيّارة «الڤولڤو» باتجاه «بيروالد هول»، واقترب بمحاذاتها، ورأى السائق يستهدفه بمسدّس. كبح الفرامل حين انطلقت الرصاصات، ومرّت إلى النافذة الجانبية من أمام وجهه مباشرة. امتلأت المركبة بشظايا الزجاج. صدمت كابينة درّاجة عليها إعلان مقهى «ليندا». ارتطمت الدرّاجة بغطاء محرّك «الڤولڤو»، ثمّ ارتفعت من فوق سقفها، وسقطت على الأرض أمام مركبة ستيوي.

انعطفت السيّارتان نحو شارع «ستراند» بسرعة رهيبة، وتوجّهتا مباشرةً إلى الطريق الرئيس بين الأشجار. أسرع ستيوي في الخروج من المنحنى، وإطارات المركبة تدور كالبلبل على الطريق. أخذ الاثنان يتسابقان عبر حركة المرور في الصباح الباكر وهما يسمعان أزيز المكابح وصوت ارتطام سيّارتين، ثمّ انعطفا يسارًا إلى «بيروالد هول» فوق الحشائش، ثمّ إلى شارع «داغ هامارسكيولدز».

سحب ستيوي مسدّسه ووضعه على مقعد الركّاب بين شظايا الزجاج. كانت خطّته اللحاق بالسيّارة «الڤولڤو» في شارع «ديورغاردسبرونز». لامست سرعتهما مئة وثلاثين كيلومترًا في الساعة. فجأة، تركت «الڤولڤو» الطريق، وانعطفت بشدّة يسارًا بعد مبنى السفارة النرويجيّة. مرّت فوق الرصيف، ومنه إلى ممرّ المشاة بين الأشجار. تلكّأ ستيوي في ردّ فعله بعض الشيء، واضطرّ إلى الانعطاف على نطاق أوسع. تفادى حافلة على الرصيف، وبعض الشجيرات القليلة الارتفاع. انحرفت إطارات المركبة وهو يحاول كبحها بعد تخطّيه «المعهد الثقافيّ الإيطاليّ». انعطف يسارًا إلى شارع «ياردس»، ورأى «الڤولڤو» على الفور.

توقّفت «الڤولڤو» في منتصف الطريق، على بُعد مائة متر تقريبًا من ستيوي.

تمكّن ستيوي من رؤية السائق داخل السيّارة من خلال الزجاج الخلفيّ. التقط مسدّسه عن المقعد، وفتح زرّ الأمان، وقاد ببطء نحو «الڤولڤو». كانت الأضواء الزرقاء لعدد من سيّارات الشرطة على «ڤالهالا بوليڤارد» مرئيّة خلف أستوديوات التلفزيون السويديّ. خرج الرجل ذو الزيّ الأسود من «الڤولڤو» الحمراء، وبدأ يركض باتّجاه سفارتي ألمانيا واليابان. زاد ستيوي من سرعة مركبته على الفور فيما «الڤولڤو» تنفجر وتتحوّل إلى كرة من اللهب والدخان. شعر بموجة ضغط على وجهه بينما الانفجار أثّر على سمعه. صار المكان هادئًا بشكل عجيب وهو يقود السيّارة نحو الرصيف، عبر الدخان الأسود المتصاعد والحطام المحترق. لم يعد يرى السائق في

أيّ مكان. لا يمكنه الذهاب إلى أيّ مكان آخر. قاد المركبة بسرعة إلى نهاية الطريق، ثمّ أوقف السيارة وغادرها، وبدأ يركض عائدًا أدراجه، ممسكًا بمسدّسه في يده.

اختفى الرجل، وما زال المكان هادئًا، ولكن، ارتفع الآن صوت اندفاع غريب، كأنّ رياحًا قويّة تهبّ. من موقعه رأى ستيوي الطريق والسفارتين جيّدًا. لم يكن باستطاعة الرجل الذهاب إلى أبعد من ذلك في هذه الفترة الوجيزة. لا بدّ من أنّه دخل إلى واحد من مجمّعي السفارتين.

بدأ الناس يخرجون للتحقّق من سبب الانفجار. استدار ستيوي وتفقّد المكان من حوله. وفجأة، رأى الرجل داخل مجمّع السفارة الألمانيّة، بجانب المبنى الرئيس. سار بشكل طبيعيّ، وفتح ببساطة الباب المؤدّي إلى المدخل الرئيس ثمّ دخل.

خفض ستيوي مسدّسه، وحاول أن يهدأ، ويتنفّس ببطء. لكنّ صوت رنين مرتفع راح يدقّ في رأسه. كان يعلم أنّ البعثات الدبلوماسيّة تتمتّع بامتيازات إقليميّة تمنعه من اللحاق بالرجل من دون تصريح. عليه التوقّف. لا يمكنه فعل شيء.

81

وقف شرطيّ بزيّه الرسميّ على بُعد عشرة أمتار مقابل حواجز الطريق عند شارع «ستور»، بينما جونا يقترب بسيّارته. حاول الشرطيّ توجيهه كي يعود إلى الخلف، ويسلك طريقًا مختلفًا، ولكنّ جونا واصل القيادة، وركن بجانب الرصيف، ثمّ خرج من السيّارة. بعد أن أطّلع الشرطيّ على هويّة جونا، زحف من تحت الشريط البلاستيكيّ الذي يمثّل الحاجز الأمنيّ، وبدأ يركض إلى شارع «هامليغردس» نحو السوق.

رغم مضيّ ثماني عشرة دقيقة فقط منذ أن تلقّى المكالمة، فإنّ إطلاق النار قد توقّف، وبدأت سيّارات الإسعاف تتوافد على المكان.

تلقّت ينّي يورانسون تقريرًا عن ملاحقة السيّارة في الحيّ الدبلوماسيّ. يُعتقد أنّ القاتل الآن داخل السفارة الألمانيّة. كانت سوغا تقف في الخارج، وتتحدّث إلى شرطيّة تضع بطّانيّة حول كتفيها. لمحت جونا، وأومأت له برأسها. جاء إليهما، وخفض رأسه لسوغا.

قال: «ظننت أنّني سأكون الأوّل هنا».

«أنت بطيء جدًّا يا جونا».

قال مبتسمًا: «هذا واضح».

نظرت المرأة التي تلفّ بطّانيّة حول كتفيها إلى جونا، ورحّبت به.

قالت سوغا: «أقدّم لكَ ميرا كارلسون من المراقبة. كانتْ من أوّل الأفراد الذين توجّهوا إلى السوق، وتعتقد أنّها أطلقتْ النار على ذراع المشتبه به».

سأل جونا: «لكنّكِ لم تتمكّني من رؤية وجهه؟».

«لا»، أجابت ميرا.

نظر إلى مدخل السوق، ثمّ التفت إلى سوغا.

همس: «قالوا إنّ المباني المحيطة ستكون آمنة».

«لا بدّ من أنّهم اعتقدوا أنّ هذا المكان بعيد جدًّا...».

قاطعها: «كانوا مخطئين».

«أجل»، قالت سوغا وأضافت وهي تشير إلى السوق، «كان خلف هذه البوّابة، وأطلق رصاصة على نافذتها».

فردّ بصوت خافت: «هذا ما سمعته. كانتْ محظوظة».

طُوِّقت المنطقة المحيطة بالمدخل الرئيس، وحدّدت العلامات الصغيرة المرقّمة نتائج الطبّ الشرعيّ المبكرة: أثر حذاء، وخرطوشة فارغة. وقد تمكّن جونا من رؤية بعض حبّات الطماطم المتدحرجة على الأرض، ومشط بندقيّة هجوم سويديّة من نوع «إيه كي- 5» داخل الأبواب المفتوحة.

قالت سوغا: «قال ستيوي بيلغرين، زميل ميرا، الذي طارد المشتبه به

وصولًا إلى الحيّ الدبلوماسيّ، إنّه رآه يدخل من البوّابة الرئيسة للسفارة الألمانيّة».

«هل من الممكن أن يكون مخطئًا؟».

«هذا محتمَل. لقد تواصلنا مع السفارة...». نظرت إلى مفكّرتها، ثمّ أكملت: «زعموا أنّهم لم يرصدوا أيّ نشاط غير طبيعيّ في المكان».

«هل تحدّثتِ مع بيلغرين؟».

«أجل». ونظرت إليه وأضافت: «حدث انفجار، وكان من الصعب أن يُسمع أيّ شيء، ولكنّه متأكّد من أنّه رأى المشتبه به يدخل إلى السفارة الألمانيّة».

«ربّما تسلّل من الخلف».

«لدينا أفراد حول المجمّع بالكامل الآن. كما أنّ المروحيّة تحلّق في الهواء. نحن في انتظار تصريح لدخول المنطقة».

ألقى جونا نظرة سريعة غاضبة وقال: «قد يستغرق ذلك وقتًا».

أخرج هاتفه، وقال كمن يحدّث نفسه: «سأتّصل بكلارا أولوفسدوتر».

أجابت كلارا، المدّعية العامّة، بعد الرنّة الثانية: «كنتُ أعلم أنّك ستتّصل يا جونا، وأعرف أيضًا سبب اتّصالك».

ردّ ونبرة من العناد تتسلّل إلى صوته: «إذن، من المفترض أنّك تعرفين أنّنا نحتاج إلى دخول السفارة».

«ليس الأمر بهذه السهولة. هذه أمور لعينة حسّاسة للغاية، إن عذرتني على التعبير. لقد تحدّثت إلى سكرتيرة السفير على الهاتف، وهي تزعم أنّ كلّ شيء على ما يرام داخل السفارة».

قال بعناد: «نحن واثقون من أنّه هناك».

«ولكن كيف تمكّن من الدخول؟».

قد يكون مواطنًا ألمانيًّا، وزعم أنّه يحتاج إلى مساعدة الشؤون القنصليّة. وقد يكون مواطنًا سويديًّا لديه بطاقة تخوّله أو أيّ وضع دبلوماسيّ، أو حصانة، أو قد يكون محميًّا من قِبَل شخص ما. لا نعرف الأمر حتّى الآن».

قالت: «لكنّنا لا نعرف حتّى كيف يبدو، ولا يوجد شهود، فكيف نذهب إلى السفارة من دون أن نعرف...».

قاطعها: «يمكنني إحضار شاهد».

صمتا قليلًا، وسمع أنفاسها عبر الهاتف.

«إذن، سأفعل ما بوسعي للسماح بدخولك».

82

وقف جونا وسوغا في الشقّة الآمنة. جميع المصابيح مطفأة، لكنّ سماء الصباح تضيء خارج النوافذ. جلست پينيلوپي على الأرض، وظهرها مقابل الجدار الداخليّ، مشيرة إلى النافذة.

أكّدت سوغا بهدوء: «أجل، من هنا الرصاصة».

تمتمت پينيلوپي وهي تخفض يدها: «أنقذ المصباح حياتي».

نظرا إلى بقايا المصباح: الحبل المتدلّي، والقاعدة البلاستيكيّة المكسورة.

قالت پينيلوپي: أغلقتُ المصباح حتّى أتمكّن من رؤية ما يحدث في الميدان بصورة أوضح. بدأ المصباح يترنّح فظنّ أنّه أنا، أليس كذلك؟

التفت جونا إلى سوغا قائلًا: «هل كان لديه منظار تصويب إلكترونيّ؟».

أومأت سوغا برأسها، وقالت: «أجل، وفقًا لما قاله ينّي».

فسألت پينيلوپي: «ماذا؟».

«أنتِ محقّة. لقد أنقذ المصباح حياتكِ».

فقالت وهي تئنّ: «يا إلهي!».

نظر جونا إليها بهدوء، وتلألأت عيناه الرماديّتان، وقال بجدّيّة: «پينيلوپي، لقد رأيتِ وجهه، أليس كذلك؟ ليس هذه المرّة، ولكن من قبل. لقد قلتِ لنا إنّكِ لم تريه، ولكنكِ رأيته. أتفهّم أنّكِ خائفة، ولكن... أريدكِ أن تهزّي رأسك إذا كنتِ تعتقدين أنّكِ قادرة على وصفه».

مسحتْ وجنتيها، ورفعتْ نظرها إلى المحقّق الطويل، وهزّتْ رأسها.

سألتْ سوغا بلطف: «أيمكنك إخبارنا بأيّ شيء عنه؟».

فكّرتْ پينيلوپي بنبرة صوت المحقّق، ولكنته الفنلنديّة الناعمة، وتساءلتْ كيف عرف أنّها رأتْ وجه القاتل. لقد رأته بالفعل، ولكنّها لا تعرف إن كان بإمكانها وصفه. حدث الأمر بسرعة، إذ لمحته فقط سريعًا للحظات بعد أن قتل يورن وأوسيان، والمطر يتساقط على وجهه.

كم تمنّت محو هذه الذكريات! لكنّ وجهه المرهق المضطرب أخذ يتجلّى تحت الوميض الأبيض للبرق.

ذهبتْ سوغا إلى جونا الذي كان يقف عند النافذة يقرأ رسالة نصّيّة طويلة على هاتفه. فقال: «تحدّثتْ كلارا مع مدير الشؤون القانونيّة الذي تحدّث مع السفير. بعد ساعة من الآن، سيحصل ثلاثة أفراد على تصريح دخول للسفارة لمدّة خمس وأربعين دقيقة».

قالت: «علينا التوجّه إلى هناك الآن».

ردّ عليها وهو يطيل النظر إلى الميدان: «لا داعي للعجلة».

رأى الصحافيّين يتدافعون خارج الحاجز الأمنيّ للشرطة.

سألتْ سوغا: «هل أخبرتها أنّنا نحتاج إلى دعم مسلّح؟».

«علينا مناقشة ذلك مع حرّاس الأمن الألمان».

«من الذي سيذهب إلى هناك؟ كيف نقرّر ذلك؟».

استدار إليها، وقال: «أفكّر... في الضابط الذي طارد المجرم».

«ستيوي بيلغرين».

«أجل، ستيوي بيلغرين. هل سيكون قادرًا على التعرّف عليه؟».

«لم يرَ وجهه... لم يرَ أحدٌ وجهه».

جلست سوغا لبرهة من الوقت على الأرض بجانب پينيلوپي، مستندة إلى الحائط، ومتنفّسة ببطء، قبل أن تطرح عليها أوّل سؤال: «هل تعرفين لماذا يحدث كلّ ذلك؟».

أجابت پينيلوپي: «لا».

قال جونا وظهره موجّه إليها: «يريد صورة ألصقتِها على الباب داخل شقّتكِ».

خفضتْ رأسها، وهزّتها بضعف، فسألت سوغا: «هل تعرفين لماذا يريد هذه الصورة؟».

بدأت پينيلوپي تبكي، بعد أن أجابت: «لا».

انتظرت سوغا لبضع ثوانٍ، ثمّ قالت: «حاول يورن ابتزاز پالمكرونا للحصول على المال، و...».

قاطعتها بصوتٍ هادئ: «لم أكن أعرف أيّ شيء. لم أشارك في هذا».

قال جونا: «نعرف ذلك».

وضعت سوغا يدها بلطف عليها، وسألتها: «أنت التقطتِ الصورة؟».

«أنا؟! لا، أنا... أُرسِلت الصورة إلى 'جمعيّة السلام والتحكيم السويديّة' وأنا رئيسة مجلس الإدارة، ومن ثمّ...».

توقّفت عن الكلام، فسأل جونا: «هل أُرسِلت إليكِ بالبريد؟».

«أجل».

«مَن أرسلها؟».

«لا أدري».

«لم يكن معها خطاب؟».

«لا، لا أعتقد ذلك. أقصد هذا ما رأيته».

«فقط ظرف داخله صورة؟».

هزّت رأسها، فسأل جونا: «هل ما زلتِ تحتفظين بالظرف؟».

«لا».

«ماذا كُتِب عليه؟».

«فقط اسمي، واسم الجمعيّة. فقط الاسم، وليس رقم صندوق بريد الجمعيّة: 2088».

قالت سوغا: «پينيلوپي فرنانديز، 'جمعيّة السلام والتحكيم السويديّة' فقط».

وسأل جونا: «فتحتِ الظرف، وأخرجتها. ماذا رأيتِ في تلك اللحظة؟ ماذا عنت لكِ الصورة؟».

«ماذا عنت؟».

«ما الذي رأيته حين نظرتِ إليها؟ هل تعرّفتِ على الأشخاص بالصورة؟».

«أجل، ثلاثة منهم».

فقال جونا: «أخبرينا بماذا فكّرتِ عندما نظرتِ إلى الصورة».

«لا بدّ من أنّ أحدًا ما شاهدني عبر التلفاز». توقفت للحظات قبل أن تواصل: « من المفترض أن يكون بالمكرونا شخصًا حياديًّا. هذا هو مربط الفرس... ولكنّه كان في الأوبرا يشرب الشمبانيا مع رئيس 'سايلانسيا ديفينس' وتاجر أسلحة يعمل في أفريقيا والشرق الأوسط... إنّها فضيحة».

«ماذا كنتِ ستفعلين بالصورة؟».

«لا شيء، لا شيء نستطيع فعله. هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور. لكني، على الأقلّ، صرت أعرف أين يقف بالمكرونا».

ثم بعد صمت عادت لتقول: «ذكّرتني الصورة بأولئك الحمقى في إدارة الهجرة. يشربون الشمبانيا لأنّهم نجحوا في ترحيل أسرة من الأسر. ويحتفلون بعد رفض طلب أسرة بائسة اللجوء إلى السويد؛ أسرة فيها طفل مريض».

سأل جونا: «هل تعرفين الشخص الرابع في الصورة... المرأة؟».

هزّت رأسها مشيرة إلى أنّها لا تعرف، فقالت سوغا: «أغاثا الحجي».

«هل هذه أغاثا الحجي؟ ولكن لماذا كانت...». توقّفت عن الكلام، وحدّقت إلى سوغا التي قالت: «هل تعرفين أن الصورة التُقِطت في مارس 2009؟».

فجأة احمرّ وجهها بشدّة، فسألتها سوغا هامسة تقريبًا: «ما الخطب؟».

قالت بصوت مضطرب: «هذا يعني أن الصورة التُقِطت بعد إصدار مذكّرة توقيف الرئيس السودانيّ».

سألتها سوغا: «ما الذي يجعلكِ تقولين ذلك؟».

«أنا على حقّ، أليس كذلك؟».

ردّ جونا: «بلى».

قالت بشفتين راجفتين: «الصفقة مع كينيا! هذا ما يحدث في الصورة، هذا كلّ ما في الأمر؛ الاتّفاقية الكينيّة. هذا ما يفعله بالمكرونا. إنّه يُجيز بيع الذخيرة إلى كينيا! كنتُ أعرف أنّ ثمّة شيئًا غير واضح في الأمر. لقد فهمت الآن».

قال جونا: «أكملي كلامكِ».

«لكينيا بالفعل عقود طويلة الأجل مع بريطانيا. السودان يريد الحصول على الأسلحة. ستُسلَّم الشحنة إلى السودان، إلى دارفور تحديدًا، عبر كينيا».

قالت سوغا: «أجل، مؤكد أنّ هذه كانت الخطّة».

«هذا ليس فقط غير قانونيّ، بل إنّه أسوأ من ذلك. هذه خيانة عظمى. إنّه انتهاك للقوانين الدوليّة، وجريمة ضدّ الإنسانيّة...». توقّفتْ عن الكلام مجدّدًا، ثمّ عاودتْ بكلّ هدوء: «هذا هو السبب وراء كلّ ما يحدث، وليس لأنّ يورن حاول ابتزاز بالمكرونا».

«محاولة الابتزاز نبّهت هؤلاء الأشخاص إلى وجود صورة قد تكشفهم».

قالت بينيلوبي: «ظننتُ أنّها صورة مُخجلة، مُخجلة لا أكثر».

شرحت سوغا: «من وجهة نظرهم، بدأ الأمر حين اتّصل بهم بالمكرونا ليخبرهم عن محاولة الابتزاز. لم يعرفوا أنّ ثمّة صورة حتّى ذلك الحين، ولكنّ رسالة بالمكرونا نبّهتهم. لم يتمكّنوا من التأكّد من مدى انتشار الصورة، وهل هو على نطاق واسع أم ضيّق، لكنّهم أدركوا أنّه ليس أمرًا جيّدًا. لا نعرف بالضبط ما الذي كانوا يفكّرون فيه. ربّما اعتقدوا أنّ الصورة التُقِطت وهم في المقصورة بواسطتكِ أو بواسطة يورن. لم يستطيعوا التأكّد من قدر معرفتكِ، ولكنّهم لم يكونوا مستعدّين لتحمّل أيّ مخاطر».

قالت بينيلوبي: «فهمتُ ذلك. قد أكون في أعينهم الشاهد الوحيد على الصفقة».

«لقد راهنوا على كثير من المال في هذا العقد الكينيّ». رفعتْ رأسها، ونظرتْ إلى سوغا مباشرةً، ثمّ قالتْ: «لا يمكن السماح لهم بضخّ الذخيرة إلى دارفور. هذا بشع. لقد ذهبتُ إلى هناك مرّتين...».

قاطعتها سوغا: «لا أحد منهم يبالي. يهمهم المال فقط».

غرقت بينيلوبي في

مجدّدًا في بحر ذكريات الشهر الذي أمضته في كينيا، وجنوب غرب السودان... تذكّرت صوت سحق التماثيل المصنوعة من الطين تحت حوافر الماعز. وسحق تمثال آخر لامرأة ضعيفة حتّى صار غبارًا. كان الطفل يضحك، ويصيح بأنّها «أمّ نوفي القبيحة»، بينما يهتف أطفال آخرون وهم يضحكون بالموت والسحق لكلّ أبناء قبيلة «الفور».

تذكّرت الأولاد الذين قَدِموا إلى الثكنات، حيث كانت تسكن هي وجاين.كيف ركلوا الباب وساروا إلى الردهة. وكيف اختبأت تحت السرير من دون حركة وهي تتلو الصلوات في أثناء تحطيمهم للأثاث وركله. وأحدهم يضحك ويصيح بأنّ العبيد لا بدّ من أن يموتوا. تسلّلت بينيلوبي إلى النافذة مرّة أخرى. تذكرت كيف أخذ الأولاد جاين. سحبوها من شعرها، وألقوا بها في منتصف الطريق. فُتح أحد الأبواب وخرج لهم غراي حاملًا ساطورًا. ذهب إليه صبيّ نحيف. كان غراي أطول منه بشكل كافٍ، ومنكباه أعرض بكثير من منكبي الصبيّ.

سأله غراي: «ماذا تريد؟».

كان وجهه كئيبًا مبلّلًا بالعرق. لم يُجب الصبيّ، بل اكتفى فقط برفع مسدّسه وإطلاق النار على بطن غراي. تردّد صوت إطلاق النار بين المباني. تعثّر غراي إلى الخلف وسقط. ثمّ حاول النهوض مرّة أخرى، ولكنّه لم يستطع سوى الاستلقاء مكانه، واضعًا إحدى يديه على بطنه.

صاح أحد الأولاد الذين يمسكون بجاين: «مات واحد منهم!».

فتح صبيّ آخر ساقي جاين بالقوّة. قاومت ووجّهت لهم كلامًا شديد اللهجة، ولكن بهدوء. وصاح غراي بشيء ما للأولاد فذهب الصبيّ النحيف صاحب المسدّس إليه مجدّدًا، وصرخ به، ثمّ وجّه فوّهة المسدّس إلى جبينه وضغط على الزناد، لكن لا ذخيرة... ثمّ حاول مرّة أخرى، ومرّة أخرى. المسدّس كان فارغًا. نقر بلا فائدة لستّ مرّات. عندها تغيّر الوضع؛ وفُتِحت أبواب الثكنات الأخرى، وتوافدت السيّدات الأفريقيّات. ترك المراهقون جاين، وبدأوا يركضون. رأت پينيلوپي خمس سيّدات يلاحقنهم. سحبت الغطاء عن سريرها، وركضت إلى جاين، وغطّتها بالغطاء، وساعدتها لتقف على قدميها.

قالت جاين: «يجب أن تنتبهي. قد يعودون بمزيد من الذخيرة».

أمضت جاين الليل كاملًا، ومعظم صباح اليوم التالي، على طاولة العمليّات. لم تعد إلى سريرها حتّى العاشرة صباحًا، حين تأكّدت من أنّها فعلت ما بوسعها لإنقاذ حياة غراي. راح الأولاد الصغار يساعدونها.

***

همست پينيلوپي: «لا».

سألت سوغا: «ما الذي تحاولين قوله؟».

«لا يمكنهم»، قالت ثمّ أخفضت صوتها وأضافت: «يجب منعهم».

قالت سوغا: «كنتِ أكثر أمانًا في الغرفة تحت الأرض».

«أكثر أمانًا؟ لا أحد يستطيع حمايتي»، ردّت پينيلوپي.

«نحن نعرف أنّه داخل السفارة الألمانيّة، ونحاصر المبنى الآن...».

«لكنّكم لا تعرفونه»، قاطعتها پينيلوپي بصوت عالٍ.

«نعتقد أنه أُصِيب. أُطلِقت النار عليه، وسنذهب إلى الداخل، و...».

قالت پينيلوپي: «أريد القدوم. فقد رأيتُ وجهه».

ذُهِل جونا وسوغا عندما قالتْ ذلك.

نظرت پينيلوپي إلى جونا، ثمّ قالت: «كنتَ على حقّ. لقد رأيتُه».

قالت سوغا باضطراب: «ليس لدينا الكثير من الوقت، يجب أن نضع تصورًا له».

قال جونا: «لا جدوى من ذلك. لا يمكننا احتجاز شخص من سفارة دولة أخرى بناءً على تصوّر».

فقالت پينيلوپي وهي تقف وتنظر إلى جونا مباشرةً بهدوء: «ماذا لو تعرّف عليه شاهد؟».

83

وقفت پينيلوپي بين سوغا وجونا خلف عربة شرطة مدرّعة. إنّهم على بُعد خمسين مترًا فقط من مدخل السفارة الألمانيّة. شعرت بثقل وزن السترة الواقية من الرصاص على كتفيها، وضغطها على صدرها.

في غضون خمس دقائق، سيُسمَح لهم بدخول مجمّع السفارة لمحاولة التعرّف على المشتبه به، والقبض عليه.

سمحت پينيلوپي لجونا بوضع مسدّس إضافيّ داخل جراب خلف ظهرها. حرص على تعديل زاويته عدّة مرّات حتّى يستطيع سحبه بسهولة.

قالت سوغا: «لا تريد ذلك».

«لا بأس»، قالت پينيلوپي.

قال جونا: «لا ندري ماذا سنجد هناك. أتمنّى أن تسير الأمور بسلاسة. ولكن إذا لم يكن الأمر كذلك، فقد يُحدِث هذا السلاح الفارق».

كانت المنطقة بأسرها تعجّ بضبّاط الشرطة السويديّين وعناصر من شرطة الأمن وفرق القوّات الخاصّة والمسعفين.

نظر جونا إلى بقايا «الڤولڤو» المحترقة. لم يتبقَّ منها شيء يُذكر. تناثرت أجزاؤها على التقاطع. عثر إريكسون بالفعل على مفجّر وآثار متفجّرات.

قال وهو يرفع نظّارته إلى أنفه: «ربّما يكون هكسوجين».

فعلّق جونا وهو ينظر إلى ساعته: «متفجّرات بلاستيكيّة».

تحرّك كلب من فصيلة الراعي الألمانيّ بلا كلل أمام ضابط شرطة، ثمّ استلقى على الطريق وهو يلهث.

اصطحب فريق الاستجابة السريعة سوغا وجونا وپينيلوپي إلى السياج، حيث كان في انتظارهم أربعة ضبّاط شرطة عسكريّة ألمان لا تبدو على وجوههم أيّ تعابير.

تحدّثت سوغا إلى پينيلوپي بلطف: «لا تقلقي. ستتعرّفين على المجرم فقط. وفور الانتهاء من ذلك، سنرافقكِ إلى الخارج، إذ سينتظر أفراد أمن السفارة أن تصيري في أمان قبل إخراجه».

فتح ضابط شرطة عسكريّة ألمانيّ ضخم البنية ينتشر النمش في وجهه البوّابة لهم، وسمح لهم بدخول منطقة التحميل. ثمّ رحّب بهم بنبرة صوت ودودة، وقدّم لهم نفسه على أنّه رئيس الأمن، كارل مان.

ساروا معه إلى المدخل الرئيس. هواء الصباح لا يزال باردًا.

قال جونا: «نحن نتعامل مع مجرم خطير للغاية».

«نتفهّم ذلك. أطلِعنا على الأمر باختصار. ولكنّني هنا طوال الصباح، ولا يُوجَد سوى الموظّفين الدبلوماسيّين والمواطنين».

سألت سوغا: «هل بوسعكَ إحضار قائمة؟».

«بوسعي إخباركم أنّنا نتفقّد لقطات من كاميراتنا الأمنيّة. لديّ إحساس بأنّ زميلكِ لا بدّ من أن يكون مخطئًا. أعتقد أنّ الرجل الذي تبحثون عنه ذهب خلف البوّابات. وبدلًا من دخول مبنى السفارة، التفّ حوله، واتّجه إلى أستوديوهات التلفزيون عابرًا فوق العشب».

قال جونا بهدوء: «ربّما».

وسألت سوغا: «كم عدد الأشخاص داخل السفارة؟».

«القسم القنصلي مفتوح. وفي الوقت الحالي، تُنظَر أربع حالات».

«أربعة أفراد؟».

«أجل».

«وكم عدد العاملين في السفارة؟».

«أحد عشر موظّفًا».
«وكم عدد أفراد الأمن؟».
«خمسة أفراد في الوقت الحاليّ».
«لا أحد آخر؟».
«لا».
«لا يوجد عمّال أو...».
«لا».
«إذن، ثمّة عشرون فردًا في المجمل».
سأل كارل مان بلطف: «هل تودّون البدء بإلقاء نظرة على المكان بأنفسكم؟».
«نريدكم معنا، إن أمكن».
«كم تريدون من أفراد الأمن؟».
ردّ جونا: «أكبر عدد ممكن... ومسلّحون بأكبر قدر ممكن».
ابتسم كارل، وقال: «لا بدّ أنّك تعتقد أنّه خطير بالفعل. يمكنني جعل رجلين آخرين باصطحابكم».
«لا نعرف كيف سيكون ردّ فعله إذا...».
قاطع كارل جونا: «تقولون إنّه أُصِيب في كتفه. لا يمكنني أن أقول إنّني أشعر بالخوف بشكل كبير».
قال جونا بهدوء: «ربّما لم يدخل المبنى أبدًا، وربّما غادر السفارة. ولكن إن كان هنا، فنحن بحاجة إلى الاستعداد لوقوع خسائر».
سار جونا وسوغا وپينيلوپي إلى ردهة الطابق الأرضيّ في صمت، برفقة ثلاثة ضبّاط من الشرطة العسكريّة مدجّجين ببندقيّات هجوم وقنابل صدمة. كانت السفارة تخضع لعمليّات ترميم منذ عدّة سنوات، انتقل خلالها العاملون إلى مبانٍ في شارع «آرتيليري». لكنّهم عادوا إلى مبنى السفارة خلال هذا الربيع، على الرغم من عدم الانتهاء من الأعمال. فاحت الردهة برائحة دهانات وخشب حديث التقطيع، وبعض الطوابق ما تزال مغطّاة بورق الحماية.

قال جونا: «نودّ أوّلًا رؤية الزوّار... أيّ أحد غير العاملين».

ردّ كارل مان: «حسنًا، توقّعتُ ذلك».

سارت پينيلوپي وسط سوغا وجونا. شعرت بالهدوء بشكل غريب. لسبب ما، لم تتخيّل أنّها ستواجه القاتل هنا داخل السفارة. بدا المكان عاديًّا للغاية. لكنّها بعد ذلك، لاحظتْ أنّ جونا صار أكثر حذرًا. تغيّر نمط حركته بجانبها، إذ رأته يتفقّد بعينيه الأبواب وفتحات التهوية.

فجأة، بدأ صوت تنبيه يدوّي عبر الجدران فتوقّفوا. أخرج كارل جهاز اللاسلكيّ، وتبادل بضع كلمات بالألمانيّة مع زميله.

ثمّ شرح بالسويديّة: «يتصاعد صوت الإنذار على أحد الأبواب. كان الباب مغلقًا، ولكنّ الإنذار بدأ في التفاعل كما لو كان قد تُرِك مفتوحًا لثلاثين ثانية».

واصلوا سيرهم، وأصبحت پينيلوپي أكثر إدراكًا للمسدّس الذي يحتكّ بظهرها في كلّ خطوة تخطوها، ثمّ قال كارل: «مارتن شينكل، ملحق الأعمال، داخل المكتب الذي أمامنا مباشرةً، ولديه زائر الآن اسمه رولاند ليندكڤيست».

فعلّق جونا: «نودّ رؤيتهما».

«طلب ألّا يزعجه أحد قبل الغداء».

لم يردّ جونا.

أمسكت سوغا بذراع پينيلوپي، وتوقّفتا بينما ذهب الآخرون نحو الباب المغلق.

«لحظة واحدة»، قال كارل لـجونا، ثمّ طرق الباب.

ردّ صوت، فدخل كارل وأغلق الباب خلفه.

نظر جونا إلى غرفة من دون باب. المدخل مغطّى بالبوليثين الرماديّ الصناعيّ الذي يمكنه عمل كومة من الجصّ، بينما ينتفخ البلاستيك الممتدّ إلى الخارج مثل الشراع، ما يُحدث صوت خشخشة ضعيفًا. خطا جونا خطوة نحو البلاستيك وهو يسمع أصوات ضوضاء خلف الباب المغلق لمكتب ملحق الأعمال، تبعها صوت ارتطام ثقيل. تراجعت پينيلوپي إلى

الخلف، وأرادت فقط أن تبتعد عن المكان. فقالت سوغا وهي تسحب مسدّسها: «سننتظر هنا».

راقبت پينيلوپي جونا وهو يمشي إلى باب مكتب ملحق الأعمال. وقف ضابطا الشرطة العسكريّة بثبات تامّ. سحب جونا مسدّسه، وأغلق زرّ الأمان، ثمّ طرق على الباب.

طرق جونا الباب مرّة أخرى وأنصت، ثمّ سمع صوتًا رتيبًا. كأنّه يُعيد العبارة نفسها مرارًا وتكرارًا. انتظر لبضع ثوانٍ، وأخفى المسدّس خلف ظهره، ثمّ ضغط على مقبض الباب إلى أسفل. كان كارل يقف تحت ضوء السقف، وتتدلّى بندقيّة الهجوم على جنبه. نظر إلى جونا، ثمّ التفت إلى الرجل الآخر الجالس على الكرسيّ في نهاية الغرفة.

قال: «هذا هو المحقّق السويديّ يا سيّد شينكل».

كانت الكتب والملفّات مبعثرة على الأرض، كما لو أُطيح بها عن المكتب في لحظة غضب. وكان مارتن شينكل يجلس على كرسيّ ذي ذراعين، محدّقًا إلى التلفاز، الذي يعرض بثًّا مباشرًا لمباراة كرة قدم من بكين بين منتخبَيّ ألمانيا والصين.

سأل جونا بنبرة متحفّظة: «أليس من المفترض أنّكَ تقابل زائرًا؟».

فأجابه من دون أن يزيح عينيه عن الشاشة: «لقد ذهب».

واصلت المجموعة السير في الردهة. تعكّر مزاج كارل، وراح يصرخ بفردي الشرطة العسكريّة. سيّدة ترتدي سترة طويلة باللون الرماديّ الشاحب تخطّت مسرعةً ورق الحماية البنّي الذي يغطّي الأرض التي طُليت حديثًا في الردهة التي تلتها.

سأل جونا: «من هذه السيّدة؟».

«سكرتيرة السفير».

«نودّ التحدّث معها، و...».

انطلق صوت إنذار أشبه بالصراخ عبر المبنى بأسره، وأعلن صوت مُسجّل مسبقًا باللغة الألمانيّة أنّ على من في المبنى مغادرته على الفور، والابتعاد عن المصعد، مشدّدًا: «هذا ليس تدريبًا على الإخلاء».

84

تحدّث كارل في الجهاز اللاسلكيّ الخاصّ به، ثمّ بدأ يتوجّه إلى الدرج.

قال بإيجاز: «ثمّة حريق في الطابق العلويّ».

سأل جونا الذي كان يضاهيه في سرعة خطوته: «إلى أيّ مدى انتشر؟».

«لا نعرف بعد. لكنّنا نُخلي السفارة. ثمّة أحد عشر شخصًا في الطابق العلويّ».

أخذ كارل مطفأة الحريق من خزانة حمراء، وسحب مسمارها إلى الخارج.

قالت سوغا: «سأصطحب پينيلوپي إلى الخارج».

قالت پينيلوپي: «إنّه مَن أشعل النار. سيختفي في أثناء محاولتهم إخمادها».

توجّه جونا إلى الدرج برفقة أفراد الشرطة العسكريّة الثلاثة. راح وقع خطواتهم يدوّي بين الجدران الخرسانيّة العارية في أثناء صعودهم. شمّوا رائحة الدخان، ورأوه يتسلّل بلونه الرماديّ من تحت السقف.

قال كارل وهو يشير إلى المكان: «يبدو أنّ الحريق في غرفة التبريد. ثمّة مطبخ إلى جوارها».

تدفّق الدخان الأسود من تحت الأبواب المزدوجة في نهاية الردهة. صرخت امرأة من مكان ما. وتردّد صوت كالرعد في المبنى. فجأة، وقع انفجار خلف الأبواب المزدوجة، كأنّ لوحًا كبيرًا من الزجاج يتحطّم من شدّة الحرارة.

قال جونا: «نحتاج إلى إخلاء الجميع؛ إنّه...».

أشار كارل إليه ليكفّ عن الحديث عندما تلقّى اتّصالًا على جهاز اللاسلكيّ، وتبادل بعض الكلمات، ثمّ التفت إلى المجموعة التي معه.

قال بصوت صارم: «حسنًا، أنصتوا إليّ! لقد رأى الأمن للتوّ رجلًا بالزيّ الأسود على شاشاتهم داخل حمّام الرجال، وثمّة مسدّس في أحد الأحواض».

قال جونا: «إنّه هو».

اتّصل كارل بغرفة التحكّم خافضًا صوته وهو يسأل عن مكان الرجل.

قال: «على بُعد مترين من يمين الباب. إنّه ينزف بشدّة من كتفه، ويجلس على الأرض. ولكنّ النافذة مفتوحة، ومن الممكن أن يحاول الهرب بهذه الطريقة».

ركضت المجموعة على الورق البنّيّ الذي يغطّي الأرض، ثمّ توقّفت. من الواضح أنّ المكان هنا أكثر سخونة، والدخان يتصاعد من السقف.

سأل جونا بهدوء: «بماذا هو مسلّح؟».

«تمكّنوا فقط من رؤية المسدّس في الحوض».

«اسأل هل معه حقيبة ظهر؟ لأنّه يحمل...».

همس كارل بتذمّر: «أنا مَن يقود هذه العمليّة!».

أشار إلى رجُليه اللذين تحقّقا بسرعة من بندقيّات الهجوم لديهما، ثمّ تبعاه إلى الغرفة التالية. فكّر جونا في أن يحذّرهم مرّة أخرى وهم يغادرون. كان يعرف أنّ خططهم الاعتياديّة تلك لن تفلح مع هذا المجرم. إنّهم بمثابة الذباب الذي يقترب من العنكبوت. سيستدرجهم واحدًا تلو الآخر إلى شبكته.

ضغط جونا زرّ أمان مسدّسه من ماركة «سميث آند ويسون»، وتبعهم بحرص. أخذوا مواقعهم خارج باب حمّام الرجال. أزال أحدهم، وكان شعره الأشقر الطويل مطويًّا تحت خوذته، مسمار إحدى قنابل الصدمة. فتح الباب قليلًا ليلقي بها إلى الداخل فوق الأرضيّة المكسوّة بالبلاط. وبعد سماع صوت انفجار مكتوم، فتح العنصر الآخر الباب مجدّدًا، وأشهر سلاحه نحو الظلام. أشار كارل بنفاد صبر. اندفع الشرطيّ الأشقر من دون أدنى تردّد شاهرًا بندقيّة الهجوم الخاصّة به. ثمّ سمعه جونا يقول شيئًا بصوت مذعور. بعد لحظة، وقع انفجار ضخم ألقى بأحد الشرطيّين العسكريّين خارج الحمّام في دوّامة من الدخان وغبار الحجارة. خُلع الباب من مفصّلاته. أسقط الشرطيّ الثاني بندقيّته، وانهار على أحد جانبيه، وقد اصطدمت ركبته بالأرض.

دفعت موجة الضغط جونا إلى التراجع خطوة إلى الخلف. استلقى الشرطيّ الأشقر على ظهره في الردهة. فمه مفتوح، والدم يسيل بين أسنانه. لم يكن في وعيه، وقد اخترقت شظيّة كبيرة فخذه. صارت الدماء الحمراء المتوهّجة تتدفّق بانتظام على الأرض. أسرع جونا وسحبه بعيدًا وهو يستشعر دفء الدماء المتدفّقة على يديه بينما يصنع له دعامة مؤقّتة من حزامه وقطعة ممزّقة من كُمّ قميصه.

ذهب كارل إلى الحمّام ممسكًا مسدّسه بيده، مارًّا فوق البلاط المكسور وقطع زجاج المرايات على الأرض. عثر على المجرم مستلقيًا على الأرض. ما زال حيًّا. ساقاه تنتفضان، وذراعاه تتحسّسان الأرض من دون جدوى. أُصيب ذقنه وأجزاء كبيرة من وجهه بشدّة. نظر كارل من حوله، ورأى السلك المعدنيّ، وتوصّل في النهاية إلى أنّه ربّما كان يخطّط لإعداد فخّ لهم باستخدام قنبلة يدويّة، قبل أن تفاجئه قنبلة الصدمة.

همس لنفسه مغادرًا الحمّام: «سنخلي أيّ شخص آخر».

مسح جونا الدماء عن يديه، واتّصل بمركز القيادة لطلب سيّارة إسعاف. رأى بينيلوبي وهي تخرج من مطلع الدرج. تتبعها سوغا. بدت عينا بينيلوبي سوداوين، كأنّها كانت تبكي لساعات. حاولت سوغا تهدئتها، وإسنادها، لكنّ بينيلوبي حرّرت نفسها من يدها.

سألت بصوت متقطّع: «أين هو؟ أريد رؤيته».

قال جونا: «يجب أن نخرج. قد تشتعل هذه الردهة في غضون ثانية».

تخطّته بينيلوبي باتّجاه حمّام الرجال، ونظرت داخل الغرفة المحطّمة. رأت رجلًا على الأرض، جسده يرتجف، ووجهه ملطّخ بالدماء. انتحبت وتراجعت إلى الخلف لتستند إلى جدار.

تنفّست بينيلوبي بسرعة، وتحرّكت معدتها باضطراب. ابتلعت ريقها، وشعرت بسوغا تدفعها من الخلف نحو الدرج.

همست لنفسها: «ليس هو».

قادتها سوغا إلى الخارج قائلة: «علينا الذهاب».

حمل مسعفون يرتدون أقنعة واقية الجرحى من رجال الشرطة العسكريّة إلى الخارج. وقع انفجار آخر بصوتٍ مكتوم. راحت شظايا الزجاج والخشب تطير عبر الردهة. تعثّرت امرأة وسقطت على الأرض، لكنّها تمكّنت من الوقوف على قدميها مجدّدًا. تدفّق الدخان عبر أحد الأبواب المفتوحة. وقف رجل قويّ البنية بثبات داخل الممرّ والدماء تجري من أنفه على قميصه وربطة عنقه. صاح أفراد الشرطة العسكريّة في الجميع ليتوجّهوا إلى مخرج الطوارئ. ومضت ألسنة اللهب من مدخل أحد أبواب المكاتب، راحت المرأة ذات الفستان المشتعل تصرخ وشرطيّ عسكريّ يرشّها برغوة بيضاء.

سعل جونا بسبب الدخان، ولكنّه تابع طريقه إلى حمّام الرجال ليرصد حجم الدمار. وجد رجلًا مستلقيًا لا يتحرك. وجهه ملفوف بشكل مؤقّت بكمّادات وضمادات الشاش، والدماء الحمراء الداكنة تتدفّق من مكان الرصاصة بسترته السوداء.

مسدّسه ملقى في أحد الأحواض. خلف المرحاض، في بقايا إحدى المقصورات، حقيبة ظهره السوداء الفارغة المصنوعة من النايلون.

سمع جونا صراخًا وأصواتًا مذعورة وأوامر يُنادى بها. ظهر كارل داخل حمّام الرجال، ومعه اثنان من المسعفين.

قال جونا لكارل وهو يشير إلى المصاب الذي وضع المسعفون جسده على نقّالة تركوها على الأرض: «أريد أن يراقبه أحد ما».

عقّب كارل: «سيموت قبل أن تصل سيّارة الإسعاف إلى المستشفى».

«ما زلت أريد وضعه تحت رقابتكم ما دام داخل مبنى السفارة».

نظر كارل إلى جونا مباشرةً، وطلب بسرعة من أحد أفراد مجموعته مراقبة المقبوض عليه وتسليمه إلى الشرطة السويديّة، ثمّ تلقّى اتّصالًا على جهاز اللاسلكيّ الخاصّ به.

قال كارل وهو يسعل: «ثمّة شخص مفقود. لا بدّ من أن يكون هنا في الأعلى».

صرخ شخص من خلفهما: «أخلوا المبنى!».

استدار جونا، ورأى أربعة رجال إطفاء بكامل عدّتهم يهرولون عبر الردهة، ويتفقّدون الغرف.

وقبل أن يكون لدى جونا الوقت لتحذيرهم، أضاء أحد رجال الإطفاء مصباحه الساطع في الغرفة. توهّجت عينان في الظلام، ونبح كلب من فصيلة لابرادور بإنهاك.

قال أحد رجال الإطفاء: «سنتولّى الأمر. هل يمكنك الخروج بنفسك؟».

قال لهم كارل: «ثمّة شخص مفقود».

وقال جونا بشكل قاطع لرجل الإطفاء اليافع: «كن حذرًا».

«أريد فقط أن ألقي نظرة على شيء ما».

سعل جونا، وعاد إلى حمّام الرجال، ورأى الدماء على الأرض والجدران، ثمّ أسرع إلى الأنقاض وانتشل حقيبة ظهر المجرم السوداء.

85

راحت ساقا بينيلوبي ترتجفان وهي تميل بيد واحدة على السياج، وتحدّق إلى الأرض. جاهدت في مقاومة رغبتها بالتقيّؤ. كانت صورة الرجل في الحمّام تتلألأ أمام عينيها: الوجه المشوّه، والأسنان، والدماء.

دفعها وزن القميص الواقي من الرصاص إلى الحاجة للجلوس. وصلت الأصوات المحيطة بها على هيئة موجات. سمعت صفّارات الإنذار من سيّارة الإسعاف، وصياح رجال الشرطة وهم يتحدّثون بأجهزة الاتّصال اللاسلكيّ. رأت المسعفين وهم يركضون من خلفها بالنقّالة. إنّهم يحملون الرجل الذي كان في حمّام الرجال. مدّدوه على ظهره وغطّوا وجهه، ولكنّ الدماء تدفّقت وبلّلت الضمادات.

سارت سوغا نحو بينيلوبي بصحبة ممرّضة. قالت إنّ بينيلوبي قد تكون تعرّضت لصدمة.

قالت الممرّضة لپينيلوپي: «سيأتي الطبيب ويفحصك في غضون لحظات، ولكن يمكنني إعطاؤك شيئًا يساعدك على الاسترخاء. هل تعانين من أيّ مشكلات في الكبد؟».

هزّت پينيلوپي رأسها بالنفي، فأعطتها الممرّضة قرصًا أزرق.

ثمّ شرحت: «هذا 'زانور' عليكِ ابتلاعه مرّة واحدة».

«زانور» كرّرت پينيلوپي وهي تنظر إلى القرص الذي بيدها.

شرحت الممرّضة قبل أن تسرع بعيدًا عنها: «سيساعد على تهدئتك. لا ضرر منه».

قالت سوغا وهي تتوجّه إلى إحدى سيّارات الشرطة: «سأحضر لك بعض الماء».

شعرت پينيلوپي بالبرد في أصابعها. نظرت إلى يدها، ثمّ إلى القرص الأزرق الصغير.

ما زال جونا داخل المبنى. استمرّ إجلاء مزيد من الناس الملطّخين بلون رماد الدخان، والذين يعانون من استنشاقه. تجمّع الدبلوماسيّون الذين أصابتهم الصدمة عند السياج أمام سفارة اليابان، منتظرين نقلهم إلى مستشفى «كارولينسكا». انهارت امرأة ترتدي تنّورة زرقاء داكنة وسترة طويلة على الأرض وأجهشت بالبكاء. جلست شرطيّة بجانبها، ولفّت ذراعها حول كتفيها محاولة أن تطمئنها. واصل أحد الدبلوماسيّين لعق شفتيه، وتنظيف يديه بمنشفة مرارًا وتكرارًا، كأنّه يخشى ألّا يتمكّن من تنظيف نفسه أبدًا مرّة أخرى. وقف رجل عجوز يرتدي بدلة مجعدة متصلّبًا وهو يتحدّث بالهاتف. امرأة في منتصف العمر، شعرها أحمر، وتشغل منصب الملحق العسكريّ في السفارة، جفّفت دموعها، ثمّ حاولت تقديم يد المساعدة، رغم ما يبدو عليها من أعراض الدوار الشديد. أمّا الرجل ذو اليدين المحترقتين والمضمّدتين، فبعد أن جلس قليلًا، والبطّانية تحيط كتفيه، ورأسه منخفض، نهض وأسقط البطّانية على الأرض، وبدأ في السير ببطء نحو الطريق وهو يحدّق من بعيد إلى السياج.

كان أحد أفراد الشرطة العسكريّة واقفًا يضع يده على سارية العلم ويبكي.

انعطف الرجل ذو اليدين المحروقتين يمينًا إلى شارع «يارديس».

حبست پينيلوپي فجأة أنفاسها. انتاب جسدها شعور مرعب، مثل حقنة الثلج. لم ترَ وجه المجرم، ولكنّها رأت ظهره. الرجل ذو اليدين المصابتين. عرفت أنّه هو، مُطارِدها. هو مَن يسير باتّجاه شارع «يارديس»، ويبتعد ببطء عن الشرطة والمسعفين. لم تحتج إلى رؤية وجهه، لأنّها رأت ظهره ورقبته من قبل، في الزورق خلف جسر «سكيوروصند»، حين كانت ڤيولا ويورن على قيد الحياة.

فتحت پينيلوپي يدها، وتركت القرص الأزرق يسقط على الأرض.

بدأت تسير خلفه وقد تسارعت دقّات قلبها، تاركة البطّانيّة تسقط على الأرض، مثلما فعل المجرم للتوّ. انعطفت إلى شارع «يارديس»، وسرّعت خطاها. بدأت تركض عندما رأته ينزلق بين مجموعة من الأشجار أمامها مباشرةً. بدا عليه الضعف؛ ربّما نتيجة الدم الذي فقده من كتفه المُصابة. كانت متأكّدة من أنّه لن يتمكّن من تجاوزها في الركض. طارت بعض الغربان من فوق قمم الأشجار، ورفرفت بعيدًا. توجّهت پينيلوپي إلى الأشجار. شعرت بأنّها قويّة وهي تتنقّل بين الأعشاب، وهو على بُعد خمسين مترًا من مرمى بصرها. تعثّر ومدّ يده نحو شجرة ليثبّت نفسه. صارت الضمادة فضفاضة، وانزلقت بكلّ سهولة عن أصابعه. ركضت خلفه وهو يغادر ملجأه من الأشجار، ويعرج فوق مساحة كبيرة من الحشائش. من دون أن تتوقّف، سحبت المسدّس الذي ربطه جونا على ظهرها. نظرت إلى المجرم، وشغّلت زرّ الأمان وهي تتحرّك بين الأشجار. ثمّ أبطأت السير وأمسكت المسدّس بذراعين مستقيمتين، مصوّبةً نحو ساقيه.

همست پينيلوپي وهي تضغط على الزناد: «توقّف!».

انطلقت الرصاصة، فهزّ الارتداد ذراعها وكتفها، وأحرق البارود ظهر يدها.

لم تتمكّن من رؤية مكان استقرار الطلقة، لكنّ الرجل بدأ يركض.

فكّرت پينيلوپي في أختها.

عبر المجرم ممرّ مشاة، وتوقّف ليمسك بكتفه، ثمّ ركض على الحشائش.

لاحقته پينيلوپي تحت أشعّة الشمس. صارت قريبة منه بعد أن عبرت الممرّ الذي عبره للتوّ. رفعت المسدّس مجدّدًا.

صاحت: «توقّف!».

خرجت الطّلقة، ورأت پينيلوپي عبوة الرصاصة تنطلق على الحشائش على بُعد عشرة أمتار منه.

شعرت بالأدرينالين يُضَخّ إلى جسدها، وبأنّها ترى بوضوح وتركيز. صوّبت المسدّس نحو ساقيه وأطلقت النار. سمعت صوت الطلقة، وشعرت بالارتداد في ذراعها، ورأت الرصاصة وهي تخرج من باطن ركبته. صرخ من شدّة الألم، وسقط على الحشائش. رغم أنّه حاول مواصلة الحركة، اقتربت منه، وسارت إليه بينما هو يحاول الوقوف على قدميه.

قالت پينيلوپي في عقلها، وهي تُشهر مسدّسها مرّة أخرى: «توقّف! أنت قتلت ڤيولا. أغرقتها بالدلو، ثمّ قتلت يورن».

ثمّ صاحت بصوتٍ عالٍ: «لقد قتلتَ أختي الصغيرة». وأطلقت النار مجدّدًا.

أصابت الطلقة قدمه اليسرى، وانتشرت الدماء على الحشائش.

عندما وصلت إليه، كان يميل بجسده على الشجرة. رأسه معلّق، وذقنه مستقرّ على صدره. راح ينزف بشدّة، ويلهث لالتقاط أنفاسه مثل الحيوانات، ولكنّه من ناحية أخرى كان ثابتًا في مكانه تمامًا.

توقّفت أمامه وقدماها متباعدتان على الحشائش، ووجّهت إليه المسدّس مجدّدًا.

سألت بصوت خفيض: «لماذا؟ لماذا ماتت أختي؟ لماذا...».

كفّت عن الكلام، وابتلعت ريقها، ثمّ ركعت على ركبتيها حتّى ترى وجهه.

قالت: «أريدكَ أن تنظر إليّ وأنا أطلق النار».
رطّب الرجل فمه، وحاول أن يرفع رأسه. لكنّه كان ثقيلًا للغاية، فلم يتمكّن من رفعه. من الواضح أنّه يحتضر. وجّهت المسدّس إليه، ولكنّها أوقفت نفسها مرّة ثانية، ومدّت يدها الأخرى، ورفعت ذقنه، ونظرت إليه. حاولت تثبيت عضلات فكّها بشدّة، حين رأت ملامحه مجدّدًا. إنّه الوجه نفسه الذي رأته في الخارج وقت العاصفة في «كيميندو». الآن، تذكّرت الهدوء الذي كان في تينك العينين، والندبة العميقة التي على فمه. كان يبدو هادئًا، كما هو الآن. فكّرت پينيلوپي كم هو غريب ألّا يخاف منها، عندما اندفع نحوها فجأة. تحرّك بسرعة غير متوقّعة، وجذبها من شعرها، وأخذها نحوه. رغم أنّ ذراعه لم تكن بهذه القوّة، فإنّ پينيلوپي سقطت أمامه، وارتطم رأسها بصدره. لم يكن لديها الوقت للابتعاد قبل أن ينقل قبضته ويمسك معصمها، ويلوي المسدّس من يدها. استجمعت پينيلوپي قواها الممكنة كافّة، ورفعت ذراعيها، وركلته بشدّة، حتّى سقطت إلى الوراء على الحشائش. حين نظرت إليه مجدّدًا، كان يوجّه المسدّس إليها. أطلق بسرعة رصاصتين متاليتين.

86

لم يشعر جونا بتعب رئتيه، ولم يلاحظ شدّة الوخز في عينيه، إلّا حين وصل إلى مطلع درج السفارة. عليه الذهاب إلى خارج المبنى، واستنشاق الهواء العليل. سعل، واستند إلى الجدار، ثمّ واصل سيره. جاء صوت انفجار جديد من أعلى، وسقط مصباح السقف على الأرض وتحطّم أمامه. سمع أصوات صفّارات الإنذار في الخارج. بسرعة، سار الخطوات القليلة الأخيرة المتبقّية للوصول إلى المدخل الرئيس. وقف ستّة ضبّاط من الشرطة العسكريّة على طريق المركبات المعبّد مقابل الباب. تنفّس جونا الهواء النقيّ الداخل إلى رئتيه وسعل، ثمّ نظر حوله. رأى شاحنتي إطفاء تتوجّهان بسلّميهما إلى السفارة. الشارع خارج البوّابات مكتظ

بالشرطيين والمسعفين. كارل مستلق على الحشائش، والطبيب يميل فوقه لسماع صوت رئتيه. پينيلوپي تسير ببطء على امتداد سياج السفارة اليابانيّة والبطانيّة تحيط بكتفيها.

رجع جونا إلى حمّام الرجال في الدقيقة الأخيرة لاستعادة حقيبة الظهر، لأنّه لم يستطع فهم السبب وراء إخفاء المجرم لحقيبة ظهر فارغة، في حين أنّه ترك المسدّس مرئيًّا تمامًا في الحوض.

سعل مرّة أخرى، وفتح حقيبة الظهر، ونظر إلى داخلها. لم تكن فارغة. تحتوي على ثلاثة جوازات سفر، وسكّين هجوم تسيل منها الدماء.

سأل جونا المجرم في قلبه: «من أذيت الآن؟».

نظر إلى السكّين مرّة أخرى، وكان الدم قد بدأ يتجمّد عليها، ثمّ نظر حوله مجدّدًا إلى سيّارات الإسعاف، والناس على الجانب الآخر من بوّابات السفارة. المرأة المحترقة الفستان ممدّدة على النقّالة ممسكةً بيد امرأة أخرى. والرجل المسنّ المصاب بصبغة السخام على جبهته يتحدّث على هاتفه، ولا تبدو على وجهه أيّ تعبيرات البتّة.

أدرك جونا خطأه، وأسقط حقيبة الظهر والسكّين المخضّبة بالدماء على الأرض، ثمّ ركض إلى البوّابة، حيث صرخ في الحارس كي يسمح له بالمرور.

أسرع بالخروج من مجمّع السفارة، متخطّيًا بعض زملائه، قافزًا فوق حاجز الشرطة البلاستيكيّ، دافعًا الصحفيّين إلى منتصف الطريق. توقّف أمام سيّارة إسعاف صفراء اللون كانت على وشك الانطلاق. سأل المسعفين وهو يبرز بطاقة هويّته: «هل ألقيتم نظرة على الإصابة التي في ذراعه؟».

فأجابه أحدهم: «ماذا تقصد؟».

«المريض الذي أُصِيب في الانفجار. أُصِيب في كتفه».

قاطعه المسعف: «لم تكن هذه أولويّتنا، بالنظر إلى...».

قاطعه جونا: «أحتاج إلى إلقاء نظرة على الجرح».

كاد السائق أن يعترض مجدّدًا، ولكنّ شيئًا في صوت جونا أوقفه.

التفّ جونا إلى مؤخّرة سيّارة الإسعاف، وفتح الباب. فوجد وجه الرجل

المستلقي فوق النقّالة مغطّى تمامًا بالكمّادات، وفوق أنفه قناع أوكسجين وأنبوب شفط يؤدّي إلى ما تبقّى من فمه. طلب من أحد المسعفين أن يقصّ السترة السوداء والقميص، وكشف الجرح الذي بكتفه.

لم يكن جرح عيار ناريّ، بل إصابة بسكّين: طعنة عميقة.

خرج جونا من سيّارة الإسعاف، وتفقّد المنطقة حتّى رأى سوغا وسط الجموع الغفيرة والمركبات. كانت تحمل كوبًا بلاستيكيًا من الماء سرعان ما أسقطته من يدها، وركضت إليه حين رأت ملامح وجهه.

قال لنفسه: «لقد أفلت مرّة أخرى. لا يمكننا السماح له بالهروب».

أخذ ينظر حوله، ويفكّر في أنّه عندما أسرع بالخروج من السفارة للتوّ، رأى پينيلوپي تسير بمحاذاة سياج السفارة اليابانيّة.

صرخ لسوغا وهو يستعدّ للركض: «احصلي على بندقيّة!».

ركض بمحاذاة خطّ السياج، ثمّ انعطف يمينًا، ونظر من حوله، ولكنّه لم يرَ پينيلوپي أو المجرم في أيّ مكان. سحب جونا مسدّسه. لقد خرج المجرم من السفارة التي امتلأت بالدخان، مثله مثل الجميع.

صاحت سوغا بشيء من خلفه لم يسمعه. كان قلبه يخفق بشدّة، وثمّة صوت يزأر داخل رأسه.

زاد من سرعة خطوته بشكل أكبر، وركض صوب مجموعة صغيرة من الأشجار حين سمع صوت إطلاق عيار ناريّ من مسدّس. تعثّر في حفرة، وتحاشى المنحدر، واندفع نحو الأشجار. سمع مزيدًا من طلقات مسدّس. فدفع جونا فروع الأشجار الكثيفة، وانطلق فوق الحشائش المنبسطة تحت أشعّة الشمس. على بُعد ثلاثمائة متر، رأى پينيلوپي تحت شجرة «بتولا» تتحرّك ببطء، وثمّة رجل يجلس إلى جذع الشجرة ورأسه منحنٍ. انحنت پينيلوپي على الأرض أمامه، ثمّ تغيّر كلّ شيء. راحت تميل إلى الأمام وتتراجع إلى الوراء. وجّه الرجل المسدّس إليها مباشرةً. بدأ جونا يركض شاهرًا مسدّسه وهو يحاول التصويب، ولكنّه كان بعيدًا. رأى جونا المجرم

يطلق النار على صدر پينيلوپي برصاصتين سريعتين. قُذف جسدها إلى الخلف، وسقطت على الأرض.

ركض جونا. المجرم متعب، لكنّه أشهر مسدّسه نحوها مجدّدًا. أطلق جونا النار من دون أن ينجح في التصويب. عندما ركض بالقرب منهما، رأى پينيلوپي تركل بساقيها للابتعاد. نظر المجرم إلى جونا، ثمّ عاد إلى پينيلوپي التي نظر إليها مباشرةً، وصوّب المسدّس نحو وجهها. ثمّ أحدثت طلقة دويًّا. سمع جونا صوت انفجار قويّ من خلفه، وبعد أقلّ من ثانية، تدفّق شلّال من الدماء خلف المجرم. تناثرت الدماء على اللحاء الأبيض لشجرة «البتولا». اخترقت الطلقة صدر المجرم ثمّ قلبه. واصل جونا الركض وهو شاهر مسدّسه أمامه. دوّت طلقة ثانية، ورأى جونا الرجل الميت يرتجف، حيث اخترقت الرصاصة صدره على بُعد سنتيمترات فقط فوق مكان الرصاصة الأولى. أنزل جونا مسدّسه واستدار، ورأى سوغا واقفة على حافة مجموعة من الأشجار، وعلى إحدى كتفيها بندقيّة قنص. تلألأ شعرها الأشقر تحت أشعّة الشمس، وظهر على وجهها التركيز الشديد.

وقفت پينيلوپي على قدميها، وتراجعت إلى حيث أشعّة الشمس، وسعلت بقوّة. حدّقت إلى المجرم الذي ذهب جونا إليه، وركل المسدّس من يده، وتحقّق من النبض برقبته، ليتأكّد من أنّه مات بالفعل.

خلعت پينيلوپي السترة الواقية من الرصاص، وتركتها تسقط على الحشائش. سار جونا إليها. وفي حين تقدّمت خطوة نحوه، بدا أنّها ستُصاب بالإغماء. وضع ذراعيه حولها، وشعر بمدى إرهاقها حين مالت بإحدى وجنتيها على صدره.

87

مات الرجل الذي عُثِر عليه في حمّام الرجال عقب ساعة من وصوله إلى المستشفى. وقد تبيّن أنّه دايتر غاما، سكرتير الملحق الثقافيّ. بناءً على الفحص الدقيق لجثّته، عثر «الإبرة» على آثار شرائط لاصقة على ملابسه،

وكدمات وجروح على معصميه ورقبته، ما يشير إلى أنّه كان مقيّدًا وقت وقوع الانفجار.

فور الانتهاء من التحقيق في مسرح الجريمة، وتحليل لقطات كاميرات المراقبة الأمنيّة، بات من الممكن تحديد تسلسل الأحداث بدقّة بالغة. إثر وصوله إلى مكتبه، فتح دايتر حاسوبه، وتفقّد رسائل البريد الإلكترونيّ التي لم يردّ على أيّ منها، ولكنّه أشّرَ على ثلاث رسائل، ثمّ ذهب إلى الحمّام. على الفور، بينما فتح باب إحدى المقصورات، رأى رجلًا متّشحًا بالسواد يرتدي «بالاكلافا»، ويقف أمام المرآة عند الأحواض.

الرجل المتّشح بالسواد هو المجرم المصاب بكتفه. سمح له جواز السفر الألمانيّ بدخول السفارة. قيّم المجرم بسرعة بنية دايتر، قبل أن يضع بشكل عشوائيّ قطعة من شريط لاصق على عدسة كاميرا المراقبة الأمنيّة. لم يكن لدى دايتر الوقت الكافي ليتكلّم قبل أن يُجبره المجرم على الركوع على ركبتيه تحت تهديد السلاح، ويضع شريطًا لاصقًا على فمه، ويستبدل بسترته السوداء سترة دايتر، ثمّ يربطه بمواسير المياه موجّهًا ظهره إلى الكاميرا. ثمّ أخرج السكّين وطعن كتفه اليسرى بعمق بشفرتها ذات الحدّين.

ربما سبّب الألم والخوف واندفاع الإندورفين الحيرة لدايتر، لدرجة أنّه لم يفهم ما كان يحدث بالفعل. قام المجرم بقطع جزء من الأسلاك الفولاذيّة بواسطة كمّاشة، ووضعه حول رقبة دايتر، ولفّ طرفيه معًا. من هذه العُقدة، سحب قطعة أطول من الأسلاك الفولاذيّة، وثبّت طرفها بقنبلة يدويّة، ثمّ حمل المفجّر. لو تركه حينذاك، كان زناد القنبلة سيُفتح، وستنفجر بعد ثلاث ثوانٍ.

لكنّ المجرم لصق القنبلة والمفجّر المغلق بشريط لاصق على صدر دايتر، ومرّر السلك الذي كان مربوطًا بالعُقدة حول عنقه بالماسورة الموجودة تحت الحوض، وجذبه بقوّة أمام الباب، ليكون بمثابة سلك تشغيل المفخّخ.

اعتمدت الفكرة على أن يدخل أحدهم إلى الحمّام، فتنفجر القنبلة فور

فتح الباب. وفي وسط الفوضى الناتجة عن ذلك، ستظنّ الشرطة أنّ الرجل ذا السترة التي فيها ثقب طلقة الرصاص هو الشخص الذي تبحث عنه.

أزال المجرم الشريط اللاصق من أمام عدسة الكاميرا، وقفز من فوق سلك تشغيل المفخّخ. وغادر الحمّام عبر الردهة إلى غرفة الاجتماعات، حيث أشعل النار. ثمّ سار إلى باب مكتب مستشارة الشؤون القنصليّة، دافيدا مير، وطرق الباب. حين بدأ يشرح مشكلة قنصليّة مفتعلة، انطلق إنذار الحريق.

88

نُقِل جونا وسوغا وپينيلوپي عبر شوارع ستوكهولم داخل عربة شرطة مدرّعة، بعيدًا عن الحيّ الدبلوماسيّ؛ وعلى يسارهم المياه المتلألئة.

قالت پينيلوپي: «لقد رأيته. كنت أعرف أنّه لن يستسلم، وسيواصل ملاحقتي...». توقّفت للحظات، ثمّ تابعت: «حتّى يقتلني».

ردّت سوغا: «أجل».

أغلقت پينيلوپي عينيها، وعدّلت جلستها، سألت: «من كان؟».

أجاب جونا: «قاتل محترف. يُطلَق على أمثالهم 'قتلة مأجورون' أو 'منظّفون' أيضًا».

وقالت سوغا: «أنا متأكّدة من أنّه ليس لليوروپول أو الإنترپول شيء عليه».

كرّرت پينيلوپي ببطء: «قاتل مأجور محترف! إذن، أرسله أحد ما؟».

فأجابت سوغا: «أجل، أرسله شخص ما، ولكنّنا لن نتمكّن من العثور على أيّ صلة بينه وبين مَن استأجره».

اقترحت پينيلوپي بصوت خفيض: «رافاييل غويدي أم أغاثا الحجي؟».

فقالت سوغا: «نعتقد أنّه رافاييل غويدي، لأنّ المُساءلة لن تؤثّر على أغاثا الحجي».

وقال جونا: «بالطبع، فما تفعله ليس سرًّا».

«إذن، أرسلَ غويدي قاتلًا، ولكن... ماذا يريد؟ هل تعرفان؟ هل يتعلّق الأمر كلّه بالصورة؟ هل هذا كلّ شيء؟».

«ربّما يعتقد أنّكِ التقطتِ الصورة بنفسكِ، وأنّكِ شاهدة على أشياء رأيتِها وسمعتِها قد تجرّمه».

«هل ما زال يفكّر بالطريقة نفسها؟».

«ربّما».

«إذن، سيرسل قاتلًا آخر؟».

أجابت سوغا: «هذا ما نخاف منه».

«إلى متى ستواصل الشرطة حمايتي؟ هل سأحصل على هويّة جديدة؟».

«علينا مناقشة ذلك، ولكن...».

قاطعتها پينيلوپي: «سأُطارَد حتّى أفقد قدرتي على الركض».

مرّوا في طريقهم بمتجر «إن كيه»، ورأوا ثلاثة شبان يتظاهرون أمام المدخل الرئيس. أكّد جونا بنبرة صوت مكتئبة: «لن يستسلم. لذا، علينا كشف الصفقة برمّتها. إذا فعلنا ذلك... لن يكون هناك سبب لملاحقتك».

قالت سوغا: «نعرف أنّه لا يمكننا الوصول إلى غويدي، ولكن يمكننا فعل الكثير داخل السويد، وسيؤثّر ذلك عليه».

«مثل ماذا؟».

«يمكننا أن نبدأ بإيقاف الصفقة لأنّ سفينة الحاويات لا يمكنها مغادرة 'غوتنبرغ' من دون توقيع الإذن من أكسيل ريسين».

«ولماذا قد يرفض التوقيع؟».

أجاب جونا: «لن يوقّع أبدًا لأنّه مثلنا، يعرف الكثير عن الأمر».

همست پينيلوپي: «جيّد».

قالت سوغا: «نوقف الصفقة، ثمّ نلقي القبض على سلمان، وكلّ المتورّطين فيها».

جلس الجميع في صمت.

قالت پينيلوپي بعد هنيهة: «أحتاج إلى الاتّصال بأمّي».

فقالت سوغا: «بوسعكِ استخدام هاتفي».
أخذت الهاتف وقد بدا عليها التردّد، ثمّ نقرت الأرقام، وانتظرت.
«مرحبًا أمّي، أنا پيني. هذا الرجل، الذي...».
قالت الأمّ: «ثمّة أحد على الباب، يا پيني. عليّ...».
قالت پينيلوپي بقلق: «انتظري يا أمّي! من على الباب؟».
«لا أعرف».
«هل تنتظرين أحدًا؟».
«لا، ولكن...».
«لا تفتحي!»، صرخت پينيلوپي.
قالت والدتها شيئًا، ثمّ وضعت الهاتف. سمعت پينيلوپي وقع خطوات على الأرض، ثمّ رنّ جرس الباب مجدّدًا. فُتح الباب وسمعت أصواتًا. لم تعرف ماذا تفعل. نظرت إلى سوغا وجونا، اللذين كانا يتابعانها باهتمام. إثر خشخشة بالخطّ وصدى غريب، سمعت صوت أمّها مرّة أخرى.
«أما زلتِ على الخطّ يا پيني؟».
«أجل».
«أحدهم يحاول الوصول إليكِ».
«الوصول إليّ؟»، لعقت پينيلوپي شفتيها، ثمّ قالت: «حسنًا يا أمّي، مرّري الهاتف».
سمعت خشخشة بالخطّ مرّة أخرى، ثمّ صوت امرأة تقول: «پينيلوپي؟».
«أجل»، أجابت.
«أحتاج إلى مقابلتك».
«مع مَن أتحدّث؟»، سألت پينيلوپي.
«أنا مَن أرسلت الصورة».
«لم أتلقّ أيّ صورة»، قالت پينيلوپي.
«إجابة جيّدة. لا تعرف إحدانا الأخرى، ولكنّي متأكّدة من أنّني أرسلت الصورة إليك».
وعندما لم تردّ پينيلوپي، قالت السيّدة وقد بدا عليها الاضطراب: «لا

بدّ من أن أراكِ اليوم، في أسرع وقت ممكن. أرسلتُ إليكِ صورة لأربعة أشخاص داخل مقصورة خاصّة في حفلة. التقطتُ الصورة في الخفاء في الثالث عشر من نوفمبر 2009. أحد هؤلاء الأشخاص هو زوجي، «پونتوس سلمان».

89

يقع منزل پونتوس سلمان، وهو ڤيلا من ستينيّات القرن الماضي، في شارع «روسكل» في منطقة «ليدينغو». ما زالت الڤيلا تنبض بروح العصر، رغم أنّها شهدت في أيّام أفضل قليلًا. أوقفوا السيّارة على الطريق المعبّد، وخرجوا منها. أحد ما رسم قضيبًا بأسلوب طفوليّ على باب المرآب.

قرّروا أن يمكث جونا مع پينيلوپي في السيّارة، وتذهب سوغا إلى المنزل بمفردها. ورغم أنّ الباب كان مفتوحًا، رنّت سوغا الجرس الذي يشبه رأس الأسد. سمعت رنينًا لطيفًا مكوّنًا من ثلاث نغمات، ولكن لم يستجب أحد. سحبت سوغا مسدّسها من نوع «غلوك»، ورنّت الجرس مرّة أخرى، ثمّ دخلت.

كان منزلًا ذا طابقين، مطبخه الكبير مفتوح على المدخل. نوافذه المرتفعة تمنح إطلالة رائعة على المياه.

مرّت سوغا بالمطبخ، ونظرت إلى داخل غرف النوم الفارغة، ثمّ هبطت على الدرج. سمعت صوت موسيقى خلف باب مكتوب على لافتته النحاسيّة «آر آند آر». عندما فتحت الباب، ارتفع صوت الموسيقى: «لا تراڤياتا» للموسيقار ڤيردي.

في نهاية الردهة المكسوّة بالبلاط، رأت الوميض الأزرق المنعكس للمسبح المضاء. وواصلت تسلّلها نحو الأمام محاولةً سماع أيّ شيء آخر سوى الموسيقى. ظنّت أنّها تسمع صوت خطى أقدام عارية على الأرضيّة المبلّطة.

سارت قُدمًا وهي تُخفي مسدّسها إلى جانبها. تمكّنت من رؤية الأثاث المصنوع من القصب وسعف النخيل. امتزجت رائحة الهواء الدافئ، الذي

تتخلّله رطوبة، بالكلور والياسمين. المسبح كبير وأرضيّته مكسوّة بالبلاط الأزرق الشاحب، مع نوافذ كبيرة مقابل الحديقة. وقفت امرأة نحيفة في الخمسينيّات من عمرها عند بار. كانت ترتدي ثوب سباحة ذهبيّ اللون، وتمسك بيدها كأس نبيذ أبيض. وضعت الكأس من يدها حين لمحت سوغا، وسارت نحوها.

«مرحبًا! اسمي سوغا باوِر».

«من أيّ وكالة؟».

أجابت سوغا أنّها من «شرطة الأمن».

ضحكت المرأة، وقبّلت وجنتي سوغا، وقدّمت لها نفسها على أنّها ماري-لويس سلمان.

سألت وهي تعود إلى البار: «هل معك ثوب سباحة؟».

تركت قدماها آثارًا طويلة هزيلة على البلاط المتّشح باللون الأسود المائل إلى الحُمرة. بدا من جسدها أنّها تمارس الرياضة. ثمّة شيء مراوغ في الطريقة التي تمشي بها، جعلها تبدو كمن يُعطي الناس فرصة للنظر إليها.

التقطت ماري-لويس كأسًا، واستدارت إلى سوغا، كأنّها تتأكّد من أنها تراها. وسألت بصوت هادئ ومُتصنّع إن كانت تريد «كأس سانسير».

«لا، شكرًا»، ردّت سوغا.

«أسبح للحفاظ على لياقتي، رغم أنّني توقّفت عن عروض الأزياء. من السهل الاستسلام للنرجسيّة في هذا العمل. حسنًا! لا بدّ من أنّك تعرفين ذلك؛ يبدو الأمر مثل الركلة في الوجه عندما يتوقّف الناس عن إشعال السجائر لك».

مالت ماري لويس إلى الأمام، ثمّ همست بطريقة مسرحيّة: «أنا على علاقة بأصغر شابّ من 'تشيينداليس'[1] هل تعرفينهم؟ لا تبالي؛ جميعهم شاذّون جنسيًا».

---

(1) فرقة رقص جوالة (المترجم).

«أنا هنا لأتحدّث عن الصورة التي أرسلتها إلى...».

تعجّبت واصطنعت الغضب، قائلة: «أعرف أنّه لا يمكنه إبقاء فمه مغلقًا».

«مَن؟».

«جان پول غوتييه».

«المصمّم؟».

«أجل، المصمّم بفمه الصغير الشرير... ما زال يكرهني. علمت ذلك».

ابتسمت سوغا لها وهي تتمالك أعصابها، وناولتها البُرنُس حين رأت جسدها مقشعرًا. فقالت لها: «أحبّ أن أشعر بالبرد... إنّه يجعلني أبدو أفضل. على الأقلّ، هذا ما قاله لي ديبارديو الربيع الماضي، إلّا إذا كان... لا أتذكّر تمامًا... ربما كان رينود حبيبي الصغير من قال ذلك. حسنًا، لا يهمّ!».

فجأة، سمعتا صوت خطوات باتّجاه المسبح. بدا التوتّر على ماري لويس، ونظرت حولها بحثًا عن مكان للاختباء.

نادى جونا: «مرحبًا؟ سوغا؟».

سارت سوغا خطوة إلى الأمام، ورأت جونا وپينيلوپي يمشيان نحو المسبح مع امرأة في الخمسينيّات من عمرها، شعرها داكن مقصوص بشكل صبيانيّ أنيق.

قالت وهي تبتسم ابتسامة قلقة: «ماري-لويس! ماذا تفعلين هنا؟».

«فكّرت في أن أسبح. أحتاج إلى أن أبرّد ساقيّ».

«كما تعرفين، طلبت أن تتّصلي قبل أن تأتي».

«كان عليّ ذلك بالطبع. أعتذر. لقد نسيت».

«ماري-لويس أخت پونتوس، أي أخت زوجي»، شرحت المرأة، ثمّ التفتت إلى سوغا، وقدّمت لها نفسها: «أنا ڤيرونيك سلمان».

«سوغا باوِر من 'شرطة الأمن'.. مرحبًا».

قالت ڤيرونيك قبل أن تعود إلى الردهة: «لنذهب ونجلس في المكتبة».

صاحت ماري-لويس: «هل يمكنني أن أسبح ما دمتُ هنا؟».

ردّت ڤيرونيك من دون النظر إليها: «من دون عُريّ».

90

تبع جونا وسوغا وپينيلوپي ڤيرونيك إلى المكتبة. هي غرفة صغيرة نوعًا ما، نوافذها معشّقة بالزجاج الأصفر والبنّي والورديّ. حُفظت الكتب داخل خزانات زجاجيّة، وثمّة كراسٍ من الجلد البنّي، ومدفأة مفتوحة، وإناء سماور لإعداد الشاي.

قالت ڤيرونيك: «أعتذر على عدم تقديم المرطّبات، فأنا على عجلة إلى حدّ ما. سأغادر في غضون ساعة من الآن...».

نظرت حولها باضطراب، ومرّرت يديها على تنّورتها قبل أن تكمل. بصوت خافت: «أنا فقط... أردت فقط أن أقول ما عليّ قوله. لن أشهد بذلك علنًا. وإذا حاولتم إرغامي، سأنكر كلّ شيء، بغضّ النظر عن العواقب».

عدّلت غطاء المصباح ويدها تهتزّ كثيرًا حتّى أنّ الأمر انتهى باعوجاجه مرّة أخرى. وقالت وهي تنظر إلى الأرض:

«سأسافر من دون پونتوس. لن يلحق بي». وارتجف فمها، واستغرقت بضع لحظات حتّى تمالك نفسها، قبل أن تواصل: «پينيلوپي...». نظرت إليها مباشرة، ثمّ تابعت: «أتفهّم أنّك تعتقدين أنّ پونتوس حثالة، ولكنّه ليس كذلك، ليس كذلك بالفعل».

«لم أقل أبدًا...».

«انتظري، من فضلك. أنا أحبّ زوجي، ولكنني... لم أعد أعرف كيف أفكّر في شأن ما يفعله. حتّى الآن، أقول لنفسي إنّ الناس طالما تاجرت بالأسلحة. تجارة الأسلحة عُرفت منذ وجود البشريّة. لا أعني أنّ ذلك عذر. عملت عدّة سنوات في السياسة الأمنيّة في وزارة الخارجيّة. ومن يلتحق بهذا النوع من العمل، سيدرك بسرعة أنّنا بعيدون كلّ البعد عن حلم المدينة الفاضلة بعالم خالٍ من النزاعات المسلّحة. عمليًا، تحتاج كلّ دولة إلى الحفاظ على قوّات دفاع، ولكن... لا يمكنني التوقّف عن التفكير في أنّ ثمّة فروقًا دقيقة مختلفة...».

ذهبت إلى الباب وفتحته. نظرت إلى الخارج، ثمّ أغلقته مجدّدًا.

تابعت: «تصدير الأسلحة إلى دول فيها حروب أو مناطق غير مستقرّة يُشعل فتيل الأزمات من خلال ضخّ مزيد من الأسلحة... لا يمكن السماح بحدوث هذا الأمر».

همست بينيلوبي: «هذا ما يحصل».

«أتفهّم بونتوس كرجل أعمال، لأنّ شركة 'سايلانسيا' تحتاج بالفعل إلى هذه الصفقة. ولكنّ السودان دولة كبيرة، فيها إمدادات ذخيرة غير موثوق بها. ولا تتعامل تقريبًا سوى مع 'فابريك ناسيونال'، ولكنّ بلجيكا لا تصدّر لهم الأسلحة الآن، نظرًا للوضع الراهن. الناس يراقبونهم، ولكنّ السويد لم تكن أبدًا قوّة استعماريّة، ولدينا سمعة طيّبة في المنطقة، وغير ذلك. رأى بونتوس الفرصة أمامه، وتصرّف بسرعة فور انتهاء الحرب الأهليّة. أعدّ رافاييل غويدي الصفقة. كانوا على وشك توقيع العقد... إذ كان كلّ شيء جاهزًا... إلّا أنّ المحكمة الجنائيّة الدوليّة أصدرت فجأة مذكّرة توقيف بحقّ الرئيس البشير».

قالت سوغا: «ستشكّل أيّ عمليّة تصدير خرقًا للقانون الدوليّ».

«الكلّ يعرف ذلك، ولكنّ غويدي لم يلغِ الصفقة، بل قال فقط إنّ لديه طرفًا جديدًا مهتمًّا. استغرق الأمر عدّة شهور، ولكنّه في النهاية شرح أنّ الجيش الكيني أراد أن يُكمل الصفقة المعلّقة بكمّيّة الذخيرة نفسها، والسعر نفسه، وهكذا. حاولت التحدّث مع بونتوس، وقلت له إنّه من الواضح أنّ الذخيرة ستوجّه في النهاية إلى السودان... لكنّه ادّعى أنّ كينيا تريد اغتنام الفرصة. وأنّها صفقة جيّدة بالنسبة لها، فهي تحتاج إلى ذخيرة. لا أعرف هل بالفعل صدّق الأمر، ولكنّني لا أعتقد أنّه فعل، بل نقل مسؤوليّة الأمر برمّته على كاهل كارل بالمكرونا، و'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة'. قال إنّه إذا منح بالمكرونا تصريح التصدير، فمن الواضح أنّ الأمور ستتمّ علنًا، و...».

قاطعتها بينيلوبي: «طريقة جيّدة لعدم تحمّل مسؤوليّة أيّ شيء».

«لذلك التقطتُ الصورة. أردت معرفة من كان في الاجتماع. ذهبت

إلى المقصورة، والتقطت الصورة بهاتفي الخلويّ. قلت إنّني أحاول إجراء مكالمة، وأخبرت پونتوس بأنّني أشعر بالتعب، وسأستقلّ سيّارة أجرة لأعود إلى الفندق».

قالت پينيلوپي: «هذه شجاعة منك».

«لم أعرف مدى خطورة ذلك، وإلّا لما التقطتها؛ كنت غاضبة من پونتوس، وأردته أن يعود إلى صوابه. تركت 'ألتي أوپر' في منتصف الحفلة، ونظرت إلى الصورة في التاكسي. كان الأمر برمّته جنونًا. تمثّل أغاثا الحجي المشترين، وهي المستشارة العسكريّة للرئيس السودانيّ، لذا كان واضحًا أنّ الذخيرة ستُضَخّ لصالح الحرب الأهليّة».

همست پينيلوپي: «إبادة جماعيّة».

«لمّا ذهبنا إلى المنزل، أخبرت پونتوس أنّ عليه الانسحاب من هذه الصفقة... لن أنسى أبدًا كيف بدا وجهه حين قال إنّ ذلك مستحيل، وإنّه أبرم 'عقد باغانيني' بالفعل. وعندما رأيت نظرة عينيه، شعرت بالخوف. كان مرعوبًا. ولم أستطع الاحتفاظ بالصورة على هاتفي، لذا طبعتها ومسحتها عن الهاتف، ثمّ أرسلتها إليكِ».

وقفت ڤيرونيك أمام پينيلوپي وذراعاها تتدلّيان إلى جانبيها، ويبدو على وجهها الإرهاق التامّ.

قالت بهدوء: «لم يكن لديّ فكرة عمّا سيحدث. كيف لي أن أعرف؟ أنا آسفة جدًّا... لا أستطيع أن أخبرك».

عمّ الهدوء الغرفة للحظة. فسأل جونا: «ما هو 'عقد باغانيني' ذاك؟».

أجابت ڤيرونيك: «يمتلك غويدي عدّة آلات كمان نفيسة بصورة مذهلة، وهو يجمع الآلات التي عزف عليها باغانيني بنفسه منذ أكثر من قرن، ويحتفظ ببعض آلات الكمان هذه في منزله، ويعير الأخرى إلى الموسيقيّين الموهوبين».

مرّرت يدها في شعرها باضطراب قبل أن تواصل حديثها.

«هذا العمل مع باغانيني... لم أفهمه أبدًا، ولكنّ پونتوس قال إنّ غويدي

يربط بشكل ما بين باغانيني والتعاقد معه. باع باغانيني روحه حتّى تظلّ موسيقاه خالدة. قال غويدي إنّ عقوده أبديّة–هذا ما قصده. لا يوجد أبدًا أيّ توثيق، ولكن پونتوس أخبرني بأنّ غويدي قام بكلّ واجباته فعليًّا. كانت الأرقام كافّة في رأسه، وكان على دراية بالأمور اللوجستيّة، كما أنّه يعرف بالضبط كيف ومتى يمكن تنفيذ الصفقة. لقد أخبر كلًّا منهم بالمطلوب منه، وكم سيربح. فور تقبيلك يده، ليس ثمّة مجال للتراجع. إنّها بمثابة صفقة فاوستيّة. لقد أبرمتَ صفقة مع الشيطان. لا يمكنكَ الهروب أو الاختباء، أو حتّى الموت».

سأل جونا: «ولـمَ لا؟».

أجابت وفمها يرتجف: «يُعَدّ غويدي... لا أعرف. إنّه... هذا مخيف للغاية! إنّه يورّط الجميع بطريقة ما... يجعل كلًّا منهم يخبره بأسوأ كوابيسه».

سألت سوغا: «ماذا؟».

ردّت بجدّيّة: «قال پونتوس ذلك، قال إنّ غويدي لديه القدرة على فعل ذلك».

سأل جونا: «ماذا يقصد بالكابوس؟».

أجابت ڤيرونيك وقد بدت على وجهها مرارة الألم: «لقد سألتُ پونتوس بوضوح إذا كان قد أخبره بأيّ شيء، ولكنّه لم يقل لي. لا أعرف ماذا يقصد».

خيّم الصمت على المكتبة الصغيرة. ثمّة بقع عرق رطبة كبيرة تحت ذراعي بلوزة ڤيرونيك البيضاء.

قالت بعد هنيهة وهي تنظر إلى جونا مباشرةً: «لا يمكنكم إيقاف غويدي، ولكن عليكم التأكّد من أنّ الذخيرة لن تصل إلى دارفور».

ردّت سوغا: «سنفعل».

نظرت ڤيرونيك إلى ساعتها، وأخبرت جونا بأنّ عليها أن تغادر إلى

المطار سريعًا، ثمّ سارت إلى النافذة، وحدّقت إلى الخارج بتدقيق من خلال الزجاج الملوّن.

قالت پينيلوپي وهي تمسح دموعها عن وجنتيها: «لقد مات صديقي، وماتت أختي، ولا أعرف كم غيرهم!».

التفتت ڤيرونيك نحوها، وشرحت: «لم أعرف ماذا أفعل يا پينيلوپي. كانت الصورة لديّ، واعتقدت أنّك بالذات ستتمكّنين من التعرّف على هؤلاء الأشخاص. اعتقدت أنّك ستدركين دلالة شراء أغاثا الحجي للذخيرة لأنّك كنتِ في دارفور، ولديكِ اتّصالات هناك، كما أنّك داعية سلام، و...».

صرخت پينيلوپي: «كنتِ مخطئة. لقد أرسلتِ الصورة إلى الشخص الخطأ. كنت سمعت عن أغاثا الحجي، ولكن لم يكن لديَّ فكرة عن شكلها».

«لم أستطع إرسال الصورة إلى الشرطة أو الصحف... لن يتمكّنوا من فهم دلالتها من دون تفسير، ولم يكن باستطاعتي شرح هذه الظروف. كيف يمكنني فعل ذلك؟ كان الأمر مستحيلًا لأنّه إذا كان ثمّة شيء واحد فهمته، فهو أنّه لا يجب أن تكون هناك أيّ وسيلة تربطني بالشخص الذي أرسلتها إليه. أردت أن أتخلّص منها، ولم أرغب أبدًا في الاعتراف بعلاقتي بها».

قال جونا: «ولكنّكِ تفعلين الآن، فما الذي جعلك تغيّرين رأيك؟».

«لأنني سأغادر البلد، وأردت أن...». وصمتت فجأة.

سألها جونا: «ماذا حدث؟».

تنهّدت وقالت: «لا شيء».

قال جونا: «يمكنك إخبارنا».

وهمست سوغا: «لا تخافي».

جفّفت ڤيرونيك الدموع المتساقطة على وجنتيها، ونظرت إليهم. وقالت:

«اتّصل پونتوس بي من منزلنا الصيفيّ وهو يبكي. قال إنّه آسف. لا أعلم ما قصده بالضبط، ولكنّه قال إنّه سيفعل ما بوسعه للهروب من الكابوس».

91

تمايل مركب تجذيف مصنوع من خشب الماهوغني المصقول على الماء في كنف شبه الجزيرة الكبيرة. هبّ نسيم شرقيّ خفيف، يحمل معه رائحة خفيفة من سماد المزارع التي تقع على الجانب البعيد من البحيرة. راح پونتوس سلمان يجذب المجذافين، إلّا أنّ المركب لم يتحرّك إلى أبعد من عشرين مترًا في الساعة الماضية. كان عليه إحضار شيء ليشربه، لو كان يدرك أنّ الأمر سيستغرق كلّ هذا الوقت ليطلق النار على نفسه.

كانت بندقيّة مزدوجة الفوّهة ملقاة على فخذيه.

الصوت الوحيد المسموع هو صوت المياه وهي ترتطم بالمركب، وحفيف أوراق الشجر اللطيف. أغلق عينيه لبعض الوقت، وأخذ عدّة أنفاس عميقة، ثمّ فتح عينيه، ووضع الجزء السفليّ من البندقية على قاع المركب ليتأكّد من أنّها لن تنزلق. أمسك بفوّهة البندقيّة التي أدفأتها أشعّة الشمس، وحاول توجيهها إلى جبهته.

شعر بالإعياء حين فكّر في انفجار رأسه. ارتجفت يداه وتراجع. ثمّ تمالك نفسه ووجّه فوّهة البندقيّة هذه المرّة إلى قلبه.

حلّقت طيور السنونو على ارتفاع منخفض، لتصطاد الحشرات من فوق سطح الماء.

ظهر خطّ أبيض في السماء، حيث كانت تمرّ طائرة، وبدأ پونتوس التفكير مرّة أخرى بكابوسه. فكّر في أنّها قد تكون ليلة ممطرة. فجأة، بدت البحيرة بأسرها أكثر قتامة، كأنّ لون المياه قد اسودّ من العمق.

نظر مجدّدًا إلى البندقيّة، ووضع فوّهتها في فمه، وشعر بخدشها لأسنانه، وبمذاق معدنها. وما إن وصلت يده إلى الزناد حتّى سمع صوت سيّارة آتية. رفرف قلبه بين ضلوعه، وعصفت الأفكار كافّة في رأسه في ظرف ثانية، ولكنّه أدرك أنّها لا بدّ من أن تكون زوجته. هي الوحيدة التي تعرف مكانه.

وضع البندقيّة مرة أخرى، وشعر بأنّ نبضه يخفق في سائر جسده. أخذ يرتجف وهو يحاول النظر عبر الأشجار.

ثمّة رجل يسير في الطريق نحو رصيف المراكب الصغيرة.

بعد بضع ثوانٍ أدرك پونتوس أنّه المحقّق الذي جاء إلى مكتبه، وأطلعه على صورة ڤيرونيك.

عندما تأكّد من أنّه هو، تسلّل إلى داخله نوع مختلف تمامًا من القلق.

كان يحدّث نفسه مرارًا وتكرارًا، عندما بدأ يجذّف نحو الشاطئ: «لا تقل إنّه قد فات الأوان... لا تقل إنّ الكابوس أصبح حقيقة... لا تقل إنّه قد فات الأوان».

***

توقّف عن التجذيف قبل أن يصل إلى الرصيف. كان وجهه شاحبًا وهو يهزّ رأسه عندما طلب منه جونا الاقتراب. حرص على ترك مسافة بينهما وهو يدير المركب بحيث تكون مقدّمته بعيدة عن الشاطئ.

عند نهاية الرصيف، جلس جونا على مقعد خشبيّ، أصابت أشعّة الشمس لونه بالشحوب. سأله بونتوس وقد بدا على صوته الخوف: «ماذا تريد؟».

«كنتُ أتحدّث إلى زوجتك».

«تتحدّث؟».

«أجل، أنا و...».

سأل پونتوس بقلق: «هل تحدّثت إلى ڤيرونيك؟».

«وعندي مزيد من الأسئلة».

«لا وقت لذلك».

قال جونا وهو يُحدّق إلى البندقيّة الموجودة على المركب: «لا داعي للاستعجال».

تمتم پونتوس: «وماذا تعرف؟».

تحرّك المجذافان بلطف في المياه.

قال جونا: «أعرف أنّ الذخيرة التي من المفترض أن تُشحَن إلى كينيا ستتوجّه إلى السودان».

لم يعلّق پونتوس سلمان.

واصل جونا: «وأنّ زوجتك هي مَن التقطت الصورة التي أطلعناكَ عليها».

جلس پونتوس هناك ووجهه منحنٍ إلى أسفل، ثمّ رفع المجذافين وهو يستشعر المياه التي تجري تحت يديه. وقال: «لا يمكنني إيقاف الصفقة. كنت في عجلة كبيرة من أمري، واحتجت الطلبية».

«إذن، وقّعتَ العقد».

«لم يكن يوجد لبس. حتّى إن خرجت الشحنة، سيزعم الجميع أنّهم تصرّفوا بحسن نيّة. لم يكن لأحد أن يُلَام».

قال جونا: «لكنّ الأمر لا يزال خطأً».

«نعم»، أجاب سلمان.

«كنتُ أخطّط للانتظار قبل إلقاء القبض عليكَ...».

قاطعه پونتوس: «لأنّه ليس بإمكانكَ إثبات أيّ شيء».

«لم أتحدّث إلى المدّعي العامّ بعد، ولكنّني متأكّد من أنّه بإمكاننا تخفيف عقوبتكَ إذا شهدت ضدّ رافاييل غويدي».

قال پونتوس بانفعال: «لن أشهد! أنت حقًّا لا تفهم الأمر. لقد وقّعت عقدًا من نوع خاصّ، ولو لم أكن بمثل هذا الجبن، لفعلتُ الآن مثلما فعل پالمكرونا».

قال جونا: «يمكننا حمايتكَ إذا شهدتَ».

همس پونتوس: «أفلت پالمكرونا من العقاب. شنق نفسه، والآن سيضطرّ خليفته إلى توقيع تصريح التصدير. لم يعُد لغويدي مصلحة عند پالمكرونا، لذا لن يجعله يواجه كابوسه».

ارتسمت ابتسامة على وجه پونتوس الهامد. نظر جونا إليه، وفكّر في أنّ پالمكرونا لم يفلت من الكابوس: كابوسه كان موت ابنه.

قال جونا: «طبيبة الأمراض النفسيّة في الطريق. ستحاول إقناعك بأنّ الانتحار ليس مخرجًا من...».

بدأ پونتوس في التجذيف إلى الخلف.

قال جونا رافعا صوته: «أحتاج إلى إجابات عن مزيدٍ من الأسئلة يا پونتوس. تقول إنّ المدير الجديد لدائرة التفتيش سيُضطَرّ إلى توقيع تصريح التصدير، ولكن ماذا سيحدث إذا رفض؟ ألا يمكنه رفض إبرام أحد عقود باغانيني؟».

توقّف عن التجذيف، بينما واصل المركب الانجراف بعيدًا عن الشاطئ، وأخذ المجذافان يتحرّكان في المياه ببطء، ثمّ أجاب بهدوء: «يمكنه الرفض، ولكنّه لن يرغب في ذلك».

92

استيقظ أكسيل عندما رنّ هاتفه على الطاولة التي بجانب السرير. لم يكد يخلد إلى النوم حتّى حلّ الصباح.

نظر إلى وجه بيڤرلي، ورأى تشابهًا بينها وبين غريتّا مجدّدًا في شكل الفم والجفنين. همست بشيء ما في أثناء نومها، ثمّ قلبت على بطنها. شعر بكثير من الحنان لرؤيتها. جلس في السرير، وجذب الكتاب الذي كان يقرأه- «لعبة خطرة» لفريدريش دورينمات- ثمّ سمع طرقًا على الباب.

قال: «ثانية واحدة»، على الرغم من دخول روبرت إلى الغرفة.

قال شقيقه: «ظننتُ أنّكَ ستكون مستيقظًا. أودّ الحصول على رأيكَ في آلة جديدة...».

لمح شقيقه بيڤرلي، فتوقّف عن الكلام فجأة، ثمّ تلعثم وهو يقول: «أكسيل! ماذا يحدث هنا يا أكسيل؟».

أيقظها صوت روبرت. اختبأت تحت الغطاء عندما رأته. نهض أكسيل وارتدى برنسًا، ولكنّ روبرت تراجع إلى الخلف نحو الباب.

قال روبرت بهدوء: «عليك اللعنة! عليك اللعنة!...».

«إنّه ليس ما...».
سأل روبرت صارخًا: «هل تستغلّها؟».
حاول أكسيل أن يقول: «دعني أشرح لك».
همس روبرت وهو يدفعه جانبًا: «يا لك من وغد!».
اختلّ توازن أكسيل وارتدّ ذراعه في الهواء، ثمّ ارتطم بمصباح فأسقطه على الأرض. غادر روبرت الغرفة. فقال أكسيل وهو يتبعه: «انتظر! أعرف كيف يبدو الأمر لك، ولكنّه ليس كذلك. يمكنك أن تسأل...».
قال روبرت بغضب: «سأصحبها إلى الشرطة. لم أكن لأصدّق أبدًا أنك...».
احتبس الكلام في حلق روبرت، واغرورقت عيناه بالدموع.
حاول أكسيل أن يشرح بصوت خفيض: «أنا لا أشتهي الأطفال. لا بدّ من أن تفهم ذلك. أريد فقط...».
قاطعه روبرت وفي نبرة صوته يأس: «تريد فقط الاعتداء على فتاة مسكينة! تستغلّ إنسانة وعدتَ بأن تعتني بها وتحميها».
توقّف أمامه في غرفة المكتبة. جلس روبرت بثقل على الأريكة ونظر إلى أخيه، وحاول أن تكون نبرة صوته ثابتة وهو يقول: «أنتَ تدرك يا أكسيل أنّ عليّ اصطحابها إلى الشرطة، أليس كذلك؟».
«بلى، أدرك ذلك».
لم يستطع روبرت النظر إلى أخيه. جفّف فمه، ثمّ تنهّد قائلًا: «سيكون من الأفضل أيضًا أن تذهب على الفور».
ردّ أكسيل وهو يسير نحو غرفة النوم: «سأذهب وأحضرها».
كانت بيڤرلي تجلس في السرير مبتسمة، تهزّ أصابع قدميها.
حدّثها أكسيل بصرامة: «ارتدي ملابسك. ستخرجين مع روبرت».
عندما عاد إلى المكتبة، نهض روبرت فجأة عن الأريكة. وقف الاثنان في صمت يحدّقان إلى الأرض وهما ينتظرانها.
قال روبرت بهدوء: «أنت ستبقى هنا».

همس أكسيل: «أجل».

بعد هنيهة، خرجت بيڤرلي من الغرفة وهي ترتدي سروالًا من الجينز وقميصًا. من دون أيّ مستحضر تجميل، بدت أصغر سنًّا عن المعتاد.

93

قاد روبرت السيّارة في صمت. توقّف بتمهّل عند إشارة المرور، وانتظر الضوء الأخضر.

قال بصوت خافت: «أنا آسف للغاية يا بيڤرلي. قال أخي إنّه سيوفّر لك مكانًا في أثناء انتظاركِ لسكن الطلّاب. لا أفهم لم أكن يومًا لأصدّق أنّ...».

قالت بهدوء: «أكسيل ليس متحرّشًا بالأطفال».

«لا أريدكِ أن تدافعي عنه. إنّه لا يستحقّ ذلك».

«إنّه لا يلمسني، فليكن بعملك. لم يفعل ذلك أبدًا».

«ماذا يفعل إذن؟».

أجابت: «إنّه يحتاج إليّ حتّى ينام».

كرّر: «ينام؟! ولكنكِ قلتِ...».

شرحت بصوت مرتفع، وبكلّ وضوح: «إنّه يحتاج إلى أن أنام حتّى ينام هو أيضًا».

«ماذا تقصدين؟».

«ما يفعله ليس شيئًا مخلًّا بالأدب».

تنهّد وقال إنّ بإمكانها إخبار الشرطة بكلّ شيء.

شرحت بيڤرلي ببطء: «يتعلّق الأمر بنومه. لا يمكنه أن يخلد إلى النوم من دون حبوب، ولكنّني أجعله هادئًا، فـ...».

قاطعها: «ما زلتِ قاصرًا».

حدّقت إلى الخارج من خلال زجاج السيّارة الأماميّ. تراقصت أوراق الشجر بلونها الأخضر الزاهي مع نسيم بداية فصل الصيف، وثمّة مجموعة

من السيّدات الحوامل يدردشن وهنّ يسرن على رصيف المشاة، وامرأة عجوز تقف رافعة رأسها نحو السماء مقابل أشعّة الشمس.

سأل روبرت فجأة: «ماذا؟ لماذا لا يستطيع النوم في أثناء الليل؟».

«قال إنّه على تلك الحال منذ زمن بعيد».

«أجل، دمّر كبده باستخدام تلك الحبوب!».

«لقد تحدّث عن كلّ ذلك في المستشفى. حدث شيء ما، ولكن...».

توقّف روبرت عند معبر مشاة.

واصلت بيفرلي ببطء: «ماتت فتاة».

«مَن؟».

«لم يرغب في التحدّث عن ذلك أبدًا...».

التزمت الصمت، وأخذت تشبك أصابعها، وتضرب بساقيها.

قال روبرت بصوت مضطّرب: «أخبريني بما قاله».

«أمضيا ليلةً معًا، ثمّ قتلت نفسها في اليوم التالي. أنا أشبهها، أليس كذلك؟».

«أجل».

همست: «قال في المستشفى إنّه قتلها».

سأل روبرت في ذهول، وهو ينظر إليها: «ماذا تقصدين؟».

«قال إنّه كان مسؤولًا عن ذلك».

حدّق إليها وفمه مفتوح، ثمّ سأل: «قال... قال إنّه المسؤول؟».

هزّت بيفرلي رأسها بالإيجاب. وواصلت: «هو المسؤول لأنّهما أهملا التدريب على الكمان، وبدل ذلك تضاجعا، فظنّت أنّه خدعها، واستدرجها لفعل ذلك حتّى يتمكّن من الفوز بالمسابقة».

«لم يكن خطأه».

«بل كان»، قالت بصوت حاسم.

غرق روبرت في كرسي القيادة. فرك وجهه بيديه عدّة مرّات.

همس: «يا إلهي! عليّ أن...».

انحرفت السيّارة، وارتفع بوق سيّارة في الخلف بانزعاج. نظرت بيڤرلي إليه باضطراب، وسألت: «ما الخطب؟».

قال روبرت وهو يتّخذ مسار الدوران إلى الخلف: «عليّ... عليّ أن أخبره بشيء ما. كنتُ أقف خلف المسرح عندما بدأ. أعلم ما حدث... كانت غريتّا تؤدّي قبله، كانت الأولى، و...».

«هل كنتَ هناك؟».

«انتظري! سمعتُ كلّ شيء. ليس لأكسيل أيّ علاقة بوفاة غريتّا».

شعر روبرت بالاستياء إلى درجة اضطرّته إلى إيقاف السيّارة مرّة أخرى. صار وجهه حالكًا. استدار إليها وهمس: «آسف، ولكن عليّ فقط أن...».

«هل أنتَ متأكّد؟».

سأل هو ينظر إليها: «من ماذا؟».

«هل أنتَ متأكّد أنّها لم تكن مسؤوليّة أكسيل؟ فما الذي حدث إذًا؟».

جفّف دموعه، وفتح باب السيّارة. قال بهدوء وهو يخطو على الرصيف: «ثانية واحدة من فضلك. عليّ أن... عليّ التحدّث معه».

كانت أشجار الزيزفون الكبيرة في «سيڤيا بوليڤارد» تلقي كمّيّات من حبوب اللقاح، التي تتراقص تحت الشمس قبل أن تسقط على السيّارات والمارّة. ابتسم روبرت لنفسه وأخرج هاتفه، ثمّ اتّصل برقم أكسيل. بعد سماع رنين الهاتف لمرّات ثلاث، اختفت ابتسامته، وعاد إلى السيّارة والهاتف على أذنه. بينما هو يعيد الاتّصال بشقيقه على الهاتف الخلويّ، أدرك أنّ السيّارة خالية. لقد ذهبت بيڤرلي. نظر حوله، ولكنّه لم يرها في أيّ مكان.

94

لم يعرف أكسيل كم من الوقت استغرق بالتحديد وهو ينظر من النافذة، وإلى روبرت وبيڤرلي وهما يغادران. أبحرت أفكاره في ذكريات الماضي. راح يدفع نفسه إلى التوقّف عن التفكير في غريتّا، فذهب إلى الستيريو،

ووضع على الجانب «أ» أسطوانة «صعود وهبوط زيغي ستاردست والعناكب من المرّيخ» لديفيد بوي، ثمّ رفع الصوت.

سار إلى خزانة المشروبات، وأخرج واحدة من أغلى الزجاجات في مجموعة الويسكي لديه، «ماكلان». تعود إلى السنة الأولى من الحرب العالميّة الثانية، أي عام 1939. صبّ لنفسه نصف كأس، ثمّ جلس على الأريكة. وفي أثناء استماعه إلى الموسيقى بعينين حزينتين، استشعر عبق براميل البلّوط ومخازن التخمير المظلمة الممتزج برائحة القشّ والليمون. كان يرشف فيُلهب المذاق القويّ شفتيه ويملأ فمه. لقد نضجت نكهة الويسكي عبر الأجيال، في ظلّ تغيير الحكومات، وفي ظلّ الحرب والسلام.

فكّر في أنّه ربّما من الأفضل أن يحدث ذلك الآن. فقد تحصل بيفرلي على المساعدة التي تحتاج إليها. شعر برغبة في الاتّصال بشقيقه، وإخباره بأنّه يحبّه، ثمّ ابتسم وهو يظنّ أنّها فكرة مثيرة للشفقة. لن يقتل نفسه، بل سيبذل قصارى جهده وقدر استطاعته لمواجهة ما سيحدث، وسيحاول أن يقف صامدًا.

اصطحب شرابه إلى غرفة النوم، ونظر إلى السرير غير المرتّب، ثمّ سمع طنين هاتفه الخلويّ داخل سترته المعلّقة على ظهر أحد الكراسي، ولكنّ صرير خطوات أحد ما جعله يلتفت خلفه.

قال في دهشة: «بيفرلي!».

كان وجهها متربًا وتحمل زهور الهندباء بيدها.

قالت: «لا أريد التحدّث إلى الشرطة».

«أين روبرت؟».

«أخذت توصيلة للعودة. لا تقلق، كلّ شيء على ما يرام».

«لماذا تفعلين أشياء كهذه؟ عليكِ...».

«لا تغضب. لم أرتكب أيّ خطأ. أردتُ فقط أن أخبرك شيئًا مهمًّا بالفعل».

عاد هاتفه يرنّ في جيبه مرّة أخرى، فقال لها: «انتظري يا بيڤرلي؛ أحتاج إلى الردّ على هذه المكالمة».

بحث في جيوبه، ثمّ عثر على الهاتف وردّ: «أكسيل ريسين».

فسمع صوتًا بعيدًا يقول: «مرحبًا».

ثمّ قال المتّصل الذي يتحدّث إنجليزيةً ركيكة: «أنا رافاييل غويدي. أعتذر عن ضعف الشبكة، ولكنّني في البحر الآن».

فأجاب بأدب وهو يشاهد بيڤرلي أثناء جلوسها على السرير: «لا مشكلة».

«سأتحدث في الموضوع مباشرةً. أتّصل لأعرف هل لديكَ الوقت لتوقيع تصريح التصدير الخاصّ بشحنة كينيا؟ كنتُ أعوّل على مغادرة السفينة للميناء الآن».

وضع الهاتف على أذنه، وذهب إلى غرفة المعيشة وهو لا يسمع شيئًا سوى أنفاسه. فكّر بالصورة، وكيف كان پالمكرونا يحمل كأس الشمبانيا، ويضحك حتّى ظهرت لثّته.

قال غويدي وسط خشخشة الخطّ: «أما زلتَ معي؟».

أجاب أكسيل باقتضاب وهو يشعر برجفة تصيب عموده الفقريّ: «لن أوقّع تصريح التصدير».

«ربما يمكنني اقناعكَ بتغيير رأيكَ. عليكَ التفكير في أيّ شيء يمكنني أن أقدّمه لكَ».

«ليس لديكَ شيء أريده».

«أعتقد أنّكَ مخطئ. عندما أبرم عقدًا...».

أنهى أكسيل المكالمة، فأطبق الصمت على كلّ شيء. أعاد هاتفه إلى سترته والقلق يساوره، كما لو كان تقريبًا يعاني من هواجس. بدأ يسير نحو الردهة المؤدّية إلى الدرج. عندما نظر إلى الخارج عبر النافذة، شعر بحركة في الحديقة، ورأى ما يشبه الطيف الشفّاف بين الشجيرات يتّجه إلى منزله. ذهب إلى النافذة الأخرى، ولكنّه لم يتمكّن من رؤية أيّ شيء. سمع

ضوضاء في الأسفل، مثل طقطقة لوح زجاجيّ صغير. رغم أنّه لم يستطع التوقّف عن التفكير في عبثيّة الأمر، إلّا أنّه أدرك ما يحدث. راح قلبه يخفق بسرعة، وضُخّ جسده بالأدرينالين، وصارت حواسّه كافّة شديدة اليقظة. تحرّك بأقصى سرعة ممكنة من دون أن يركض في عودته إلى غرفة النوم. كان ضوء الشمس الساطع يتدفّق عبر الفجوة بين الستائر على أقدام بيڤرلي التي تستلقي على السرير غير المرتّب، وتضع على بطنها كتاب «دورينمات».

قالت: «عدتُ لأخبركَ بشيء جيّد يا أكسيل...».

قاطعها بكلّ ما استطاع من هدوء: «لا تخافي، اختبئي فقط تحت السرير. افعلي الآن، وابقي هناك على الأقلّ لمدّة ساعة».

استجابت له في الحال. من دون أن تطرح أيّ سؤال، زحفت تحت السرير. سمع أكسيل خطوات سريعة على الدرج. فكّر في أنّ ثمّة شخصين على الأقلّ. أخذ قلبه يخفق بشدّة. نظر حوله، ولم يكن متأكّدًا ماذا سيفعل. تصارعت الأفكار داخل عقله. أخرج هاتفه من سترته، وأسرع إلى غرفة المعيشة. سمع من خلفه وقع خطوات تتّجه إلى المكتبة. بأصابع ترتعش، فتح قفل الهاتف وهو يسمع فعقعة الأرض من تحت الأقدام المرنة لشخص يركض. أدرك ألّا وقت لإجراء المكالمة. حاول الوصول إلى النافذة المطلّة على الشارع ليصرخ طلبًا للمساعدة، عندما أمسك أحد ما برسغه الأيمن، ووضع شيئًا باردًا على رقبته. إنّه سلاح «تيزر». أطلق ستة وتسعين ألف ڤولت على جسده. حدثت فعقعة صواعق كهربائيّة، ولكنّه تلقّاها كسلسلة من الضربات الكثيفة، كأنّ أحدهم يضرب عنقه بأنبوب حديديّ. لم يعرف أنّه يصيح لأنّ عقله توقّف، واختفى العالم من حوله.

كان الرجلان قد أغلقا فمه بشريط لاصق عندما بدأ يستعيد وعيه. مستلقيًا على الأرض راح جسده يرتجف من آن لآخر، وذراعاه وساقاه تهتزّ. لم يكن قادرًا على الدفاع عن نفسه. بدت عضلاته مشلولة، إلّا أن الشعور بمثل حرقة لدغ الحشرات على رقبته تفوّق على أيّ إحساس آخر من الألم المطلق.

بمنتهى الفظاظة، ربط الرجلان ذراعيه وفخذيه وكاحليه، ثمّ لفّاه بالبلاستيك الأبيض. راح يخشخش بهدوء ويظنّ أنّه سيختنق، إلّا أنّ الهواء لم ينفد. ورغم أنّه حاول ثني جسمه، فإنّ الأمر بدا مستحيلًا؛ إذ عجز حتّى عن التحكّم في عضلاته. حمله رجلان بهدوء إلى أسفل الدرج، ثمّ إلى الخارج عبر الباب الأماميّ، وأخيرًا وضعاه داخل العربة التي كانت في انتظارهما.

95

حاول جونا أن يُعيد پونتوس سلمان، ولكنّ مركب التجذيف انجرف بعيدًا داخل البحيرة. ركض للقاء طبيبة الأمراض النفسيّة وشرطيين قادمين من «سودرتاليا». قادهم إلى الرصيف، وأخبرهم بأنّ عليهم توخّي الحذر، وإن كان لا يظنّ أنّ سلمان سيؤذي نفسه أو أيّ أحد آخر.

قال قبل أن يسرع خطى العودة إلى سيّارته: «تأكّدوا فقط من أنكم ترصدونه، وسأتواصل معكم في أسرع وقت».

في أثناء قيادة سيّارته عبر الجسر الذي يمرّ فوق خليج «فيتيا»، فكّر جونا في حديث پونتوس، وتأكّده من أنّ أكسيل سيوقّع العقد مع غويدي. حتّى عندما سأله عمّا إذا كان بإمكانه فقط أن يرفض، أكّد پونتوس أنّه لن يرغب بفعل ذلك.

اتّصل بأكسيل وهو يستعيد صورة ڤيرونيك، زوجة پونتوس، بفمها المتلعثم من الارتباك، والخوف في عينيها وهي تقول لهم إنّه عند تقبيل يد غويدي لا يمكن التراجع.

فكّر جونا في أنّ كلمة «الكابوس» لا تتوقّف عن الظهور. ذكرتها مدبّرة منزل پالمكرونا، وقالت ڤيرونيك إنّ غويدي توصّل إلى معرفة أسوأ كوابيس كلّ طرف من أطراف الصفقة، ثمّ زعم پونتوس أنّ پالمكرونا أفلت من كابوسه بالانتحار.

«لم يكن عليه مواجهة كابوسه»، هكذا قال پونتوس.

فكّر جونا في حقيقة أنّ ستيفان برغكفيست لم يعرف أبدًا أنّ بالمكرونا كان والده. فكّر في النيران المشتعلة التي أذابت لحم الفتى عن هيكله العظمي.

لا يمكنك فسخ «عقد باغانيني» حتّى وأنت ميّت.

اتّصل جونا مرّة أخرى بهاتف أكسيل الخلويّ، ثمّ حاول الاتّصال بالرقم المباشر لمكتب «دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة».

ردّ صوت نسائيّ: «مكتب المدير العامّ أكسيل ريسين».

قال جونا بسرعة: «أحاول الوصول إلى أكسيل ريسين».

«آسفة، ليس متاحًا الآن».

«أنا محقّق، وأحتاج إلى الحديث معه حالًا».

«أتفهّم ذلك، ولكن...».

«من فضلك، أبلغيه حتّى إن كان في اجتماع».

قالت رافعةً صوتها: «إنّه ليس هنا. لم يأتِ في الصباح، ولم أتمكّن من التواصل معه على هاتفه».

«فهمت»، ختم جونا المحادثة.

ركن سيّارته «الفولفو» خارج بوّابة منزل أكسيل. إذ رصد أحدهم يغلق الباب الخاصّ بجزء شقيقه من المبنى، ركض إليه ورنّ جرس الباب. قعقع القفل وفُتح الباب مرّة أخرى.

قال روبرت حين رأى جونا: «أوه، مرحبًا».

«هل أكسيل في المنزل؟».

ردّ روبرت: «لا بدّ من أن يكون هنا، ولكنّني وصلت للتوّ. هل حدث شيء؟».

«حاولتُ التواصل معه».

قال روبرت وهو يُدخل جونا إلى المنزل: «وأنا أيضًا».

صعدا إلى منتصف الدرج باتّجاه بهو كبير فيه ثريّا ورديّة الزجاج. طرق روبرت الباب، ودخل إلى جناح أكسيل، ثمّ أسرعا الخطى إلى أعلى الدرج في صمت.

نادى روبرت: «أكسيل!».

نظرا حولهما، وسارا عبر الغرف. كلّ شيء في مكانه المعتاد. الستيريو مفتوح، ولكنّه صامت، ومجلّد دائرة المعارف البريطانيّة الشهيرة باسم «موسوعة بريتانيكا» على المكتبة المتنقّلة.

سأل جونا: «هل تعرف إن ذهب إلى مكان ما؟».

قال روبرت وقد بدا على صوته الإرهاق بشكل ملحوظ: «لا، ولكنّه يفعل كثيرًا من الأشياء الغريبة».

«ماذا تقصد؟».

«تعتقد أنّكَ تعرفه، ولكن...آه، لا أعلم».

ذهب جونا إلى غرفة النوم، ونظر حوله بسرعة، فرأى لوحة زيتيّة كبيرة على الأرض مقابل الحائط، وزهرة هندباء داخل كأس ويسكي، وسريرًا غير مرتّب، وكتابًا.

96

ركن جونا سيّارته في «حديقة كرونوباري»، وسار بسرعة على الحشائش نحو مقرّ الشرطة، وهو يتّصل بشرطة «سودرتاليا». بدأ يساوره القلق من نفاد وقت الانتظار في أثناء التعامل مع پونتوس سلمان.

ازداد هذا القلق عندما أخبره ضابط شرطة «سودرتاليا» عبر الهاتف أنّه لا يعرف مكان پونتوس. قال بلكنة مقاطعة «غوتلند»: «سأعاود الاتّصال بك... أمهلني فقط دقيقتين».

سأله جونا: «ولكنّه معكم؟».

أجاب الرجل بتردّد: «من المفترض أن يكون معنا».

«لقد وضّحتُ لكم بجلاء أنه سيُحتجَز».

«ليس عليك توبيخي! كلّي ثقة بأنّ زملائي أدّوا واجبهم».

نقر الضابط على جهاز كمبيوتر، وتمتم بتذمّر، ثمّ عاود الحديث: «أجل، أمسكنا به، وببندقيّته ماركة ’وينشستر400‘ في حوزتنا».

قال جونا: «حسنًا، احتجزوه! وسنرسل سيّارة لإحضاره».

أخذ المصعد إلى أعلى، وقطع الردهة مسرعًا، وكاد يصل إلى مكتب كارلوس حين رنّ هاتفه. إنّها ديسا. رغم ألّا وقت لديه لتلقّي المكالمة، فإنّه ردّ على أيّ حال.

قالت: «مرحبًا! هل ستأتي غدًا؟».

«قلتِ إنّكِ لا تريدين الاحتفال بعيد ميلادكِ».

«أعلم ذلك، ولكنّني كنتُ أفكّر... فقط أنتَ وأنا».

قال جونا: «يبدو ذلك جيّدًا».

«أودّ إخباركَ بشيء مهمّ».

قال جونا وقد وصل إلى باب مكتب كارلوس: «حسنًا! آسف يا ديسا، لا أستطيع التحدّث الآن. أنا في طريقي إلى اجتماع مهمّ».

«عندي مفاجأة».

قال وهو يفتح الباب: «أنا آسف بالفعل يا ديسا، لا وقت لديّ.

أغلق الخطّ، ودخل مكتب كارلوس، ثمّ أغلق الباب خلفه، وجلس على الأريكة بجوار سوغا.

قال جونا: «لا يمكننا الوصول إلى أكسيل ريسين، ونحن قلقان من أنّ الأمر يتعلّق بتصريح التصدير. نعتقد أنّ رافاييل غويدي وراء ذلك، لذا نحتاج إلى أمر بإلقاء القبض عليه بأقصى سرعة».

قاطعه كارلوس بدهشة: «أمر بإلقاء القبض؟! لم يُجب أكسيل ريسين على هاتفه لمدّة ساعتين، ولم يذهب إلى عمله هذا الصباح، والآن تعتقدان بأنّ رافاييل غويدي، رجل الأعمال الناجح الذي لم يوجّه إليه أبدًا أيّ اتّهام بارتكاب جريمة، قد خطفه؟».

رفع كارلوس يده، وبدأ يعدّ على أصابعه، وهو يقول: «لا شيء يدينه لدى الشرطة السويدية، أو اليوروپول، أو الإنترپول، كما أنّني تحدّثت إلى الشرطة في فرنسا وإيطاليا وموناكو».

علّق جونا مبتسمًا: «ولكنّني تحدّثت إلى آنيا...».

وتوقّف كارلوس عن الكلام، إذ فُتح الباب، ودخلت آنيا.

قالت: «على مدار السنوات العشر الماضية، ظهر اسم رافاييل غويدي في ستّة تحقيقات تتعلّق بجرائم الأسلحة، والجرائم الماليّة، وجرائم القتل».

«ولكنّها تحقيقات. لا يعني ذلك...».

قاطعته آنيا: «هل يمكنني إخباركم بما وجدته فقط؟».

«أجل، بالطبع».

«رُفضت الشبهات كافّة التي كانت تدور حول غويدي في مرحلة مبكرة من التحقيق، تقريبًا في كلّ قضيّة، ولم يُفضِ الأمر أبدًا إلى محاكمة».

«لا شيء ضدّه».

واصلت آنيا حديثها بعد أن تحقّقت من مفكّرتها: «ربحت تجارته مائة وثلاثة وعشرين مليون دولار في عمليّة 'عاصفة الصحراء' بتوريد طائرة الهجوم 'نايتهوك' المزوّدة بصواريخ 'إيه جي إم65- ماڤريك' وحدها، ولكن ورّدت أيضًا إحدى الشركات التابعة له للقوّات الصربيّة الذخائر الصاروخيّة التي استُخدِمت لإسقاط الطائرات نفسها خلال حرب كوسوڤو».

عرضت آنيا عليهم صورة لغويدي وهو يرتدي نظّارة شمس صفراء، وملابس غير رسميّة: سروالًا لونه أزرق شاحب، وقميصًا فضفاضًا مكويًّا من درجة اللون نفسها. كان يقف بين حارسين شخصيين ببزّتين سوداوين أمام سيارة «لامبورغيني» رماديّة اللون.

تابعت: «كانت زوجة غويدي، فيورينزا كوليني، عازفة كمان مشهورة. وبعد عام واحد من مولد ابنهما پيتر، أصيبت بسرطان الثدي. خضعت للعلاجات المتاحة كافّة، ولكنّها تُوفِّيت عندما بلغ ابنها السابعة من عمره».

ثمّ عرضت قصاصة من صحيفة «لا ريپابليكا» تُظهِر زوجة غويدي مرتدية فستانًا ضيّقًا بلون البلاتينيوم اللامع، مع تطريز فضّيّ وقطع زجاجيّة صغيرة خيطت فيه وتحمل آلة كمان حمراء جميلة على كتفها، وتقف خلفها أوركسترا «لا سكالا»، وإلى جانبها المايسترو ريكاردو موتي،

كانت تبتسم وهي مغمضة العينين. مرفقها منخفض، وقوس الكمان منزلق إلى أسفل، وتنحني يدها اليسرى على جسم الكمان بينما تعزف نغمة مرتفعة.

انتقلت آنيا إلى غلاف «نيوزويك» الذي يحمل صورة غويدي وهو يقف بجانب المغنّي الأميركي الشهير، أليس كوبر، متباهيًا بمولوده الجديد، تحت عنوان: «رضيع بمليارات الدولارات».

ثمّ أظهرته قصاصة أخرى يرتدي بدلة شاحبة اللون وهو يتحدّث إلى سيلڤيو برلسكوني، وخلفهما ثلاث سيّدات شقراوات يجلسن حول مسبح من الرخام الورديّ اللون على شكل قلب.

تابعت آنيا: «يُقيم غويدي في موناكو، ولكن يبدو أنّ عليك التوجّه إلى البحر إذا أردت لقاءه. فبعد وفاة زوجته، أصبح يمضي معظم وقته في يخته الضخم 'تيريزا' الذي صنّعته شركة «لورسن» قبل خمسة عشر عامًا، وكان آنذاك أغلى يخت في العالم».

تُظهر صورة صغيرة للنسخة الفرنسيّة لمجلة «ڤوغ» اليخت الأبيض الذي يتّخذ شكل السهم، وينطلق في البحر الشاسع. حملت صفحة مزدوجة داخلية عنوان «أسد في كان»، وفيها عدد من الصور لحفلة أُقيمت على متن اليخت خلال مهرجان كان السينمائيّ. الرجال كافّة يرتدون سترات العشاء الرسميّة، ويظهر كيڤن كوستنر وهو يتحدّث مع سلمى حايك، كما يظهر غويدي واقفًا بين زوجته وعارضة مجلّة «بلاي بوي»، السويديّة الشهيرة ڤيكتوريا سيلڤستيد. يقف خلف غويدي حارسان شخصيّان واجمان. الميناء مرئيّ عبر نوافذ غرفة الطعام الكثيرة، وتتدلّى من السقف أقفاص داخلها طيور الطوقان، وفي وسط الغرفة قفص داخله أسد كبير الحجم.

أعادوا القصاصات إلى آنيا التي واصلت حديثها بهدوء: «والآن، هل يمكننا جميعًا الإنصات إلى هذا؟ سجّلت شرطة الأمن البلجيكيّة مكالمة هاتفيّة بين أحد ممثّلي الادّعاء الإيطاليّين وسلڤاتور غاريبالدي الذي كان عميدًا في الجيش الإيطاليّ».

وزّعت آنيا نصّ ترجمة سريعة، ثمّ أدخلت جهاز تخزين بيانات إلى كمبيوتر كارلوس، ونقرت على الملفّ الصوتيّ. بدأ صوت في التحدّث بسرعة شارحًا ظروف المكالمة بالفرنسيّة: المكان، والتاريخ، والتوقيت. تلاه صوت نقر على المعدن في أثناء إجراء مكالمة.

عندما أحدث الملفّ صوت طقطقة للحظة، سُمع المدّعي العامّ يتحدّث بوضوح، قائلًا: «أسمعك، وأنا مستعدّ لفتح التحقيق».

ردّ سلڤاتور غاريبالدي: «لن أشهد أبدًا ضدّ رافاييل، حتّى تحت التعذيب، لن...».

اختفى صوته فجأة، ثمّ صار مسموعًا مرّة أخرى، ولكن أضعف، كأنّه يتحدّث عبر باب مُغلق.

...». مع المصدّات الارتداديّة، وقاذفات الصواريخ العديمة الارتداد... وكثير من الألغام، والألغام الأرضيّة، والألغام المضادّة للأفراد، والألغام المضادّة للدبّابات... لن يبالي رافاييل أبدًا... مثلما حدث في راوندا. كان الأمر كلّه يتعلّق بالهراوات والمناجل، فلم يكن الأمر مربحًا. ولكن عندما تغيّر الوضع، وامتدّ إلى الكونغو، أراد أن يشارك في الأمر الذي صار في وجهة نظره أكثر حيويّة. في البداية، سلّح 'الجبهة الوطنيّة الرواندية' ليضع موبوتو تحت ضغط شديد، ثمّ بدأ يضخّ الأسلحة الثقيلة لصالح 'الهوتو' مرّة أخرى حتّى يتمكّنوا من القتال ضدّ 'الجبهة الوطنيّة الرواندية' وتستمرّ الحرب».

سُمع صوت صفير غريب عبر خشخشة الهاتف، ثمّ صوت نقر، قبل أن يعود صوته مجدّدًا. راح يتنفّس بسرعة، ويتمتم لنفسه، ثمّ يقول بمنتهى الوضوح: «لم أصدّق أنّ قصّة الكابوس في العمل مع غويدي حقيقيّة. اضطررت إلى الوقوف بجانبها ممسكًا بيدها المتعرّقة... كانت ابنتي بعمر الرابعة عشرة، جميلة، رائعة جدًّا... رافاييل... فعلها بنفسه. أراد استخدام السكّين، وأخذ يصيح بأنّ كابوسي في يده. شيء لا يصدّقه عقل».

تشوّش الخطّ، وتمكّنوا من سماع صوت صراخ وزجاج يتكسّر. تعثّر التسجيل.

«لماذا يريد أيّ شخص أن يفعل أشياء كهذه؟ لقد التقط السكّين من أحد حرّاسه... وجه ابنتي، وجهها الجميل... الجميل...».

راح سلفاتور غاريبالدي يبكي بصوتٍ عالٍ، وينوح، ويصرخ بأنّه يريد فقط أن يموت.

تعثّر التسجيل مرّة أخرى ثمّ توقّف. عمّ الهدوء مكتب كارلوس.

قال كارلوس بعد هنيهة: «لا يثبت هذا التسجيل أيّ شيء. قال في البداية إنّه لن يشهد، لذلك أفترض أنّ المدّعي العامّ أسقط التحقيق».

قالت آنيا: «بعد ثلاثة أسابيع من هذه المكالمة، عثر أحد منزّهي الكلاب على رأس سلفاتور غاريبالدي ملقاة داخل حفرة».

سأل جونا بصوت خفيض: «ما خطب ابنته؟ ماذا حدث لها؟».

أجابت آنيا باختصار: «ما زالت ماريا غاريبالدي مفقودة».

تنهّد كارلوس، وهمس بشيء لنفسه، ثمّ ذهب إلى حوض السمك، ونظر إلى سمك الفردوس لبعض الوقت، قبل أن يلتفت إلى الآخرين قائلًا: «ماذا عليّ أن أفعل؟ لا يمكنكم إثبات أنّ الذخيرة ستذهب إلى السودان، وليس لديكم دليل بأنّ اختفاء أكسيل ريسين له علاقة برافاييل غويدي بأيّ شكل من الأشكال. أريد فقط بعض الأدلّة، وسأتحدّث مع المدّعي العامّ، لكنّني أحتاج إلى شيء محدّد، وليس فقط...».

قاطعه جونا: «أعرف أنّه هو».

عقّب كارلوس: «ليس فقط أن يخبرني جونا بأنّه يعرف».

أصرّ جونا بعناد: «نحتاج إلى السلطات والموارد المتاحة لإلقاء القبض على غويدي بتهمة ارتكاب جرائم انتهاك القوانين السويديّة والدوليّة».

ردّ كارلوس: «ليس من دون دليل».

قال جونا: «سنقدّم الدليل».

«عليك إقناع بونتوس سلمان بالشهادة».

قال جونا: «سنمسك به اليوم، ولكن أعتقد أنّه من الصعب الحصول على موافقته. ما زال خائفًا للغاية، بل مصابًا بالذعر حتّى أنّه كان يتهيّأ لقتل نفسه».

قالت سوغا: «ولكن إذا ألقينا القبض على غويدي، فقد يوافق سلمان. أقصد إذا هدأت الأمور».

قال كارلوس بشكل قاطع: «لا يمكننا إلقاء القبض على رجل مثل رافاييل غويدي من دون أيّ دليل أو شهود».

سألت سوغا: «اللعنة! إذن، ما الذي يفترض بنا أن نقوم به؟».

أجاب كارلوس: «نضغط على پونتوس سلمان. هذا كلّ ما في وسعنا».

قال جونا: «لكنّ أكسيل ريسين في خطر، ولا وقت لدينا لنضيعه».

توقّف الأربعة عن الحديث، ونظروا إلى الباب، في أثناء دخول كبير مدّعي العموم ينس سڤانيالم إلى الغرفة.

97

راح مكيّف الهواء يبرّد السيّارة. ارتعشت يدا پونتوس على المقود. بلغ منتصف الطريق عبر جسر «ليدينغو». إحدى العبّارات الفنلنديّة في طريقها إلى الخروج، وشخص ما يحرق أوراق الشجر.

مضت ساعتان فحسب منذ كان يجلس في مركب التجذيف محاولًا أن يضع فوّهة بندقيّته في فمه. ما زال يشعر بمذاقها المعدنيّ واصطدامها بأسنانه. إنّها ذكرى مرعبة.

نزلت امرأة على الرصيف مع المحقّق، وطلبت منه أن يقترب. بدا أنّها تريد إخباره بشيء مهمّ. كانت في سنّ الأربعين تقريبًا، مع تسريحة صبيانيّة لشعرها المائل إلى الزرقة والمدبّب الخصلات، وأحمر شفاه. لاحقًا، عندما جلس مقابلها في غرفة صغيرة مطليّة باللون الرماديّ، عرف أنّ اسمها غونيلا، وأنّها طبيبة نفسيّة.

تحدّثت الطبيبة معه بصرامة وجدّيّة عن استخدام البندقيّة، وعمّا فكّر في ارتكابه عندما كان في البحيرة.

سألته: «لماذا تريد أن تموتَ يا پونتوس؟».

أجاب بصدق تامّ: «لا أريد ذلك».

خيّم الصمت على أرجاء الحجرة الصغيرة. ثمّ أخذ الاثنان يتحدّثان، وفي أثناء إجابته عن أسئلتها، صار أكثر اقتناعًا بأنّه لا يريد أن يموت، وأنّه يفضّل الهروب، وبدأ يفكّر في الذهاب إلى مكان ليختفي وبدء حياة جديدة بهويّة مختلفة.

وها هو الآن يعبر الجسر بالسيّارة، وينظر إلى ساعته شاعرًا بارتياح يثلج صدره. فبحلول هذا الوقت، لا بدّ من أن تكون طائرة ڤيرونيك قد غادرت المجال الجوّيّ السويديّ.

سبق أن حدّثها عن «جزر بولينيزيا الفرنسيّة»، ويمكنه رؤيتها في مخيّلته وهي تغادر المطار وفي يدها حقيبتها الزرقاء، مرتدية قبّعة عريضة الحوافّ عليها أن تمسك بها حال هبّت الرياح.

لماذا لا يهرب هو أيضًا؟ كلّ ما عليه فعله هو الإسراع بالعودة إلى منزله، وإحضار جواز السفر من دُرج المكتب.

حدّث يونتوس نفسه وهو يشاهد حركة المرور: «لا أريد أن أموت».

لقد جذّف داخل البحيرة هربًا من كابوسه، ولكن لم تكن لديه القدرة على إطلاق النار. حدّث نفسه: «سأستقلّ أيّ رحلة. يمكنني الذهاب إلى آيسلندا أو اليابان أو البرازيل. لو كان غويدي يريد قتلي بالفعل، لما كنت حيًّا الآن».

انعطف إلى طريق المركبات أمام منزله، وغادر السيّارة. شمّ رائحة الأسفلت الذي دفّأته أشعّة الشمس، ورائحتي أدخنة العوادم والخُضرة. شارعه مُقفر. الجميع في أعمالهم، وما زال لدى الأطفال بضعة أيّام مدرسيّة متبقّية.

فتح قفل الباب ودخل. المنزل مظلم. الستائر مغلقة.

يحتفظ بجواز سفره داخل مكتبه، لذا بدأ ينزل الدرج. حين وصل إلى الطابق الأرضيّ، توقّف فجأة وأنصت، إذ سمع صوتًا غريبًا، مثل جرّ سجّادة مبتلّة على البلاط.

قال بصوت لا يكاد يُسمع: «ڤيرونيك؟».

رأى الضوء الهادئ للمسبح منعكسًا على الجدار الحجريّ الأبيض. سار إلى الأمام ببطء، وقلبه يخفق بشدّة.

98

ألقى ينس سفانِيالم تحيّة صامتة على سوغا وجونا وكارلوس، ثمّ جلس. كانت المطبوعات التي أعدّتها آنيا ملقاة على طاولة منخفضة الارتفاع أمامه. أخذ رشفة من قهوته المعدّة من حليب الصويا، ونظر إلى الصورة التي كانت على قمّة المطبوعات، ثمّ التفت إلى كارلوس.

قال ينس: «أعتقد أنّكَ ستواجه صعوبة في محاولة إقناعي».

ردّ جونا مبتسمًا: «ولكنّنا سنفعل».

«أفحمني!»، قال ينس.

كانت رقبته النحيفة، من دون أثر لتفّاحة آدم، وكتفاه الضيّقان المنحدران، تؤكّد جميعها الانطباع بأنّه صبيّ يرتدي ملابس شخص بالغ.

قالت سوغا: «الأمر معقّد للغاية. نعتقد أنّ أكسيل ريسين، مدير 'دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة' قد اختُطِف، وأنّ اختفاءه يتعلّق بكلّ ما حدث على مدار الأيّام القليلة الماضية».

توقّفت عن الحديث، عندما رنّ هاتف كارلوس. قال كارلوس: «آسف! لقد شدّدتُ على ألّا يزعجنا أحد». ثمّ ردّ على الهاتف معرّفًا بنفسه.

أنصت، واحمرّت وجنتاه، ثمّ تمتم بأنّه يتفهّم الأمر، وشكر المتّصل على إجراء المكالمة، ووضع الهاتف وهو يومئ برأسه بتحفّظ.

قال: «آسف».

«لا مشكلة»، ردّ ينس.

شرح كارلوس: «أقصد أنّني آسف على طلبكَ لحضور هذا الاجتماع. كانت هذه سكرتيرة أكسيل ريسين في دائرة التفتيش... اتّصلتُ بها في وقت سابق اليوم، وهي الآن تقول إنّها تحدّثت معه».

سأل سفانِيالم وهو يبتسم: «ماذا قالت؟ هل اختُطِف؟!».

«قالت إنّه على متن يخت رافاييل غويدي لمناقشة المسائل التي لم يُبَتّ بها بعد، تلك المتعلّقة بتصريح التصدير».

تبادل جونا وسوغا النظرات بسرعة.

سأل سڤانيِالم: «وهل أنتَ مقتنع بذلك؟».

أجاب كارلوس: «على ما يبدو أنّ أكسيل طلب لقاء غويدي».

علّقت سوغا: «كان سيحدّثنا أوّلًا».

«قالت سكرتيرته إنّهما كانا في اجتماع على متن اليخت طوال اليوم، لينتهيا من التفاصيل الأخيرة لمسألة معلّقة. ويأمل أكسيل أن يرسل إلى الدائرة تصريح التصدير الموقّع عبر الفاكس هذا المساء».

كرّرت سوغا وهي تقف: «تصريح التصدير؟».

ابتسم كارلوس وهو يقول: «أجل».

سأل جونا: «ماذا سيفعل بعد الاجتماع؟».

«سوف...».

توقّف كارلوس عن الحديث، ونظر إليه بدهشة، ثمّ قال: «كيف عرفتَ أنه سيفعل شيئًا بعد الاجتماع؟! قالت السكرتيرة إنّ أكسيل سيأخذ إجازة ليُبحر بطول الساحل حتّى يصل إلى كالينينغراد».

قال سڤانيِالم بعد أن وقف: «يبدو الأمر شيّقًا!».

صرخت سوغا وهي تركل سلّة القمامة: «أحمقان! بالتأكيد تلاحظان أنه أُجبِر على إجراء هذه المكالمة، أليس كذلك؟».

تمتم كارلوس: «علينا جميعًا أن نتصرّف مثل البالغين».

رفع سلّة القمامة عن الأرض، وبدأ يجمع ما سقط منها.

قال نيلس بصرامة: «لقد انتهينا! أليس كذلك؟».

قال جونا: «أكسيل محتجز على يخت غويدي. أعطنا الموارد لإعادته».

ردّ نيلس قبل أن يغادر الغرفة: «قد أبدو أحمق، ولكنّني لا أرى سببًا واحدًا لأقوم بأيّ شيء».

تابعوه وهو يغلق الباب خلفه من دون تعجّل.

وجّهت سوغا حديثها إلى كارلوس: «آسفة، فقدت أعصابي، لكنّ هذا غير منطقي. نحن لا نصدّق أنّ أكسيل ريسين سيوقّع تصريح التصدير أبدًا».

شرح كارلوس بهدوء: «أطلعتُ محاميَين على الأمر يا سوغا. وكلّ ما رآه الاثنان في الأمر أنّ عرض 'سايلانسيا ديفينس' ممتاز. لقد حُلِّل بدقّة، و...».

«ولكنّ الصورة التي تجمع بالمكرونا وسلمان مع غويدي وأغاثا الحجي...».

قاطع كارلوس سوغا: «أعرف ذلك. كان هذا حلّ اللغز. والآن لدينا الصورة، ولكن ليس بيدنا فعل شيء من دون دليل. لا بدّ من أن نكون قادرين على إثبات ما نعرفه، والصورة وحدها ليست كافية».

سألت سوغا بغضب: «إذن، سنجلس ونشاهد السفينة وهي تغادر السويد، رغم معرفتنا بأنّ الذخيرة في طريقها إلى دعم الإبادة الجماعيّة في السودان؟».

ردّ كارلوس: «أحضري پونتوس سلمان، وأقنعيه بأن يشهد ضدّ غويدي. عديه بأيّ شيء، فقط حتّى يدلي بشهادته».

سألت: «وإن لم يفعل؟».

«لن يكون بوسعنا فعل شيء».

قال جونا: «لدينا شاهد آخر».

ردّ كارلوس مشكّكًا بكلامه: «أنا مهتمّ جدًّا بمقابلة هذا الشاهد».

«نحتاج فقط إلى الوصول إليه قبل العثور عليه غارقًا قبالة ساحل كالينينغراد».

«لن تفلح طريقتكَ هذه المرّة يا جونا».

«بلى، ستفلح، كرر جونا بصوت حادّ.

نظر كارلوس إليه بحزن، ثمّ قال بعد هنيهة من الصمت: «لن نقدر أبدًا على إقناع المدّعي العامّ، ولكن، لأنّني لا أودّ أن أمضي بقيّة حياتي وأنا جالس هنا أقول لا، وأنت تقول نعم...».

توقّف كارلوس وتنهّد، ثمّ تابعَ حديثه: «سأعطيكَ الإذن بأن تبحث عن أكسيل بمفردكَ. فقط لتثبت لنفسكَ أنّه بخير».

قالت سوغا بسرعة: «يحتاج جونا إلى دعم».

ردّ كارلوس وهو يلوّح بإحدى ذراعيه: «هذه ليست عمليّة رسميّة للشرطة، إنّها فقط وسيلة لإسكات جونا».

وعندما حاولت أن تتكلم، قاطعها كارلوس: «الآن، أريدكما أن تحضرا بونتوس سلمان من 'سودرتاليا' كما ذكرتُ من قبل... إذا تمكّنتما من إحضار شاهد إثبات، سأحرص على أن نبذل قصارى جهدنا لإحضار رافاييل غويدي إلى هنا بشكل نهائيّ».

توجّه جونا إلى الباب وهو يقول: «لا وقت لدينا».

فقالت سوغا: «يمكنني التحدّث إلى سلمان بمفردي».

وسأل كارلوس: «ماذا عن جونا؟ ماذا ستفعل؟».

فأجاب جونا وهو يغادر الغرفة: «سأزور غويدي».

99

بعد أسره داخل صندوق السيّارة لأكثر من ساعة، سُمِح لأكسيل أخيرًا بالخروج في مطار خاصّ. حيث كان المدرّج الخرسانيّ محاطًا بسور مرتفع. ثمّة طائرة مروحيّة تنتظر أمامٍ برج المراقبة.

سمع صرخات طيور النورس الحزينة وهو يمشي بين الرجلين اللذين اختطفاه. لا جدوى من التحدّث معهما. صعد إلى المروحيّة، وجلس فيها، ووضع حزام الأمان. دخل رجلان آخران مقصورة القيادة، وراح الطيّار ينقر بأصابعه على مفتاحين، ويضغط على دوّاسة إلى أسفل.

أخرج الرجل الذي يجلس بجانب الطيّار خريطة وضعها على حِجره.

بدأ جزء من الشريط الملصق على الزجاج الأماميّ للمروحيّة في الارتخاء.

أحدث المحرّك صوت قعقعة، وبعد هنيهة، بدأت المراوح تدور

ببطء. اكتسحت الشفرات الضيّقة الهواء تدريجيًّا، بينما ارتفعت درجة حرارة المحرّك، وأخذ الرأس الدوّار يلفّ بشكلٍ متسارع. صوت ضجيج المراوح يصمّ الآذان. أمسك الطيّار بعصا التحكّم بيده اليمنى، ثمّ أقلعت المروحيّة فجأة.

في البداية، ارتفعت المروحيّة بشكل عموديّ تقريبًا. وبعد ذلك، بدأت تميل إلى الأمام وتزيد سرعتها. قرقرت معدة أكسيل بينما المروحيّة تحلّق عاليًا فوق السياج والأشجار، ثمّ تنعطف يسارًا بشدّة، حتّى أنّها توحي بأنّها تتدحرج على جانبها.

حلّقوا بسرعة فوق المسطّحات الخضراء والطريق العَرَضيّة.

كان الصوت عاليًا جدًّا، حتّى أنّ أكسيل سمع المراوح وهي تطنّ من وراء الزجاج الأماميّ. انتهى التحليق فوق اليابسة، وانتقل إلى البحر الرصاصيّ اللون والمتلاطم الأمواج.

حاول أكسيل مجدّدًا أن يفهم ما يحدث له. بدأ الأمر عندما تلقّى اتّصالًا من غويدي الذي كان على متن اليخت الخاصّ به في خليج فنلندا، في طريقه إلى بحر البلطيق، نزولًا إلى لاتفيا. لم يستغرق الأمر أكثر من دقيقة بعد أن أخبره بأنّه لن يوقّع التصريح، حتّى هجم الرجلان على منزله، وصعقا عنقه بسلاح «تيزر».

بعد نصف ساعة في السيّارة الأولى، توقّفا وحملاه إلى سيّارة ثانية. وبعد ذلك بساعة، أخرجاه إلى مهبط الطائرات، وقاداه إلى المروحيّة.

راح البحر بحركة أمواجه الرتيبة يجري من تحتهم، والسماء من فوقهم ملبّدة بالغيوم. حلّقوا سريعًا على ارتفاع خمسين مترًا. تواصل الطيّار لاسلكيًّا مع شخص ما، كان من المستحيل بالطبع سماع ما يقوله له.

نام أكسيل بعمق لفترة قليلة، فلم يعرف كم استغرق من الوقت داخل المروحيّة حين لمح يختًا فخمًا مذهلًا، أبيض اللون، وله مسبح أزرق شاحب وعدّة تراسات.

لقد اقتربوا.

ذكّر نفسه بأنّ غويدي فاحش الثراء، ثمّ مال إلى الأمام ليرى اليخت بشكل أفضل. إنّه أكثر اليخوت التي رآها إثارة للدهشة على الإطلاق: طويل مدبّب مثل شعلة نار، أبيض بياض الثلج، يصل طوله إلى مائة متر تقريبًا، ويتخلّله طابقان ضخمان من فوق السطح الخلفيّ.

مع الهدير المدوّي، هبطت المروحية على منصّة اليخت الأماميّة. غيّرت شفرات المراوح اتّجاه التموجات المحيطة بالقارب ودفعتها بعيدًا حتّى صارت منبسطة.

كان الهبوط لطيفًا، حتّى أنّ أكسيل لم يشعر به تقريبًا: حامت المروحيّة، ثمّ هبطت ببطء شديد حتّى استقرّت على المنصّة واهتزّت برفق. انتظروا حتّى توقّفت المراوح تمامًا عن الحركة. بقي الطيّار داخل مقصورة القيادة، بينما قاد الرجل الآخر أكسيل فوق منصّة الهبوط. انحنيا حتّى دخلا من باب زجاجيّ. في الجهة الأخرى، اختفى صوت المروحيّة تقريبًا. دخلا غرفة انتظار أنيقة تضمّ مجموعة من الكراسي وطاولة قهوة وتلفازًا. رحّب بهما رجل يرتدي زيًّا أبيض، ودعا أكسيل إلى الجلوس، مشيرًا إلى الكراسي.

سأل الرجل: «هل تودّ أن تشرب شيئًا؟».

«ماء، من فضلك»، أجاب أكسيل.

«طبيعيّة أم فوّارة؟».

قبل أن يجيب أكسيل، دخل رجل من الباب.

كان يشبه ذلك الذي جلس بجانب طيّار المروحيّة. فكلاهما طويل، عريض المنكبين، وجساهما متشابهين بشكل غريب. بيد أنّ لون شعر هذا الرجل فاتح للغاية، وحاجبيه شبه أبيضين، ومن الواضح أنّ أنفه تعرضّ للكسر، بينما كان للرجل الأوّل شعر رماديّ، ويرتدي نظّارة سميكة الإطار.

قادوا أكسل وهم يتحرّكون في صمت إلى الغرف أسفل سطح اليخت.

يُعطي اليخت في الداخل انطباعًا بأنّه مهجور بشكل غريب. لاحظ أكسيل أنّ المسبح جافّ؛ كأنّه لم يُستخدَم منذ سنين. ثمّة قطع أثاث مكسورة في قاعه: أريكة من دون وسائد، وبعض كراسٍ مكتبية تالفة.

كما بدا أنّ الأثاث المصنوع من الخيزران الأنيق على الشرفة الصغيرة قد عرف أيامًا أفضل. تشقّق نسيجه، وبرزت نُتف من الكراسي وطاولة القهوة.

كلمّا توغّلوا داخل المكان، صار انطباع أكسيل عنه أقوى؛ إنّه يشبه قوقعة خالية مهجورة. أحدثت خطواته صدى على الأرضية الرخامية المخدوشة للردهة المهجورة. دخل عبر باب مزدوج، نُقشت على خشبه الداكن كتابة متقنة لعبارة «غرفة الطعام» بالإيطاليّة.

كانت غرفة الطعام واسعة. لم يستطع أكسيل رؤية شيء عبر النوافذ سوى المياه. ثمّة درج واسع فُرشت عليه سجّادة حمراء يقود إلى السطح الآخر، وقد تدلّت ثريّات الكريستال المزخرفة من السقف. صُمّمت الغرفة لولائم العشاء الكبيرة، ولكن وُضعت على طاولة الطعام ماكينة تصوير أوراق، وجهاز فاكس، وجهازي كمبيوتر، ومجموعة كبيرة من المجلّدات.

في آخر غرفة الطعام، جلس على طاولة صغيرة رجل قصير القامة، شعره مرقّط باللون الرماديّ، ولديه بقعة صلع كبيرة في منتصف رأسه. تعرّف أكسيل عليه فورًا: إنّه رافاييل غويدي. كان يرتدي سروالًا رياضيًّا فضفاضًا لونه أزرق شاحب، وقميصًا يتناسق معه، مطبوعًا عليه رقم 7 بمنطقة الصدر والظهر. وقد انتعل حذاءً رياضيًّا أبيض، من دون جوربين.

قال الرجل بلكنة إنجليزيّة ركيكة: «مرحبًا».

رنّ هاتفه الخليويّ داخل جيبه، فأخرجه ونظر إلى شاشته، ولكنّه لم يُجب. على الفور تقريبًا، تلقّى اتّصالًا آخر، فردّ هذه المرّة، وتفوّه ببعض الكلمات باللغة الإيطاليّة قبل أن يُغلق الخطّ، ثمّ نظر إلى أكسيل ريسين. أشار إلى النوافذ الكبيرة المطلّة على البحر المظلم الممتدّ أمامهم.

قال أكسيل: «لقد اختطفتَني».

«أعتذر عن ذلك. لم يكن عندي وقت لـ...».

«ماذا تريد، إذن؟».

أجاب رافاييل باختصار: «أودّ الحصول على ولائك».

ابتسم الحارسان الشخصيّان وهما ينظران إلى الأرض قبل أن تصير ملامحهما صارمة للغاية. تناول رافاييل رشفة من مشروب الطاقة الذي أمامه، ثمّ تجشّأ بهدوء.

قال بصوت خفيض وهو ينظر إلى عيني أكسيل مباشرةً: «أهمّ شيء هو الولاء! لقد قلتَ من قبل إنّني لا أملك شيئًا تحتاج إليه، ولكن...».

«هذا صحيح».

تابع رافاييل وهو يحاول رسم ابتسامة على وجهه المتجهّم الكئيب: «ولكنّي أعتقد أنّ لديّ عرضًا جيّدًا لكَ. وللفوز بولائكَ، أعرف أنّه لا بدّ من أن أعرض عليكَ شيئًا تريده بالفعل. ربّما أكثر شيء تتمنّاه على الإطلاق».

هزّ أكسيل رأسه، ثمّ قال: «لا أعرف حتّى ما أكثر شيء أتمنّاه على الإطلاق».

«أعتقد أنّكَ على الأرجح تعرف. أنت تتمنّى أن تتمكّن من النوم مجدّدًا... أن تنام طوال الليل».

«كيف عرفتَ؟».

رماه رافاييل بنظرة باردة ونافدة الصبر. فقال أكسيل ببطء: «إذن، من المفترض أنّكَ تعرف بالفعل أنّني جرّبتُ كلّ شيء».

لوّح غويدي بيده باستخفاف، ثمّ قال: «يمكنكَ الحصول على كبد جديد».

قال أكسيل وهو يبتسم بشكل مفتعل: «أنا على قائمة منتظري زراعة الكبد، ولكن ما من متطوّع مناسب تقريبًا...».

قاطعه رافاييل بلكنته الإنجليزية الركيكة: «عندي كبد لكَ، يا أكسيل ريسين».

عمّ الهدوء المكان، وشعر أكسيل بأنّ الدماء تتدفّق إلى وجهه، وأحسّ بالدفء في أذنيه. وسأل وهو يبتلع ريقه بصعوبة: «وفي المقابل؟ تريدني أن أوقّع تصريح التصدير إلى كينيا».

«أجل، أودّ أن نُبرم 'عقد باغانيني' معًا»، ردّ رافاييل.

«لن أفعل أبدًا».

«لا داعيَ للاستعجال، يمكنكَ التفكير في الأمر. إنّه قرار كبير. أنت بحاجة إلى رؤية التفاصيل الدقيقة للمتبرّع، وهكذا».

عصفت الأفكار في رأس أكسيل. فكّر في أنّ بإمكانه توقيع تصريح التصدير. ثمّ إذا حصل على كبد جديد، يمكنه الشهادة ضدّ رافاييل بعد ذلك. سيحصل على حماية من الشرطة، إنّه يعرف ذلك. قد يضطرّه الأمر إلى الحصول على هويّة جديدة، ولكنّه سيكون قادرًا على النوم مرّة أخرى.

سأل غويدي: «هل نأكل؟ أنا جائع... هل أنت جائع؟ ولكن قبل أن نتناول الطعام، أودّ فقط أن تتصل بسكرتيرتكَ وتقول لها إنّكَ هنا».

100

وضعت سوغا الهاتف على أذنها، ووقفت في الردهة إلى جوار سلّة إعادة تدوير كبيرة.

ردّ رجل بلكنة «غوتلند» القويّة بعد أن تمكّنت أخيرًا من الوصول إلى استجابة من شرطة «سودرتاليا»: «أليس لديك شيء أفضل تفعله في ستوكهولم؟».

قالت وهي تحاول السيطرة على توتّر صوتها: «أتّصل لأسأل عن بونتوس سلمان».

ردّ ضابط الشرطة بسعادة: «نعم، حسنًا، لقد غادر الآن!».

سألت بصوت مرتفع: «اللعنة! ماذا تقصد؟!».

«اسمعي، لقد تحدّثت للتوّ إلى غونيلا سومر، طبيبة الأمراض النفسيّة التي اصطحبته إلى وحدة الصحّة العقليّة في الطوارئ، وهي لا تعتقد أنّه جادّ بشأن الانتحار، لذا تركته يُغادر. أسرّة المستشفيات ليست مجّانيّة على أيّ حال، و...».

قاطعته سوغا: «عمّم تحذيرًا بشأنه».

«وما السبب... محاولة انتحار غير جادّة؟».

قالت سوغا قبل أن تنهي المكالمة: «تأكّد من العثور عليه».

توجّهت إلى المصاعد، ولكن غوران ستون وقف أمامها فاتحًا ذراعيه، مانعًا تقدّمها. وسأل بنبرة مثيرة للاستفزاز: «أردتِ استجواب پونتوس سلمان، أليس كذلك؟».

«أجل»، قالت وشرعت في السير مرّة أخرى، ولكنّه لم يسمح لها بالمرور.

«كلّ ما عليكِ فعله أن تهزّي مؤخّرتك، وربّما ترمشين قليلًا، وستحصلين على ترقية أو...».

صرخت وقد ظهرت بقع الغضب حمراء على جبهتها: «تحرّك!».

فقال متظاهرًا بأنّه يشعر بالإهانة: «حسنًا، آسف لأنّني حاولتُ مساعدتكِ! أردتُ فقط أن أقول لكِ إنّنا أرسلنا للتوّ أربع سيّارات إلى منزل سلمان في 'ليدينغو' بسبب...».

سألت بسرعة: «ماذا حدث؟».

فقال وهو يبتسم: «اتّصل جيرانه. يبدو أنّهم سمعوا صوت إطلاق نار وصراخ».

دفعته عن الطريق، وبدأت تركض.

ناداها: «شكرًا جزيلًا يا غوران! أنت الأفضل يا غوران!».

***

أثناء قيادة سيّارتها إلى «ليدينغو»، حاولت سوغا ألّا تفكّر في كلّ ما يحدث، ولكنّ عقلها لم يكفّ عن العودة بذاكرتها إلى تسجيل الرجل الذي كان ينتحب وهو يتحدّث عمّا فعله غويدي بابنته.

قرّرت أن تبذل مجهودًا شاقًّا في صالة الألعاب الرياضيّة ذلك المساء، ثمّ تذهب إلى سريرها مبكرًا. تحتاج إلى أن تفعل شيئًا لدفع هذا اليوم خارج رأسها.

لم تتمكّن من دخول شارع «روسكل». ثمّة حشد من الناس على

الطريق، حتّى أنّها اضطرّت إلى ركن سيّارتها على بُعد مئتي متر من منزل سلمان. حُشر المتفرّجون الفضوليّون والصحفيّون خارج شريط الشرطة الأزرق والأبيض، في محاولة منهم لمشاهدة المنزل. أخذت تهمس بالاعتذار وهي تشقّ طريقها بينهم. كانت زميلتها ماغدالينا روناديز تتكئ على جدار من الطوب البنّيّ الداكن وتتقيّأ. سيّارة پونتوس سلمان مركونة أمام المرآب. غطاؤها والطريق مفروشان بشظايا صغيرة من الزجاج الملطّخ بالدماء. تظهر جثّة رجل عبر النافذة الجانبيّة.

پونتوس.

رفعت ماغدالينا رأسها، وجفّفت فمها بمنديل، وأوقفت سوغا وهي في طريقها إلى دخول المنزل.

قالت بصوت أجشّ: «لا، لا تفعلي. ليس عليك الذهاب».

توقّفت سوغا، والتفتت نحوها، كأنّها ستسألها عن شيء ما. تحتاج إلى الاتّصال بـجونا كي تخبره بأنّه لم يعد لديهما شاهد.

101

رنّ هاتف جونا بينما هو يركض في صالة وصول مطار «هلسنكي ڤانتا».

«سوغا؟ ماذا يحدث؟».

ردّت: «مات پونتوس سلمان. كان يجلس في سيّارته خارج منزله... يبدو أنّه أطلق النار على نفسه».

ذهب جونا إلى أوّل سيّارة أجرة في خطّ الانتظار، وأخبر السائق بأنّه يريد التوجّه إلى الميناء.

سألت سوغا: «ماذا قلتَ؟».

«لا شيء».

قالت وقد بدا على صوتها الانفعال: «ليس عندنا شهود. اللعنة! ماذا سنفعل؟».

قال وهو يغلق عينيه لبضع لحظات: «لا أعلم».

غادر التاكسي المطار، وزاد سرعته عند توجّهه إلى الطريق السريع.
«لا يمكنكَ الذهاب إلى يخت غويدي من دون دعم...».
«الفتاة!»، قال جونا فجأة.
«ماذا؟».
ردّ وهو يفتح عينيه الرماديّتين: «كان أكسيل يعزف الكمان مع فتاة. لعلّها رأت شيئًا».

«ما الذي يجعلكَ تفكّر في ذلك؟».
«كانت ثمّة زهرة هندباء، زهرة هندباء في كأس ويسكي».
سألته: «اللعنة! عمّ تتحدّث؟!».
«فقط حاولي العثور عليها».
أسند جونا ظهره إلى مقعد السيّارة قبل أن يُكمل حديثه. تذكّر كيف كان أكسيل يقف ممسكًا آلة الكمان بيده عندما أحضرت الفتاة مجموعة من زهور الهندباء المبذّرة. ثمّ فكّر مجدّدًا في زهرة الهندباء التي كانت ساقها مائلة على حافّة كأس ويسكي في غرفة نوم أكسيل. لقد كانت هناك، ما يعني أنّها ربّما رأت شيئًا.

***

ركب جونا زورق خفر السواحل الفنلنديّ «كيركو». عندما صافح قائده بازي رانيكو، تذكّر تلقائيًا لينارت يوهانسون الذي كان يعمل في الشرطة البحريّة في «دالارو»؛ الرجل الذي كان يحبّ ركوب الأمواج، ويطلق على نفسه اسم لانس. بازي يشبهه كثيرًا: شابّ مصبوغ بسمرة الشمس، عيناه زرقاوان لامعتان.
قال بازي رانيكو بصوت صارم: «كلّ شيء في هذا الأمر يشعرني بالتعاسة، ولكنّ قائدي الضابط صديق مديرك... ويبدو أنّ ذلك كان كافيًا».
«أعوّل على الحصول على إذن المدّعي العامّ ونحن في طريقنا».
«فور حصولك عليه، سأتّصل بسفينة خفر السواحل 'إف إن إس هانكو' التي تُستَخدم في الهجوم السريع، المزوّدة بعشرين شرطيًا وسبعة متدرّبين في الخدمة الوطنيّة».

أشار إلى دوريّة الهجوم على الرادار.

«قد تصل سرعتها إلى خمس وثلاثين عقدة؛ أي أنّها قد تستغرق أقلّ من عشرين دقيقة للّحاق بنا».

«جيّد»، ردّ جونا.

«تجاوز يخت غويدي جزيرة 'هيوما' وما زال بالقرب من ساحل 'إستونيا' كما أرجّح. أتمنّى أنّك تعرف أنّه لا يمكننا الإبحار بالزورق داخل المياه الإستونيّة، إلّا إذا كان أمرًا طارئًا أو في حالة ممارسة نشاط إجراميّ».

«أجل»، ردّ جونا.

قال بازي بسخرية: «وها هو الطاقم بأكمله!».

صعد رجل ضخم له لحية شقراء على الجسر. قدّم مساعد القبطان الوحيد نفسه على أنّه: «نيكو كابانين على اسم لاعب هوكي الجليد». حدّق إلى جونا، ثمّ حكّ لحيته، وسأل: «إذن، ما الاتّهامات الموجّهة لـغويدي؟».

«الخطف، وقتل مدنيّين، وقتل رجال شرطة، وتهريب سلاح».

«وترسل السويد فقط ضابط شرطة واحدًا؟».

ابتسم جونا وهو يقول: «أجل».

«ونحن نساهم بزورق قديم غير مسلّح».

تدخّل بازي بنبرة رتيبة: «مع إشارة المدّعي العامّ، ستكون معنا كتيبة كاملة تقريبًا. سأتّصل بأورهو سارينين على متن 'هانكو' وسيلحق بنا في غضون عشرين دقيقة».

«ماذا عن التفتيش؟ هل يحقّ لنا إجراء التفتيش؟»، سأل نيكو.

«ليس في المياه الإستونيّة»، أجاب بازي.

تمتم نيكو: «اللعنة!».

فقال جونا: «ستكون الأمور على ما يرام».

102

استلقى أكسيل بكامل ملابسه على سرير الجناح ذي الغرف الخمس الذي مُنح له. إلى جانبه مجلّد بالتفاصيل الخاصّة بمتبرّع الكبد، وهو رجل في غيبوبة بعد جراحة فاشلة. كلّ نتائج التحاليل ممتازة، وتتطابق أنسجة المتبرّع معه تمامًا.

حدّق أكسيل إلى السقف، وشعر بأنّ قلبه يرفرف بين ضلوعه. لكنّه قفز من مكانه عندما سمع طَرْقًا مفاجئًا على الباب. إنّه الرجل ذو الزيّ الأبيض الذي التقى به بعد هبوط المروحيّة.

قال باقتضاب: «العشاء».

سارا معًا عبر منطقة «السبا». كانت، مثل باقي اليخت، في حالة من التلف، ما زاد من انزعاج أكسيل. لاحظ أنّ الأحواض الخضراء الكبيرة الموضوعة على السطح مليئة بالزجاجات الفارغة وعبوات البيرة. هناك مناشف مغلّفة بالبلاستيك على الرفوف الرخاميّة البيضاء الأنيقة على الجدران. رأى صالة ألعاب رياضيّة خلف جدران من الزجاج المحجّر. من دون صوت، فُتح باب مزدوج مصنوع من شرائح معدنيّة عندما مرّا بمنطقة «السبا». الغرفة مغمورة بأضواء ناعمة تلقي بظلالها المراوغة على الجدران والأرضيّة. نظر أكسيل إلى أعلى، وأدرك أنّهما تحت المسبح. ظهرت السماء الشاحبة عبر قاع المسبح المصنوع من الزجاج، متسلّلة من بين القمامة والأثاث المكسور.

جلس رافاييل غويدي على الأريكة مرتديًا السروال الرياضيّ نفسه، وقميصًا أبيض ضيّقًا عند البطن. ربّت على المقعد الذي بجانبه، مشيرًا إلى أكسيل ليجلس عليه. وقف الحارسان الشخصيّان خلف غويدي مثل ظلّين. لم يتكلّم أحد. رنّ هاتف غويدي، فأجاب، ودخل في محادثة طويلة.

بعد هنيهة، عاد الرجل ذو الزيّ الأبيض بصينيّة تقديم. أعدّ الطاولة في صمت، ووضع عليها الأطباق والكؤوس، وطبقًا كبيرًا من الهامبرغر المقليّ والخبز والبطاطا، مع زجاجة كاتشب وزجاجة بيبسي بلاستيكيّة كبيرة.

لم يرفع رافاييل نظره، بل واصل مكالمته الهاتفيّة. كان يناقش تفاصيل معدّلات الإنتاج وأمورًا لوجستيّة بنبرة حياديّة. بعد خمس عشرة دقيقة، أنهى رافاييل المكالمة، ونظر بهدوء إلى أكسيل. ثمّ بدأ يتحدّث برفق ولطف.

قال: «ربّما ترغب في كأس نبيذ؟ يمكنكَ الحصول على كبد جديد خلال يومين».

ردّ أكسيل: «لقد قرأت البيانات الخاصّة بالمتبرّع عدّة مرّات. إنّه مثاليّ! أنا منبهر بذلك. تتوافق الأمور كافّة...».

«الأمنيات من الأمور المثيرة للاهتمام. الأشياء التي يتمنّاها المرء أكثر من أيّ شيء آخر. أتمنّى لو أنّ زوجتي على قيد الحياة، وتعيش معي».

أومأ أكسيل برأسه.

أضاف رافاييل: «ومع ذلك، ترتبط الأمنيات بالنسبة لي ارتباطًا وثيقًا بنقيضها».

وضع بنفسه قطعة هامبرغر وبعض البطاطا المقليّة، ثمّ مرّر الطبق إلى أكسيل. وتابع: «توازن أمنية على إحدى كفّتي الميزان كابوسًا على الكفّة الأخرى».

«كابوس؟».

«أقصد فقط... بينما نمضي في حياتنا، ننغمس في أنواع التفاهات كافّة. نحلم بأمنيات لا ننجزها أبدًا، وكوابيس لا تصير حقيقة إطلاقًا».

ردّ أكسيل وهو يتناول جزءًا من قطعة الهامبرغر: «ربّما».

«أمنيتك- أن تستطيع النوم مجدّدًا- يمكن تحقيقها، ولكن... أتساءل كيف يبدو كابوسك، يا ترى؟».

ابتسم أكسيل وهو يجيبه: «لا أعرف حقًّا».

سأل غويدي وهو يضيف الملح إلى البطاطا المقليّة: «ما الذي يُخيفكَ؟».

«المرض، الموت... الألم».

«الألم بالطبع! أتفق معك. ولكن عن نفسي، بدأتُ أدرك أنّ الأمر كلّه يتعلّق بابني. صار إنسانًا بالغًا الآن، وبدأت أشعر بالقلق من أن ينتقل من المنزل ويتركني».

«الوحدة؟».

أجاب رافاييل: «أجل، أعتقد ذلك؛ ربّما تكون الوحدة المفجعة هي كابوسي».

ابتسم أكسيل مجدّدًا وهو يردّ عليه: «أنا وحيد. لقد مررت بالأسوأ فعليًا».

قال غويدي مازحًا: «لا تقل ذلك».

«حسنًا! أنا كذلك، ولكنّ فكرة حدوث الأمر مرّة أخرى...».

«ماذا تقصد؟».

«لا تكترث. لا أرغب في التحدّث عن الأمر».

قال غويدي ببطء: «تقصد أن تكون سببًا في انتحار فتاة أخرى؟».

«أجل».

«من التي ستقتل نفسها؟».

رأى أكسيل أنّ الشيء الذي وضعه غويدي أمامه على الطاولة عبارة عن صورة مقلوبة. مدّ يده من دون أن تكون لديه الرغبة في فعل ذلك. لكنّ أصابعه ارتجفت عندما قلب الصورة على ظهرها.

همس باسم بيڤرلي، ثمّ أزاح يده بعيدًا، وراح يلهث. كانت الصورة تحمل تعبيراتها المحيّرة التي نجح وميض الكاميرا في التقاطها. حدّق إلى الصورة، وحاول فهم ما يحدث. أدرك أنّ المقصود من وراء ذلك هو تهديده، لأنّ الصورة التُقِطت قبل عدّة أيّام، من داخل منزله، في المطبخ، حين كانت بيڤرلي تحاول عزف الكمان.

103

بعد مُضيّ ساعتين على متن المركب، لمح جونا لأوّل مرّة يخت غويدي الفاخر، الذي كان يتهادى برشاقة في الأفق. بدا وكأنّه مصنوع من الكريستال وهو يتلألأ في ضوء الشمس الساطع.

انضمّ بازي إلى جونا، وأشار إلى اليخت الضخم. ثمّ سأل بإيجاز: «إلى أيّ مدى نقترب؟».

نظر إليه، وقال بهدوء: «بشكل كافٍ لرؤية ما يحدث على متنه. أحتاج إلى...».

شعر جونا بالألم في صدغيه، واستند إلى السور، ثمّ حاول أن يتنفّس ببطء.

«ما الأمر؟ دوار البحر؟»، سأل بازي.

أجاب جونا: «لا داعي للقلق».

هاجمه الألم مرّة أخرى، ولم يستطع إلّا البقاء في وضع مستقيم. رغم ذلك، كان يعرف أنّه لا يستطيع تناول الدواء لأنّه قد يُفقده تركيزه.

شعر جونا بالرياح الباردة تلطّف من حرارة قطرات العرق التي تعلو جبهته. سطعت الشمس على سطح المياه، وفي تلك اللحظة تراءى له «تاج الزفاف السابميّ»، وهو يتلألأ داخل صندوق العرض في «متحف الشمال»، برؤوسه المتعانقة التي تشعّ برقّة. فكّر في عبير الزهور البرّيّة، وكنيسة مزيّنة لحفل زفاف صيفيّ، وأخذ قلبه يخفق بسرعة حتّى أنّه في البداية لم يدرك أنّ القبطان يسأله: «ماذا تقصد؟».

نظر بارتباك إلى بازي، ثمّ إلى اليخت الأبيض الكبير.

104

لم يستطع أكسيل تناول مزيد من الطعام. شعر بالإعياء. ظلّت عيناه مشدودتين إلى صورة بيفرلي.

غمّس رافاييل البطاطا المقليّة في بعض الكاتشب على أحد جوانب طبقه.

تلك اللحظة، رأى أكسيل فتىً يقف عند مدخل الغرفة يشاهدهما، وقد بدا عليه الإرهاق والقلق. كان يحمل هاتفًا خليويًّا في يده.

ناداه رافاييل: «پيتر! تعالَ إلى هنا!».

فقال الشابّ بضعف: «لا أريد».

قال غويدي بغضب: «هذا ليس طلبًا!».

اقترب الشابّ، وألقى التحيّة بخجل على أكسيل.

شرح رافاييل كأنّ الأمر عشاء عاديّ جدًّا: «هذا ابني».

«مرحبًا»، قال أكسيل.

وقف الرجل الذي كان يجلس بجوار كابتن المروحيّة إلى جانب البار، وهو يلقي الفول السودانيّ إلى كلب أشعث كبير.

قال پيتر: «المكسّرات ليست جيّدة له».

سأل غويدي وقد بدا على صوته التعب المفاجئ: «هل بوسعك إحضار الكمان بعد العشاء؟ ضيفنا يحبّ الموسيقى».

أومأ پيتر برأسه. بدا شاحبًا متعرّقًا، تميل الهالات حول عينيه إلى اللون الأرجوانيّ تقريبًا.

أجبر أكسيل نفسه على التبسّم: «ما نوع الكمان الذي تملكه؟».

هزّ پيتر كتفيه متحيّرًا: «نوعه 'أماتي'... إنّه جيّد بالنسبة لي. كانت أمّي موسيقيّة، وقد كانت تعزف عليه».

كرّر أكسيل كلمة «أماتي» بلهجة استفهام.

سأل رافاييل: «أيّهما أفضل 'أماتي' أم 'ستراديڤاريوس' برأيك؟».

ردّ أكسيل: «يتوقّف الأمر على العازف».

قال رافاييل: «أنت سويديّ؛ في السويد أربع آلات كمان 'ستراديڤاريوس'، ولكنّ باغانيني لم يعزف على أيّ منها».

قال أكسيل: «هذا صحيح تقريبًا».

«أجمع الآلات الوتريّة التي ما زالت تحيي ذكرى... لا، دعني أقلها بشكل آخر. إذا تعاملتَ مع هذه الآلات معاملة صحيحة، ستتمكن من سماع شوق روح ضائعة».

قال أكسيل: «ربّما».

تابع غويدي وهو يرسم على وجهه ابتسامة زائفة: «من شروط العمل معي تقديم تذكير بهذا الشوق عندما أوشك على توقيع عقد. أجمع الأطراف المعنيّة كافة، ونستمع إلى موسيقى- إلى هذه النغمة الفريدة الحزينة- ثمّ نوقّع عقدًا، وتكون أمنياتنا وكوابيسنا على المحكّ... هذا هو 'عقد باغانيني' ببساطة».

«فهمت».

«حقًّا؟»، سأل رافاييل، «لا يمكن فسخه، حتّى في حالة الموت. سيحصد أيّ شخص يحاول خرق الشروط أو قتل نفسه ثمار أسوأ كابوس له».

«ماذا تريد أن تقول؟»، سأل أكسيل.

«أقول فقط إنّه ليس من نوع العقود التي تُفسَخ، وأنا... كيف يمكنني أن أفسّر ذلك؟ لا أعرف كيف سيفيد الأمر مشاريعي إذا أخطأتَ وظننتني رجلًا طيّبًا».

شغّل غويدي التلفزيون الكبير المعلّق على الحائط. ثم أخرج أسطوانة من جيبه وضعها داخل مشغّل أقراص الفيديو الرقميّة. جلس پيتر على حافّة إحدى الأرائك، ونظر بارتباك إلى الرجال الموجودين في الغرفة. لم يكن يشبه أباه في أيّ شيء: كان شعره ناعمًا، وملامحه حسّاسة، ولم يكن عريض المنكبين، ولا مكتنز الجسم، بل كان طويل الأطراف.

أومضت الشاشة ثمّ ظهرت عليها خطوط رماديّة، فشعر أكسيل بالفزع، وتملّك الخوف منه، عندما رأى ثلاثة أشخاص يخرجون من باب ڤيلا مشيّدة بالطوب. تعرّف على الفور على اثنين منهم: المحقّق جونا لينا

وسوغا باوِر، وكانت الشخصيّة الثالثة امرأة شابّة يبدو على ملامحها أنّها من أميركا اللاتينيّة.

نظر أكسيل إلى الشاشة، وشاهد جونا وهو يُخرج هاتفه ويجري مكالمة، ولكن يبدو أنّه لم يتلقّ ردًّا، ثمّ ركب الثلاثة الذين بدا عليهم القلق والتوتّر سيّارة، وانطلقوا بها بعيدًا.

تحرّكت الكاميرا ببطء نحو الباب الذي فُتح، وأصبحت الشاشة مظلمة للحظات نتيجة تغيّر الضوء، حتّى ضُبِطت العدسة. ظهرت حقيبتان كبيرتان عند المدخل. واصلت الكاميرا الحركة إلى المطبخ، ثمّ أسفل الدرج، بامتداد ردهة مكسوّة بالبلاط، ومنها إلى غرفة كبيرة فيها مسبح. جلست سيّدة ترتدي ثوب سباحة على كرسي الاستجمام، فيما كانت سيّدة أخرى بتسريحة شعر صبيانيّة تتحدّث في الهاتف.

عادت الكاميرا إلى الوراء بسرعة، وانتظرت حتّى تُنهي السيّدة مكالمتها، ثمّ تحرّكت إلى الأمام مجدّدًا. سُمِعت خطى، وأدارت السيّدة التي معها الهاتف وجهها نحو الكاميرا، ثمّ تصلّبت. ملأت تعبيرات الفزع المطلق وجهها.

قال پيتر بصوت رفيع: «لا أظنّ أنّني أريد مشاهدة المزيد يا أبي».

ردّ رافاييل: «لقد بدأ للتوّ».

اسودّت الشاشة فجأة بعد إيقاف تشغيل الكاميرا. وعندما عادت الصورة التي تومض في أثناء استقرار مستوى الضوء، كانت الكاميرا مثبّتة على حامل، فيما تجلس السيّدتان جنبًا إلى جنب على الأرض وظهرَيْهما مقابل الجدار المكسوّ بالبلاط. على كرسيّ قبالتهما يجلس پونتوس سلمان. كان يتنفّس بسرعة، وجسده يرتجف بشدّة على الكرسيّ.

الساعة على جانب الشاشة تشير إلى أنّ التسجيل قد أُجرِي فقط منذ ساعة.

سار رجل متّشح بالسواد، يرتدي «بالاكلافا» إلى السيّدة ذات الشعر القصير، وأمسك برقبتها، ودفع وجهها إلى الكاميرا.

قال غويدي بصوت رفيع مزعج: «آسفة، آسفة، آسفة!».
نظر أكسيل إليه متسائلًا، ثمّ سمع صوت المرأة: «آسفة، آسفة، آسفة!».
خرج صوتها مختنقًا من الرعب. وقال غويدي بصوت رفيع مزعج وهو يشير إلى التلفزيون: «لم تكن عندي فكرة».
أخذت السيّدة تتوسّل: «لم تكن عندي فكرة. التقطتُ الصورة، ولكنّني لم أقصد أيّ أذى. لم أعرف أنّها ستكون... اعتقدت فقط...».
وجّه الرجل الذي يرتدي «بالاكلافا» كلامه إلى پونتوس: «عليكَ أن تختار على ركبة مَن أطلق النار... زوجتكَ أم أختكَ؟».
همس پونتوس: «من فضلكَ، لا تفعل ذلك».
كرّر الرجل: «على مَن أطلق النار؟».
أجاب پونتوس بصوت خافت لا يكاد يُسمَع: «زوجتي».
فتوسّلت زوجته إليه: «رجاءً يا پونتوس، لا تجعله يفعل ذلك!».
بدأ پونتوس يبكي وجسده يرتجف من شدّة الانتحاب.
حذّر الرجل: «سيكون الأمر مؤلمًا إذا أطلقتُ عليها النار».
فصرخت في ذعر: «لا تجعله يفعل ذلك!».
قال الرجل: «هل غيّرتَ رأيكَ؟ هل أطلق النار على أختكَ بدلًا منها؟».
«لا»، ردّ پونتوس.
«اطلب منّي».
فسأل پونتوس في ذهول: «ماذا؟».
«اطلب منّي بلطف أن أفعل ذلك».
حلّ الصمت، ثمّ سُمع أكسيل پونتوس وهو يقول: «من فضلكَ... أطلق النار على ركبة زوجتي».
قال الرجل وهو يوجّه مسدّسه نحو ساق الزوجة: «لأنكَ طلبتَ ذلك منّي بمنتهى اللطف، سأطلق النار على ركبتَيها».

توسّلت الزوجة مرّة أخرى وهي تبكي: «رجاءً يا پونتوس، لا تجعله يفعل ذلك!».

أطلق الرجل النار، وسُمِع صوت انفجار، وأخذت ساقها تهتزّ بشدّة. تدفّقت الدماء على البلاط. صرخت المرأة بأعلى صوت حتّى أنّ صوتها تقطّع. ثمّ أطلق الرجل النار مرّة أخرى. جعل الارتدادُ فوّهة المسدّس تقفز إلى أعلى. التوت ساقها الثانية بزاوية مستحيلة.

صرخت زوجة پونتوس مرّة أخرى بصوت مبحوح لا يشبه الصوت البشري. ارتجف جسدها من الألم، وانتشرت الدماء على الرخام تحتها.

تقيّأ پونتوس أمام أنظار الرجل.

مالت الزوجة على جانبها وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة، وتحاول أن تمسك ساقيها بيديها. بدت السيّدة الأخرى مصدومة. كان وجهها شاحبًا، وعيناها مثل ثقبين أسودين كبيرين.

سأل الرجل بفضول: «أختكَ مريضة عقليًا، أليس كذلك؟ هل تعتقد أنّها تعرف ماذا يجري؟».

ربّت الرجل على رأس پونتوس كأنما يواسيه، ثمّ سأله: «هل أغتصب أختكَ أم أطلق النار على زوجتكَ؟».

لم يُجب پونتوس. بدا كأنّه سيموت- راحت عيناه تدوران في محجريهما- إلّا أنّ الرجل صفعه، وقال: «أجبني! هل أطلق النار على زوجتكَ أم أغتصب أختكَ؟».

هزّت أخت پونتوس سلمان رأسها بالرفض.

همست زوجته وسط أنفاس متقطّعة: «اغتصبها! من فضلك يا پونتوس، من فضلك قل له أن يغتصبها».

همس پونتوس: «اغتصبها».

«ماذا؟».

«اغتصب أختي».

قال الرجل: «حسنًا، سأفعل».

نظر أكسيل بين قدميه. حاول ألّا يسمع الأنين والتوّسل والصرخات المفزعة التي تُبثّ عبر التلفزيون. كما حاول أن يملأ رأسه بذكريات الموسيقى، واستحضار أعمال باخ المليئة بالأضواء المشرقة.

وأخيرًا، صمت التلفزيون. نظر أكسيل إلى الشاشة. رأى جثّتي المرأتين ممدّدتين مقابل الحائط. تنفّس الرجل الذي يرتدي «بالاكلافا» بصعوبة، وهو يحمل سكّينًا بيده ومسدّسًا بيده الأخرى.

قال وهو يرمي المسدّس إلى بونتوس، ويسير إلى خلف الكاميرا: «لقد أصبح الكابوس حقيقة. الآن، يمكنكَ أن تقتل نفسكَ».

105

سارت سوغا بعيدًا عن ماغدالينا، وتجاوزت الحاجز الأمنيّ. صار الحشد أكبر الآن، ووصلت عربة كبيرة من التلفزيون السويديّ. حاول شرطيّ دفع الناس إلى التحرّك حتّى تتمكّن سيّارة الإسعاف من الدخول.

تركت سوغا كلّ ذلك وراءها، والتفّت عند رصيفٍ إلى حديقة أحدهم. ركضت في مرجة نحو السيّارة.

تذكّرت قول جونا فجأة على الهاتف: «الفتاة! حاولي العثور عليها».

ظلّ هادئًا لفترة وجيزة قبل أن يعاود الحديث: «ثمّة فتاة في منزل أكسيل يدعوها بيڤرلي، تبدو في السابعة عشرة من عمرها. تواصلي مع شقيقه روبرت، علينا الوصول إليها».

«كم من الوقت سيستغرق الأمر لإقناع المدّعي العامّ بذلك؟».

أجاب جونا: «ليس كثيرًا، ولكنّك ستفعلين هذا».

حاولت سوغا الاتّصال بأكسيل أثناء القيادة في ستوكهولم، ولكنّها لم تتلقّ إجابة. فاتّصلت برقم «إدارة مكافحة الجرائم الوطنيّة» الرئيس، وطلبت توصيلها بآنيا، مساعدة جونا.

بعد نصف رنّة، أجاب صوت: «آنيا لارشون».
«مرحبًا. أنا سوغا باوِر من شرطة الأمن. لقد التقينا من قبل في...».
أجابت آنيا ببرود: «أعرف ذلك».
«هل بإمكانكِ تعقّب فتاة، ربّما يكون اسمها بيڤرلي، و...».
«هل أرسل إلى 'شرطة الأمن' فاتورة هذا الطلب؟».
«افعلي ما شئتِ ما دمتِ ستعطينني رقم الهاتف اللعين».
«انتبهي لكلامكِ أيّتها الشابّة!».
«إنسي أنّني طلبته»، صرخت سوغا وأطلقت بوق سيّارتها منبّهة سيّارة أخرى توقّفت في الضوء الأخضر.
كادت تنهي المكالمة عندما قالت آنيا: «كم عمرها؟».
«تقريبًا سبعة عشر عامًا».
«ثمّة بيڤرلي آندرشون في هذا العمر، ولكن ليس عندها رقم هاتف مُسجّل... غير أنّها مدرجة تحت عنوان والدها إيڤرت آندرشون».
«حسنًا، سأتّصل به. هل يمكنكِ إرساله في رسالة نصّيّة؟».
«أرسلته بالفعل».
«شكرًا... أشكركِ يا آنيا. آسفة، لقد نفد صبري. أنا خائفة من أن يقوم جونا بعمل غبيّ إذا لم يصله الدعم».
«هل تحدثتِ إليه؟».
«طلب منّي بإصرار البحث عن الفتاة. وأنا لم أقابلها قطّ.
قالت آنيا قبل أن تُنهي المكالمة: «اتّصلي بوالدها، وسأستمرّ أنا في البحث».
توقّفت سوغا على جانب الطريق، واتّصلت بالرقم الذي أرسلته آنيا.

في مطبخ وسط مقاطعة «سْكونِه»، فزِع رجل عندما رنّ هاتفه. لقد قضى أكثر من ساعة بالفعل وهو يحاول أن ينقذ إحدى البقرات الصغيرات التي ألقت بنفسها على سياج أسلاك الجيران الشائكة. ثمّة دماء على أصابع إيڤرت آندرشون وعلى «الأوڤرول» الأزرق الذي كان يرتديه.

لم تكن أصابعه المتّسخة الأمر الوحيد الذي يمنعه من الردّ على الهاتف، فهو لا يرغب في التحدّث مع أحد الآن. مال على الهاتف ونظر إلى الشاشة، ورأى أنّ الرقم محجوب. ربّما كان اتّصالًا تسويقيًّا.

توقّف الهاتف عن الرنين للحظات. لكنّه عاد مرّة أخرى. نظر مجدّدًا إلى الشاشة، وأخيرًا أجاب: «آندرشون».

سمع على الهاتف صوتًا أنثويًّا مضطربًا يقول: «مرحبًا. أنا سوغا باوِر، ضابطة ومحقّقة في 'شرطة الأمن'... أحاول الاتّصال بابنتكَ بيڤرلي آندرشون».

«ماذا حدث؟».

«لم تفعل شيئًا، ولكنّنا نثق في أنّها تعرف معلومات مهمّة قد تساعدنا».

ردّ بوهن: «هي الآن مفقودة؟».

«اعتقدتُ أنّه قد يكون لديكَ رقم هاتف يوصلني بها».

كم تخيّل إيڤرت ابنته وريثة له. تدير عمل العائلة، وتأخذ على عاتقها شؤون المنزل والحظائر والمكاتب والحقول. تخيّلها تسير في المزرعة بالطريقة نفسها التي سلكتها والدتها وهي ترتدي معطف جلد الغنم، وتتدلّى جديلة شعرها فوق إحدى كتفيها. ولكن، حتّى وهي طفلة صغيرة، كان ثمّة شيء مختلف في بيڤرلي، شيء يخيفه.

عندما كبرت، صارت غريبة أكثر فأكثر. ذات مرّة، عندما كانت في الثامنة من عمرها، أو ربّما في التاسعة، ذهب إلى إحدى الحظائر، فوجدها تجلس على دلو مقلوب داخل قفص فارغ، تغنّي لنفسها وعيناها مغمضتان. كانت غارقة في صوت غنائها، فأوشك أن يصرخ بها لتكفّ عن هذه السخافة،

ولكنّ التعبيرات المبهجة على وجهها أربكته. ومنذ تلك اللحظة، عرف أنّ ثمّة شيئًا بداخلها لا يفهمه أبدًا. كفّ عن الحديث معها. وكلّما حاول التحدّث معها، اختفت كلماته.

حين فارقت والدتها الحياة، خيّم الصمت على المزرعة.

بدأت بيڤرلي تهيم على وجهها. كانت تغيب لساعات، وحتى لأيام. أعادتها الشرطة مرارًا إلى منزلها. كانت تذهب إلى أيّ مكان مع أيّ شخص يتحدّث معها بلطف.

لذا قال الرجل بطريقة فظّة سخيفة، بلكنة مقاطعة «سْكونه»: «لا أريد أن أقول لها شيئًا، فلماذا يكون لديّ رقم هاتفها؟».

«هل أنتَ متأكّد أنّكَ...».

ردّ بتذمّر قبل أن يُغلق خطّ الهاتف: «هذا ليس من الأشياء التي يفهمها أهل ستوكهولم».

نظر إلى أصابعه، ورأى الدماء على مفاصلها، والأوساخ تحت أظافره وحولها، في كلّ شقّ وتجعيدة. مشى نحو الكرسيّ الأخضر، وسحب الملحق الترفيهيّ من الجريدة المسائيّة، وبدأ يتصفّحه: سيُبثّ تكريم للإعلاميّ الراحل أوسيان ڤالنباري. سقطت الجريدة من يده وفاجأته دموعه، إذ تذكّر كيف اعتادت بيڤرلي الجلوس إلى جواره على الأريكة وهي تشاهد برنامج «الجمعة الذهبيّة».

107

راحت سوغا تكيل اللعنات بصوتٍ عالٍ وهي تحدّث نفسها. أغلقت عينيها وأخذت تضرب بيدها على مقود السيّارة عدّة مرّات. قالت لنفسها ببطء إنّها تحتاج إلى التركيز، لتجد طريقة حلّ المسألة قبل فوات الأوان. غرقت في التفكير حتّى أنّها فُزِعت عندما رنّ هاتفها.

قالت آنيا: «سأوصلك بهربرت ساكسيوس، في مشفى القلب المقدّس. فهو تولّى رعاية بيڤرلي خلال عامي إقامتها في المشفى».

وأوصلتها بالخطّ الآخر.

انتظرت سوغا على الهاتف وهو يرنّ قبل أن يردّ صوت دافئ: «مرحبًا. هربرت يتحدّث».

«مرحبًا، اسمي سوغا باوِر، وأعمل ضابطة ومحقّقة في 'شرطة الأمن'. أحتاج إلى التواصل مع فتاة كانت إحدى مريضاتك، وتدعى بيڤرلي آندرشون».

ساد الهدوء للحظات، قبل أن يسأل الطبيب: «هل هي بخير؟».

ردّت سوغا: «لا أعرف. أحتاج إلى التحدّث معها. الأمر ضروريّ».

«إنّها تقيم مع أكسيل ريسين. إنّه الوصيّ غير الرسميّ عليها».

سألت سوغا وهي تشغّل السيّارة: «إذن، هي تعيش هناك؟».

«يسمح أكسيل لها بالإقامة معه حتّى تعثر على مكان خاصّ بها. إنّها في السابعة عشرة من عمرها، ولكن من الخطأ محاولة إجبارها على الرجوع إلى المنزل».

كانت حركة المرور خفيفة نسبيًّا، ما سمح لسوغا أن تقود بسرعة.

سألت: «هل يمكنكَ إخباري عن مرض بيڤرلي آندرشون؟».

أخذ الطبيب نفسًا عميقًا، ثمّ قال بصوته العميق الودود: «بصفتي طبيبها، يمكنني القول إنّها كانت تعاني من اضطراب خطير في الشخصيّة اسمه 'كلستر بي' عندما أتت إلى هنا لأوّل مرّة».

«وماذا يعني ذلك؟».

تنحنح الطبيب، ثمّ أجاب: «لا شيء! إذا كنتِ تسألينني بصفتي إنسانًا، سأقول لك إنّ بيڤرلي بصحّة؛ ربّما وأكثر صحّة من معظم الناس. أعرف أنّ الأمر يبدو سخيفًا، ولكنّها ليست المريضة، بل إنه العالم».

شكرته وأنهت المكالمة وهي تنعطف إلى «ڤالهالا بوليڤارد». رنّ

هاتفها وهي تزيد السرعة فقالت آنيا: «فكّرتُ في أن أتحدّث مع والد بيڤرلي أيضًا. إنّه رجل لطيف، ولكن يومه كان صعبًا، إذ كان يرعى بقرة مصابة. لقد كانت عائلته دائمًا تعيش في هذا المكان، وهو الآن بمفرده في المزرعة. وقد تحدّثنا عن 'مغامرات نيلس الرائعة' وفي النهاية، أحضر لي بعض الخطابات التي أرسلتها ابنته إليه، والتي لم يفتحها حتّى الآن. يا له من رجل عنيد! كتبت بيڤرلي رقم هاتفها في كلّ خطاب كانت ترسله».

شكرتها سوغا عدّة مرّات، ثمّ طلبت الرقم. توقّفت خارج منزل أكسيل وروبرت، بينما الهاتف يرنّ.

لكنّ الرنّات المتتالية تلاشت من دون إجابة. شعرت سوغا بأنّ جسدها يرتجف من الإجهاد. فهي في سباق مع الوقت. سينتهي الأمر بجونا وحيدًا تمامًا حين يواجه غويدي.

فيما الهاتف على أذنها، سارت إلى باب روبرت، ورنّت الجرس. سمعت فجأة نقرة على الهاتف، وصوتًا خافتًا غير واضح.

قالت: «بيڤرلي! هل هذه أنتِ؟».

سمعت صوت أنفاس.

قالت سوغا بألطف طريقة ممكنة: «أجيبيني يا بيڤرلي، أين أنتِ؟».

«أنا...».

حلّ الهدوء على الخطّ مجدّدًا.

«ماذا قلتِ؟ ماذا قلتِ يا بيڤرلي؟ لم أستطع سماعكِ».

همست الفتاة قبل أن تنهي المكالمة: «لا يمكنني الخروج».

***

صامتًا وشاحبًا، ترك روبرت سوغا في غرفة بيڤرلي، بعد أن طلب منها أن تغلقها وراءها وهي مغادرة. بدت الغرفة غير مأهولة تقريبًا؛ لم يكن فيها سوى بعض الأغراض الأساسيّة من الملابس، وزوج من الأحذية، وسترة، وشاحن هاتف.

أغلقت سوغا الباب وراءها، ثمّ ذهبت إلى شقّة أكسيل كي تفهم ما يقصده جونا بقدرة الفتاة على الشهادة. مرّت بالغرف التي يسودها الصمت. رأت باب غرفة نوم أكسيل مفتوحًا جزئيًا. سارت إلى جانب السرير، ثمّ إلى الحمّام الملحق بها، بعد ذلك، عادت إلى غرفة النوم. شيء ما جعل حواسها تتأهّب. شعرت بالقلق يسيطر على جوّ الغرفة. وضعت يدها على مسدّس «غلوك» المعلّق بكتفها. على الطاولة كأس ويسكي مع بقايا زهرة هندباء ذابلة.

تحرّك الغبار ببطء تحت ضوء الشمس. بدأ قلبها يخفق بشكل أسرع. ذهبت لتلقي نظرة على السرير غير المرتّب.

خُيّل إليها أنّها سمعت وقع خطوات حذرة في المكتبة، وكانت على وشك التسلّل إلى هذا الاتّجاه حين جذبت يد كاحلها. ثمّة أحد تحت السرير. سحبت قدمها، وأخرجت مسدّسها، واصطدمت بطريق الخطأ بالطاولة التي تحمل الكأس.

ركعت سوغا، ورفعت المسدّس، ولكنّها سرعان ما أنزلته مجدّدًا.

في الظلام الحالك تحت السرير، كانت فتاة تنظر إليها بعينين واسعتين خائفتين. أعادت سوغا مسدّسها إلى حافظته، ثمّ تنفّست الصعداء.

سألت سوغا: «بيفرلي؟».

«هل يمكنني الخروج الآن؟».

أجابت سوغا بهدوء: «أقسم لكِ أنّه يمكنكِ الخروج الآن».

«هل مضت ساعة؟ طلب منّي أكسيل ألّا أخرج قبل ساعة».

«مرّت أكثر من ساعة يا بيفرلي».

ساعدتها على الخروج، وقد بدا جسدها متصلّبًا من البقاء في هذا الوضع لفترة طويلة. رأت شعرها قصيرًا للغاية، وذراعاها مغطّاتين بالرسومات.

سألتها سوغا وهي تحاول الحفاظ على نبرة صوتها: «ماذا كنتِ تفعلين تحت سرير أكسيل؟».

«إنّه صديقي المقرّب»، أجابت بيڤرلي.

«أعتقد أنّه في خطر. لا بدّ من أن تخبريني بما تعرفينه».

احمرّ وجهها، واغرورقت عيناها بالدموع، وبدأ فمها يرتعش وهي تقول: «أنا لم أفعل...».

قاطعتها سوغا وهي تحاول كبح التوتّر الذي في صوتها: «لا تنزعجي!».

فقالت بيڤرلي بهدوء: «أدركتُ أنّ شيئًا ما حدث فور وصولي، لأنّ وجه أكسيل كان شاحبًا».

توقّفت، ثمّ أدارت وجهها بعيدًا.

«استمرّي يا بيڤرلي، من فضلك. نحن في عجلة من أمرنا».

همست معتذرة وبعد أن مسحت وجنتيها تابعت وقد غدت أكثر سكونًا: «جاء أكسيل إلى الغرفة، وطلب أن أدخل تحت السرير، وأظلّ مختبئة لساعة كاملة... ثمّ أسرع إلى غرفة المعيشة، ولا أدري ماذا حدث... رأيتُ فقط الأقدام: جاء رجلان من خلفه، وفعلا به شيئًا مفزعًا. صرخ، وألقيا به إلى الأرض، ولفّاه بالبلاستيك الأبيض، ثمّ حملاه إلى الخارج. حدث الأمر بسرعة البرق. لم أرَ وجوههم... ولا أعرف حتّى إذا كانوا...».

قاطعتها سوغا وهي تسحب هاتفها، قائلة: «انتظري لحظة، عليك أن تأتي معي لتخبري رجلًا اسمه ينس سڤانِيالم بهذا الأمر».

اتّصلت سوغا بـكارلوس ويداها ترتعشان من التوتّر، وأخذت تكرّر: «عثرنا على شاهدة رأت أكسيل ريسين وهو يُساق ضدّ إرادته. عثرنا على شاهدة. رأته الشاهدة وهو يُضرَب ويُختطَف. يجب أن يكون ذلك كافيًا!».

نظرت سوغا إلى عينَي بيڤرلي فيما استمعت إلى الردّ.

قالت: «حسنًا، نحن قادمتان. اعثر على سڤانِيالم، وتأكّد من أنّه نسّق الأمر مع مكتب الشرطة الأوروبيّ».

108

عبر غويدي غرفة الطعام وهو يحمل بيده مجلّدًا أسود. وضعه على الطاولة، ودفعه إلى أكسيل.

شرح: «كان كابوس پونتوس سلمان، كما قد خمّنت، هو الاضطرار إلى الاختيار بين زوجته وأخته. لا أعرف. لم يكن من الضروريّ أبدًا أن أصير صريحًا إلى هذه الدرجة من قبل، ولكنّني- كيف يمكنني صياغة ذلك؟- أدركتُ أنّ بعض الناس يتخيّلون أنّهم يستطيعون الهرب من كابوسهم بالموت. لا تُسء فهمي: في معظم الوقت يكون كلّ شيء لطيفًا متحضّرًا تمامًا. أنا رجل كريم مع الأشخاص المخلصين».

«أنت تهدّد بإيذاء بيڤرلي».

«يمكنكَ الاختيار بينها وبين شقيقكَ، إذا كنتَ تفضّل ذلك»، قال رافاييل، وشرب بعضًا من مشروب الطاقة. وبعد أن جفّف زاوية فمه، طلب من پيتر أن يُحضر الكمان.

سأل: «هل أخبرتكَ أنّ لديّ فقط الآلات التي عزف عليها باغانيني بنفسه؟ هذا هو الأمر الذي أعتني به فقط. قيل إنّ باغانيني كان يكره سحنته. أنا شخصيًّا أعتقد أنّه باع روحه إلى الشيطان حتّى يُقدَّس. أطلق اسم 'القرد' على نفسه، ولكن عندما كان يعزف، كانت النساء يلقين بأنفسهنّ أمامه. يستحقّ الأمر هذه التكلفة. أخذ يعزف ويعزف حتّى بدا أنّه يحترق».

نظر أكسيل عبر النوافذ الضخمة إلى المياه الممتدّة. رأى المروحيّة البيضاء التي أقلّته إلى هنا عبر النوافذ الصغيرة المطلّة على مقدّمة اليخت. راحت أفكاره تتنقّل بين الفيلم البشع الذي شاهده وطرق الهروب الممكنة.

شعر بالتعب الشديد وهو جالس يستمع إلى غويدي يتحدّث عن آلات الكمان: تركيز ستراديڤاريوس على النغمات المرتفعة، وصلابة الخشب، والنموّ البطيء لأشجار القيقب والتّوب.

توقّف رافاييل عن الحديث، وابتسم ابتسامة جوفاء مجدّدًا، ثمّ قال: «ما دمتَ مخلصًا، يمكنك الحصول على كلّ شيء–كبد سليم، ونوم عميق غير متقطّع، وحياة كريمة. كلّ ما هو مطلوب ألّا تنسى تعاقدكَ معي».

«كما أنّكَ تحتاج إلى تصريح التصدير الموقّع»، قال أكسيل.

«سأحصل عليه في كلّ للأحوال، لكنّني لا أريد إجباركَ، ولا أريد أن أقتلكَ. هذا من شأنه أن يكون مضيعة للوقت. أنا أريد...».

«ولائي»، استنتج أكسيل.

«هل تعتقد أنّ هذا من الحماقة؟ فكّر لحظة، ثمّ احصر عدد الناس في حياتكَ الذين تعتقد أنّهم مخلصون تمامًا».

ساد الصمت بينهما. حدّق أكسيل إلى لا شيء.

قال رافاييل بحزن: «فكر في هذا».

109

فتح أكسيل المجلّد، ورأى أنّه يحتوي على المستندات اللازمة للسفينة «إم إس آيسلوس» حتّى تُمنَح إذن مغادرة ميناء «غوتنبرغ» بشحنتها من الذخيرة.

الشيء الوحيد الناقص هو توقيعه.

عاد بيتر، ابن رافاييل، إلى الغرفة شاحب الوجه. كان يحمل آلة كمان في غاية الروعة، لونها بنّي يميل إلى الحمرة، مقوّسة القسم العلويّ. لاحظ أكسيل على الفور أنّها من ماركة «أماتي»، وأنّها قطعة معروفة جدًّا من هذا النوع البديع.

قال غويدي بلطف: «أعتقد أنّني أخبرتك عن إيماني بأنّ ثمّة موسيقى معيّنة هي الأنسب لما سنوشك على فعله. إنّه كمان والدته... عزف عليه نيكولو باغانيني منذ زمن بعيد».

قال بيتر: «صُنع في عام 1657». أخرج مفاتيحه وهاتفه الخلويّ من جيبه، ووضعها على الطاولة، قبل أن يرفع الكمان على كتفه.

وضع الفتى القوس على الأوتار، وبدأ العزف بتردّد. تعرّف أكسيل فورًا على النغمات الافتتاحيّة لأشهر أعمال باغانيني، وهي «كابريس رقم 24». اشتهرت بأنّها أصعب معزوفة على آلة الكمان في العالم. عزف الفتى ببطء شديد، كمن يعزف تحت الماء.

قال غويدي بهدوء: «إنّه عقدٌ مجز».

ما زال الجوّ مشرقًا في الخارج، والضوء ينتشر في الغرفة عبر النوافذ الكبيرة.

تذكّر أكسيل لقاءه الأوّل ببيڤرلي، وكيف تسلّلت إلى سريره في المستشفى وهمست: «رأيتُ الضوء هنا؛ أنت متوهّج!».

سأل رافاييل: «هل كان لديكَ الوقت الكافي للتفكير في الأمر؟».

لم يتمكّن أكسيل من النظر إلى عيني غويدي الكئيبتين. نظر إلى أسفل، فيما هو يحمل القلم. سمع دقّات قلبه، وحاول أن يخفي حقيقة أنّه يخفق بسرعة بالغة.

لن يرسم هذه المرّة وجهًا مبتسمًا، ولكنّه سيوقّع باسمه، ويتضرّع إلى ربّه أن يكون رافاييل راضيًا عن ذلك، ويسمح له بالعودة إلى السويد.

شعر أكسيل باهتزاز القلم بيده. استخدم يده الأخرى كي يثبّته، ثمّ أخذ نفسًا عميقًا، ووضع رأس القلم على الخطّ الفارغ في الصفحة.

قال رافاييل: «انتظر! قبل أن توقّع أيّ شيء، أودّ التأكّد من أنّك ستكون مخلصًا».

رفع أكسيل رأسه، والتقت نظراته بنظرات غويدي.

«إذا كنتَ مستعدًّا حقًّا لمواجهة كابوسكَ في حال خرقتَ العقد، فعليكَ إثبات ذلك بتقبيل يدي».

«ماذا؟»، سأل أكسيل.

«هل سنبرم عقدًا؟».

«أجل»، أجاب أكسيل.

قال رافاييل: «قبّل يدي».

تابع ابنه العزف بشكل أبطأ أكثر فأكثر. رغم أنّه حاول التحكّم في أصابعه، وتغيير مواضعها، فإنّه بقي ينفّذ الانتقالات الصعبة بين النغمات بشكل خاطئ. فقد التحكّم في الأمر واستسلم.

قال غويدي من دون النظر إليه: «استمرّ!».

قال الفتى: «الأمر صعب بالنسبة لي. عزفي ليس جيّدًا».

«ليس من النضج يا بيتر أن تستسلم قبل حتّى أن...».

«أعزفها بنفسكَ!»، قال ابنه.

تصلّب وجه رافاييل تمامًا مثل صخرة.

قال وهو يكتم غيظه: «افعل ما أقوله».

وقف الفتى ثابتًا في مكانه، ونظر إلى الأرض. فقال رافاييل متصنّع هادئ: «أعتقد أنّ عزفكَ جيّد يا بيتر».

همس أكسيل: «فرس الكمان ملتوٍ».

نظر بيتر إلى الكمان، واحمرّ وجهه، ثمّ سأل: «هل يمكن إصلاحه؟».

أجاب أكسيل: «تعديله سهل. يمكنني القيام بذلك إذا أردتَ».

سأل غويدي: «هل سيستغرق الأمر وقتًا طويلًا».

أجاب أكسيل: «لا».

وضع القلم، وأخذ الكمان ثمّ قلبه، وشعر كم هو خفيف. لم يحمل أبدًا كمانًا أصليًّا من صنع «أماتي» من قبل، وبالتأكيد لم يمسك أبدًا واحدًا عزف عليه باغانيني.

رنّ هاتف رافاييل فأخرجه ونظر إلى الشاشة ثمّ تحرّك بعيدًا وهو ينصت إلى أحدهم على الجانب الآخر.

قال رافاييل وعلى وجهه تعبير مستغرب: «لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا».

ارتسمت ابتسامة غريبة على شفتيه. ثمّ قال شيئًا ما بصوت أجشّ إلى الحرّاس الشخصيّين، فغادروا غرفة الطعام وأسرعوا إلى صعود الدرج خلف رافاييل.

راقب پيتر أكسيل وهو يرخي الأوتار. أصدرت الآلة صريرًا. حرّك أكسيل الفرس بعناية، وشدّ الأوتار.

همس پيتر: «هل كلّ شيء على ما يرام؟».

أجاب أكسيل وهو يضبطها: «حاول الآن، وسترى بنفسكَ».

ردّ پيتر وهو يأخذ الكمان: «شكرًا».

لاحظ أكسيل أنّ هاتف پيتر الخليوي ما زال على الطاولة، فقال: «واصل العزف. لقد انتهيتَ للتوّ من الخطوة الأولى، وعلى وشك عزف البيزيكاتو».

فقال پيتر وهو يستدير بعيدًا: «أنا الآن محرج أكثر من ذي قبل».

مال أكسيل على الطاولة، ومدّ يده من الخلف بعناية للمس الهاتف، ونجح في دفعه بطريقة تجعله يدور في صمت. أدار پيتر ظهره لأكسيل، ووضع الكمان على كتفه، ورفع القوس.

حصل أكسيل على الهاتف، وأخفاه بيده، ثمّ تحرّك إلى الجانب قليلًا.

أنزل پيتر القوس عن الأوتار، ثمّ توقّف واستدار، وحاول أن ينظر إلى خلف أكسيل. وقال: «هاتفي! هل هو خلفك؟».

جعل الهاتف ينزلق من يده إلى الطاولة، ثمّ التفت، والتقطه.

قال له پيتر: «هل يمكنكَ التحقّق إذا ما كنتُ قد تسلّمتُ رسالة نصّيّة؟».

نظر أكسيل إلى الهاتف، ولاحظ أنّ الإشارة كاملة، رغم أنّهم في عرض البحر. أدرك أنّ اليخت لا بدّ متّصل بالأقمار الصناعيّة.

أجاب وهو يعيد الهاتف إلى الطاولة: «لا رسائل».

«شكرًا».

ظلّ أكسيل قرب الطاولة بينما واصل پيتر عزف «كابريس رقم 24» ببطء وارتباك متزايدين.

إنّه ليس موهوبًا. ورغم أنّه يمارس العزف كثيرًا، كما هو واضح، إلّا أنّه لن يكون قادرًا على إتقان عزف هذه المقطوعة. مع ذلك، كان جرس الكمان رائعًا للغاية، حتّى أنّ أكسيل شعر بالاستمتاع لسماعه، وإن كان من ينقر بأصابعه على الأوتار طفل صغير.

رغم أنّ بيتر تابع كفاحه لوضع أصابعه بالشكل الصحيح، فإنّه لم يستطع التحكّم في الإيقاع، وأخذ يتوقّف ثمّ يبدأ من جديد، بينما واصل أكسيل محاولة الوصول إلى الهاتف. تحرّك إلى الجانب، ولكن لم يكن لديه الوقت للإمساك بالهاتف. عزف بيتر نغمة خاطئة وتوقّف، ثمّ استدار إلى أكسيل مجدّدًا.

قال وهو يجري محاولة أخرى: «إنّها صعبة».

وعندما ارتكب خطأً آخر أنزل الكمان عن كتفه، وقال: «إنّها مستحيلة».

«إذا أبقيت بنصرك على الوتر A، سيصير من السهل أن...».

«هل يمكنكَ أن تدلّني؟».

نظر أكسيل إلى الهاتف على الطاولة. لاحظ بريقًا من الضوء يأتي من الخارج، فاستدار لينظر عبر النوافذ الضخمة. البحر ساكن سكونًا غريبًا ومقفر. ارتفع صوت شجار من غرفة المحرّك، وضوضاء متواصلة لم يكن قد انتبه لها حتّى الآن.

أعطى بيتر الكمان إلى أكسيل الذي وضعه على كتفه، وشدّ القوس قليلًا، ثمّ بدأ يعزف المقطوعة من البداية. صدحت المقدّمة الانسيابيّة الحزينة في الغرفة. راح يعزفها بإيقاع سريع. لم يكن صوت نغمات الآلة قويًّا، ولكنّه كان ناعمًا بصورة رائعة. التفّت موسيقى باغانيني حول نفسها بشكل أسرع وأعلى.

همس بيتر: «يا إلهي!».

كان إيقاع العزف مذهلًا. إنّه مرح وجميل ومفعم بتغييرات النغمات المفاجئة، والقفزات الحادّة بين «الأوكتافات».

كلّ الموسيقى في رأس أكسيل. جلّ ما عليه فقط هو أن يخرجها. لم يكن عزفه لكلّ نغمة مثاليًا، ولكنّ أصابعه عثرت على طريقها فوق رقبة الكمان، واندفعت عبر الخشب والأوتار.

صرخ رافاييل على الجسر، وارتطم شيء ما بالسقف، جعل الثريّا تهتزّ. واصل أكسيل العزف. تلألأت نغمات المقدّمة كأشعّة الشمس على سطح الماء.

فجأة، سُمع وقع أقدام على الدرج، ورأى أكسيل رافاييل قادمًا وهو متعرّق، وبيده سكّين عسكرية ملطّخة بالدماء. توقّف عن العزف على الفور. تقدّم الحارس الشخصيّ الشائب إلى جانب رافاييل شاهرًا بندقيّته.

110

وقف جونا وبيده منظار إلى جانب بازي ومساعد القبطان الملتحي. راقبوا اليخت الذي يطفو ساكنًا في البحر. هدأت الرياح خلال اليوم، ورفرف العلم الإيطاليّ على اليخت. لم يظهر أيّ دليل على ممارسة نشاط آخر، وكأنّ الركّاب والطاقم يغطّون في نوم عميق. بحر البلطيق هادئ، والمياه تعكس السماء الصافية الزرقاء.

رنّ هاتف جونا في جيبه. فأعطى المنظار إلى نيكو، وردّ على المكالمة.

صاحت سوغا: «لدينا شاهدة! رأت الفتاة كلّ شيء. خُطِف أكسيل. وقد أخذ المدّعي العامّ الإجراء اللازم بالفعل؛ يمكنك الصعود على متن اليخت للبحث عنه!».

«عمل جيّد»، قال جونا. ونظر إلى بازي: «تلقّينا الإذن من المدّعي العامّ لإلقاء القبض على غويدي. إنّه مطلوب بواقعة خطف».

قال بازي وهو يسرع إلى التقاط جهاز الاتّصال اللاسلكيّ: «سأتواصل مع 'إف إن إس هانكو' حالًا».

وعلّق نيكو بحماسة: «سيكونون هنا خلال عشرين دقيقة».

قال بازي في الميكروفون: «هذا طلب للمساعدة! لدينا تصريح من المدّعي العامّ السويديّ بالصعود على متن يخت رافاييل غويدي فورًا، وإلقاء القبض عليه... أجل، هذا صحيح. أجل، تحرّك! اللعنة! تحرّك!».

نظر جونا عبر المنظار مجدّدًا، وتفقّد الدرج الأبيض في منصّة السطح الخلفيّ، والأسطح السفليّة، وأعلى السطح الخلفيّ بمظلّاته المطويّة. ورغم أنّه كان يبحث عن حركة على اليخت من خلال نوافذ غرفة الطعام المظلمة، فإنّه لم يتمكّن من رؤية شيء سوى الظلام. تتبّع بنظره الدرابزين على طوله وصولًا إلى السطح التالي.

اهتزّ الهواء الخارج من فوّهات مداخن اليخت فوق الجسر. وجّه جونا المنظار مجدّدًا نحو النوافذ المظلمة. ظنّ أنّه رأى حركة عبر الزجاج. شيء ما يكتسي باللون الأبيض ينزلق عبر اللوح الزجاجيّ الداخليّ. في بداية الأمر، ذكّره هذا الشيء بجناح طائر ضخم، يتوارى ريشه الملفوف خلف الزجاج.

ثم بدا كأنّ قطعة من القماش أو البلاستيك الأبيض طُويت. حدّق جونا مدقّقًا، فوجد نفسه ينظر إلى وجه آخر يحدّق إليه عبر منظار.

فُتح الباب الحديديّ المؤدّي إلى جسر اليخت، وخرج منه رجل شعره ناعم يرتدي ملابس سوداء، ونزل بسرعة على الدرج، ثمّ أسرع في السير إلى مقدّمة اليخت.

هذا أوّل شخص يراه جونا على اليخت. تحرّك الرجل نحو المروحيّة، وفكّ الأشرطة الموجودة فوق الممرّات، ثمّ فتح باب مقصورة القيادة.

قال جونا: «إنّهم يستمعون إلى جهاز الاتّصال اللاسلكيّ الخاصّ بنا».

ردّ بازي: «يمكننا تغيير القناة».

«لا يهمّ الآن! لن ينتظروا على اليخت. يبدو أنّهم سيستقلّون المروحيّة».

أعطى المنظار إلى نيكو الذي كان يقول: «ستصلنا التعزيزات خلال خمس عشرة دقيقة».

ردّ جونا بسرعة: «سيكون ذلك متأخرًا كثيرًا».

«ثمّة شخص ما في المروحيّة».

«عرف غويدي أنّنا حصلنا على تصريح بالصعود على متن اليخت. حصل على المعلومات في وقت وصولها لنا».

«هل يمكن لكلينا الصعود على متنه؟».

أجاب جونا وهو يحدّق إليه: «يبدو أنّ هذا هو الخيار الوحيد!».

وضع نيكو المشط داخل بندقيّته.

سحب بازي مسدّسه من حافظته، ومرّره إلى جونا.

شكر جونا بازي، وتحقّق من الذخيرة، ثمّ حاول التعرّف على المسدّس نصف الآليّ من نوع (إم9 إيه1).

من دون التفوّه بكلمة، قاد بازي زورق خفر السواحل نحو منصّة مؤخّرة اليخت التي كانت فوق خطّ الماء مباشرةً. حين اقتربوا، بدا اليخت ضخمًا، مثل بناء شاهق. انزلق محرّك الزورق إلى الخلف، وكُبِحت الفرامل، فاندفعت الرغوة من حوله، فيما رفع نيكو الحواجز التي على الدرابزين، وأحدث هيكل الزورق صوت صرير حين دُفِعت المنصّة برفق.

حالما صعد جونا على متن اليخت، انفصل الزورق عنه، وقفز نيكو وأمسك بيده بينما أحدثت بندقيّة الهجوم الخاصّة به صوت قعقعة باحتكاكها بالدرابزين، فنظر كلاهما إلى الآخر بسرعة، ثمّ توجّها إلى الدرج.

111

وقف رافاييل على الجسر مع حارسه الشخصيّ الشائب الشعر. حدّق القبطان إليهما بقلق، وهو يربّت على بطنه بيده.

سأله رافاييل بسرعة: «ماذا حدث؟».

أجاب القبطان: «أعطيت أوامر بتشغيل محرّك المروحيّة. أعتقد أنّ...».

«أين الزورق؟».

أجاب القبطان مشيرًا إلى مؤخّرة اليخت: «هناك».

كان زورق خفر السواحل غير المسلّح مرئيًا بوضوح من أسطح اليخت، والأمواج ترتطم بهيكله الرماديّ الأرقط.

سأل رافاييل: «ماذا قالوا؟ ماذا قالوا بالضبط؟».

«كانوا على عجل، وطلبوا دعمًا، وقالوا إنّ لديهم أمرًا بالاعتقال».

قال رافاييل وهو ينظر حوله: «كلّ هذا هراء».

عبر نافذة المروحيّة، كان بإمكانهم رؤية الطيّار وهو جالس بالفعل داخل مقصورة القيادة. بدأت المراوح تتحرّك. انسابت موسيقى «كابريس رقم 24» من غرفة الطعام بالأسفل.

قال القبطان وهو يشير إلى الرادار: «تلك هي تعزيزاتهم».

«رأيتها. كم تبقّى من الوقت؟»، سأل رافاييل.

«إنّهم يسيرون على سرعة تفوق الثلاث والثلاثين عقدة. سيصلون خلال عشر دقائق».

قال الحارس الشخصيّ وهو يحدّق إلى المروحيّة: «لا مشكلة. يمكننا إبعادك عن المكان، أنت وبيتر، في الوقت المناسب، على الأقلّ قبل ثلاث دقائق».

أسرع الحارس الشخصيّ ذو الشعر الناعم نحوهم وقد بدا عليه الاضطراب.

صاح: «ثمّة شخص هنا... شخص ما على متن اليخت!».

سأل الحارس الشخصيّ الشائب: «كم عددهم؟».

«رأيت واحدًا فقط، ولكن لا أعرف... كان يحمل بندقيّة، وليس سلاحًا مميّزًا».

«أوقِفه!»، قال الحارس الشائب لزميله بلهجة صارمة.

صرخ رافاييل: «أعطني سكّينًا».

أخرج الحارس الشخصيّ سكّينًا ذات نصل رماديّ رفيع. جذبها غويدي، وسار بالقرب من القبطان ووجهه يشتاط غضبًا.

صرخ: «إذًا كانوا سينتظرون دعمًا؟ قلت إنّهم سينتظرون دعمًا!».
«نعم، كما فهمت، إنّهم...».
قال رافاييل: «اللعنة! ليس لديهم شيء ضدّي! لا شيء!».
هزّ القبطان رأسه، وعاد خطوة إلى الوراء، بينما غويدي يكرر: «اللعنة! ماذا يفعلون هنا! ليس لديهم شيء ضدّي؟ لا شيء...».
ردّ القبطان وقد بدا في عينيه دموع: «لا أعرف! لا أعرف! لقد كرّرت ما سمعته فقط...».
«ماذا قلتَ؟».
«قلتُ؟ لا أفهم...».
صرخ رافاييل: «ليس لديَّ وقت لذلك. اللعنة! فقط قل لي بماذا أخبرتهم».
«لم أقل لهم أيّ شيء».
«غريب! غريب جدًّا! أليس كذلك؟ أليس كذلك؟».
«كنت أراقب قنواتهم فقط، كما هو مفترض. ليس لديّ...».
«هل الأمر بهذه الصعوبة لتعترف؟»، صرخ رافاييل، ثمّ تقدّم ودفع السكّين مباشرةً إلى بطن القبطان.
انزلقت السكّين من قميصه إلى أحشائه أمام مقاومة تكاد تكون معدومة. انتشرت الدماء، لتمتدّ إلى يد غويدي وكمّه. حاول القبطان أن يأخذ خطوة إلى الخلف ليبتعد عن السكّين وعلى وجهه تعبير الذهول، ولكنّ رافاييل تبعه، ووقف هناك، يحدّق إليه.
واصلت موسيقى الكمان تدفّقها من غرفة الطعام، بنغماتها المتراقصة الخفيفة. فقال الحارس الأشيب: «لا بدّ من أنّه أكسيل! قد يكون مزوّدًا بأجهزة تنصّت، وربّما يكون على اتّصال مع الشرطة عبر...».
سحب رافاييل السكّين من بطن القبطان، واندفع إلى أسفل، عبر الدرج الشديد الانحدار.

وقف القبطان مكانه، ممسكًا ببطنه والدماء تقطر على حذائه الأسود. حاول أن يخطو خطوة، ولكنّه انزلق، واستلقى أرضًا محدّقًا إلى السقف.

تبع الحارس الشخصيّ رافاييل شاهرًا بندقيّة، محدّقًا إلى الخارج عبر النوافذ الكبيرة لغرفة الطعام.

توقّف أكسيل عن العزف عندما دخل غويدي شاهرًا السكّين الملطّخة بالدماء في وجهه. وصاح بشدّة:

«خائن! كيف يمكنك أن تكون لعينًا إلى هذا الحدّ الـ...».

أطلق الحارس الشائب النار من بندقيّته. مرّت الرصاصات مباشرةً عبر النوافذ، وتناثرت حاوياتها على الدرج.

112

اتّجه جونا ونيكو بحرص إلى أعلى الدرج، ثمّ إلى سطح اليخت الخلفيّ. مثل لوح زجاج كبير، أطبق الهدوء على البحر من كلّ اتّجاه. سمع جونا صوت موسيقى الكمان. حاول أن ينظر عبر الأبواب الزجاجيّة. ورغم أنّه تمكّن من رصد خيالات مظلمة عبر السطح العاكس، فإنّه رأى فقط جزءًا صغيرًا من غرفة الطعام. فيما لم يظهر أحد على مرمى نظره. استمرّت الموسيقى محمومة، ولكنّ الصوت كان مكتومًا، بعيدًا مثل الحلم.

انتظر جونا ونيكو لبضع ثوانٍ، ثمّ ركضا بسرعة عبر المنطقة المفتوحة بجانب المسبح الجافّ، وتحت السقف البارز، ثمّ إلى الدرج المعدنيّ المجاور.

سمعا وقع أقدام على السطح فوقهما، وقفا بلصق الحائط بجانب الدرج.

صار صوت الكمان أوضح الآن، وصار العزف سريعًا انسيابيًّا. من الواضح أنّ العازف موهوب. نظر جونا بحرص إلى داخل غرفة طعام ضخمة تضمّ أجهزة مكتبيّة على طاولات مختلفة، ولكنّه بقي عاجزًا عن رؤية أحد. لا بدّ من أنّ الدرج يُخفي الشخص الذي يعزف الموسيقى.

أشار جونا إلى نيكو ليتبعه، ويغطّي ظهره، ثمّ صوّب نحو الجسر الذي فوقهما.

بشكل مباغت، توقّف عزف الكمان في وسط مقطع جميل.

بشكل مباغت للغاية.

ألقى جونا بنفسه خلف الدرج حين سمع صوت إطلاق النار من الأسلحة الآليّة. كان صوتًا حادًّا قاسيًا. أصابت الرصاصات الدرج الذي كان يقف عليه قبل لحظة.

تراجع جونا خلف الدرج وهو يشعر بضخّ الأدرينالين في جسده. اختبأ نيكو خلف رافعة قارب نجاة، وتبادل إطلاق النار. انحنى جونا، وتحرّك في المكان، فرأى صفًّا من ثقوب الرصاص عبر النافذة المظلمة.

113

هبط الحارس الشخصيّ الشائب الدرج، وهو يطلق النار مستهدفًا النوافذ الكبيرة. تصاعد الدخان من فوّهة البندقيّة، وارتطمت حاويات الرصاص الفارغة بالدرج.

التفّ پيتر على جسده ووضع يديه على أذنيه.

غادر الحارس الشخصيّ غرفة الطعام عبر باب جانبيّ.

راح أكسيل يتحرّك بين الطاولات وبيده آلة الكمان والقوس، بينما يصوّب رافاييل السكّين نحوه.

صاح رافاييل وهو يلحق بأكسيل: «كيف يمكنكَ أن تكون بهذا الغباء؟ سوف أشرّح وجهك! سـ...».

صرخ پيتر: «ماذا يحدث يا أبي؟».

«أحضِر مسدّسي، واذهب إلى المروحيّة. سنغادر اليخت».

أومأ الصبيّ برأسه. كان وجهه شاحبًا وذقنه يرتجف. فيما بدأ رافاييل في السير خلف الطاولات باتّجاه أكسيل مرّة أخرى. تحرّك أكسيل إلى الخلف، وراح يقلب الكراسي أمامه حتّى يغلق الطريق على رافاييل.

قال رافاييل: «املأ المسدّس بطلقات 'بارابيلوم' ذات الرأس الأجوف».
فسأل الصبي وهو يبدو أكثر تركيزًا: «مشطًا واحدًا؟».
أجاب غويدي وهو يركل أحد الكراسي ليزيحه من طريقه: «أجل، سيكون ذلك كافيًا، ولكن هيّا تحرّك!».
حاول أكسيل فتح باب على الجانب الآخر من الغرفة. لفّ القفل، لكنّ الباب لم يتحرّك.
صاح رافاييل: «لم ننتهِ بعد!».
خلع أكسيل مقبض الباب بيده، ثمّ لاحظ القفل الموجود في الجزء العلويّ منه. صار رافاييل على بُعد بضعة أمتار منه. وحين اقترب بالسكّين، تصرّف أكسيل بحدسه. استدار ثمّ قذفه بآلة الكمان الجميلة، التي التفّت في الهواء بلونها الأحمر اللامع. مال رافاييل إلى الجانب، وتعثّر بأحد الكراسي الملقاة على الأرض حتّى يتمكّن من إنقاذ الكمان. كاد يمسك به. وقع، ولكنّه تمكّن من التخفيف من قوّة سقوطه. انزلق الكمان على الأرض محدثًا صوت فعقعة رتيبة.
فتح أكسيل الباب، وأسرع إلى ممرّ يزدحم بكثير من الأشياء التي يصعب تحريكها. تسلّق مجموعة من كراسي الاسترخاء، وانزلق على كومة من نظّارات السباحة وملابس الغوص.
تبعه غويدي ممسكًا آلة الكمان بيد، وبالأخرى السكّين، قائلًا: «ستُوقِّع!».
سقط أكسيل على شبكة تنس ملفوفة، وتعثّرت إحدى قدميه في الشبك المقطّع، ثمّ زحف بعيدًا عن رافاييل الذي تقدّم منه. ركل أكسيل بشدّة ليحرّر نفسه.
في تلك اللحظة جاء صوت إطلاق النار الآليّ من الخارج؛ سلسلة من الضربات الثقيلة القصيرة.
راح رافاييل يلتقط أنفاسه المتسارعة وبيده السكّين، ولكنّ أكسيل نجح

في تحرير نفسه. تدافع على قدميه وارتدّ إلى الخلف، ثمّ جرّ طاولة «بيبي فوت» وضعها في طريق رافاييل. أسرع إلى الباب التالي. تعثّرت يده بين القفل والمقبض. ثمّة شيء يعوق الباب، ولكنّه تمكّن من فتحه قليلًا.

صاح غويدي: «لا فائدة من ذلك!».

حاول أكسيل المرور عبر الجزء المفتوح من الباب، ولكنّه كان ضيّقًا. ثمّة خزانة كبيرة مليئة بأوانٍ فخّاريّة مكدّسة تعوق الطريق. ألقى بنفسه على الباب مرّة أخرى، فتحرّكت الخزانة لبضعة سنتيمترات. شعر أكسيل برافاييل خلفه، أقرب وأقرب. سرت القشعريرة في عاموده الفقريّ وهو يدفع الباب مجدّدًا. دفع بجسده عبر فتحته، فأصابه القفل بجرح، ولكنّه لم يكترث. عليه أن يبتعد.

قذف غويدي السكّين في اتّجاهه، فأصاب سنّ شفرتها كتف أكسيل الذي شعر بلهيب ألم مفاجئ.

اندفع إلى غرفة مضيئة، سقفها من الزجاج. بدت مثل مشتل مهجور. تحسّس كتفه بيده، ونظر إلى الدماء التي صبغت أصابعه حين تعثّر بشجرة ليمون يابسة. أسرع وزحف على الأرض بين أوعية النباتات بأوراقها الذابلة.

أخذ رافاييل يركل الباب بقوّة، ويزأر بصوتٍ عالٍ مع كلّ ركلة.

وضع أكسيل في حسبانه أنّ عليه الاختباء، فزحف بسرعة تحت أحد المقاعد، ومال بجانبه ليدخل تحت غطاء متّسخ من البلاستيك. تحرّك إلى جانب الدلاء وأحواض المياه. تمنّى أن يستسلم رافاييل ويغادر اليخت مع ابنه.

ارتفع ضجيج مدوٍّ من جهة الباب، وسقطت كثير من الأواني على السطح وتحطّمت.

دخل رافاييل إلى الغرفة وهو يلهث، ثمّ مال على تعريشة مغطّاة بأوراق الدوالي اليابسة.

صاح: «اخرج وقبّل يدي!».

فعل أكسيل ما بوسعه حتّى يتنفّس بهدوء. حاول التحرّك إلى الخلف أكثر، ولكنّه لم يستطع. طريقه مسدود بخزانة معدنيّة كبيرة.

قال رافاييل مبتسمًا وهو ينظر حوله إلى جذوع النباتات الذابلة: «أعدكَ أن أفي بعهدي. كبد أخيكَ في انتظاركَ. كلّ ما عليكَ فعله لتحصل عليه هو أن تقبّل يدي».

تملّك التعب من أكسيل، وصار يرتجف من الخوف وهو يجلس مستندًا إلى الخزانة المعدنيّة. خفق قلبه بسرعة. بذل قصارى جهده حتّى يبقى صامتًا تمامًا. هناك صوت زئير داخل رأسه. نظر حوله وحاول أن يجد مخرجًا، ثمّ أدرك أنّ ثمّة بابًا منزلقًا يؤدّي إلى السطح الأماميّ لليخت على بُعد خمسة أمتار منه.

سمع صوت محرّك المروحيّة.

ظنّ أكسيل أنّ بإمكانه الزحف تحت الطاولة المحمّلة بالأواني الفخّاريّة المليئة بالطين، ثمّ ركض المسافة المتبقّية. بدأ يتحرّك على جانبه بحرص، وبدا له أنّ الباب مغلق فقط بمشبك.

رفع رأسه حتّى يرى بشكل أفضل. فكّر في أنّه سيخرج إلى السطح الأماميّ في بضع ثوانٍ، ولكنّه شعر فجأة بأنّ قلبه قد توقّف. ألصقت الشفرة الباردة للسكّين بحنجرته. أوجعه ملمس المعدن قليلًا. لقد تسلّل رافاييل خلف ظهره. سمع أكسيل أنفاس رافاييل وشمّ عرقه. استقرّت شفرة السكّين على حنجرته، وشعر بها وكأنّها تحرقه.

114

ترك الحارس الشخصيّ الشائب غرفة الطعام في صمت، منزلقًا بين الأبواب، وركض بسرعة بطول السطح وهو يحمل على كتفه بندقيّته. لمع الضوء على نظّارته. أدرك جونا أنّه سيتوجّه إلى نيكو من الخلف، ويصل إليه في بضع ثوانٍ.

كان نيكو من دون أيّ حماية. رفع الحارس بندقيّته، وحرّك إصبعه على الزناد.

بيد أنّ جونا وقف بسرعة، وأخذ خطوة إلى الأمام لتتّضح الرؤية أمامه، وأطلق النار مرّتين على صدر الحارس مباشرة. تقهقر الرجل الشائب إلى الخلف، ومدّ يده ليمسك بالسور حتّى يمنع نفسه من السقوط. نظر حوله، ورأى جونا يسرع إليه، فأشهر سلاحه.

الآن فقط، رأى جونا أنّه يرتدي سترةً مضادّةً للرصاص تحت سترته السوداء.

دفع جونا فوّهة بندقيّة الهجوم الموجّهة إليه بعيدًا بيده، ووجّه مسدّسه إلى وجه الحارس باليد الأخرى. أصاب أنفه ونظّارته، والتوت ساقاه، واصطدمت مؤخرة رأسه بالدرابزين، فأحدث طنينًا مكتومًا، وانتشر العرق والرذاذ المخاطيّ بوجهه في أثناء انهيار جسده.

توجّه جونا ونيكو إلى مقدّمة اليخت، وقد توزّعا على جانبَيّ غرفة الطعام. كانت مراوح الهليكوبتر تلفّ أسرع فأسرع.

صرخ أحد ما: «هيّا! ادخل!».

ركض جونا بالقرب من الجدار بقدر الإمكان، ثمّ أبطأ، وسار بحرص إلى المسافة المتبقّية، وهو ينظر إلى السطح الأماميّ. كان ابن غويدي يجلس داخل المروحيّة.

سمع جونا أصواتًا على الجسر الذي فوقه، فخطا خطوة إلى الأمام حين أدرك أنّ الحارس الشخصيّ الآخر لغويدي قد رصده. كان الرجل ذو الشعر الناعم يقف على بُعد خمسة وعشرين مترًا، موجّهًا مسدّسه نحو جونا. لم يكن ثمّة وقت للتصرّف قبل إطلاق النار، سمع جونا ضجيجًا مدوّيًا، ثمّ كأنّ سوطًا ضرب وجهه، وأصبحت الرؤية أمامه بيضاء. سقط فوق بعض كراسي الاسترخاء، وارتطم رأسه بشدّة بالدرابزين المعدنيّ. اصطدمت اليد التي تحمل المسدّس بقضبان الدرابزين. وسقط المسدّس من قبضته. تردّد صوت سقوط المسدّس من بين القضبان.

رمش جونا، واستعاد بصره. زحف خلف الجدار. ارتجفت يداه، ولم يستطع حقًّا فهم ما حدث. كانت الدماء الدافئة تتدفّق من وجهه وهو

يحاول الوقوف على قدميه -يحتاج إلى طلب المساعدة من نيكو، ويحتاج إلى معرفة أين ذهب الحارس.

لمس وجنته بسرعة. عندما تحرّكت أصابعه إلى أعلى أدرك أنّ الرصاصة خدشت صدغه قليلًا. إنّه جرح سطحيّ.

سمع صوت طنين غريب في أذنَيْه. راح قلبه يخفق بسرعة.

عندما استخدم الجدار المعدنيّ كي يستند إليه، ازداد الألم في رأسه، وارتفع صوت الطنين في أذنيه. ضغط بإبهامه بين حاجبيه، وأغلق عينيه دافعًا ألم الصداع النصفيّ الحادّ بعيدًا.

ألقى نظرة خاطفة على المروحيّة، محاولًا رؤية نيكو.

عبر البحر الهادئ اقتربت سفينة البحريّة الفنلنديّة من الخلف مثل الظلّ الأسود. جذب جونا شريطًا معدنيًّا طويلًا من كرسي الاسترخاء المكسور، ليستعمله كسلاح إذا جاء الحارس لينال منه، واختبأ خلف الجدار.

فجأة، رأى غويدي وأكسيل على السطح الأماميّ. وقفا متقاربَيْن، ثمّ تراجعا ببطء نحو المروحيّة. يحمل غويدي سكّينًا ويضعها على رقبة أكسيل بيد واحدة. ويمسك بيده الأخرى آلة كمان. تطايرت ملابسهما وشعرهما بسبب تيّار الهواء الصادر من المروحيّة.

انزلق الحارس الذي أطلق النار على جونا بسلاسة على جانبه ليراه بوضوح من خلف الجدار. لم يكن متأكّدًا إن أصابه في رأسه أم لا، إذ وقع الأمر بسرعة بالغة.

كان جونا يعرف أنّ الحارس يبحث عنه، فحاول التراجع إلى الخلف، ولكنّ الصداع كان يبطئ تحرّكاته. يجب أن يتوقّف.

فكّر في أنّه ليس الوقت المناسب، بينما العرق يجري على ظهره.

لفّ الحارس الزاوية شاهرًا سلاحه، انكشف له ظهر جونا ثمّ رأسه ورقبته. في تلك اللحظة، اندفع نيكو من الجانب الآخر شاهرًا بندقيّته. لكنّ الحارس كان سريعًا، فالتفّ وأطلق أربع رصاصات من مسدّسه. لم يهتمّ نيكو عندما أصابت أولاها كتفه، ولكنّه توقّف عندما أصابت الثانية

بطنه، واخترقت أمعاءه. ومع أنّ الرصاصة الثالثة كانت طائشة، فإنّ الرابعة استقرّت في صدره. التوت ساقاه، وسقط على جانبه خلف الحاجز عند قاعدة مهبط المروحيّات. لقد أُصِيب بشدّة، ولم يكن على الأرجح واعيًا بأنّه يضغط على زناد بندقيّته وهو يسقط. تطايرت الرصاصات من دون هدف، فأفرغ المشط بالكامل في ثوانٍ على الماء مباشرةً.

لهث نيكو وزاغت عيناه في أثناء انزلاقه على ظهره، تاركًا بقعة دم على الحاجز. أسقط البندقيّة وصدره يؤلمه بشدّة. أغمض عينيه لبضع ثوانٍ، ثمّ نظر إلى أعلى بانزعاج وهو يرى البراغي الضخمة تحت مهبط الطائرة. لاحظ أنّ الصدأ قد اخترق الطلاء الأبيض.

سعل بضعف، وكاد يفقد وعيه حين رأى جونا مختبئًا خلف جدار غرفة الطعام وبيده قضيب معدنيّ طويل. التقت نظراتهما. استجمع نيكو آخر ما تبقّى من قوّته، وركل بندقيّته تجاه جونا.

***

شعر أكسيل بالذعر. تسارعت دقّات قلبه وهو يسمع أزيز الرصاص في أذنيه، وارتجف جسده. جرّه رافاييل معه بمثابة درع بشريّ. تعثّر الاثنان بينما شفرة السكّين تقطع بجلد رقبة أكسيل. شعر الأخير بالدماء الدافئة تقطر على صدره. ثمّ رأى الحارس الشخصيّ المتبقّي وهو يقترب من مكان اختباء جونا، ولكنّه لم يتمكّن من فعل أيّ شيء.

***

تحرّك جونا إلى الأمام بسرعة، وجذب البندقيّة الساخنة. أطلق الحارس الموجود أمام المروحيّة الرصاص عليه مرّتين. ولكنّه لم يُصِبه. أخرج المشط الفارغ، ونظر إلى نيكو الذي كان يتحسّس جيوبه للعثور على مزيد من الذخيرة، ويده تضغط على معدته المدمّاة. صرخ الحارس الشخصيّ لغويدي كي يركب المروحيّة الجاهزة للإقلاع. وصل نيكو بيده إلى أحد جيوب سرواله وأخرجها مرّة أخرى. طار غلاف قطعة حلوى في

الهواء، ولكن ظلّت رصاصة واحدة في راحة يده. سعل بوهن، ونظر إليها ثمّ دحرجها على السطح باتجاه جونا.

لفّت الرصاصة على الأرضيّة المعدنيّة ولمع غطاؤها النحاسيّ في الضوء. أمسك بها جونا ودفعها بسرعة في المشط.

أغلق نيكو عينيه، وظهرت فقّاعات من الدماء بين شفتيه. ظلّ يتنفس، ولكن بصعوبة بالغة. أدخل جونا المشط في البندقيّة، وقد استقرّت الرصاصة الوحيدة داخله، فأشهرها وانتظر للحظة، ثمّ غادر مكان اختبائه عندما سمع وقع خطوات الحارس الشخصيّ على سطح اليخت.

ما زال غويدي يتراجع ممسكًا بأكسيل أمامه. صاح ابنه من المروحيّة، واستدعاه الطيّار للركوب.

همس رافاييل في أذن أكسيل: «كان عليك تقبيل يدي عندما سنحت لك الفرصة».

أصدرت أوتار الكمان رنينًا عندما ارتطم بذراع أكسيل.

سار الحارس بسرعة إلى نيكو، ومال على الحاجز، وصوّب المسدّس إلى وجهه.

صاح جونا بالفنلنديّة: «اصطفّوا!».

رأى الحارس الشخصيّ شاهرًا البندقيّة تجاهه، بدلًا من نيكو، فانقلب على جانبه، وحاول أن يعثر على المسار الصحيح، إذ عليه تصويب رصاصته الوحيدة بشكل سليم.

وقد حدث الأمر في بضع ثوانٍ.

كان غويدي يقف خلف الحارس الشخصيّ مباشرة، حاملًا السكّين على رقبة أكسيل الذي تتطاير قطرات دمائه في الهواء. انحنى جونا قليلًا، وخفض الرؤية على منظار التصويب لبضعة ملليمترات، ثمّ أطلق الرصاصة.

كرّر في رأسه بالفنلنديّة: «اصطفّوا!».

ارتفع صوت ضجيج، وشعر جونا بارتداد البندقيّة على كتفه. من دون

إصدار أيّ صوت، اخترقت الرصاصة حلق الحارس الشخصيّ، وخرجت من ظهر رقبته متوجّهة مباشرةً إلى كتف رافاييل غويدي، ومنه إلى البحر.

اهتزّت ذراع غويدي من الصدمة، وسقطت السكّين على سطح اليخت.

سقط أكسيل.

حدّق الحارس الشخصيّ إلى جونا دهِشًا بينما تجري الدماء على صدره. حاول أن يرفع المسدّس ولكن لم تكن لديه القوّة الكافية لفعل ذلك. أصدر صوت غرغرة غريبًا، وسعل، وتدفّقت الدماء من تحت ذقنه.

جلس ولمس حنجرته ورمش مرّتين، فيما ظلّت عيناه مفتوحتين.

شحبت شفتا رافاييل. وقف في مهبّ التيّار الهوائيّ الشديد الصادر من المروحيّة، وضغط بيده على آلة الكمان التي يمسك بها محدّقًا إلى جونا.

صاح ابنه من المروحيّة وهو يلقي مسدّسًا صوبه: «أبي!».

سقط المسدّس على سطح اليخت، وأصدر صوت قعقعة، وتوقّف أمام قدمي رافاييل.

جلس أكسيل مقابل الدرابزين ذاهلًا وهو يحاول إيقاف تدفّق الدماء من رقبته بيده.

صاح جونا بصوتٍ عالٍ: «رافاييل! رافاييل غويدي! أنا هنا لإلقاء القبض عليك».

وقف رافاييل على بُعد خمسة أمتار من مروحيّته، والمسدّس بين قدميه. بجهد هائل، انحنى والتقط المسدّس.

قال جونا: «أنت متّهم بتهريب أسلحة، وجرائم خطف وقتل».

تعرّق وجه رافاييل، وترنّح المسدّس بيده.

صاح جونا: «ضع المسدّس على الأرض!».

حمل رافاييل المسدّس الثقيل بيده، ولكنّ قلبه بدأ يخفق بشكل أسرع حين نظر في عين جونا مباشرةً.

حدّق أكسيل إلى جونا وحاول تنبيهه ليركض. لكن جونا وقف ثابتًا.

حدث كلّ شيء في الوقت نفسه.

رفع رافاييل المسدّس نحو جونا، وضغط على الزناد، ولكنّه نقر فقط. حاول مجدّدًا، ثمّ أخذ نفسًا عميقًا حين أدرك أنّ ابنه لم يملأ المشط. شعر بالوحدة المخيفة تعانقه. بعد ذلك، بدأ دويّ الطلقات الناريّة يتصاعد عبر البحر. أدرك أنّ أوان إلقاء السلاح والاستسلام قد فات، بينما ارتطمت بجسده ثلاث طلقات، واحدة تلو الأخرى. شعر رافاييل بأنّ أحدًا ما قد لكمه بشدّة في صدره، ثمّ باغته ألم حادّ وهو يتقهقر إلى الخلف، ويفقد الإحساس بساقيه.

لم تنتظر المروحيّة أكثر من ذلك. أقلعت من دون رافاييل، وأخذت ترتفع في الهواء وهي تزأر.

وقفت سفينة خفر السواحل «إف إن إس هانكو» بجانب اليخت. أطلق القنّاصون الثلاثة النار مجدّدًا. أصابت الرصاصات الثلاث جسد رافاييل. أخذ بضع خطوات إلى الخلف وسقط. حاول الوقوف ولكنّه لم يستطع التحرّك.

شعر بظهره ساخنًا، ولكنّ قدميه كانتا باردتين مثل الثلج. حدّق إلى المروحيّة وهي ترتفع بسرعة في السماء الملبّدة بالغيوم. حدّق پيتر من المروحيّة إلى اليخت الذي راح يضمحلّ تحته. والده مستلقٍ في وسط منصّة الهبوط.

ما زال رافاييل ممسكًا بكمان باغانيني. انتشرت بركة من الدماء حوله، ولكنّ النظرة الزائغة في عينيه دلّت على أنّه فارق الحياة.

وحده جونا بقي واقفًا على السطح الأماميّ لليخت.

لم يتحرّك من مكانه بينما المروحيّة تختفي.

وقفت ثلاث سفن في عرض البحر الهادئ، متهادية جنبًا إلى جنب، كما لو أنّها مهجورة.

ستصل مروحيّات الإنقاذ الفنلنديّة عاجلًا، ولكنّ الجو ما زال هادئًا، مثل اللحظة التي تتلو النغمة الأخيرة في الحفل، عندما يكون الجمهور لا يزال متأثّرًا بالموسيقى والصمت الذي يليها.

نُقِل جونا وأكسيل ونيكو والحارس الشخصيّ الشائب على متن مروحيّة الطوارئ إلى مستشفى هلسنكي للجراحة. في المستشفى، لم يستطع أكسيل أن يمنع نفسه من سؤال جونا عن سبب انتظاره غويدي من دون حركة حتّى يلتقط المسدّس عن سطح اليخت.

«ألم تسمعني وأنا أصرخ؟»، سأل أكسيل.

نظر جونا إليه مباشرةً، وشرح أنّه رأى القنّاصة بالفعل على السفينة، وتوقّع أنّهم سيطلقون النار من أسلحتهم، قبل أن يكون لدى غويدي الوقت لإطلاق النار.

قال أكسيل: «ولكنّهم لم يفعلوا!».

فردّ عليه وهو يبتسم: «لا يمكنكَ أن تكون على صواب طوال الوقت!».

كان نيكو مستيقظًا عندما ذهب الاثنان ليودّعاه، فقال: «سلّما على السويد! ولكن... فنلندا الصغيرة القويّة لبّت النداء في الوقت المناسب».

رغم أنّ إصابات نيكو كانت بالغة الخطورة، لكنّها لم تعد تهدّد حياته. عليه أن يخضع لعدد من العمليّات الجراحيّة على مدار الأيّام القليلة المقبلة، وسيُسمَح له بالعودة إلى بلاده على كرسيّ متحرّك في غضون أسبوعين.

أُلقي القبض على حارس غويدي الشخصيّ، ونُقل إلى سجن «ڤانتا»، في انتظار عمليّة تسليمه، بينما عاد جونا وأكسيل إلى منزليهما في ستوكهولم.

***

لم تغادر سفينة الحاويات الكبيرة «إم إس آيسلوس» ميناء «غوتنبرغ» أبدًا. فُرِّغت شحنتها من الذخيرة، وأُودِعت في مخازن إدارة الجمارك السويديّة.

كُلِّف ينس سڤانيالم باتّخاذ الإجراءات القانونيّة اللازمة، ولكن باستثناء حارس غويدي المجهول الاسم، كانت الأطراف التي أُدِينت بالفعل في القضيّة قد ماتت، أو لا يمكن الوصول إليها.

تعذّر تحديد تورّط شخص آخر من شركة «سايلانسيا ديفينس» في أيّ نشاط إجراميّ. الوحيد الذي ارتكب جريمة في «دائرة تفتيش المنتجات الاستراتيجيّة» كان مديرها العام السابق كارل پالمكرونا.

رُفعت قضيّة ضدّ يورغن غرنليخت بشبهة الحصول على رشوة، والمساعدة في ارتكاب جرائم تتعلّق بالأسلحة، ولكن لم تكن لهذه التهم أدلّة قويّة بما يكفي لتقديمه إلى المحاكمة. عدّ المدّعي العامّ أنّ مجلس الرقابة على الصادرات، وأيًّا من السياسيّين السويديّين المتورّطين في هذه الصفقة، قد خُدِعوا، وتصرّفوا بحسن نيّة.

سُلِّمت الأدلّة المادّيّة التي جُمِعت خلال التحقيقات، والتي تتعلّق باثنين من السياسيّين الكينيّين، إلى رولاند ليدوند، وزير الحوكمة والأخلاقيّات، ولكن بدا أنّه حتّى السياسيّين الكينيّين قد خُدِعوا.

لم يكن موظّفو شركة الشحن «إنترسيف شيبينغ» على علم بأنّ الشحنة ستُنقَل من ميناء مومباسا إلى جنوب السودان، ولم يكن أحد في شركة النقل الكينيّة «ترانس كونتيننت» على دراية بأنّ البضائع التي كُلّفوا بنقلها إلى السودان عبارة عن ذخيرة.

أكسيل ريسين

شعر أكسيل بأنّ الغُرز تشدّ عنقه وهو ينزل من سيّارة الأجرة. بدت الشوارع شاحبة، إذ كان لونها أبيض تقريبًا تحت أشعّة الشمس الحارقة. لحظة وضع يده على البوّابة، فُتح الباب الأماميّ، وكان روبرت يراقبه من النافذة.

مشى روبرت نحو أخيه، وقال وهو يهزّ رأسه: «ما الذي ورّطكَ في هذا الأمر؟ تحدّثت إلى جونا لينا، وأخبرني بعض الأمور. هذا جنون...».

ابتسم أكسيل وهو يقول: «عليك أن تعرف منذ الآن أنّ شقيقك الكبير قويّ للغاية».

تعانقا بشدّة، ثمّ شرعا في السير نحو المنزل.

قال روبرت: «وضعنا الطاولة في الحديقة».

سأل أكسيل وهو يتبع شقيقه عبر الباب الأماميّ: «كيف حال قلبك؟ ألم يتوقّف بعد؟».

«أعطوني موعدًا لإجراء الجراحة في الأسبوع المقبل».

فقال أكسيل وهو يشعر بأنّ ظهر رقبته يقشعرّ: «لم أعرف ذلك».

«لزرع جهاز تنظيم ضربات قلب. لا أعتقد أنّني ذكرت ذلك...».

«ستُجري عمليّة؟».

«أُلغِيت».

بينما أكسيل ينظر إلى أخيه، شعر بروحه تُسحَب منه. أدرك أنّ غويدي حجز عمليّة روبرت التي كان من المقدّر لها مُسبقًا أن تفشل، وكان من المفترض أن يموت على طاولة العمليّات، ويتبرّع بكبده له.

توجّب عليه التوقّف عند المدخل، وتهدئة نفسه قبل أن تزداد الأمور سوءًا. توهّج وجهه، وكاد قلبه يبلغ حلقه.

سأل روبرت بمرح: «هل ستأتي؟».

مكث أكسيل في مكانه للحظة قبل أن يتبع أخاه إلى داخل المنزل، ثمّ إلى الحديقة الخلفيّة. هناك، مُدّت طاولة طعام تحت الشجرة الكبيرة.

همّ أكسيل بالتوجّه نحو زوجة أخيه، آنيت، حين أخذ روبرت ذراعه وأوقفه.

قال روبرت وقد بدت على وجهه الجدّيّة: «كانت طفولتنا ممتعة. لماذا توقّفنا عن الحديث معًا؟ كيف حدث هذا؟».

نظر أكسيل إلى شقيقه في دهشة، ثمّ نظر إلى التجاعيد في زوايا عينيه، والشعر الملتفّ حول فروة رأسه الأصلع.

«الأشياء تحدث في...».

قاطعه روبرت: «انتظر لحظة! لم أرغب في إخبارك بالأمر على الهاتف».

«ما الخطب؟».

«قالت بيڤرلي إنّك تعتقد أنّك السبب في موت غريتّا، ولكن أنا...».

ردّ اكسيل فورًا: «لا أودّ الحديث عن ذلك».

أصرّ روبرت: «بل عليكَ! كنت هناك يوم المسابقة، وسمعت كلّ شيء. سمعت غريتّا ووالدها يتحدّثان. لم تكفّ عن البكاء، إذ ارتكبت خطأً، وكان والدها غاضبًا للغاية، و...».

سحب أكسيل ذراعه من أخيه.



«أعرف بالفعل كلّ شيء...».

قاطعه روبرت: «دعني أقل ما عليَّ قوله».

«تفضّل».

«أكسيل... لو قلتَ شيئًا! لو عرفت أنّك تعتقد بأنّ غريتّا ماتت بسببك! لقد سمعت والدها. كان خطأه، خطأه لوحده. لقد تشاجرا بشكل فظيع. سمعته يقول لها أكثر الأشياء ترويعًا، مثل أنّها أهانته في العلن، وأنّها لم تعد ابنته. وقال إنّه لا يريدها معه في المنزل، وستترك المدرسة، وتنتقل إلى «مورا» لتسكن في منزل والدتها المدمنة».

«هل قال ذلك؟».

«لن أنسى أبدًا صوت غريتّا! كانت خائفة للغاية، وحاولت أن تخبر والدها بأنّ الجميع يرتكب أخطاء، وأنّها حاولت بأقصى جهدها، وأنّ الأمر ليس كارثيًا، وسيكون هناك مزيد من المنافسات...».

«لكنّني كنت دائمًا...».

ثم صمت أكسيل ونظر حوله، ولم يعرف ماذا يفعل. لقد استُهلِكت كلّ طاقته. جلس على الأرض المكسوّة بالرخام بصعوبة، وغطّى وجهه بيديه.

واصل شقيقه: «كانت تبكي، وأخبرت والدها بأنّها ستقتل نفسها إذا لم

يسمَح لها بالبقاء، والاستمرار في دراسة الموسيقى».
همس أكسيل: «لا أعرف ماذا أقول».
ردّ روبرت: «اشكر بيڤرلي».

بيڤرلي آندرشون

بدأت الأمطار تهطل بغزارة بينما بيڤرلي واقفة تحت منصّة المحطّة المركزيّة في ستوكهولم. أخذتها رحلتها جنوبًا إلى مشهد صيفيّ يتخلّله الضباب الرماديّ. لم تظهر الشمس مجدّدًا حتّى وصول القطار إلى «هاسليهولم». غيّرت الفتاة القطار في «لوند»، واستقلّت الحافلة من «لاندسكرونا» إلى «سڤالوف».

مضى وقت طويل منذ زارت المنزل آخر مرّة.

أكّد الطبيب لها أنّ كلّ شيء سيكون على ما يرام: «تحدّثت إلى والدكِ. إنّه جادّ في رغبته بعودتكِ إلى المنزل».

سارت في الساحة التي تكسوها الأتربة، وتذكّرت نفسها وهي مستلقية في منتصفها تتقيّأ وتشعر بالإعياء. أقنعها بعض الفتيان بأن تشرب الكحول. التقطوا صورًا لها ثمّ تركوها في الساحة. تلك هي الواقعة التي جعلت والدها يقرّر أنّه لا يريدها في المنزل بعد اليوم.

قرقرت معدتها وهي تنظر إلى الطريق المفتوح أمامها خارج المدينة. المزرعة على بُعد ثلاثة كيلومترات منها. اعتاد السائقون اصطحابها على امتداد هذا الطريق. الآن لا تستطيع أن تتذكّر لماذا اعتقدت أنّ الذهاب معهم فكرة جيّدة. كانت تظنّ أنّها قد ترى شيئًا في أعينهم. التوهّج الذي طالما فكّرت فيه.

نقلت حقيبتها الثقيلة إلى يدها الأخرى.

رأت سيّارة تقترب منها.

تعرّفت عليها، أليس كذلك؟

ابتسمت بيفرلي، ثمّ لوحت بيدها.
أتى والدها. أتى والدها.

بينيلوبي فرنانديز

كنيسة «روسلاغس كولا» هي كنيسة صغيرة مشيّدة من الخشب الأحمر، تضمّ برج جرس كبيرًا جميلًا، وتقع في مكان هادئ في الريف، بالقرب من «ويرا بروك»، بعيدًا عن أكثر الطرق ازدحامًا في المنطقة. كانت السماء صافية زرقاء، والهواء عليلًا، والرياح تحمل عبير الزهور البرّيّة إلى ساحة الكنيسة.

دُفِن جثمان يورن أمس في مقبرة ستوكهولم الشماليّة، ويحمل الآن أربعة رجال يرتدون بدلات سوداء جثمان ڤيولا ماريا ليزلوت فرنانديز إلى مثواها الأخير. مشت بينيلوبي ووالدتها كلوديا مع القسّيس خلف من يحملون نعشها: خالَين، واثنين من أبناء الأخوال من السلڤادور.

توقّفوا عند القبر المفتوح. نظرت طفلة أحد أبناء الأخوال، في التاسعة من عمرها، إلى أبيها. أومأ برأسه وأخذ منها جهاز التسجيل، وبدأ يشغّل «مزمور 97» في أثناء إنزال النعش على الأرض.

أمسكت بينيلوبي بيد والدتها، بينما القسّيس يقرأ من سفر الرؤيا: «سيمسح الله كلّ دمعة من عيونهم، ولن يكون هناك موت».

عدّلت كلوديا القلادة التي ترتديها بينيلوبي، ثمّ ربّتت على وجنتها، كما لو كانت طفلة صغيرة.

في أثناء عودتهم إلى السيّارات، أصدر هاتف بينيلوبي طنينًا. إنّه جونا. تحرّكت بلطف بعيدًا عن والدتها، وذهبت إلى ظلّ إحدى الأشجار الكبيرة، وردّت عليه.

قال جونا بصوته الذي لا تخطئه الأذن، وبنبرة رخيمة ولكن كئيبة: «مرحبًا يا بينيلوبي».

«أهلًا يا جونا!».

«فكّرتُ في أنّكِ ترغبين بمعرفة أنّ رافاييل غويدي قد مات».

«وماذا عن تصدير الذخيرة إلى دارفور؟».

«أوقفناه».

«فعلتم خيرًا».

نظرت بينيلوبي إلى أسرتها وأصدقائها ووالدتها التي ما زالت تقف في المكان نفسه من دون أن تُبعد عينيها عن ابنتها.

قالت: «أشكركَ».

عادت إلى والدتها التي كانت تنتظر والحزن بادٍ على وجهها. أمسكت بيدها مجدّدًا، واتّجها إلى الناس المنتظرين بالقرب من السيّارات.

«بينيلوبي!».

توقّفت واستدارت. اعتقدت أنّها سمعت صوت أختها قريبًا جدًّا منها. شعرت برجفة في عمودها الفقريّ في أثناء مرور أحد الظلال على العشب الأخضر النضر. الفتاة التي شغّلت جهاز التسجيل تقف بين شواهد القبور، وتنظر إليها. لقد فقدت ربطة شعرها الذي أخذ يتطاير في نسيم الصيف.

سوغا باوِر وآنيا لارشون

تبدو أيّام الصيف كأنّها لا تنتهي. يضيء الليل مثل حبّات اللؤلؤ حتّى مطلع الفجر.

أقامت قوّات الشرطة السويديّة حفلًا لموظّفيها في حديقة «باروق» أمام قصر «دروتنينغولم».

جلس جونا مع زملائه على طاولة تحت شجرة.

على مسرح بجوار ساحة الرقص، كانت مجموعة من الموسيقيّين تعزف «هارغالاتين»، وهي أغنية شعبيّة من التراث السويديّ.

راقص بيتر ناسلوند العراقيّة فاطمة زانجاني، وهمس لها بما جعلها تبتسم.

تروي الأغنية قصّة الشيطان الذي عزف الكمان ببراعة، حتّى أنّ الشبّان لم يرغبوا في التوقّف عن الرقص. رقصوا طوال الليل، ولكن عندما ارتكبوا خطأً عدم احترام أجراس الكنيسة وهي تدقّ، لم يتمكّنوا من التوقّف عن الرقص. صاروا يصيحون من التعب، وتمزّقت أحذيتهم، وفنت أقدامهم. وفي النهاية، بقيت رؤوسهم فقط تتأرجح على أنغام موسيقى الكمان.

جلست آنيا على كرسيّ قابل للطيّ وهي ترتدي فستانًا أزرق مزيّنًا بالزهور. كانت تحدّق إلى أزواج الراقصين، وتبدو على وجهها المستدير خيبة الأمل. لكنّ وجنتيها احمرّتا خجلًا عندما رأت جونا يترك مكانه على الطاولة.

قال لها: «منتصف صيف سعيدًا يا آنيا».

سارت سوغا على العشب، وتنقّلت بين الأشجار وهي تلعب بفقّاعات الصابون مع توأم ماغدالينا. كان شعرها الأشقر المتموّج، بشرائطه الملوّنة الزاهية، يلمع في ضوء الشمس. توقّفت سيّدتان في منتصف العمر كي تشاهداها.

قال المغنّي بعد التصفيق له: «سيّداتي، آنساتي، سادتي، لدينا طلب خاصّ...».

ابتسم كارلوس، ونظر إلى شخص خلف المسرح.

تابع المغنّي وهو يبتسم: «تنتمي جذوري إلى فنلندا، لذا يسعدني أن يُطلب منّي غناء تانغو كلاسيكيًّا فنلنديًّا بعنوان 'ساتوما' الليلة».

سارت ماغدالينا وفي شعرها إكليل من الزهور إلى جونا، محاولةً لفت انتباهه. أخذت آنيا تحدّق إلى حذائها الجديد.

بدأت الفرقة تعزف لحن التانغو الحزين. التفت جونا إلى آنيا، وانحنى قليلًا، ثمّ سألها بهدوء: «هل تمنحينني هذا الشرف؟».

احمرّت جبهة آنيا ووجنتاها ورقبتها من الخجل. نظرت إلى وجه جونا، وأومأت بجدّيّة: «أجل. أجل يمكنكَ ذلك».

أمسكت بذراعه، ونظرت إلى ماغدالينا بتباهٍ، وسارت إلى ساحة الرقص وهي ترفع رأسها إلى أعلى.

في بداية الأمر، كانت آنيا ترقص بتركيز شديد وهي عابسة قليلًا. ولكنّ وجهها المستدير سرعان ما استرخى وابتسم. كان شعرها مرتّبًا على شكل عقدة في نهاية مؤخّرة رأسها. تبعت جونا وهو يوجّهها حول ساحة الرقص.

مع اقتراب نهاية الأغنية العاطفيّة، شعر جونا فجأة بأنّ آنيا لمست كتفه بأسنانها، من دون أن تؤلمه.

عندما فعلت ذلك مرّة أخرى بصورة أشدّ قليلًا، شعر بأنّ عليه أن يسأل: «ماذا تفعلين؟».

لمعت عيناها وهي تقول: «لا أعرف! فكّرت فقط في رؤية ما سيحدث. لن تعرف إلّا إذا حاولت...».

في تلك اللحظة، توقّفت الموسيقى. ترك يدها وشكرها على قبول الرقص معه. وقبل أن يسعه إعادتها إلى كرسيّها، ظهر كارلوس وأمسك بيدها.

تراجع جونا، ونظر إلى زملائه وهم يرقصون، ويتناولون الطعام والشراب. ثمّ توجّه إلى سيّارته.

جلس بعض الناس بأزياء بيضاء على بطّانيّات التنزّه وتجوّل بعضهم بين الأشجار.

فتح جونا باب سيّارته «الفولفو». على المقعد الخلفيّ باقة ضخمة من الزهور. دخل إلى السيّارة، واتّصل بديسا، ولكنّه سمع نقرة بريدها الصوتيّ بعد رابع رنّة.

ديسا هيلينيوس

جلست ديسا أمام حاسوبها. ارتدت نظّارة قراءة، ولفّت بطّانيّة حول

كتفيها. وضعت هاتفها الخليويّ على المكتب بجانب كوب من القهوة الباردة وكعكة بالقرفة.

على الشاشة صورة لكومة من الحجارة الضخمة المتآكلة: بقايا مقبرة الكوليرا في «سكانستول» في ستوكهولم.

كتبت بعض الملاحظات في المستند، ثمّ مدّدت جسدها وأمسكت بالكوب، ولكنّها غيّرت رأيها. نهضت لتصنع بعض القهوة الطازجة حين أصدر هاتفها طنينًا على المكتب.

من دون التحقّق من المتّصل، أغلقت ديسا هاتفها، ثمّ وقفت تنظر من النافذة. تراقصت ذرّات الغبار تحت ضوء الشمس. راح قلب ديسا يخفق بسرعة وبشدّة في أثناء عودتها للجلوس أمام الكمبيوتر. لم تعد متأكّدة إن كانت تريد رؤية جونا مجدّدًا.

جونا لينا

ارتدت ستوكهولم ثوب العطلات، وخفّت حركة المرور بينما جونا يتجوّل ببطء في شارع «تغنر». فقد الأمل في الوصول إلى ديسا. هاتفها مغلق، وافترض أنّها تريد البقاء بمفردها. سار نحو البرج الأزرق، ومنه إلى شارع «دروتنينغ» الذي يعجّ بمكتبات ومتاجر الكتب المستعملة. رأى سيّدة مسنّة تقف أمام مكتبة «العصر الجديد»، متظاهرةً بأنّها تنظر إلى نافذة العرض. حين تخطّاها جونا، أشارت عبر الزجاج، ثمّ بدأت تتبعه عن مسافة محدّدة.

استغرق الأمر بعض الوقت حتّى أدرك أنّ ثمّة من يتبعه.

استدار عندما وصل إلى السور الأسود خارج كنيسة «أدولف فريدريك». ثمّة سيّدة ثمانينيّة على بُعد عشرة أمتار خلفه. نظرت إليه بجدّيّة، ثمّ مدّت بعض البطاقات، وقالت له وهي تُطلعه على إحداها: «هذا أنت، أليس كذلك؟ وهذا هو التاج، تاج الزفاف».

سار جونا إليها، وأخذ البطاقات. كانت من مجموعة بطاقات لعبة «كوكو»، من أقدم ألعاب البطاقات في أوروبا.

سألها بهدوء: «ماذا تريدين؟».

قالت المرأة: «لا أريد أيّ شيء، ولكن عندي رسالة من روزا بيرغمان».

«لا بدّ من أنّك مخطئة، لأنّني لا أعرف أحدًا اسمه...».

«تسألك لماذا تتظاهر بأنّ ابنتك ماتت».

خاتمة

إنّه مطلع الخريف في كوبنهاغن، والطقس صاحٍ وبارد. تصل مجموعة سرّيّة في أربع سيّارات ليموزين إلى «غليبوتيك». يصعد الرجال الدرج، ويسيرون عبر «وينتر غاردن»، على طول الممرّات التي تعجّ بالتماثيل القديمة، قبل أن يصلوا إلى قاعة الولائم المزخرفة.

الجمهور ينتظر، وأعضاء رباعيّ طوكيو الوتريّ يجلسون على المسرح المنخفض الارتفاع، ومعهم آلاتهم الأسطوريّة من صنع ستراديڤاريوس، وهي الآلات نفسها التي عزف عليها نيكولو باغانيني من قبل.

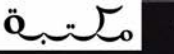
يجلس الضيوف في أماكنهم على طاولة في الممرّ ذي الأعمدة، بشكل منفصل قليلًا عن بقيّة الجمهور. أصغرهم سنًّا رجل ذو أطراف طويلة، وبشرة فاتحة اللون، يُدعى بيتر غويدي. لم يكن أكثر من صبيّ، ولكنّ تعبيرات وجوه الرجال الآخرين لا تدلّ على ذلك. سيقبّلون يده بعد قليل.

يومئ الموسيقيّون لبعضهم، ثمّ يبدأون عزف مقطوعة شوبرت: «الموت والعذراء». يستهلّون المقطوعة بالتركيز على العواطف الرائعة، والمشاعر الجيّاشة، والطاقة المكبوتة. تترجم إحدى آلات الكمان هذه المعاني إلى نغمات جميلة. تتوقّف الموسيقى لمرّة أخيرة ثمّ تتدفّق. ورغم أنّ اللحن مرح، فإنّ الآلات تبدو وكأنّها توصل إحساس الحزن على فقدان مزيد من الأرواح.

***

في كلّ يوم، تُصنع تسعة وثلاثون مليون رصاصة لأسلحة قذائف مختلفة. يشير أحد التقديرات المتحفّظة إلى أنّ الإنفاق العسكريّ العالميّ يبلغ 1,226 مليار دولار سنويًّا. رغم إنتاج كمّيّات هائلة من الأسلحة في الأوقات كافّة، ما زال الطلب عليها شرهًا. تعدّ أكبر تسع دول مصدّرة للأسلحة التقليديّة في العالم هي: الولايات المتّحدة، وروسيا، وألمانيا، وفرنسا، وبريطانيا العظمى، وهولندا، وإيطاليا، والسويد، والصين.





يُعثر على جثّة فتاة في مركب مهجور منجرف في الأرخبيل السويدي، وفي اليوم التالي، تُكتشف في ستوكهولم جثّة مسؤول كبير في قطاع تصدير الأسلحة السويدية مشنوق في شقّته. تتحوّل القضيّتان إلى حدث الساعة حين يكتشف المحقّق جونا لينا علاقة بين الجريمتين. أثناء بحثه، يعثر لينا على صورة لأربعة مسؤولين دوليين في الشؤون الاستراتيجيّة، بينهم الرجل المشنوق، وفي خلفيّتها رباعي موسيقي، وهي صورة محوريّة في القضيّة، يسعى لينا إلى فكّ ألغازها ومعرفة زمانها ومكانها من تفاصيل دقيقة، مثل تخمين اسم المعزوفة عبر وضعيّة أصابع العازفين لمعرفة تاريخ التقاط الصورة، وما كانت تلك الشخصيّات تخطّط له. يحتاج لينا إلى معجزة، ولكن ماذا لو صادف شخصًا يمتلك موهبة موسيقيّة فذّة؟ وماذا لو كانت له صلة بالقضيّة؟

لارش كيبلير هو الاسم المستعار للزوجين ألكساندرا كويلو أندوريل وألكسندر أندوريل، اللذين كتبا سابقًا روايات بشكل منفرد. أمّا سلسلة جونا لينا التي يتشاركان كتابتها فقد باعت أكثر من 12 مليون نسخة في أربعين لغة. وفي فبراير 2020 أُعلن أن رواية المنوّم المغناطيسي هي الأكثر مبيعًا خلال العقد الأخير في السويد، وتحوّلت إلى عمل سينمائي سويديّ يحمل العنوان نفسه.

ولدت ألكسندرا في الجنوب السويديّ، وانتقلت إلى ستوكهولم سعيًا لتحقيق حلم أن تكون ممثّلة، قبل أن تقرّر أن تصير كاتبة. وقد نالت روايتها الأولى [Stjärneborg] جائزة كاتابولت السويديّة لأفضل رواية أولى عام 2003.

بدأ ألكسندر حياته الأدبية في عمر 22 سنة، مع إصدار رواية عاطفية، ثمّ كتب الكثير من السيناريوات والنصوص الإذاعية والروايات والمسرحيات. اختار الزوجان اسم لارش تكريمًا للمحقّق البوليسي ستيغ لارشون، لأنّه ألهمهما كتابة الرواية البوليسيّة، وهما يعيشان حاليًا في العاصمة السويديّة ستوكهولم.


ISBN 978-614-472-192-6



daraltanweer.com